المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
(البرنامج المسائي)

منهج النبي ﷺ

في

حل المشكلات الاجتماعية

والدروس الدعوية المستفادة منه

دراسة دعوية وصفية تحليلية

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه)

إعداد الطالب:

منصور بن سعود شويلع

إشراف:

الأستاذ الدكتور

غـازي بن غـزاي المطـيري

العام الجامعي

١٤٣٥/١٤٣٦هـ

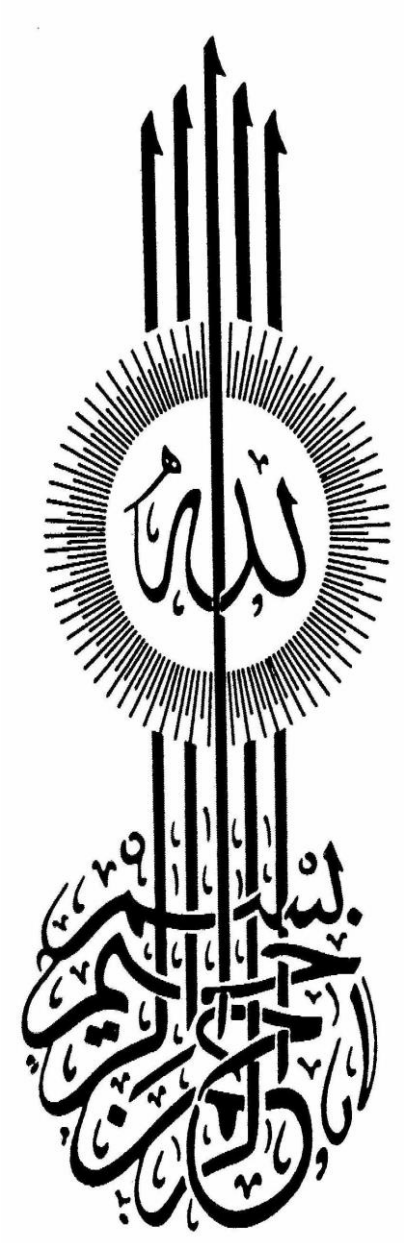
لله
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

موضوع البحث: فهذه أطروحة بعنوان: «منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية والدروس الدعوية المستفادة منه دراسة دعوية وصفية تحليلية»، وهذه الأطروحة تشتمل على مجموعة من الأهداف والنتائج والتوصيات يمكن إبراز ذلك كله من خلال المحاور الآتية:

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أبرز المشكلات الاجتماعية، مع بيان الملامح العامة للمنهج النبوي في حل هذه المشكلات، ووضع الحلول المناسبة لهذا العصر في ضوء السنة النبوية المطهرة، وذلك من خلال منهج علمي على النحو الآتي.

منهج البحث: يتَّبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض أبرز المشكلات الاجتماعية في العصر الحديث، ثم القيام بتوصيفها وتحليلها باعتبارها ظاهرة اجتماعية، ثم البحث عن حلول لهذه المشكلات والأمراض الاجتماعية من خلال المنهج النبوي الشريف.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمه وتمهيد، وأربعة أبواب، وذلك على النحو التالي: المقدمة. وتشمل ما يلي: التمهيد فيتناول: التعريف بمصطلحات البحث الرئيسة.وفيه ثلاثة مباحث:

الباب الأول: فيتناول علاقة الدعوة بمنهج النبيﷺ فيحل المشكلات الاجتماعية،وأصوله، ومقوماته، ووسائله، وأساليبه. وفيه ثلاثة فصول:

الباب الثاني:فيتناول منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الزوجية، ومشكلة الفقر والبطالة، ومشكلة المسكرات والمخدرات.وفيه ثلاثة فصول:

الباب الثالث، فيتناول منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العنف والإرهاب، ومشكلة العصبيات والقوميات، ومشكلة الإعاقة. وفيه ثلاثة فصول.

الباب الرابع، فيتناول الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية.وفيه فصلان:

أهم النتائج:

إن المنهج النبوي يتعامل مع المشكلات الاجتماعية على المستويين الوقائي والعلاجي، أما الوقاية فبسد كل الأبواب المؤدية إلى المشكلة، وأما العلاج فقد أوجد من الوسائل والأساليب العلاجية الكفيلة بإنهاء جميع المشكلات، فالمنهج النبوي هو مصدر الوقاية من وقوع المشكلات الاجتماعية، وهو السبيل لحلول جميع مشكلات المجتمعات الإسلامية.

إن ضَعْف دور المؤسسات الرسمية والأهلية في توجيه أفراد المجتمعات الإسلامية لسلوك المنهج النبوي الشريف ساهم في تفشي المشكلات الاجتماعية.

إن العلاقة بين المنهج النبوي لحل المشكلات الاجتماعية والدعوة علاقة تلازم وتكامل وترابط لا ينفصلان عن بعضهما، وأنها مرتبطة أيضًا بمشكلات الناس الاجتماعية وأنها أحد مهام الدعوة.

إن المنهج النبوي التطبيقي الذي علَّمه رسولُ الله ﷺ لأصحابه، وسلكه من بعده صحابته الكرام -رضوان الله عليهم أجمعين- يبيِّن لنا أن صِحَّة الفَهم والعمل والبناء عليه من أهمِّ أُسس علاج المشكلات والقضايا الاجتماعية.

ثانيًا_ أهم التوصيات:

أولًا: يوصي الباحث المؤسسات والجهات المعنية صياغة تشريعات وقوانين تتفق مع المنهج النبوي لحل المشكلات الاجتماعية.

ثانيا: يدعو الباحث العلماء المختصين في علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، وعلم الاقتصاد، وعلم الإدارة، أن يستفيدوا من المعالجات النبوية في تطوير بحوثهم، عن طريق دراسة هذه المعالجات النبوية وتحليلها، ثم صياغتها بشكل علمي ممنهج للاستفادة منها في تلك العلوم.

ثالثا: يدعو الباحث العلماء المختصين للقيام في إبراز المنهج النبوي في حل المشكلات الاجتماعية على مستوى المؤسسات الاجتماعية الدولية.

الباحث

Abstract

((The Approach of our Prophet "PBUH" in Social Problems solving & the Lessons Learned from him))

Analyticaldescriptive Calling Study

This study is entitled"The Approach of our Prophet "PBUH" in Social Problems solving & the Lessons Learned from him" . It has one aims, results and recommendations, which can be highlighted in the followings:

Aims of the Study: It aims to highlight the most prominent social problems along with the general features of the prophetic approach in addressing such problems, as well as develop suitable solutions to this modern age in the light of the prophetic Traditions.

Method of the Study: The researcher used the descriptive analytical approach via presenting the most prominent problems in modern age. Then, he described these problems and analyzed it as a Social phenomenon. This is followed by searchingsolutions to such problems via the prophetic approach.

Plan of the Study: It consists of an introduction, preface and four sections. As for the introduction, it is about the main terms of the study, and it has three searches. As for the first section, it is about relationship of the Islamic Call with the approach of our prophet (PBUH) in solving social problems, it has four chapters. As for the second chapter, it is about the approach of our prophet (PBUH) in solving marital problems, poverty and employment problem and drugs problem, and It has three chapters. As for the third section, it is about the approach of our prophet in addressing the problem of Violence and terrorism, the problem of intolerance and the problem of disability, and it has three chapters. As for the fourth section, it is about the lessons learned from the prophet approach in solving social problems.

The Important Results:

- The prophetic approach deals with social problems in the preventive and treatment level. As for the preventive level it blocked all doors that lead to the problem. As for the treatment, it created treatment methods that have the ability of addressing such problems.
- The weakness of official and private institutions role in guiding members of Islamic communities towards the prophetic approach contributed inthe proliferation of social problems.
- The relationship among the prophetic approach in social problems solving and Islamic call is an integral relationship.
- The prophetic applied approach, which our prophet (PBUH) taught it to his companions, clarifies to us the accuracy of understanding is one of the most important fundamentals of social problems solving.

Recommendations:

- The concerned authorities should enact laws and regulations match with the prophetic approach in solving social problems.
- Specialized in psychology, sociology, education, economics and management should make use of the prophetic addressing to social problems in their researcher. This could be done via studying such prophetic addressing and analyze it academically.
- Specialized should highlight the prophetic approach in solving social problems throughout the level of international social institutions.

مقدمة

الحمد لله الذي قال في كتابه العزيز: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[1]، وقال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[2].

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، الذي بعثه الله سبحانه بالمحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فأدى الأمانة وبلَّغ الرسالة، وبيَّن للأمة الطريق المستقيم، الذي يجب عليها التمسك به، فإن تركته أو تركت بعضه زاغت، وهلكت.

أما بعد:

فإن الروابط الاجتماعية ركن أساسي من أركان المجتمعات البشرية، فالمجتمعات الإنسانية كالبناء في حاجتها إلى ما يربط وحداتها بعضها ببعض، ويجعل منها جسمًا واحدًا متماسكًا.

وقد ظهرت مشكلات اجتماعية، كان لها أكبر الأثر في حياة الإنسان، كالمشكلات الزوجية، ومشكلة الفقر والبطالة، ومشكلة المسكرات والمخدرات، ومشكلة العنف والإرهاب، ومشكلة العصبيات والقوميات، ومشكلة الإعاقة؛ وغيرها من المشكلات

---

(١) سورة الحشر الآية: ١٠.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١١٠.

التي تمثل القضايا الاجتماعية الكبرى التي تمس مجتمعاتنا، بما لها من تبعات جسيمة تجعل لها أولوية في اهتماماتنا.

ومن هنا نقول بأن مشكلات المجتمعات وقضايا الأمة الإسلامية تشكل كل «حالة» واحدة منها تستدعي الدراسة والبحث للوصول إلى وصف صحيح وتشخيص سليم للوصول إلى الدواء الناجع.

والمتأمل في المنهج النبوي الشريف يجد أن النبي ﷺ قد وضع الأسس الجامعة التي تصلح للقضاء على الأمراض الاجتماعية المختلفة، ومعالجة هذه القضايا، وجعل العالم كله أمة واحدة في ظل أرقى الأصول الاجتماعية.

والبعد عن إتباع المنهج النبوي وغياب الدراسات لمنهج النبي ﷺ في حل تلك المشكلات، هو الذي دفع البعض من الدعاة والمصلحين المعاصرين للبحث عن ضالتهم عند الغرب وفلسفاته الوضعية، مما جعل الأمة تسير في عشوائية وتستقي مبادئ وحلولًا قد لا تتفق مع عقيدتها ومبادئ شريعتها الإسلامية السَّمحة.

والمسلم يتعلم من المنهج النبوي الصحيح كل فن من فنون حل المشكلات، الفردية والاجتماعية، في إدارة كل مرحلة، والانتقال من مستوى إلى آخر، وكيف أن النبي ﷺ واجه القوى المضادة من اليهود والمنافقين والكفار والنصارى، وكيف تغلب عليها كلها بتوفيق من الله -تعالى- مع أخذه بالأسباب في الالتزام بشروط النصر وأسبابه التي أرشد إليها المولى سبحانه في كتابه الكريم.

مشكلة البحث:

حدوث المشكلات والنزاعات والخلافات والعنصريات والقوميات بين الناس ظاهرة ملازمة للمجتمع الإنساني، ولا يمكن أن يوجد مجتمع من غير أن تكون فيه مشكلات وخلافات ونزاعات إلا من رحم الله.

وسوف تتناول هذه الدراسة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية وما له من أهمية كبرى في توجيه مريدي الإصلاح إلى إتباع هذا المنهج القويم الذي وضع أصوله وأسسه النبي ﷺ من خلال استقراء الوقائع والأحداث الواردة في السنة النبوية المتعلقة بهذا الصدد.

أسباب اختيار موضوع البحث:

أولا: الحاجة إلى معرفة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية.

ثانيا: كثرة وقوع المشكلات الاجتماعية، والمنازعات والخلافات، في هذا الزمان التي تؤدي إلى الفرقة والشقاق بين أبناء الأمة المسلمة، خصوصًا في هذا الوقت الذي بعد فيه كثير من الناس عن شرع الله وأوامره، وليس هذا في المجتمعات الإسلامية فحسب، بل لا يكاد مجتمع يسلم من هذه الخلافات التي قد تؤدي في أسوء الأحوال إلى حل الرابطة الاجتماعية بين أفراده، وما قد يترتب على ذلك من مشكلات أمنية.

ثالثا: شدة خطر استفحال المشكلات عند تركها أو عدم إتباع المنهج الصحيح في القضاء عليها، أو معالجتها، وهذا من أهم الأسباب المؤدية إلى ضعف المجتمع المسلم، وتشتته وانتهاك حرماته، والإساءة إلى حملة الإسلام والمنتسبين إليه.

رابعا: إن ما كتب عن الحلول لكثير من المشكلات الاجتماعية، التي يواجهها المجتمع المسلم، وطرق التعامل معها، لم تدرس إلى الآن دراسة دعوية شاملة مفصلة؛ تجلي الطرق والوسائل والأساليب العديدة التي انتهجها النبي ﷺ لحل تلك النزاعات والمشكلات التي يتعرض لها الأفراد، أو تواجهها المجتمعات، والتزم بها من بعده الخلفاء الراشدون، ومن جاء بعدهم من خلفاء الإسلام وسلف هذه الأمة الصالح.

خامسا: التأكيد على أهمية القيم الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية، ونزع الخلافات، وتحقيق كرامة الإنسان وإقامة العدل، وتحقيق التعايش الآمن بين المجتمعات.

سادسا: إن للتعامل مع المشكلات الاجتماعية وإيجاد الحلول المناسبة يكون له نتائج عظيمة، من أهمها: الأجر والمثوبة من الله ﷻ، والأثر المعنوي والحسي الذي يتركه المصلِح في حياته وبعد مماته.

سابعا: إنه حين نمعن النظر في واقعنا المعاصر فسوف نجد أن هنالك المئات ممن يمتلك بنية معرفية سميكة لكن معرفتهم بوسائل وأساليب حل المشكلات الاجتماعية محدودة جدا.

أهمية موضوع البحث:

أولا: واقعية الموضوع، فهو وطيد الصلة بالواقع الذي تحياه أمة الإسلام، وما له أهمية في كبرى حياة الفرد والمجتمع.

ثانيا: إن وجود المشكلات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي من أعظم أسباب انهيار المجتمع وتفككه، فلا تنتظر أن يتخرّج منه جيل صالح ناصح مبدع يخدم دينه وأمته ووطنه، ولقد أدرك العدو، أن وجود المشكلات والنزاعات والخلافات بين المسلمين يعمل بدوره على انهيار الأمة الإسلامية بكاملها.

ثالثا: ستسهم هذه الدراسة الحالية –بإذن الله تعالى– في بيان المنهج النبوي الصحيح في حل المشكلات الاجتماعية، والدروس الدعوية المستفادة منه.

رابعا: تعمل هذه الدراسة –بإذن الله تعالى– على قوة الأداء والارتقاء لدى المصلحين والدعاة، وذلك باطلاعهم على أهم الوسائل والأساليب التي سلكها النبي ﷺ في التعامل مع المشكلة وإيجاد الحلول المناسبة لها، مما يعمل على رقي الإصلاح كمًا وكيفًا، ويساعد في الحد من المشكلات الاجتماعية والتصدي للصعوبات التي تواجه الأمة الإسلامية، كما تَحِدُّ هذه الدراسة من الوسائل والأساليب التعقيدية غير الفعَّالة في حل المشكلات الاجتماعية.

خامسا: تُبرز هذه الدراسة –بإذن الله تعالى– المنهج الذي تَمَثَله النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية، وحسن التعامل معها، فيما لا ضرر فيه ولا ضرار، الأمر الذي يدعو إلى تلمس المنهج الذي سار عليه النبي ﷺ.

سادسا: نظرًا لأن العقل البشري غير معصوم، ولأن عقول الناس مختلفة؛ فقد جاء شرع الله المطهر بعدم الاعتماد عليها والركون إليها وحدها، عند حدوث المشكلات، والنزاعات، والخلافات، وقد أمر الله تعالى في كتابه العظيم بالرجوع إلى حكمه وسنة رسوله عند الاختلاف والنزاع، مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[1]، ولقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[2].

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها ما يلي:

أولا: تسليط الضوء على أبرز المشكلات الاجتماعية مع بيان منهج النبي ﷺ في حلها، واستخراج الدروس الدعوية المستفادة منها من خلال التركيز على العلاقة بين الدعوة وحل المشكلات الاجتماعية.

ثانيا: إبراز ضرورة العناية بالمنهج النبوي في الدعوة إلى الله وحل المشكلات الاجتماعية الذي يتميز بالشمول والكمال في معالجة المشكلات الاجتماعية المعاصرة.

---

(١) سورة الشورى الآية: ١٠.

(٢) سورة النساء الآية: ٥٩.

ثالثا: التأكيد على إتباع المنهج النبوي في الدعوة إلى الله في حل المشكلات الاجتماعية باعتباره منهجًا كفيلًا يعمل على قوة وتماسك المجتمع المسلم الذي عاشته الدولة الإسلامية أول ظهورها في عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام.

رابعا: حاجة أمة الإسلام إلى استبصار معالم النبوة بدلًا من الاتكاء على نتاج معرفي بشري، هو في الغالب مترجم عن الأمم الأخرى يشوبه الخطأ والخلل.

خامسا: الحرص على معالجة قصور وضعف أساليب ووسائل حل المشكلات الاجتماعية، وتنمية وتعزيز جوانب الثقة بالنفس لدى المصلح مما يجعله أقدر على مواجهة التحديات الراهنة ضد اتباع المنهج القويم وذلك على المستويين المادي والمعنوي.

تساؤلات موضوع البحث:

١. ما المراد بالمشكلات الاجتماعية؟

٢. ما العلاقة بين الدعوة إلى الله وعلاج المشكلات الاجتماعية؟

٣. ما الأصول التي يقوم عليها منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية؟

٤. ما مقومات منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية؟

٥. ما أساليب النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية؟

٦. ما وسائل النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية؟

٧. ما أهم الأسباب الأساسيّة للمشكلات الاجتماعية؟

٨. ما الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية؟

حدود موضوع البحث:

الحد الموضوعي للبحث يقتصر على دراسة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية من خلال منهجه في الدعوة إلى الله، دراسة دعوية، مع بيان المقومات والأصول

التي يقوم عليها، وأهمية المنهج والحاجة والعوامل التي تسهم في بناء كفاءة الأداء، وما يحويه من ضوابط ووسائل وأساليب، والدروس الدعوية المستفادة.

الدراسات السابقة:

بعد اطلاع الباحث على العديد من الدراسات الدعوية لم يجد الباحث أي دراسة مستقلة تتعلق بصورة مباشرة بموضوع هذه الدراسة.

وقد تقرر ذلك من خلال استعراض قوائم الرسائل والبحوث العلمية المقدمة إلى أقسام الدعوة في كل من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة؛ وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكذلك من خلال البحث في موجودات المؤسسات العلمية المعنية بالبحث العلمي من الرسائل العلمية والأبحاث والكتب ذات الصلة بموضوع البحث أو القريبة من بعض فروعه، فقمت بتتبع المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومكتبة جامعة الملك سعود، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبدالله الرقمية، وجامعة أم القرى، وبالبحث أيضا في عدد من المكتبات الخاصة والمكتبات التجارية ودور النشر الكبيرة، وبالرجوع إلى بعض المجلات والدوريات المتخصصة للوقوف على بعض الدراسات والأبحاث المنشورة فيها؛ أما عن الدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة، فيمكن تقسيمها إلى نوعين:

النوع الأول: دراسات لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة:

لم يجد الباحث -على حد علمه- دراسة علمية مستقلة في (منهج النبي ﷺ في المشكلات الاجتماعية) كما هو مطروح في هذه الدراسة.

النوع الثاني: دراسات لها صلة غير مباشرة بموضوع الدراسة، ويشتمل هذ النوع على رسائل علمية، وكتب، وبحوث علمية، وكتابات، وقد تم العثور على بعض هذه الدراسات، منها:

١- «أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات»، بحث قدمه، الأستاذ الدكتور/ إبراهيم بن مبارك الجوير، أستاذ علم الاجتماع، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٢- «منهج النبي ﷺ في مواجهة الإساءات التي تعرض لها وتطبيقاتها التربوية في واقعنا المعاصر»، بحث مكمل لدرجة الماجستير، إعداد الطالب/ عزيز عوض المالكي، جامعة أم القرى، عام ١٤٢٩-١٤٣٠هـ.

٣- «منهج الرسول ﷺ في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر»، دراسة مقدمة لمؤتمر تطوير برامج كليات التربية بالوطن العربي في ضوء المستجدات المحلية والعالمية، كلية التربية – جامعة الزقازيق، في الفترة من ٨-٩ فبراير ٢٠٠٦م، إعداد الأستاذ الدكتور/ محمود خليل أبو دف، أستاذ وعميد كلية التربية، الجامعة الإسلامية – غزة.

وجميع هذه الدراسات: لا تتعلق بمنهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية ودراسته دراسة دعوية وفق منهج هذه الدراسة وخطتها.

تقسيم خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمه وتمهيد، وأربعة أبواب، وذلك على النحو التالي:

المقدمـــة. وتشمل ما يلي:

١. موضوع البحث (مشكلة البحث).

٢. أسباب اختيار موضوع البحث.

٣. أهمية موضوع البحث.

٤. أهداف موضوع البحث.

٥. تساؤلات موضوع البحث.

٦. حدود موضوع البحث.

٧. الدراسات السابقة لموضوع البحث.

٨. تقسيم خطة البحث.

٩. منهج البحث.

التمهيد فيتناول: التعريف بمصطلحات البحث الرئيسة. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للمنهج. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى اللغوي للمنهج.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للمنهج.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحي للمشكلات الاجتماعية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعني اللغوي للمشكلات.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للمشكلات.

المبحث الثالث: المعنى اللغوي والاصطلاحي في الدعوة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى اللغوي للدعوة.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للدعوة.

الباب الأول: فيتناول علاقة الدعوة بمنهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية، وأصوله، ومقوماته، ووسائله، وأساليبه.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: علاقة الدعوة بمنهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: علاقة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية بمجالات الدعوة.

المبحث الثاني: علاقة الدعوة بحياة الناس وضرورة حل مشكلاتهم.

المبحث الثالث: شمولية المنهج النبوي الدعوي لكل مناحي الحياة.

المبحث الرابع: الحاجة إلى معرفة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية.

الفصل الثاني: أصول ومقومات منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية. وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: الاهتمام بالعلم.

المبحث الثاني: صحة الفهم والعمل.

المبحث الثالث: التوكل على الله ﷻ والاستعانة به وحده.

المبحث الرابع: التوازن: ويتمثل في أمور عدة، منها المساواة بين الأفراد لا التساوي.

المبحث الخامس: العدل.

المبحث السادس: التلطف والرفق.

المبحث السابع: سلامة القصد.

المبحث الثامن: التمحيص والتميز.

المبحث التاسع: معرفة الظروف الثقافية والنفسية والفطرية المؤثرة في حل المشكلات الاجتماعية.

المبحث العاشر: مراعاة الأعراف السائدة في المجتمع.

الفصل الثالث: وسائل وأساليب النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وسائل النبي ﷺ في التعامل مع المشكلات الاجتماعية. وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: المواجهة المباشرة.

المطلب الثاني: الإشارة باليد الواحدة، أوباليدين، أوبالأصابع.

المطلب الثالث: السماع من المتخاصمين.

المطلب الرابع: الاستعانة بمن يعينه على حل المشكلة.

المطلب الخامس: اليسر وعدم التشدد.

المطلب السادس: إدخال السرور على الآخرين.

المطلب السابع: مراعاة أحوال بعض المخطئين.

المطلب الثامن: وضع العلاج المناسب للمشكلة.

المبحث الثاني: أساليب النبي ﷺ في التعامل مع المشكلة. وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: أسلوب المبادرة.

المطلب الثاني: أسلوب القدوة الحسنة.

المطلب الثالث: أسلوب الحوار المقنع.

المطلب الرابع: أسلوب التفاوض.

المطلب الخامس: أسلوب التعريض.

المطلب السادس: أسلوب المداعبة.

المطلب السابع: أسلوب إظهار الغضب وعدم الرضا.

المطلب الثامن: أسلوب التأنيب والتوبيخ.

الباب الثاني: **فيتناول منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الزوجية، ومشكلة الفقر والبطالة، ومشكلة المسكرات والمخدرات.**

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الزوجية. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اهتمام الشريعة الإسلامية بقضايا الأسرة.

المبحث الثاني: أسباب المشاكل الزوجية.

المبحث الثالث: الحث على ضرورة حسن اختيار الزوجة.

المبحث الرابع: تعامل النبي ﷺ مع زوجاته.

المبحث الخامس: أساليب النبي ﷺ في معالجة المشكلات الزوجية.

المبحث السادس: الآثار المترتبة على حدوث المشاكل الزوجية.

الفصل الثاني: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة الفقر والبطالة. وفية ثمانية مباحث:

المبحث الأول: النبي ﷺ القدوة والمثل الذي يحتذى به في هذا المجال.

المبحث الثالث: نظرة النبي ﷺ للعمل.

المبحث الثالث: تشجيع الناس على مزاولة الأعمال، وبعض المهن والصناعات.

المبحث الرابع: الحث على المزارعة[1] وتشجيع المشاريع الاقتصادية بين المسلمين.

المبحث الخامس: تحريم الربا لما له من مضار على فقراء المجتمع.

المبحث السادس: تحريم الرشوة.

المبحث السابع: تحريم الاحتكار.

المبحث الثامن: الآثار المترتبة على حدوث مشكلة الفقر والبطالة.

الفصل الثالث: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة المسكرات والمخدرات. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الخمر والمسكرات في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: بناء الأساس العقدي النفسي عند الإنسان.

المبحث الثالث: أسباب وعوامل تعاطي الخمر والمسكرات.

المبحث الرابع: موقف الإسلام من الخمر والمسكرات.

---

(١) هي: المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها من الزرع كالثلث والربع وغير ذلك من الأجزاء المعلومة، تفسير بن كثير،(١/ ٥٤٨).

المبحث الخامس: الآثار الصحية، والاجتماعية، والاقتصادية، الناتجة عن تعاطي الخمر والمسكرات.

الباب الثالث، فيتناول منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العنف والإرهاب، ومشكلة العصبيات والقوميات، ومشكلة الإعاقة.

وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العنف والإرهاب. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للعنف والإرهاب.

المبحث الثاني: أسباب ظهور العنف في المجتمع المسلم.

المبحث الثالث: ترسيخ خلق المراقبة.

المبحث الرابع: نشر القيم الرفيعة في المجتمع.

المبحث الخامس: النهي عن الترويع.

المبحث السادس: تحريم قتل النفس وسفك الدم.

الفصل الثاني: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العصبيات والقوميات. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للعصبيات.

المبحث الثاني: تأصل العصبيات والقوميات في المجتمعات الجاهلية قبل الإسلام.

المبحث الثالث: دعوة الإسلام إلى نبذ العصبيات والقوميات الجاهلية.

المبحث الرابع: العلاج لما وقع في المجتمع الإسلامي من ظهور بعض العصبيات والقوميات.

المبحث الخامس: الآثار السيئة المترتبة على عودة العصبيات والقوميات في بعض المجتمعات الإسلامية.

الفصل الثالث: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة الإعاقة. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للإعاقة.

المبحث الثاني: التعامل مع المعوقين.

المبحث الثالث: دمج المعاق في المجتمع الإسلامي.

المبحث الرابع: الوقاية من الإعاقة.

المبحث الخامس: مقارنة بين المناهج الحديثة ومنهج النبي ﷺ في التعامل مع المعاقين.

الباب الرابع، فيتناول الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للداعية والمدعو، والوسائل والأساليب. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للداعية.

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للمدعو.

المبحث الثالث: الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية في الوسائل والأساليب.

الفصل الثاني: الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية، للأقليات الإسلامية والجاليات. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية.

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للأقليات الإسلامية والجاليات.

وأما الخاتمة، فقد تضمنت مايلي:

١- أهم نتائج البحث.

٢- أهم التوصيات.

الفهارس العلمية. وتتضمن:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس المصطلحات.

٦- فهرس المصادر والمراجع.

٧- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي "الذي يقوم على وصف الظَّاهرة على واقعها دون اللُّجوء إلى تقدير أو تأويل، وتحليلها إلى عناصرها المكونة لها، ثم استخلاص النتائج"[1]، وسوف يتخذ الباحث الخطوات التالية في عرض هذا المنهج: -

---

(١) مجموعة من الدعاة والمفكرين والمؤلفين، موقع http://www.alukah.net

١) جمع المادة العلمية من مصادرها الأصيلة.

٢) كتابة الآيات وفق الرسم العثماني، مع تخريجها.

٣) عزو الأحاديث والآثار إلى مظانها من كتب السنة وما لم يكن منها في الصحيحين أو أحدهما فاني أذكر كلام أهل العلم في بيان درجته صحةً وضعفًا.

٤) توثيق الأشعار من مصادرها ونسبتها إلى قائليها.

٥) توثيق الأمثال والأقوال والنصوص من مصادرها الأصيلة.

٦) التعليق على ما يحتاج إلى تعليق من المسائل والآراء، وشرح ما يحتاج إلى شرح من الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية.

٧) التعريف بالأماكن والبلدان والقبائل والفرق وكل ما يحتاج إلى تعريف.

٨) ترجمة الأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة وموثقة.

٩) الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٠) تذييل البحث بالفهارس الفنية على النحو المذكور آنفا في الخطة.

وصلِّ اللهمَّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم،،،.

❁❁❁❁

شكر وتقدير

الحمد لله على نعمائه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأصلي وأسلم على نبينا محمدا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

فإني أحمد الله –تعالى– أن وفقني إلى إتمام هذه الرسالة العلمية والتي بذلت فيها جهدا كبيرا، ووقتا طويلا، راجيا من الله تعالى أن يكون هذا الجهد العلمي مؤدياً لحقيقة منهج النبي المصطفى ﷺ، وخير مرشد ومعين لكل من يريد الصلح والإصلاح، وأن يكون نافعاً للأمة الإسلامية في الحاضر والمستقبل.

ثم أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي مشرف هذه الرسالة، **صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور/ غازي بن غزاي المطيري**، أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية، الذي لم يدخر جهدا وعطاءً، في التوجيه والإرشاد والمشورة، لإتمام هذه الرسالة والوصول بها لصيغتها النهائية.

ثم أثني بالشكر والتقدير والعرفان لفضيلة الأستاذين الجليلين والشيخين الكريمين، أعضاء لجنة المناقشة، **فضيلة الدكتور/ تركي بن عبدالله السكران** – أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية المشارك ، **وفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالرحمن بن زيد الزنيدي** – عضوًا خارجيًا– من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، اللذين منحاني وقتهم وجهدهم في قراءة هذه الرسالة وتصويبها بما يثري عملي، والذي سوف ألزم نفسي بالأخذ بكل حرف من ملاحظاتهم، وتصويباتهم، للوصول بالرسالة إلى قرب المستوى المنشود بإذن الله تعالى.

هذا وأني لا أدعي الكمال وحسبي ما بذلت ما في وسعي في هذه الرسالة، وأسأل الله العلي القدير أن يغفر لي ما وقعت فيه من الزلل، وأن يتجاوز عني فيما قصرت فيه، وأبرأ إلى الله من مخالفة شرعه، أو أن أقول في دينه بغير علم، أو أن أكذب عليه وعلى رسوله،

وهذا جهد المقل على ضعف في الزاد وبضاعة مزجاة، وافتقار لعون الله ومعونته، فما أصبت فيه فهو من توفيق الله وفضله ومنته فله الحمد والشكر وعلى رسوله الصلاة والسلام.

وما أخطأت فيه من البيان، أو خالفت فيه السنة أو القرآن، فهو من نفسي- ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأسأل الله الصفح والغفران.

ربنا اجعل هذا العمل صالحًا، ولوجهك خالصًا، واجعله من العلم الذي ينتفع به إذا انقضى الأجل وانقطع العمل، إنك ربي على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وأنت حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁❁❁❁

التمهيـــد

التمهيد

تعريف (المنهج - المشكلة - الدعوة)

توطئة:

يعد تعريف المفاهيم المدروسة في البحث العلمي وتحديد الطريق والمنهج الموصل إليها من أساسيات هذا البحث، لأن كثيرًا من المفاهيم قد يدل على معانٍ مختلفة، فبتحديد المراد منها يسهل فهم تفاصيل العلم الذي يراد دراسته؛ فلا يساء فهمها أو تفهم بدلالات غير دلالاتها المقصودة فيها بالبحث، سواء كان هذا الخلط مقصودًا أو غير مقصود.

وكل علم لابد فيه من وضوح المنهج، وبناء المرتكزات، ومعرفة الوسائل، وتحديد الأطر واستخدام الأدوات الفاعلة.

وفي هذه الدراسة سيعمل الباحث على استقراء المعنى اللغوي من خلال دراسة الجذور اللغوي للمصطلحات، أما المعنى الاصطلاحي فمن خلال التراكم المعرفي لدى المهتمين بعلم الدعوة، والعمل على بناء نموذج منهجي في أدبيات التعامل مع المنهج النبوي، لاسيما وأن مناهج الإقناع تختلف من زمن لآخر، وأساليب الخطاب تختلف من عقل لآخر بحسب اختلاف بيئته؛ ولهذا قال علي بن أبي طالب ﷺ: «**حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لايفهموا، (١/ ٣٧)، برقم (١٢٧). (صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو، عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ).

وتكمن أهمية الاشتغال بالمعنى اللغوي في "أن المعنى اللغوي يحافظ على نقاء الكلمة وحفظها كما هي في استخدامات العرب بعيدا عن المفاهيم المتغيرة في الزمان والمكان، والتي تتطور وتتجدد مع اختلاف الحياة وأعرافها لدى الناس"[1].

وسوف "يتم بيان علاقة اللفظ بالمعنى المستفاد منه وتحديده عن طريق مراعاة القواعد المقررة عند علماء علم الأصول بحيث يكون استعمال اللفظ معبرا عن معنى إرادة الشرع.

وعليه كلما كانت العلاقة بين اللفظ والمعنى ظاهرة وواضحة كانت مهمة المجتهد للفهم سهلة وميسرة، ففي ظل الوضوح تضيق دائرة الاجتهاد"[2].

فما من تعريف لُغوي لمصطلح ما إلا وبينه وبين التعريف الاصطلاحي (الشرعي) عَلاقة، وكلما اقترب المعنى اللغوي للمصطلح من معناه الاصطلاحي (الشرعي)؛ كانت دائرة الاختلاف بين تعريفاته الاصطلاحية أضيق.

وبعد هذا التمهيد سوف يقوم الباحث ببيان تلك المصطلحات المتعلقة بعنوان تلك الدراسة من خلال التعريف بكل من المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكل مصطلح مع بيان العلاقة بين كل منهما.

❁❁❁❁

(١) كتاب الأمة – المصطلح، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر، العدد (٤٨) رجب ١٤١٦هـ، السنة الخامسة عشرة.

(٢) دراسة الفكر الإسلامي وقابلية النماء والتطور الكاتب/ طارق فايز العجاوي، في ١٤/ ١١/ ١٤٣٤هـ، بتصرف. http: //islamselect. net/mat/95404

المبحث الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي لـ «المنهج»

توطئة:

اشتملت النصوص الشرعية قرآنا وسنةً على بيان كلمة (المنهج) أو ما يقوم مقامها من جهة المعنى والوظيفة الدلالية، ولقد دلت على ذلك بعض آي الذكر الحكيم؛ قال الله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1].

وأما السنة النبوية فقد اشتملت أيضًا على هذا المصطلح، فقال النبي ﷺ: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**»[2]

ومن هنا يعلم أن استخدام مصطلح (منهج) أو ما يقوم مقامه من حيث أداء المعنى ككلمة (منهاج) هو استخدام إسلامي أصيل؛ ففرق بين هذا المصطلح وبين غيره من المصطلحات كمصطلح (نظرية).

فالنظرية عمل بشري يخضع للتغيير والإضافة والحذف، بينما يقوم المنهج الرباني على أساس الثبات في دعائمه مع اتساع آفاقه وأطره لتطور المجتمعات وتغير البيئات[3]؛

---

(١) سورة المائدة الآية: ٤٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٤/ ٢٧٣)، برقم، (١٨٤٣٠)؛ بإسناد حسن من طريق حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير عن حذيفة ﷺ، وحسنه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٥).

(٣) ينظر: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، محمد محمود محمد، دار الشروق، جده، ط١، ١٩٨٤م، (ص١٣).

وهو ما يتسم به المنهج الإسلامي، ويتميز به عن غيره من القوانين والنظريات الوضعية التي هي نتاج العقل البشري؛ إذ القصور والنقصان سمتان لازمتان لهذه المستحدثات الوضعية.

❁❁❁❁

المطلب الأول

المعنى اللغوي لـ «المنهج»

حتى تبقى للكلمة أصالتها كان لا بد من الوقوف على التعريفات اللغوية والاصطلاحية فهذا دئب السابقين من علماء اللغة، ومن هنا كان وقوفنا على المعنى اللغوي ليس ضربا من الطرف الفكري إنما هو من باب التقعيد لما سلف من علمائنا.

بالنظر إلى معاجم اللغة العربية يتبين أن مادة (نهج) تدور حول عدة معانٍ منها: الطريق البين الواضح، والخطة المرسومة لاتباعها والنظام الموضوع للسير عليه، والطريق المستقيم، وتتبع سبيل الغير.

قال الجوهري[1]: "النهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج؛ وأنهج الطريق، أي استبان وصار نهجا واضحا بينا .. ونهجت الطريق، إذا أبنته وأوضحته.

يقال: اعمل على ما نهجته لك، ونهجت الطريق أيضا، إذا سلكته؛ وفلان يستنهج سبيل فلان، أي يسلك مسلكه"[2].

---

(١) هو: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام في علم اللغة، مات سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة. له "كتاب الصحاح" في اللغة، مات ولم ينقحه فنقحه أبو إسحاق صالح الوراق. ينظر: في ترجمته "معجم الأدباء"، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، (٢/ ٦٥٦)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، (١/ ٢٢٩)، و"البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة"، مجد الدين الفيروزآبادي، (١/ ٨٧)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (١/ ٣٤٦).

وقال ابن منظور[1]: "طريق نهج: بين واضح، وهو النهج ... وطرق نهجة، وسبيل منهج: كنهج؛ ومنهج الطريق: وضحه.

والمنهاج: كالمنهج؛ وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2].

وفي حديث العباس رضي الله عنه قال: « فإن رسول الله ﷺ لم يمت حتى .. وتركك عن حجة بينة، وطريق ناهجة»[3]، أي: واضحة بينة.

" ونهجت الطريق: سلكته؛ وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه؛ والنهج: الطريق المستقيم؛ ونهج الأمر وأنهج، لغتان، إذا وضح"[4].

---

(١) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، ولد سنة ستمائة وثلاثين، سمع من ابن المقير ومرتضى بن حاتم وخلقا، روى عنه السبكي والذهبي وغيرهم، اختصر الأغاني والعقد والذخيرة ونشوار المحاضرة وغيرها، ومن أهم كتبه: "لسان العرب" في اللغة، ومات في شعبان سنة إحدى عشرة وسبعمائة. ينظر: ترجمته الوافي بالوفيات صلاح الدين الصفدي، (١٠/ ١٦٥)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، (٦/ ١٥).

(٢) سورة المائدة الآية: ٤٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه"، (٥/ ٤٣٣). وقال البوصيري في "إتحاف المهرة": «رواه إسحاق ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، ورواه الطبراني من طريق ابن عيينة، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن العباس، فهو متصل صحيح الإسناد». ينظر: المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، (٢/ ٣٨٣).

المطلب الثاني

المعنى الاصطلاحي لـ «المنهج»

يُعرَّف المنهج عند العلماء في الاصطلاح بتعريفات كثيرة متعددة كلها تنبثق من المعنى اللغوي وتتفق مع دلالاته ومن ذلك ما يلي:

١ – أنه: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة مجموعة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[١].

٢- "أنه الأسلوب في التفكير وخطوات علمية منظمة، تهدف إلى حل مشكلة أو معالجة أمر من الأمور، وهو برنامج عمل في البحث العلمي وفي نقل النظري إلى التطبيق وفي التخطيط للمستقبل وفق نظرة بصيرة"[٢].

٣- "مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة؛ لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم"[٣].

وكل هذه التعريفات تشير إلى أن المنهج برنامج يعمل على ترشيد الخطوات وتنظيم الفكر واستبصار الواقع واستشراف المستقبل، وأنه يحتاج إلى الفهم الدقيق وإطالة النظر في القضية المعروضة والتغلغل في مراميها ومقاصدها وصولا إلى الغاية المرجوَّة[١].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) مقدمة كتاب قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج، يوسف زيدان، بالاشتراك مع آخرين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (ص٧).

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (٥٨ / ٣٠٠).

واكثر التعريفات في هذا الجانب متأثرة بكلام المناطقة، وإذا كنا في حاجة لاختيار من بين هذه التعريفات ما هو أليق بموضوع البحث فإن التعريف الثالث هو أولى هذه التعريفات وأحظاها بالقبول؛ وذلك لشمول عباراته مع إيجازها، فكان تعريفًا جامعًا محكمًا من هذا الوجه.

والمنهج في السنة النبوية[٢]: يشمل أصول الدين وفروعه وتفصيلات الأحكام، من خلال أقوال النبي وأفعاله وتقريراته، وقد ورد ذكر مصطلح (المنهج) أو ما يماثله من مصطلحات في بعض أحاديث رسول الله ﷺ، والمراد الطريق الذي اتَّبعه النبي ﷺ في التزام الدين، وتطبيق ما شرع الله في سائر مجالات الحياة ونظمها، وهذا المعنى مماثل للمعاني السابقة، مثل قوله ﷺ: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**»[٣].

وقد نقل ابن حجر[٤]، عن ابن عباس قوله: "والمنهاج[١]، أي: السبيل، أو الطريق الواضح، والشريعة بمعنى، وقد شرع أي: سن؛ فإن قيل هذا يدل على الاختلاف، والذي

---

(١) ينظر: دراسات في منهج الدعوة إلى الله تعالى، الدكتور/ محمد سعد علي شعيب، استاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، (ص٣).

(٢) مناهج الدعوة، الدرس الأول، دروس مفرغة من شبكة الانترنت. http://islahway.com/v2/index.php/ في ١٢/ ٧/ ١٤٣٥هـ

(٣) تقدم تخريجه، (ص٢٥).

(٤) هو: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني ثم المصري. ولد سنة ٧٧٣هـ، وعانى أولا الأدب وعلم الشعر فبلغ فيه الغاية، ثم طلب الحديث، له: شرح البخاري، وتعليق التعليق، وتهذيب التهذيب، وتوفي: سنة ٨٥٢ هـ. ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (١/ ٣٦٣)، المحقق: محمد أبو الفضل =

قبله على الاتحاد أجيب بأن ذلك -أي الاتحاد- في أصول الدين، وليس بين الأنبياء فيه اختلاف، وهذا أي: الاختلاف في الفروع، وهذا الذي يدخله النسخ"[٢].

وما يعنيه الباحث في هذه الدراسة أن المنهج هو عبارة عن الآليات والوسائل والأسس المؤدية إلى استقصاء الطرق والوسائل والأساليب النبوية في حل المشكلات الاجتماعية بحيث تغدو بيِّنة واضحة أمام الدعاة والمهتمين والمشتغلين بالإصلاح الاجتماعي؛ فهو منظومة شاملة تهدف إلى إنارة الطريق للفرد والجماعة والأمة، وتوجيه الجميع إلى معرفة المهمات المنوطة بهم وكيفية أدائها بإتقان وفي انسجام تام.

❁❁❁❁

إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباب: ي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

(١) الوضوح في المنهاج أحد الفروق التي فرق بها بعضهم بين الشرعة والمنهاج، فقال: إن الشرعة هي الطريق الذي ربما كان واضحا وربما كان غير واضح، أما المنهاج فلا يكون إلا واضحا، ذكره ابن الأنباري وغيره، وقال المبرد: إن الشرعة هي ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر، ويظهر أن لا فرق بين قول ابن الأنباري والمبرد في المنهاج فإن الطريق متى كان مستمرا كان في الغالب واضحا، ومتى كان واضحا غلب عليه أن يكون مستمرا. ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (١/ ٤٢٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، حمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، (١/ ٩).

المبحث الثاني

المعنى اللغوي والاصطلاحي لـ «المشكلات الاجتماعية»

توطئة:

تعد المشكلات الاجتماعية موضوعًا معقدا، ذلك بسبب عدم إجماع علماء الاجتماع على رأي معين في تعريف المشكلة الاجتماعية؛ لأن وضع حدٍّ لها لا يقف عند التعريف بل يتجاوزه ليشمل أنواع المشكلات الاجتماعية، وعددها، وأسبابها، ونتائجها، وطرائق معالجتها؛ وتختلف المشكلات الاجتماعية من مجتمع إلى آخر، أو من جماعة إلى أخرى، حسب الثقافة السائدة داخل المجتمع الواحد، كما تحدد المشكلة قواعد السلوك التي تحكم الأفراد في المجتمع أو داخل الجماعة.

وتظهر المشكلات الاجتماعية عندما يظهر نوع من التعارض أو التناقض بين ما هو كائن أو موجود بالفعل وبين ما يعتقد الناس انه ينبغي أن يكون.

ولقد حاول المتخصصون في علم الاجتماع الوصول إلى تعريف جامع للمشكلة الاجتماعية من خلال تحديد الإطار العام لهذا النوع من الظواهر الاجتماعية؛ ولكنهم يعانون من صعوبة تحديد مفهوم المشكلة الاجتماعية من حيث المحتوى والشكل ومن حيث التنوع والتشابك والتداخل بين العناصر المكونة للمشكلة واتصالها بثقافة المجتمع من جانب آخر.

ومع تعدد واختلاف آراء المفكرين حول مفهوم المشكلة الاجتماعية فإن الباحث سيحاول التطرق إلى بعض هذه التعريفات واستخلاص ما يناسب موضوع هذه الدراسة.

❁❁❁❁

المطلب الأول

المعنى اللغوي لـ «المشكلات»

تدور مادة (ش ك ل) حول المماثلة والموافقة والتشابه.

قال ابن فارس[1]: "الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة؛ تقول: هذا شكل هذا، أي مثله؛ ومن ذلك يقال أمر مشكل، كما يقال أمر مشتبه، أي هذا شابه هذا"[2].

وشاكلة الإنسان: شكله وناحيته وطريقته؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾[3]؛ أي: على طريقته، وجديلته، ومذهبه[4].

---

(١) هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، من أئمة اللغة والأدب، ولد سنة (٣٢٩هـ)، انتقل إلى الري وإليها نسبته، من تصانيفه "مقاييس اللغة"، و"المجمل"، و"الصاحبي في علم العربية"، توفي على الأشهر (٣٩٠هـ) بالري، وقيل (٣٩٥هـ). ينظر: وفيات الأعيان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس دار صادر، بيروت ١٩٠٠م، (١/ ١١٨)، وسير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من تحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، (١٥/ ٥٥٣)، والأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م، (١/ ١٩٣).

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٣/ ٢٠٤).

(٣) سورة ص الآية: ٥٨.

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (١١/ ٣٥٧).

وقد تأتي للدلالة على الحاجة والمهمات من الأمور التي تعرض للإنسان قال الجوهري: "والشكلاء: الحاجة، وكذلك الأشكلة"[1]، زاد الراغب[2] فقال: "التي تقيد الإنسان"[3].

ثم استعيرت المادة للدلالة على التباس الأمور، قال الراغب: "والإشكال في الأمر استعارة، كالإشتباه من الشبه"[4].

قال الزبيدي[5]: "وأشكل الأمر: التبس، واختلط، ويقال: أشكلت علي الأخبار، وأحلكت بمعنى واحد، .. ومنه قيل للأمر المشتبه: مشكل .. وأمور أشكال: أي ملتبسة، مع بعضها مختلفة"[1].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي، (٥/ ١٧٣٦).

(٢) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) أديب، من الحكماء العلماء من أهل (أصبهان) سكن بغداد، له (تحقيق البيان) في اللغة والحكمة، وتوفي عام ٥٠٢هـ. ينظر: الأعلام، الزركلي، (٢/ ٢٥٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، (١/ ٤٦٣).

(٤) المرجع السابق، (١/ ٤٦٣).

(٥) هو: أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) عام ١١٤٥هـ ومنشأه في زبيد (باليمن)، وتوفي بالطاعون في مصر ١٢٠٥ هـ، من كتبه "تاج العروس في شرح القاموس"، و"شرح الإحياء للغزالي"، وعقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة). ينظر: الأعلام، للزركلي، (٧/ ٧٠)، ومعجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (١١/ ٢٨٢).

إذًا فالمعنى الأساسي لكلمه أشكل أي: قارب وشاكل، ثم انتقلت بالاستعارة للدلالة على الالتباس، ومن خلال هذه الدلالات اللغوية يتبيِّن لنا أن معنى المشكلة في مجمله لا يخرج عن الحاجة المهمة، أو الأمر الذي يلتبس وجه الصواب فيه، فيحتاج إلى البحث والتحري في أمره وعلاجه من خلال تفهم حقيقته والتماس الحل الأمثل له.

❁❁❁❁

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى، الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٢٩/ ٢٧١).

المطلب الثاني

المعنى الاصطلاحي لـ «المشكلات»

المقصود بالمشكلة في هذا السياق، هي المشكلة الاجتماعية، ولذلك سنعرف بالمشكلة في اصطلاح علماء الاجتماع، حيث تقع قضية المشكلات الاجتماعية في بؤرة اهتمام العلوم الاجتماعية، لما لها من أثر خطير وواضح على الحياة الاجتماعية وسير عملية التنمية والتطوير داخل المجتمع.

تعريف المشكلة الاجتماعية:

تعددت تعريفات المشكلة الاجتماعية عند علماء الاجتماع ويمكن أن نذكر بعضها على النحو التالي:

١- يذكر (Merril) أن المشكلة الاجتماعية هي ذلك الظرف الحقيقي أو المتخيل الذي تعتبره مجموعة كبيرة من الناس تهديدا للحياة الاجتماعية؛ ولا يمكن حله بالمعايير التقليدية السائدة؛ بل من خلال فعل اجتماعي، ولذلك يكون هناك صراع واختلاف حول المعايير الجديدة التي ينبغي استخدامها، وهذا التعريف يبرز وجود عنصر الصراع القيمي في المشكلة الاجتماعية[1].

---

(١) ينظر: المشكلات الاجتماعية، حسان حجازي، بحث منشور ضمن مدونة مستقبل مصر الإلكترونية.

٢- بينما (هاركورت) يعرف المشكلة الاجتماعية على أنها "ذلك الظرف الذي تشعر مجموعة كبيرة من الناس في المجتمع بأنه غير مرغوب فيه، وبأن من الضروري القيام بفعل اجتماعي جمعي إزاء ذلك الظرف غير المرضي"(١).

ويعرف (لسلي) المشكلات الاجتماعية بأنها: "جزء من السلوك الاجتماعي الذي ينتج عنه تعاسة، أو شقاء خاص أو عام، وبالتالي يتطلب إجراءً جماعيًّا لمواجهته، ويتفق (دنتلر) و(ريدنج) على أن المشكلة الاجتماعية عبارة عن: حالة تنظر إليها الجماعة على أنها انحراف وخروج عن الحدود الاجتماعية المرسومة، أو إنها: تدمير للنظام الاجتماعي القائم، كما إنها طريق لسلوك يخرج فيه شخص أو جماعةٌ مَّا عن المتعارف عليه اجتماعيا"(٢).

٣- أما القاموس الشامل في مصطلحات العلوم الاجتماعية فيذكر لها عدة تعريفات من أهمها: "أنها موقف يؤثر في عدد كبير من الأفراد حيث يعتقدون أو يعتقد الأفراد الآخرون في المجتمع بأن هذه المواقف هي مصدر الصعوبات والمساوئ؛ وهنا تبدو المشكلة الاجتماعية موقفًا موضوعيًا من جهة وتفسيرًا اجتماعيًا ذاتيًا من جهة أخرى"(٣).

ومن التعريفات السابقة يمكننا ملاحظة ما يلي(٤):

١- أن المشكلة الاجتماعية تمثل مفارقةً أو تناقضًا بين مستويين، الأول: المستوى المأمول الذي يرغب أفراد المجتمع الوصول إليه، أي: بلفظ آخر مستوى مثالي في نظر

---

(١) نفس المرجع.

(٢) مقال بعنوان: مشكلات الشباب المراهقين المعاصرة، جعفر محمد العيد، مجلة الواحة: العدد الواحد والخمسون، ٤/ ٩/ ٢٠٠٩م، مجلة فصلية تعنى بشؤون التراث والثقافة والأدب في الخليج العربي.

(٣) القاموس الشامل في مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصلح الصالح، (ص٥٠٤).

(٤) يراجع: بحث لحسان حجازي، سبقت الإشارة إليه.

أعضاء المجتمع؛ بينما المستوى الآخر هو: المستوى المنظور أو الواقعي والذي يعبر عن الواقع الموجود بالفعل في المجتمع.

٢- المشكلة الاجتماعية تمثل خرْقًا للأعراف والقيم والمعايير ذات الصلة في المجتمع؛ وتؤدي إلى تكوين ظروف ووقائع غير مرغوب فيها، الأمر الذي يمثِّل خطورة على التنظيم الاجتماعي للمجتمع؛ وتحديًا للثقافة السائدة.

٣- يرى عدد كبير من أفراد المجتمع أن هناك مشكلة اجتماعية، أي أن أمرا معينا قد حدث، أو يحدث في المجتمع، ويمثِّل صعوبة اجتماعية.

٤- المشكلة الاجتماعية تتسبب في حدوث صراع قيَمِي داخل المجتمع.

٥- المشكلة الاجتماعية أو الموقف الذي يمثل صعوبة أمام المسيرة الطبيعية والمألوفة لحياة المجتمع يحتاج إلى فعل اجتماعي لمواجهته والتغلب عليه؛ وهذا الأمر يحتاج إلى اتباع معايير ووسائل جديدة قد تثير الكثير من الجدل والخلاف؛ وتؤدي إلى تكوين رأي عام من خلال اختيار بعض المعايير المطروحة وإهمال غيرها.

وبناء على كل ما سبق فإنه يمكن تعريف المشكلات الاجتماعية في ضوء المنهج النبوي بأنها: (مجموعة الصعوبات والعقبات والمواقف والسلوكيات الغير مرغوب فيها في حياة الأفراد والمجتمع، والتي تعيق تكامل المجتمع وتحقيقه لأهدافه؛ ويمكن من خلال منهج النبي ﷺ وضع الحلول الملائمة والمناسبة لها، مع مراعاة الأحوال والظروف والعادات والبيئات والأمكنة والأزمنة)؛ وهذا ما سيتناوله الباحث في كل مباحث الدراسة.

❁❁❁❁

المبحث الثالث

المعنى اللغوي والاصطلاحي لـ «الدعوة»

إن تحديد مفهوم الدعوة بصورة جلية يجعل فهمنا واضحًا، وعملنا الدعوي قاصدًا، وإن كانت ظروف العمل الإسلامي فيما مضى تقبل خلطًا في الفهم، فإن الحاجة الآن لاستجلاء الأمر تصبح مُلِحةً وضروريةً، في عالم يخالطنا فيه عددٌ كبيرٌ من البشر لا يؤمنون بما نؤمن به، وبعضهم لم يسمع بأصل ديننا، وفيهم من سمع عنه صورًا مشوهة وهم يخالطوننا في كل شيء.

والدعوة أعظم وسيلة لفتح القلوب الغُلف، وتبصير الأعين العُمي، وإسماع الآذان الصم؛ إذ هي كما قال الصحابي الجليل ربعي بن عامر[1] ﷺ لرستم قائد الفرس في معركة القادسية جوابًا على سؤال رستم، ما الذي جاء بكم؟، قال ربعي: «جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام»[2].

وقد تعددت تعريفات الدعوة، ولعل الهدف من ذلك أن يجد الداعي أمامه جملة من الطرق والوسائل والأساليب التي يمكنه أن يختار منها ما يناسب حال المدعو.

---

(١) هو: ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو، كان من أشراف العرب، أدرك النبي ﷺ، شهد الفتوحات الإسلامية وأمد به عمر بن الخطاب المثنّى بن حارثة، له ذكر في غزوة نهاوند، وولاه الأحنف لما فتح طخارستان، وهو أول من أرسله سعد بن أبي وقاص رسولا للتفاوض مع الفرس وبطلب من رستم قائد الفرس قبل الخوض في معركة القادسية. ولم يذكر شيء عن وفاته. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (٧/ ٣٩)، تاريخ الطبري، (٤/ ١٦٨)، الإصابة في معرفة الصحابة، (١/ ٥٠٣).

(٢) تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، (٣/ ٥٢٠).

وليس كل إنسان يُدعى بنفس الطريقة التي يُدعى بها غيره؛ فالمثقف يختلف عن الجاهل، والملحد يختلف عن المشرك، والمنكر للبعث يختلف عن المتحير والمتشكك، وهكذا.

وللوقوف على أهمية الدعوة وعلاقتها بمنهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية المتعلقة بحياة الناس ومشكلاتهم يلزم ابتداءً التعريف بها.

❁❁❁❁

المطلب الأول

المعنى اللغوي لـ «الدعوة»

قال ابن فارس: "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاء"(١).

وقال الزمخشري(٢): "دعوت فلانا وبفلان: ناديته وصحت به؛ وما بالدار داع ولا مجيب؛ والنادبة تدعو الميت: ندبه؛ تقول: وا زيداه؛ ودعاه إلى الوليمة، ودعاه إلى القتال؛ ودعا الله له وعليه، ودعا الله بالعافية والمغفرة؛ والنبي داعي الله؛ وهم دعاة الحق، ودعاة الباطل والضلالة، وتداعوا للرحيل، وما بالدار دعوي أي أحد يدعو، وأجيبوا داعية الخيل وهي صريخهم، وتداعوا في الحرب: اعتزوا ... وتداعت عليهم القبائل من كل جانب: اجتمعت عليه وتألبت بالعداوة؛ وفلان يدعي بكرم فعاله: يخبر عن نفسه بذلك"(٣).

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢/ ٢٧٩) مادة: دعو.

(٢) هو: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري الحنفي، صاحب الكشاف، من أئمة العلم في التفسير والنحو والأدب واللغة، ولد سنة (٤٦٧ هـ)، ينسب إلى زمخشر (من قرى خوارزم)، أخذ الأدب عن أبي مضر محمود بن جرير الضبي، وأبي الحسن علي بن المظفر، كان داعية إلى مذهب الاعتزال كثير الفضائل، من كتبه: الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة والمفصل، توفي رحمه الله بخوارزم سنة (٥٣٨ هـ). ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٥/ ١٦٨)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (٢٠/ ١٥١- ١٥٦)، وبغية الوعاة، للسيوطي، (٢/ ٢٧٩).

(٣) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (١/ ٢٨٨) مادة: دعا.

وقال ابن الأثير[1] في شرح ما ورد في كتابه ﷺ إلى هرقل: «**أدعوك بدعاية الإسلام**»[2]: "أي: بدعوته، وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة، وفي رواية: بداعية الإسلام، وهي مصدر بمعنى الدعوة، كالعافية والعاقبة"[3].

وقال ابن منظور[4]: "والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داعٍ. ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة؛ والنبي ﷺ، داعي الله تعالى، وكذلك المؤذن.

وفي التهذيب: المؤذن داعي الله، والنبي ﷺ، داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته؛ قال الله تعالى مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ

---

(١) هو: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري المحدث اللغوي ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر سنة (٥٤٤ هـ)، وانتقل إلى الموصل، فاتصل بصاحبها، فكان من أخصائه. وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه. ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل سنة (٦٠٦ هـ)، له تصانيف مهمة منها: "النهاية في غريب الحديث والأثر"، و"جامع الأصول في أحاديث الرسول". ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٦/ ٤٥)، والأعلام، للزركلي، (٥/ ٢٧٢)، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، (٨/ ١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (١/ ٨)، برقم (٧)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: الجهاد والسير، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، (١/ ٧)، برقم (١٧٧٣).

(٣) النهاية في غريب الأثر، مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٢/ ١٢٢)، مادة (دعا).

(٤) تقدمت ترجمته، (ص٢٨).

ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾[2]"[3].

وجاء في القاموس المحيط: "الدعاء: الرغبة إلى الله تعالى، دعا دعاءً ودعوى؛ والدعاءة: السبابة؛ وهو مِنّي دَعْوَةُ الرَّجُلِ، أي: قدر ما بيني وبينه ذاك؛ ولهم الدعوة على غيرهم، أي: يبدأ بهم في الدعاء؛ وتداعوا عليه: تجمعوا؛ ودعاه: ساقه؛ والنبي ﷺ: داعي الله، ويطلق على المؤذن"[4].

وبناء على ما سبق، نرى أن كلمة الدعوة وما اشتق منها من معانٍ كثيرة متقاربة جدا من معناها في الاصطلاح وفي مضمونها اللغوي تدور في جملتها حول الدعاء، والسؤال والطلب، والرغبة إلى الله، والحث، والآذان، والنداء، والإمالة، والانتساب، والزعم، والاجتماع، والصياح.

❁❁❁❁

(١) سورة الأحقاف الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأحقاف الآية: ٣١.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (١٤/ ٢٥٩) مادة: دعا.

(٤) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، (١/ ١٢٨٢) مادة: دعا.

المطلب الثاني

المعنى الاصطلاحي لـ «الدعوة»

لقد تعددت التعريفات المتعلقة بمصطلح (الدعوة) في الاصطلاح الشرعي، فالدعَّوة إلى الله هي تقديم منهج حياة لجميع الناس؛ قال ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3].

والدعوة إلى الله: هي قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة – أمة الدعوة وأمة الاستجابة– وفْقَ الأسس العملية، والمنهج الصحيح بما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوالهم وظروفهم[4].

وعليه فإنه من خلال استقراء التعريفات السابقة يمكننا تعريف الدعوة بأنها: علم اتصالي يعمد إلى تبليغ مضمون الوحي وفق آداب وسلوكيات؛ لتغيير القناعات، وتعديل السلوكيات الاجتماعية، وترشيد الممارسات الفردية.

---

(١) سورة يوسف الآية: ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

(٤) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ، دار الحضارة، الرياض، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ص٣٩.

وانطلاقا من ذلك فإن المنهج النبوي جمع أوسع الحلول وأنجعها لمواجهة أي مشكلة بصورة عملية مؤثرة، مما دفع بالنفوس السوية أن تستجيب له بكل رغبة وطواعية.

❁ ❁ ❁

الباب الأول

علاقة الدعوة بمنهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية وأصوله، ومقوماته، ووسائله، وأساليبه.

الفصل الأول

علاقة الدعوة بمنهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية.
وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول:** علاقة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية بمجالات الدعوة.
- **المبحث الثاني:** علاقة الدعوة بحياة الناس وضرورة حل مشكلاتهم.
- **المبحث الثالث:** شمولية المنهج النبوي الدعوي لكل مناحي الحياة.
- **المبحث الرابع:** الحاجة إلى معرفة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية.

تمهيد

في قرابة الربع قرن هي مدة بعثة النبي ﷺ، تغيرت الحياة الاجتماعية لدى المسلمين، فشاعت المساواة، بينهم وعلا قدر الحرية، وأصبحت التقوى وحدها هي المعيار الذي يتميز به أي منهم، والذي يبحث عنه كل منهم، وأصبحت القيم التي تمضي- عليها وتيرة الحياة لذلك العهد هي الحق والصدق وطاعة الله ورسوله، وانتهت الحياة الطبقية التي كان العرب يعيشون على أساسها، فكاد أن يختفي الظلم والقهر والتقاتل؛ وحل النظام محل الفوضى والعدل مكان الظلم والإيثار محل الأثرة، وعلى الجملة تكاملت المنظومة الاجتماعية لحياة الناس في ذلك العهد وتأسست دولة قوية البنيان سليمة الأسس والقواعد، حين تمكن منها ذلك الهدي الرشيد هدي النبي ﷺ ولم تعد هناك مشكلة واقعة أو متوقعة إلا ولها حل أكيد.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الصلة الوثيقة بين دعوة النبي ﷺ واهتمامها الجذري بحل مشكلات الناس وشمولها لكل مناحي الحياة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فيمكن بأيسر مقارنة أن نلتمس الفرق بين حياة الناس قبل البعثة وبعدها؛ لنتأكد في قطع لا يحتمل المماراة أن البشرية جمعاء في حاجة ماسة لتفهم منهج النبي ﷺ في حل مشكلاتهم الاجتماعية وهذا ما تناقشه المباحث التالية:

المبحث الأول

علاقة منهج النبي ﷺ في المشكلات الاجتماعية بمجالات الدعوة

تحتل الدعوة إلى الله مكانة مهمة في دين الإسلام، فهي أعظم الأعمال البشرية، وأكبرها نفعا، فالدعوة إلى الله هي تبليغ رسالة الله ﷻ إلى البشر، وهي بذلك مهمة الرسل والأنبياء، المأمورين بتبليغ أممهم دين الله -جل وعلا-، ومهمة من شّرفه الله بحمل العلم من البشر.

وعلاقة الدعوة بمنهج النبي ﷺ لحل المشكلات والإصلاح الاجتماعي تتضح لنا من خلال عدة جوانب:-

أولًا: منزلة النبوة:

إذ إن النبوة هي طريق تبليغ الدعوة للبشرية وهدايتهم إلى الإيمان بالله، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإبانة ما يجب عليهم العمل به في حياتهم الدنيا، وما يلزمهم في علاقتهم بالله سبحانه، تعبدا وعقيدة، وما تستقيم به أحوالهم الفردية والاجتماعية، وسائر أمورهم في حياتهم.

ولا شك في أن هذه هي الغاية الأسمى والأهم، وهي التي تنطق بها آيات القرآن العظيم؛ قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[1]؛ إذ إن مناط التكليف والمسؤولية والمحاسبة إنما يدور على هذه الجزئية، في علاقة الدعوة بالنبوة؛ إذ تبصّر الناس بعبادة الله وحده، وردهم إلى فطرتهم السوية التي

(١) سورة آل عمران الآية: ١٦٤.

فطرهم الله عليها، والعيش في ظل منهج الله كما يريد الله؛ عقيدة وشريعة وأخلاقًا، ظاهرًا وباطنًا، سرًا وعلانية.

فللأنبياء ومن تبعهم دورٌ مهمٌ في ترسيخ العبودية لله، ومن ثم جلب الخير للبشرية وتربيتها، وفي هذا قال النبي ﷺ: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**»(١).

ولعل إرشاد الناس إلى ترسيخ العبودية يُعد من أول مهام الأنبياء -عليهم السلام- حين أرشدوا الناس إلى عبادة إله واحد، ولا يمكن أن تكون العبودية للإله إلا بعد معرفة ربوبيته واستشعارها، فهي المسألة التي أرشد الأنبياء الناس إليها.

فالدعوة السماوية تسمو بالإنسان وتوقظ فيه حس المسؤولية، وما مهمة المعلم إلا الإرشاد والتعليم، وفي ذلك قال ابن تيمية: "والإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة، فمن لم يحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يميز بين الخطأ والصواب"(٢).

ثانيًا: شخصية النبي ﷺ الإصلاحية:

إن مقياس أي منهج صحة وكفاءةً يقاس بوضوح الغايات والأهداف، وبقدر وضوح الأهداف يتضح المنهج، فمنهج النبي ﷺ اتسم بوضوح الغاية وشرف الوسيلة؛

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الإمارة باب: وجوب الوفاء ببيعه الخليفة الأول فالأول، (٣/ ١٤٧٢)، برقم، (١٨٤٤)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، (١/ ٣٣).

كما أخبر الله ﷻ عن ذلك بقوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1].

قال الطبري -رحمه الله-: "فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته"[2].

والناظر إلى منهج النبي ﷺ الدعوي والإصلاحي يجد نجاح هذا المنهج من خلال الآثار التي حققها، ومدى ما وصل إليه من نتائج، لم يصل إليها أي منهج كان على مر التاريخ؛ فالنبي ﷺ كان ذوى شخصية إصلاحية فذَّة بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ، فقد استطاع بمنهجه المسدد بالوحي أن يحول جفاة العرب وعباد الأوثان إلى عباد الله، رحماء بينهم، يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه، بل، ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾ ﴾[3].

والشواهد على منهج النبي ﷺ في حل المشكلات والسعي في الإصلاح تضيق به الكتب ويطول حبل حديثه مما يجعل الوقوف عليه مهمة شاقة، لا يتسع المقام لذكره كله.

١ - الحث على حل المشكلات والإصلاح الاجتماعي:

قد حرص النبي ﷺ على وحدة المسلمين، وأكَّد على أُخوتهم، وأمر بكل ما فيه تأليف لقلوبهم، ونهى عن كل أسباب العداوة والبغضاء فأمر بالسعي وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين، وحثَّ عليه وجعل درجته أفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة،

---

(١) سورة يوسف الآية: ١٠٨.

(٢) تفسير الطبري، (١٠/ ٦٢٧).

(٣) سورة الحشر الآية: ٩.

فقال ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**»، قالوا بلى يا رسول الله، قال: «**إصلاح ذات البيْن قال: وفساد ذات البيْن هي الحالقة**»[1].

٢- مباشرة الصلح بنفسه:

كان يعرض الصلح على المتخاصمين وقد باشر الصلح بنفسه حين تنازع أهل قباء فندب أصحابه وقال: «**اذهبوا بنا نصلح بينهم**»[2].

بل إن شدة حرصه ﷺ على الإصلاح كانت سببا في تأخره عن الصلاة بالجماعة في مسجده، وحث النبي ﷺ أصحابه على المشاركة معه مما يدل على فضل حل الخلاف ومنزلته، والترغيب في القيام به بين الناس، وأنه من الأمور التي ينبغي أن يعتني بها من وُلي أمر المسلمين وغيره.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب: الأدب، باب: إصلاح ذات البين، (٤/ ٤٣٢)، برقم (٤٩٢١)، ينظر: سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت) والترمذي في "سننه"، كتاب: صفة القيامة، (٥/ ٦٦٣)، وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الصلح، باب: قول الإمام لأصحابه اذهبوا بنا نصلح، (٣/ ٢٤٠)، برقم (٢٦٩٣).

رسول الله ﷺ فقال: «**أين المتألي على الله لا يفعل المعروف؟**» فقال أنا يا رسول الله فله أي ذلك أحب[1].

فدل ذلك على خروج النبي ﷺ لحل المشكلة، وأنه لا حرج على الإنسان أن يتدخل في النزاع بين اثنين، إذا لم يكن ذلك سرًا بينهما؛ لأن هذين الرجلين قد رفعا أصواتهما علنا، يسمعه القريب والبعيد.

٣- عدم اقتصاره في حل المشكلات الاجتماعية على المسلمين:

لم يقتصر سعي النبي ﷺ في حل مشكلات المسلمين فقط، بل شمل مجتمع الوطن الواحد ولو كانوا غير مسلمين، فقد حدث في عهده أن شريفا من يهود خيبر زنى بشريفة منهم، وكانا محصنين، وكرهوا رجمهما، فأرسلوا مع رهط منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ، وقالوا لهم: إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فاحذروا أن تقبلوه منه، فأتوا رسول الله ﷺ بالزانيين[2].

فقد روى عبدالله بن عمر رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ أتى بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود فقال: «**ما تجدون في التوراة على من زنى؟**» قالوا نسود وجوههما، ونحملهما، ونخالف بين وجوههما، ويطاف بهما، قال: «**فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين**»، فجاءوا بها فقرأوها، حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الصلح، باب: هل يشير الإمام بالصلح، (٣/ ٢٤٤)، برقم (٢٧٠٥)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: المساقاة، باب: استحباب: الوضع من الدين، (٣/ ١١٩١)، برقم (١٥٥٧).

(٢) البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣هـ، (٢/ ١٧٩).

آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله ﷺ، مره فليرفع يده، فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما"[1].

فدل ذلك على مشاركة النبي ﷺ لغير المسلمين من هؤلاء اليهود لحل مشاكلهم، والحسم في أمر من أمورهم.

ثالثًا: شمول الدعوة الإسلامية على حلول مشكلات الحياة الاجتماعية:

إن الآيات العديدة في كتاب الله -جلا وعلا- قد احتوت على الحلول لكل مشكلة من مشكلات الحياة البسيطة والمعقدة، ليجد الإنسان في أي موقع من الأرض وبأي زمن من الأزمنة الحل الأمثل لكل ما يعترضه.

فلقد اشتملت نصوص القرآن الكريم على الحث والترغيب في الإصلاح الاجتماعي، وأنه ضرورة لاستقامة الحياة على المنهج السليم، الذي يؤلف بين قلوب المسلمين، ويوحد صفوفهم ويجمع كلمتهم على الحق؛ امتثالا لقول الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴿١٠٣﴾ ﴾[2]، وقوله ﷻ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴿٢﴾ ﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، (٣/ ١٣٢٧)، برقم (١٧٠٠).

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٣) سورة المائدة الآية: ٢.

وقد جاء أمر الدعوة بإصلاح أنفسنا، ومن تحت أيدينا ممن لهم علينا حق الولاية والرعاية، قال ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[1]؛ ومتى صلح أفراد المجتمع صلح المجتمع بأكمله.

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴿١٢٨﴾ ﴾[3].

ويقول الله ﷻ: ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[4].

إذا فعلاقة الدعوة الإسلامية بمنهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية علاقة تلازم، فهي علاقة وطيدة جدا، لأن المحرك الأساس لها هو الوحي، فالنبي ﷺ قبل الوحي كانت له صفات نبيلة، وهذا ما ينبئك عن قيمة الوحي في حياة الداعية، قال ﷻ: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾[5]، وقال ﷻ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾[6]، وقال ﷻ: ﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴿٥٢﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة الأنفال الآية: ١.

(٢) سورة الحجرات الآية: ١٠.

(٣) سورة النساء الآية: ١٢٨.

(٤) سورة النساء الآية: ١١٤.

(٥) سورة الضحى الآية: ٧.

(٦) سورة النساء الآية: ١١٣.

(٧) سورة الشورى الآية: ٥٢.

رابعًا: العلاقة بين المنهج الدعوي النبوي ومجالات الدعوة.

بناء على الجوانب السابقة يتبين لنا مدى الارتباط الجذري بين هذه المجالات وبين الدعوة بمنهج النبي ﷺ، فقد أثبتت مقررات الشريعة بما لا يدع مجالا للشك أن الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ وبيَّنها بقوله، وفعله، شريعة عامة للأبيض، والأحمر، والأسود، حيث إن مما اختص الله به رسوله ﷺ دون سواه من الأنبياء والمرسلين بعثته للناس عامة في كل زمان ومكان، كما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[1].

وكما جاء في غير ما حديث من الأحاديث الصحيحة والتي منها: ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[2].

فعموم دعوة النبي ﷺ وبعثه إلى الناس كافة من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة؛ ولذلك كان لزامًا على من يتصدى لهذه المهمة الجسيمة أن يعرِف منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية من منطلق أن قضايا الدين، قضايا ذات طابع اجتماعي كما سيأتي بيانه؛ **ومن المجالات الدعوية ومشكلاتها:**

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: التيمم، باب: التيمم، (١/ ٩١)، برقم (٣٣٥). عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

أ) العقيدة.

إن الإنسان بفطرته لا يملك أن يبقي في هذا الكون الهائل ذرة تائهة معلقة ضائعة، إذ لا بد له من رباط معين في هذا الكون يضمن له الاستقرار ومعرفة مكانه في هذا الكون الذي يعيش فيه، ولذلك لا بد له من عقيدة تفسر له ما يحيط به، وتفسر له مكانه فيما حوله، وكم كان شقاء الإنسان وحيرته وضلاله حين أخطأ في فهم حقيقة هذا الارتباط وهذا التفسير[1].

ولذلك أولى الإسلام عنايته الكبرى لتحرير أمر العقيدة، وتحديد الصورة الصحيحة التي يستقر عليها الضمير البشري في حقيقة الألوهية، وعلاقتها بالخالق، والإيمان بالإله الحق الفرد الصمد، فطرة الله التي فطر الناس عليها؛ وإنما يضلون عنها بعض الوقت أو كل الوقت، ثم يعودون إليها ولو عند فراق الحياة أو عند نزول الكوارث والأحداث، والمشركون بالله والكافرون به في كل الأجيال كانوا يعبدون الأصنام، ويستقسمون بالأزلام، فإذا مسهم الضر في البر أو في البحر لجأوا إلى الله، يدعونه، ويسألونه النجاة، قال ﷻ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[2]،[3].

---

(١) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٥، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، (ص٢٤).

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٦٥.

(٣) المرجع السابق، (ص٣٩).

أثر العقيدة على حل المشكلات.

إن الإيمان بيوم البعث والحساب والجزاء تنشأ عنه إرادة فعل الخير، كالانتصار للمظلوم، أو إيثار ذي الحاجة دون انتظار جزاء أو شكور في هذه الحياة، وعلى النقيض من ذلك فالجحود بعلام الغيوب يثير الإرادات الذميمة ويزيِّن لصاحبه أن يعقد النية على ارتكاب الفحشاء والمنكر، وإثارة المشكلات في المجتمع.

وبهذا يتضح أن الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى ضرورة اجتماعية بحيث لو خلا منها المجتمع لاختلطت فيه القيم والمعايير، وتآكل من داخله، وتقلَّص وتقزَّم وإن بدا ضخمًا من الخارج، وقد يعصم الإيمان بالله مجتمعًا من المجتمعات ما لا تعصم منه قوة القوانين مهما بلغ مداها؛ لأن الاحتيال على القانون أمر مقدور لكثير من البشر في كثير من الأحوال، ولأن قوة القانون قوة ظاهرية، بخلاف قوة الإيمان بالله التي تستقر في الوجدان وتعمل عملها ليلا ونهارا، وتجعل بين الإنسان وبين ربه نافذة منفتحة في كل وقت، يرى الإنسان من خلالها ربه؛ فيعرف مقام الناس وينأى بإرادته عن حرماتهم، ويعلم أن الله يرى منه كل بادرة فيبتعد عن أذية الناس، ويتعامل معهم وفق الأخلاق والقيم والتعاليم التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وبهذا يعلو قدر الخير والعدل في المجتمع، وتندثر المشكلات الاجتماعية، وتنسجم الحياة الاجتماعية على أكمل وجه.

ب) الشريعة.

الشريعة هي شق الإسلام الثاني مع العقيدة، وقد بلَّغها النبي ﷺ كما بلَّغ العقيدة حيث أمره الله تعالى بذلك، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴿٦٧﴾﴾[1].

(١) سورة المائدة الآية: ٦٧.

وقد فعل النبي ﷺ ذلك على أكمل وجه كما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾[1].

والذي يهم الباحث في هذا المقام إبراز النزعة الاجتماعية والصفة الإنسانية للتكاليف الدينية، وهذه النزعة الاجتماعية وتلك الصفة الإنسانية لا تختلف كثيرا عنها في جانب الشريعة.

فإن الدين باعتباره شريعة وعقيدة، أي: كنظام اجتماعي يحكم حياة كل فرد، ويحدد له قواعد سلوكه، وكيفية معيشته في أسرته، وكيفية تربية أولاده، وكيفية تعامله مع الناس، بالعدل والفضيلة حتى يقوم المجتمع على أساس متفاهم متعاون على أداء الواجبات والحق، ثم يتكامل هذا النظام الاجتماعي بوضع الأسس والقواعد والحلول التي تعالج قضايا المجتمع اقتصادية كانت أم سياسية أم أخلاقية، ولذلك كان الدين بكل جوانبه ضرورة إنسانية واجتماعية[2].

ج): الأخلاق والآداب العامة.

إن للأخلاق والقيم سلطانًا قويًا على الإرادة، ... وإذا كانت السجايا ميسَّرة للأعمال ومساعدة على صدورها بسهولة، فإنه يجب أن تكون على رأس أولويات المصلح الدعوة إلى نبذ الأخلاق السافلة والتحلي بالأخلاق الفاضلة[3].

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

(٢) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، مرجع سابق، (ص٣٨).

(٣) ينظر: رسائل في أبواب، الرسالة الأولى: أثر الإسلام في تهذيب النفوس، محمد بن إبراهيم الحمد، الزلفي، كتبها بتاريخ ١/ ١/ ١٤٢٦هـ، (ص٨، ٩).

وهذا ما شرعه الإسلام من خلال دعوة النبي ومنهجه موضع الاهتمام، وقد نبهنا إلى ذلك وأعلمنا إياه بأكثر من طريقة؛ فقد مدح الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ على خلقه فقال:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، ووصف من أخلاقه الرفق واللين فقال ﷻ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾[2]، ومعنى هذه الآية فبرحمة من الله رفقت بهم، وتلطفت في معاملتهم، فأحبوك، وتمثلوا بك، وافتدوك بأرواحهم.

وقد تمثلت أخلاق القرآن في أعمال النبي ﷺ، وأقواله، وأفعاله، وحركاته، وسكناته، ووصفته السيدة عائشة ﵂، بقولها: «**كان خلقُه القرآن**»[3].

وتتميِّز الأخلاق في ميزان الإسلام بالشمولية لكل تصرفات الإنسان وكل مشاعره، فهي ليست محدودةً بمساحة معينة، ولا بعمل معين، فالحياة الجماعية لها أخلاق هي أن يكون الأمر شورى بين الناس، وهكذا لا يوجد شيء واحد في حياة المسلم ليست له أخلاق تكيِّفيه ولا شيء واحد ليست له دلالة أخلاقية مصاحبة[4].

---

(١) سورة القلم الآية: ٤.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٤١/ ١٤٨)، برقم (٢٤٦٠١)، وفي صحيح الأدب المفرد، باب: من دعا الله أن يحسن خلقه، (١/ ١٢٩)، برقم (٢٣٤)، وصححه الألباني لغيره، فهذا الحديث إسناد فيه انقطاع، الحسن -وهو البصري- إنما سمعه من سعد بن هشام، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. ينظر: صحيح الأدب المفرد، (١/ ١٢٩).

(٤) ينظر: منهج الدعوة في المرحلة النبوية، علي بن جابر الحربي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مدينة نصر، (ص٣١١).

لقد أعطت الدعوة الإسلامية الأخلاق أهمية كبرى بعد قضايا العقيدة والشريعة، وقد أخذت على عاتقها إزالة العوائق التي تقف في طريق الإنسان، وتحول بينه وبين تحقيق مستوى راقٍ من الاستخلاف، وترسم له الطريق نحو التوازن والاستقرار والاستمتاع، الأمثل بالحياة، وذلك بتأكيدها على القيم والمبادئ والأصول التي تضمن السير الارتقائي للحياة الإنسانية[1].

ومما سبق يتضح لنا أن الدعوة تتلاحم مع أنواع المشكلة الاجتماعية، في جانب كبير جدا بحيث يصعب فصل هذه عن تلك، ولا غرابة في ذلك فالحكمة من إرسال الرسول برسالته العظيمة هي إصلاح الكون في كافة جوانبه وسائر قضاياه، ولا يكون ذلك إلا بهداية الخلق وتزويدهم بقيم ومبادئ تحتوي على إرشادات هادية لكل ما يواجههم في حياتهم، وبعد هذا العرض لأبرز دلائل علاقة الدعوة بالمنهج النبوي الشريف، يتضح لنا جليا أن لمنهج النبي ﷺ في حل مشكلات المجتمع علاقة وثيقة بمنهج الدعوة إلى الله، وأن منهجه ﷺ ينبثق من تلك الدعوة، الذي تدين بها الأمة عقيدة، وشريعة، وأخلاق، ونظاما متكاملًا للحياة، وأنها ترسم لكل داعية إلى الله الطريق المستقيم، والمنهج القويم، الذي ينبغي السير عليه بغية تحقيق الهدف المنشود وهو نشر هذا الدين، الذي هو سبب لحل مشكلاتنا، وتحقيق السعادة الدنيوية والأبدية للأمة الإسلامية أفرادًا وجماعات.

❁❁❁❁

(١) المرجع السابق، (ص٢٦٣).

المبحث الثاني

علاقة الدعوة بحياة الناس وضرورة حل مشكلاتهم

لو أردنا أن نحدد العلاقة بين الدعوة النبوية وبين حياة البشر فإن أدق تعبير نوضح به هذه العلاقة هو أن نقول: إن الدعوة هي الروح، وحياة البشر هي الجسد، ولا حياة للجسد بدون الروح، فالجسد بدون الروح وعاء فارغ، لا نبض له ولا حياة، ومن ثم تصبح حياة البشر بدون الدعوة حقلا خصبا مرتويا بالضلالة والجور وانتهاك الحقوق وضياع الواجبات وتراكم المشكلات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الرسالة ضرورية للعباد لا بد لهم منها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة؛ وهو من الأموات، قال الله ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴿١٢٢﴾﴾[1]، فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان"[2].

ولقد أثرت الدعوة في قلوب المسلمين فمن الشواهد على ذلك، أنها قد حولت حياة الأوس والخزرج من حياة بدوية عبثية إلى حياة منظمة مبنية على مبدأ التآخي

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢٢.

(٢) الرسل والرسالات، الدكتور/ عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٨، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، (ص١٨).

والتراحم بعد أن كان يضرب بعضهم رقاب بعض، ويقتتلون ويتعادون، فقد أثرت الدعوة الإسلامية فيهم وحولتهم إلى إخوان متحابين، قال ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[1]، وقال: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

الدعوة النبوية والفطرة الإنسانية.

لقد تميزت الدعوة النبوية بالتوافق والانسجام مع الفطرة الإنسانية، وقد دلت على ذلك بعض آيات الذكر الحكيم، كقوله ﷻ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[3].

كما أنها لا تغفل لحظة عن فطرة الإنسان، وحدود طاقته، وواقع حياته المادي، ومشكلاته المتعددة، سواء ما كان منها متعلقا بأمور الدين ذات الطبيعة العقدية، أو ما كان منها متعلقا بالشئون التنظيمية، أو تلك المبادئ والأحكام المتعلقة بأعمال وتحركات البشر.

فالمنهج النبوي الدعوي منهج فطري، يعتمد على رصيد الفطرة، وينفق من هذا الرصيد المذخور، وميزته أنه يعرف طريقه منذ اللحظة الأولى إلى هذا الرصيد، وأنه يعرف طريقه إلى النفس البشرية منذ الوهلة الأولى، وأنه يعرف دروبها ومنحنياتها؛ فيتدسس إليها بلطف، وللإنسان نظام يعتمد على فطرته بكل مكوناتها، كما تعتمد خصائص تكوينه

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٦٣.

(٣) سورة الروم الآية: ٣٠.

وتركيبه على كل مقتضياتها، وحين تستقيم النفس مع فطرتها، وحين تلبي حاجاتها وأشواقها، وحين تطلق طاقاتها للعمل والبناء، فإنها تجري مع الحياة في يسر وطواعية، وتمضي مع خط الفطرة الصاعد إلى القمة السامقة، وهي تجد الأنس والاسترواح والطمأنينة والثقة في خط سيرها الطويل[1].

إن المنهج النبوي الذي يمثله القرآن والسنة في توجيهه للإنسان، ينطلق من إدراكه الشامل لخصائص طبيعة الإنسان الفطرية، ليس ذلك فحسب، بل يعترف بقصور هذا الطبيعة، ولا يحاول أن ينقل الإنسان من طبيعته هذه إلى طبيعة ملك، كما يحول دون أن تتحول طبيعته إلى طبيعة حيوان، فالإنسان في نظر الدعوة بشر ويبلغ بهذا المنهج أعلى درجات البشرية، ولهذا جاءت هذه الدعوة نظامًا لحياة الإنسان الذي لا يستطيع أن يبلغ مبلغ الألوهية حتى لو كان رسولا مصطفى من ربه، لذا قال الله تعالى حكاية عن نبيه فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[2]، وقال ﷻ:﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[3].

ولقد اُعتُبر المنهج النبوي نبراسًا "ونظاما لحياة الإنسان الذي لا ينبغي أن ينحط عن طبيعته التي يتميز بها عن غيره، وهنا نرى الإسلام يتدخل بتوجيهه جميع جوانب الحياة الإنسانية، يتدخل بتوجيهه في حياته الخاصة والعامة، ينهاه عن هذا، ويأمره بذاك، يتدخل

(١) الرسل والرسالات، الدكتور/ عمر الأشقر، (ص٣٠).

(٢) سورة الكهف الآية: ١١٠.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٩٣.

في أمر نظافته وفي غذائه وشرابه، وفي ملبسه وفي وسائل تسليته وفي معاملته لغيره وفي عبادته لربه"[1].

والناظر في توجيهات الدعوة الإسلامية، يرى أنها كانت مع الإنسان منذ أن كان جنينا في بطن أمه، وبعد مولده وفي شبابه ورجولته، وتسايره هكذا في أطواره المختلفة حتى تسلمه لأجله.

ولعل ذلك هو التفسير لقول النبي ﷺ: «**الإسلام دين الفطرة**»[2]؛ "أي: الدين الذي يتماشى مع مطالب الفطرة السليمة، ويعالجها بخير طريقة يمكن بها استغلال كل المواهب البشرية، وتوجيهها إلى الصراط المستقيم"[3].

"ومن هنا يتضح أن الدعوة الإسلامية تسعى إلى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة وضرورات المجتمع ونوازع الفرد الفطرية، دون أن يطغى هدف على هدف، ولا مصلحة على مصلحة، وإنما يسير الكل في توافق واتساق، يحقق -ين يتم- أقصى ما يمكن من السعادة على ظهر الأرض"[4].

---

(١) الإسلام كنظام حياة، الدكتور/ محمد البهي، ط ٢، ١٩٨٢م، (ص٤).

(٢) أخرجه البخاري بلفظ «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء» (٢/ ١٠٠)، برقم (١٣٨٥)، وأخرجه مسلم بلفظ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ....» الحديث، (٤/ ٢٠٤٧)، برقم (٢٦٥٨)، وكلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، (ص١٠٠).

(٤) نفسه المرجع.

وبهذا نكون قد حددنا الكلام عن الدعوة الإسلامية والفطرة الإنسانية ويبقى أن نتكلم عن ضرورة حل مشكلات الناس.

ضرورة حل مشكلات الناس.

تقدم في تعريف المشكلة الاجتماعية أن من طبيعة هذه المشكلة أنها تتسبب في حدوث صراع قيَمِي داخل المجتمع؛ وأنها تمثل صعوبة أمام المسيرة الطبيعية والمألوفة لحياة المجتمع، ولذلك تتطلب فعلا اجتماعيا لمواجهتها، والتغلب عليها؛ وهذا الأمر يحتاج إلى إتباع معايير ووسائل جديدة، قد تثير الكثير من الجدل والخلاف؛ وتؤدي إلى تكوين رأي عام يختار من بين المعايير المطروحة للعلاج ويهمل الأخرى.

وليس هناك من خطر في أن يتولى الإنسان وضع حلول لمشكلاته، وإنما الخطر كل الخطر هو أن يجانب هذا الإنسان وجه الصواب في وضع هذه الحلول؛ فهذا من الأسباب القوية في ضرورة تدخل الدعوة النبوية في حل مشكلات الناس؛ إذ إن هناك صعوبة بالغة في تناول الإنسان مشكلة من مشاكله بنفسه، لقصور فهمه وعلمه، أما المنهج النبوي فلا يصعب عليه ذلك؛ لكونه منهجا معصوما من عند الله، ففي الوقت الذي يئن فيه الإنسان من التعرف على مشكلة من المشاكل، وقد ينفق عمره على طوله في فهم محاورها ومركزها، يأتي المنهج الرباني على حل هذه المشكلة في سهولة ويسر.

"وأيسر ما في المنهج الرباني أنه -وهو يضع في حسابه البلوغ إلى القمة السامقة- لا يعتسف الطريق، ولا يستعجل الخطى، ولا يتخطى المراحل، إن المدى أمامه ممتد فسيح، لا يحده عمر فرد، ولا تستحثه رغبة، فلن يخشى أن يعجله الموت، أو الفوت عن تحقيق غايته البعيدة، كما يقع لأصحاب المذاهب والمناهج الأرضية من البشر الفانين"[1].

---

(١) هذا الدين، سيد قطب، (ص٣٧).

"لقد جربت البشرية في مختلف عصورها كل نظام يمكن أن يخطر في بال الإنسان، الفردية، والجماعية، الرأسمالية، والشيوعية، الملكية واللا ملكية، وجربت المتاع الحسي- المنطلق بلا غاية في المأكل والمشرب، والمسكن والملبس، والجنس، وجربت الإيمان بكل إله من صنع الإنسان، والإنسان المتأله، والإلحاد بكل إله، ثم ازدادت مع كل تجربة حيرتها، وشقاؤها، واضطرابها، وخلخلة روابطها، حتى جنت أو كادت تجن ومن ثم فلم يعد هناك مجال للاختيار"(١).

فحينما تصل الأمور إلى هذا الحد من السوء يهيئ الله تعالى من يقوم بدعوة الخلق للطريق الحق، فيحدِث التغيير، فلا مخلِّص للناس من شقائهم، وحيرتهم إلا بالمنهج الرباني الذي جاء به الرسل جميعا، وفي خاتمتهم محمد ﷺ، ولم يكن للناس مخلص من الجاهلية في تاريخهم كله إلا بهذا المنهج بمعناه الواسع، الذي جاء به نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، وقد اكتمل الإسلام في دين الله الأخير،﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢) .

"والدعوة الإسلامية في صورتها الأخيرة المكتملة هي العلاج الوحيد لكل مشكلات الأرض، فهي التي تعطي الوضع الصحيح لكل ما انحرفت فيه الإنسانية في التصور والسلوك، وفي السياسة، والاجتماع، والاقتصاد، وفي الأخلاق، والفن، وعلاقات الجنسين، وكل شيء في حياة الناس"(٣).

---

(١) جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، دار الشروق القاهرة ط١٢، ١٩٩٢م، (ص٢٠٠).

(٢) سورة المائدة الآية: ٣.

(٣) المرجع السابق، (ص٢٠٢).

"ومن ناحية أخرى فإن الشخصية الإنسانية وحدة واحدة في طبيعتها وكينونتها، وحدة تؤدي كل وظائفها كوحدة، وهي لا تستقيم في حركتها ولا تتناسق خطواتها إلا حين يحكمها منهج واحد منبثق من تصور واحد، فأما حين تحكم ضمير الإنسان ووجدانه شريعة، ثم تحكم واقعه ونشاطه شريعة، وكل من هذه وتلك ينبثق من تصور مختلف، هذا من تصور البشر، وتلك من وحي الله؛ فإن شخصيته تصاب بما يشبه داء الفصام (شيزوفرينيا)؛ ويقع فريسة لهذا التمزق بين واقعه الشعوري الوجداني، وواقعه الحركي العملي ويصيبه القلق والحيرة، كما نشاهد اليوم في أرقى البلاد الأوروبية والأمريكية ثمرة للصراع بين بقايا الوجدان الديني الذابلة، وواقع الحياة العملية القائم على تصورات وقيم لا علاقة لها بالوجدان الديني، وذلك بعد الفصام النكد الذي وقع هناك بين الدين والحياة وكانت له أسبابه الخاصة في تاريخ النصرانية"[1].

ولنطرح هذه القضية بعبارة أخرى وقول آخر، فنقول: **أكان يوجد خطر على الإنسان لو تخلى عنه الإسلام كلية، أو لم يبد له النصح والتوجيه في بعض جوانب حياته؟ لماذا لم يدعه الإسلام مثلا يفعل ما يريد في خاصة نفسه، في شأن نظافته، وغذائه، وكسائه، وما يتسلى به؟ أهناك ضرر عليه وحده، أو على غيره معه لو تركه بدون توجيه في حياته الخاصة؟**[2].

وللإجابة عن هذه التساؤلات يقال "إن توجيه الإسلام كان ضرورة للإنسان، وفق طبيعته الخاصة، فالإنسان يتشهى وما يشتهيه لبطنه وفرجه، والإنسان ذو قيادة ومركز

---

(١) المستقبل لهذا الدين، سيد قطب، دار الشروق القاهرة، ط١٤، ١٩٩٣م، (ص١٦).

(٢) الإسلام كنظام للحياة للدكتور محمد البهي، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، (ص١٠).

قيادته الفؤاد، وهو سره وسبب تميزه، فلو استرسل الإنسان في طلب ما يشتهيه، لعاش لبطنه، وفرجه، وأخضع ما له من ميزة القيادة لتحقيق شهوة البطن والفرج، وعندئذ يصبح إنسانا يشتهي فقط أن يملأ البطن، ويلبي رغبة الفرج، لا أن يتخير ما يملأ بطنه، ولا ما يلبي به رغبة فرجه، وإنسان يندفع يجني على نفسه أولًا، لا لأنه فقد خاصة الاختيار بين الضار والنافع، بل لأنه لا يستطيع الآن أن يقف عند حد، يسلك مسلكا مندفعا كل طريق معوج أو مستقيم، ويستخدم مضطرا كل وسيلة ضارة أو نافعة لا يعرف خطا معينا لسيره ولا يسأل عن صالح وغير صالح فيما يتناوله من أكل وشرب، ولا عن ضار وغير ضار فيمن يتصل به اتصالا جنسيا"[1].

والخلاصة أن النتيجة التي تترتب على ترك الإنسان من غير دعوة ومن غير تدخل في رسم خطوط السير لحياته الخاصة والعامة، هي فقدان الإرادة والشخصية الإنسانية، فقدان المقاومة والمغالبة، فقدان التمييز والاختيار، ثم الخصومة والاحتكاك والاعتداء المستمر، ولأن الإنسان قد أعد من طبيعته وخلقه لأن يكون ذا شخصية وإرادة من جانب وذا ميل اجتماعي من جانب آخر لأن رسالة الإسلام كانت تخطيط للطريق الذي يوصل الإنسان إلى أن يكون ذا إرادة، وذا قوة واستطاعة للمقاومة والمغالبة، وذا مشاركة اجتماعية، لإيقاظ الوعي بالذات والوعي بالمجتمع معا[2]؛ وعلى هذا فإن من أضرار البشرية هي فقدان إرادة الأفراد وانعدام المشاركة الاجتماعية بينهم.

"إن التأكيد على الدور الذي يمكن أن تلعبه الدعوة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية، ليس فيه أي تجاوز للحقائق العلمية، فالأهداف الاجتماعية والاقتصادية التي

---

(١) المرجع السابق، (ص١٠).

(٢) ينظر: نفس المرجع، (ص١٢).

حددها الإسلام والقيم السلوكية والأخلاقية التي رسمها ودعا إلى تركيزها في النفوس تعتبر أسسا ومنطلقات فعالة للنهوض بالمجتمع المسلم، ودفعه إلى طريقة التنمية الشاملة ونعني هنا التنمية بمعناها العلمي الحديث"[1]، وهذا يستقيم تماما مع قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾[2].

وقول النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**»[3].

وهذا يدل على أن الاستسلام للأهواء يبعد الإنسان عن حل مشكلاته ومجانبة المنهج الإسلامي، وهذا ما أشار إليه علماء الإسلام من قديم الزمان من خلال تنويههم بمقاصد الدعوة الإسلامية والمبادئ الكلية التي جعلتها ضمن أهدافها العامة؛ ولنمثل لذلك بكلام الإمام ابن القيم[4] -رحمه الله تعالى- حيث يقول: "إن الشريعة مبناها

---

(١) الإسلام كنظام حياة، الدكتور/ محمد البهي، (ص١٢).

(٢) سورة النور الآية: ٥٤.

(٣) رواه البغوي في شرح السنة، (١/ ٢١٢) برقم (١٠٤)، وقال عنه النووي في الأربعين النووية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، (١/ ١١٣)، (حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب: الحجة بإسناد صحيح)، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م، (١/ ٥٩).

(٤) هو: الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، برع في علوم متعددة، وكان جريء الجنان، واسع العلم، عارفا بالخلاف ومذهب السلف، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وتعتبر كتبه شجى في حلوق المبتدعة وقرة عين لأهل السنة، توفي رحمه الله بدمشق سنة، ٧٥١هـ. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، (١٤/ ٢٣٤)، والدرر الكامنة، (٣ / ٤٠٠- ٤٠٣).

وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها"[1].

وهنا تتجلى حقيقة ماهية الدعوة الإسلامية، وعنايتها بإصلاح واقع الناس، وتنقية بيئتهم من كل شائبة تهدد حاضرهم ومستقبلهم، ويتضح ذلك من خلال ارتباط الدعوة بحياة الناس وحل مشكلاتهم.

❁❁❁❁

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (٣/ ١١).

المبحث الثالث

شمولية المنهج النبوي الدعوي لكل مناحي الحياة

ليس من المستغرب أن تتعدد مظاهر الشمول في المنهج النبوي الدعوي، فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية شاملة للزمان والمكان، وللإنس والجن، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]، فهي دعوة لرحمة الناس، ومعالجة كافة المشكلات الاجتماعية، لتشمل معالجة الجوانب الروحية والجوانب المادية، وتستوعب كافة المتغيرات التي تطرأ على حياة الناس عامة وعلى سلوكياتهم خاصة.

ولما كان أمر الشمول من الأهمية بمكان لا سيما في عصر ـ عجت فيه المشكلات الاجتماعية حتى وصلت إلى جميع ميادين الحياة، فسوف يتحدث الباحث عن أمر الشمول للمنهج النبوي، وقبل الخوض في تفاصيل شمول المنهج النبوي يبدأ الباحث بتعريفه تعريفًا من جهة اللغة والاصطلاح.

فالشمول في اللغة هو: العموم والسعة؛ تقول العرب: شملهم الأمر، يشملهم إذا عمَّهم؛ ومنه قولهم: الشملة، وهي كساء يشتمل به، وتقول: اشتريت شملة تشملني[2].

وأما السعة فمن قول العرب: هذه شملة تشملك أي تسعك[3].

---

(١) سورة الذاريات الآية: ٥٦ .

(٢) ينظر: الصحاح، للجوهري، (٥/ ١٧٣٠، ١٧٣٩)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو، العباس، المكتبة العلمية، بيروت، (١/ ٤٤٠).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (١١/ ٣٦٤)، مادة: شمل.

وهذا المعنى اللغوي، وهو العموم والسعة مناسب للمعنى المقصود بهذا المبحث، فإذا شمل الأمر قالت العرب: عمَّ ووسع فكذلك المنهج النبوي شاملا، أي: متسع لجميع الوقائع والحوادث.

وفي الاصطلاح هو: إعطاء تصور كامل، واعتقاد شامل لكل ما في مصلحة الإنسان معرفته، سواء عن الذات الإلهية، أو عن الكون، أو عن الإنسان، أو ما بعد الموت[1].

ويدل على مصطلح الشمول هذا في القرآن الكريم، قول الله ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[2]، وقوله جل شأنه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[3].

والشمول هو: الأحكام الواردة في الشريعة الإسلامية شاملة لكل نواحي الحياة، كما أنها شاملة للثقلين، (الأنس و الجن).

والتعريف الذي تعنيه هذه الدراسة هو: شمول المنهج النبوي الدعوي لكل مناحي الحياة، وما يحتاجه الناس بكل ما تحمله الشمولية من معنى، فلا تخلو قضية أو حادثة واحدة في حياة الناس في الأعصار أو الأقطار أو الأحوال إلا وشملها المنهج النبوي.

---

(١) ينظر: الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبدالله القاسم، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، (ص٢١).

(٢) سورة النحل الآية: ٨٩.

(٣) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧.

فالمنهج النبوي الدعوي نظام شامل لكل ما يتعلق بشؤون الحياة وسلوك الإنسان، وهذا الشمول لا يقبل الاستثناء ولا التخصيص، بل هو كامل تام بكل ما تحمله الشمولية من معنى، قال ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[1].

أي: "نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام، والثواب والعقاب، والهُدَى والضلال، ورحمة لمن صدق به، وعمل بما فيه من حدود الله، وأمره ونهيه، فأحل حلاله، وحرم حرامه، وبشرى للمسلمين"[2].

ودل على هذا الشمول أيضًا قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[3]، حيث شمل بيان أصول العبادات، وشئون الحياة، وحتى الممات، وجعل كل ذلك لله ﷻ، ودل عليه أيضًا قوله ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[4]؛ أي: "وكلّ شيء بيناه بيانًا شافيًا لكم أيها الناس لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه، وتخلصوا له العبادة، دون الآلهة والأوثان"[5].

يقول أبو ذر الغفاري ﷺ: «**ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائرا بجناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما**»[6].

---

(١) سورة النحل الآية: ٨٩.

(٢) تفسير الطبري، (١٧/ ٢٧٨).

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٦٢.

(٤) سورة الإسراء الآية: ١٢.

(٥) نفس المرجع، (١٧/ ٣٩٥).

(٦) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٥/ ١٥٣)، برقم (٢٠٣٩٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٨٠٣)، وأيضا: أخرجه الطبراني، (٢/ ١٥٥)، برقم (١٦٤٧)، وابن =

وتعددت جوانب الشمول في المنهج النبوي الدعوي، واتسعت آفاقه ولكن سوف يقتصر الباحث في هذا الصدد على ما يتعلق بموضوع الدراسة.

فمن أبرز جوانب شمولية المنهج النبوي الدعوي:

أ) حتمية الطبيعة الشمولية:

إذا كانت الصبغة التوحيدية تستلزم أن لا يعبد الإنسان إلا الله ﷻ وأن يعبده بما شرع له، وأن يكفر بما عداه، وإذا كان الدين الذي اختاره الله منهاجا لتحقيق العبودية له سبحانه هو الإسلام الذي كلف به جميع خلقه وأرسل به كل رسله، كما هو مقرر في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1]، وإذا كان الله تعالى بعد تربية طويلة للبشرية وتهيئة لها قد أكمل الدين وأتم نعمته على الناس، بقوله ﷻ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2].

وإذا كان الإسلام أصبح عبر التاريخ هو منهاج الله ﷻ للحياة الإنسانية، لا يقبل غيره كما هو واضح في قول الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[3].

حبان في صحيحه، صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، (١/ ١٤٢)، برقم (٦٥). عن أبي ذر الغفاري ﷺ.

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٢) سورة المائدة الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

فمن البديهي أن يصبح منهج هذه الدعوة ذا طبيعة شمولية حتى يستوعب النشاط العبادي للإنسان، ويمكنه من إنجاز مهمته الاستخلافية بكفاءة وفعالية في أبعادها الشمولية الكبرى المعرفية، والروحية، والأخلاقية، والعمرانية[1].

وشمول المنهج النبوي لشؤون الحياة وسلوك الإنسان لا يقبل الاستثناء، ولا التخصيص، فهو شمول تام بكل معاني كلمة الشمول، وهذا بخلاف المبادئ والنظم والمناهج البشرية، فإن الواحد منها له دائرته الخاصة التي ينظم شئونها، ولا شأن له فيما عدا ذلك، وعلى هذا فلا يمكن للمسلم أن يقول: (إن هذا المجال لي، أنظم أموري كما أشاء بمعزل عن تنظيم الإسلام) فلا يقول هذا؛ لأن المنهج النبوي الإسلامي يحكمه من أعلى رأسه إلى أسفل قدميه، وللإسلام في كل ما يصدر عن الإنسان حكم خاص، كما له حكمه في كل ما يضعه في رأسه من أفكار، وفي قلبه من ميول، وعلى هذا لا يجوز للمسلم أبدا أن يسمح لغير هذا المنهج الشامل أن ينظم أي جانب من جوانب حياته، لأنه إن فعل ذلك دخل في نطاق معنى قوله الله ﷻ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[2]،[3].

---

(١) ينظر: منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال المرحلة المكية، الطيب برغوث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، (ص١٤١).

(٢) سورة البقرة الآية: ٨٥.

(٣) ينظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص٤٩).

وقولـــه ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

إن دعوة النبي ﷺ التـي تمثلـت في القـرآن، والبيـان النبـوي الـذي تجـلى في سـيرته ومنهجه ﷺ تحتوي على النظام الشامل لجميع شئون الحياة، فإن مجمل هذه الدعوة يـتلخص في (إفعل) و(لا تفعل)، أو بعبارة أخرى من خلال الأمر والنهـي والتخيـير، وهـي الأمـور التي تكونت منها أبواب الشريعة الإسلامية، التـي لم تـترك جانبـا مـن جوانـب الحيـاة إلا ووضعت له التصور المناسب، لتشمل كل شيء يمكـن أن يتعلـق بحيـاة البشر، ويمكننـا التأكيد على هذه الحقيقة باستعراضنا لهذه الكثرة الضافية من الأبواب والتـي نـذكرها عـلى النحو التالي:

أولًا: أحكام العقيدة الإسلامية، وهي تتعلق بأمور العقيـدة كـالإيمان بـالله واليـوم الآخر وهذه هي الأمور الاعتقادية.

ثانيا: أحكام الأخلاق وهي المتعلقة بما يجب أن يتحلى به المسلم وما يجب أن يـتخلى عنه كوجوب الصدق وحرمة الكذب ونحوها.

ثالثا: أحكام تتعلق بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه كالصـلاة والصـيام وغيرهـا مـن العبادات.

رابعا: أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم وهي على أنواع:

أ. أحكام الأسرة من نكاح وطلاق وإرث ونفقة ... الـخ، وتسـمى في الاصـطلاح الحديث بأحكام الأسرة، أو قانون الأحوال الشخصية.

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٦.

ب. أحكام تتعلق بعلاقات الأفراد ومعاملاتهم كالبيع والإجارة والرهن والكفالة، وهي التي تسمى في الاصطلاح الحديث بأحكام المعاملات المالية أو بالقانون المدني.

ج. أحكام تتعلق بالقضاء والدعوى وأصول الحكم والشهادة واليمين والبينات، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بقانون المرافعات.

د. أحكام تتعلق بمعاملات الأجانب غير المسلمين عند دخولهم إلى إقليم الدولة الإسلامية والحقوق التي يتمتعون بها، والتكاليف التي يلتزمون بها، وهذه الأحكام تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي الخاص.

هـ. أحكام تتعلق بتنظيم علاقة الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب، وتدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي العام.

و. أحكام تتعلق بنظام الحكم، وقواعده وكيفية اختيار رئيس الدولة، وشكل الحكومة وعلاقات الأفراد بها وحقوقهم إزاءها، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدستوري.

ز. أحكام تتعلق بموارد الدولة الإسلامية ومصارفها وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة وبين الأغنياء والفقراء، وهي تدخل في القانون المالي بمختلف فروعه.

ح. أحكام تتعلق بتحديد علاقة الفرد بالدولة من جهة الأفعال المنهي عنها (الجرائم ومقدار عقوبة كل جريمة)، وهذه تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الجنائي ويلحق بهذه الأحكام الإجراءات التي تتبع في تحقيق الجرائم وإنزال العقوبات بالمجرمين وكيفية

تنفيذها، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بقانون تحقيق الجنايات أو بقانون المرافعات الجزائية[1].

وبهذا تكون الدعوة النبوية -التي بينها النبي ﷺ من خلال منهجه قولا وفعلا- قد استوعبت كل تصرفات الحياة، لتصبح هي الدعوة الشاملة الصالحة لكل زمان ومكان، وهذا ما امتازت به عن غيرها، فكان ذلك من أقوى الضمانات لنجاحها إلى أن تقوم الساعة.

ب) مظاهر الشمول من خلال النصوص:

لقد وردت أدلة شرعية كثيرة تفوق الحصر- دلت على شمولية المنهج النبوي الدعوي، وسوف يذكر الباحث بعض هذه الأدلة الشرعية الدالة على هذه الحقيقة.

فمن هذه الأدلة قوله ﷻ:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[2]، والمعنى: مشتملا على كل علم، نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دينهم، ومعاشهم، ومعادهم، فالقرآن الذي تشرحه السنة من خلال منهج النبي ﷺ كتاب شامل، لم يفرط فيه الله تعالى في شيء من شأنه أن يساهم في دعم تماسك الحياة الإنسانية وانسجامها مع سنن الله في خلقه.

وكما تقرر تصريح ذلك في آية أخرى، فقال الله ﷻ:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[3]، وقال ﷻ:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ

(١) ينظر: المصدر السابق، (ص٥٠).

(٢) سورة النحل الآية: ٨٩.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٣٨.

دِينًا ﴾[1]، حيث أشارت الآيتان إلى أن هذا الكتاب استوعب الحياة الإنسانية استيعابا شاملا وعميقا وواقعيا ماضيا وحاضرا ومستقبلا اعتقادا وفكرا وسلوكا وعملا[2].

يقول أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: «**ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائرا بجناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما**»[3]؛ فدل هذا الأثر دلالة ظاهرة على استيعاب وشمول المنهج النبوي لكل الأمور.

ومن أبلغ مظاهر شمولية المنهج النبوي في الأمور الدقيقة، ما روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث قال: «**قال لنا المشركون: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، قال: فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع، أو عظم**»[4].

فدل هذا الحديث على شمولية المنهج النبوي لكل مناحي حياة الإنسان، حتى وصل الأمر لأن يضع آدابًا لقضائه حاجة الإنسان.

ج) الشمولية الفردية:

شمولية المنهج النبوي الدعوي لا تقتصر فقط على قطاعات الحياة العامة، بل هي تستوعب الكينونة الإنسانية ذاتها، عقلًا وروحًا ونفسًا وجسدا، فمن أهم الجوانب الذي يهتم به المنهج النبوي الدعوي هي الجوانب الذاتية، والتي تنطلق من الفرد ذاته، وجهده

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

(٢) منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال المرحلة المكية، الطيب برغوث، (ص١٤٢).

(٣) تقدم تخريجه، (ص٧٥).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه"، في كتاب: الطهارة، باب: الاستطهار، (١/ ١٥٤)، برقم (٣٣٠).

ومجهوده؛ لأنها تعتبر المدخل للدعوة الشاملة المستدامة، فلا يمكن أن تتم الدعوة في المجالات الأخرى سواء أكانت اقتصادية، أم سياسية، أم اجتماعية، دون أن يكون لدعوة الفرد ذاته فيها أصل، فالدافع الحقيقي لمنظومة الدعوة الأخرى هو الفرد ذاته، فما لم يكن هناك دافع لدعوته لم يكن هناك دافع للدعوة في الجوانب الأخرى.

فإن العقل والمنطق والعواطف تكون جنبا إلى جنب في دعوة النبي ﷺ، ملبية كل حاجات الإنسان على المستوى المادي والمعنوي.

فمن مظاهر شمولية المنهج النبوي الدعوي لمناحي الحياة والتي تنطلق من الفرد ذاته، قول النبي ﷺ: «**إذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**»(١)، فتجلت مظاهر الشمولية في هذا الحديث في أنه لم يترك النبي ﷺ حتى الجانب الإنساني في التعامل مع الحيوانات التي لا تعقل.

ومن ثم فإن أي دعوة لا تتوافق مع أسلوب تبليغ النبي ﷺ ومنهجه لا تنجح في مهمة الإرشاد والدعوة، فمثلا إن أُهمل نصيب العقل فإن التبليغ لا يعطي النتيجة المرجوة، وإن أهملت المشاعر والأحاسيس سيؤدي أيضا إلى نفس النتيجة السلبية ناهيك عن الذين يخرجون خارج نطاق الوحي فهم لا يصلون أبدا إلى الهدف.

د) منهج محمد ﷺ ومنهج الرسل قبله:

دعوة محمد ﷺ ومنهجه الشامل المتكامل يخالف في عمومه أيضا مناهج الرسل قبله، لأن كل دعوة من الدعوات السماوية التي تقدمت على دعوة النبي محمد ﷺ وإن

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، (٣/ ١٥٤٨)، برقم (١٩٥٥).

كانت سماوية إلا أنها كانت قاصرة، بأن كلا منها جاء ليعالج ناحية من نواحي حياة الإنسان.

فدعوة موسى عليه السلام جاءت لتعالج الشرك وتحَوِّلُ الناس إلى توحيد الله، ثم جاءت بعدها دعوة عيسى عليه السلام، وقد أصبح الناس ماديين لا يقدسون سوى المادة فاهتمت المسيحية بالناحية الروحية والأخلاق، وغرست في نفوس أتباعها مزيدا من التسامح والوداعة والرحمة، ثم جاءت الدعوة الإسلامية وقد استوت البشرية على حال تحتم عليها أن تسير في طريق يؤدي إلى دين متكامل الجوانب، يعالج مشكلات الحياة كلها، ويرسم لها الحل السماوي الذي لا حل سواه، فكانت الدعوة الإسلامية خاتمة لتلك الدعوات وشاملة لها[1].

لقد استوعبت الدعوة النبوية ومنهج النبي ﷺ الحركة الإنسانية بصورة عميقة وشاملة، من خلال ما أسسته من مرجعية شاملة يتم في ضوئها تفسير التجربة التاريخية للإنسانية، وتحليل الواقع، ومباشرة الارتقاء به إلى المستوى المطلوب الممكن، واستشراف آفاق المستقبل، وهي القضايا الحساسة التي اضطرب فيها الفكر الوضعي قديما وحديثا، ولم يتمكن من بناء موقف شمولي متوازن بشأنها، لأنه لا يملك المرجعية الملائمة كما قال الدكتور القسيس كاريل: إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب، لأنها لا تلائمنا فقد أنشئت من غير أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية، وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بجهودنا فإنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا[2].

---

(١) ينظر: أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، عبدالله بن محمد الموسى، (ص١٨٤).

(٢) ينظر: منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها، الطيب برغوث، (ص١٤٢).

هـ) مقارنة بين شمولية المنهج النبوي وشمولية المناهج الوضعية:

يظهر بوضوح مما تقدم أن الشريعة في شمولها تختلف مع جميع القوانين الوضعية، لأن شمولها كامل تام بكل معنى الكلمة فما من حدث ولا علم يصدر عن الإنسان، ولا علاقة تقوم بينه وبين غيره إلا وللشريعة الإسلامية حكم فيها، فأمور العقيدة والأخلاق والعبادات تدخل في نطاق شمول الشريعة ولا تدخل في نطاق تنظيم القوانين الوضعية، وحتى في نطاق العلاقات البشرية التي تنظمها القوانين الوضعية فإن الشريعة تختلف اختلافًا بينًا مع القوانين الوضعية في هذا المجال من ناحيتين:

الناحية الأولى:

مراعاة المعاني الأخلاقية فالشريعة الإسلامية راعت جانبها كل الرعاية، وسمحت لها بالتسرب إلى القواعد القانونية والامتزاج بها وإقامة الأحكام التنظيمية عليها، وهذا بخلاف القوانين الوضعية حيث إنها لا تراعي المعاني الأخلاقية بل إن الأصل فيها هو الفصل بين القواعد الأخلاقية والقواعد القانونية، فالغدر والخيانة وعدم الالتزام بالكلمة معاني ذميمة في ميزان الأخلاق ومن ثم لا تجوز ولا تباح في جميع العلاقات التي تنظمها الشريعة الإسلامية والأحكام التي تقررها، سواء أكانت هذه العلاقات بين فرد وفرد أو بين دولة ودولة[1].

الناحية الثانية:

جهة الحل والحرمة في الفعل نفسه، فإن الفعل قد يكون صحيحًا في ظاهره لاستيفائه شروط الصحة المطلوبة، ولكنه يعتبر حراما لمخالفة حقيقته الباطنة أو لمخالفة قصد صاحبه لما يأمر به الإسلام.

---

(١) ينظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص٥١).

إن هذه الصفة للشيء من الحل والحرمة تبقى لاصقة بالفعل وإن صدر بها حكم قضائي يقضي بخلاف ذلك، فالشخص الذي يدعي دَينًا على آخر ظلما ويثبت ذلك أمام المحكمة فإن حكم المحكمة لا يعني أنه محق في مطالبته، أو يستحق الدين من صاحبه، بل يبقى الأمر عند الله تعالى على حقيقته، وهو أن هذا المدعي ارتكب حراما، وأكل سحتا، وهذا لا يجوز في شرع الله[1].

❁❁❁❁

(١) نفس المرجع، (ص٥٢).

المبحث الرابع

الحاجة إلى معرفة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية

من الأمور التي لا تخفى على ذي عقل واعٍ أن كل أمة تبحث عما يصلح شأنها، ويحل مشكلاتها، ويقوي كيانها وتماسكها، وكثيرًا ما يختلف منظِّري قوانين الأمم، وأنظمتها في الطرق المنهجية والحلول السوية، فتزلُّ أقدامهم إلى حضيض من الفساد، والانحطاط بهم إلى مهاوي الرذيلة.

ولا شك أن الدين منهج رباني تناولت تعاليمه جميع أمور الدنيا في حياة الناس، و"ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين أو تدانيها في كفالة احترام النظام، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، وحل مشكلاته، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، والسر في ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمع ولا بصر، وإنما هو عقيدة إيمانية تهذب الروح، وتزكي الجوارح، وتجعله يراقب سرائره، كما يراقب علانيته وجهره"[1]؛ قال ﷻ: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾[2].

وكما أن الناس لا يستغنون عن رزق الله وعن الطعام والشراب فهم بالتأكيد لا يستغنون عن هدايته، ولكي يدركوا هذه الهداية على وجهها الصحيح بعث الله تعالى لهم

---

(١) الإسلام أصوله ومبادئه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ، (ص٧٤). بتصرف قليل.

(٢) سورة طه الآية: ٧.

النبي ﷺ ليبين لهم دينهم قال ﷻ:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1]، وقال ﷻ:﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2].

فالمنهج النبوي خير ضمان لقيام التعامل بين الناس، وحل مشكلاتهم لبنائه على قواعد العدالة والإنصاف، وكان لذلك ضرورة اجتماعية، والمشاهد اليوم هو تعدد المناهج والقوانين في هذا العالم، وأن البشرية التائهة في ظلمات الجهل والشهوات، وهي تتنكب الطريق، وتبحث عن مخرج من أزمتها، وما هي فيه بحاجة إلى نور المنهج النبوي.

المجتمع العربي قبيل بعثة النبي ﷺ:

"كانت مكة تموج بحركة عاصفة من الشهوات والآثام والرذائل كفر بالله تعالى واليوم الآخر إقبال على نعيم الدينا وملذاتها رغبة أكيدة في العلو والسيادة ليس هناك قانون أو نظام يحكم تصرفات القوم إلا القوة والجبروت والطغيان فشريعة انصر أخاك ظالما أو مظلوما هي السائدة بين الناس؛ فلا مكان للضعيف وغير ذي الشوكة، فقدوا الرحمة وأهدروا كرامة الإنسان إذ أنك تجد الرجل منهم يدس فلذة كبده في التراب مخافة الفقر والعار"[3].

فكان من لطفه تعالى أن اختار من بينهم من يقوم بهذه المهمة العظيمة والرسالة الجسيمة، بحيث لا يستطيع أحد منهم أن يطعن فيه بأدلة وبراهين معقولة من حيث الخلق

---

(١) سورة النحل الآية: ٤٤.

(٢) سورة النحل الآية: ٦٤.

(٣) الأسلوب النبوي في الدعوة، الشريف حمدان راجح الهجاري، دار الهدى للطباعة، القاهرة، (ص٧٠).

أو النسب أو السلوك، فكان ما أراده الله تعالى، حيث استطاع النبي ﷺ إنقاذ هذا المجتمع من وطأة الظلم الاجتماعي، وأعلى راية الخير والسلام والإخاء والحق، وتعمقت المساواة بين بلال الحبشي وسلمان الفارسي وبين سادات قريش ووجهائهم ممن كانوا لا يرضون بذلك، وأصبح القانون السائد في هذا المجتمع الوليد هو الإنصاف والتواضع والتوازن، بعدما كان السيف والكبر والغطرسة هي القوانين الحاكمة لهذا المجتمع، وفي غضون أقل من عام واحد انتشر الإسلام في ربوع الأرض مؤسسا حضارة جديدة ومجتمعا سويا متماسكا قويا اقتبست منه الحضارات الكثير من القيم والمبادئ النافعة وأسست عليها نهضة علمية عظيمة نرى ثمارها في عصرنا الحديث.

"لقد استطاعت هذه الفترة الوجيزة أن تقرر في واقع الحياة البشرية مبادئ وتصورات وقيما وموازين، لم يسبق أن تقررت في تاريخها كلها بمثل هذا الوضوح، وبمثل هذا العمق، وبمثل هذا الشمول للنشاط الحيوي كله، ولم يقع كذلك أن تقررت هذه المبادئ والتصورات والقيم والموازين في واقع البشرية مرة أخرى، وفي ظل أي منهج وأي نظام في الأرض كلها بمثل هذا الوضوح والعمق والشمول للنشاط الحيوي كله"[1].

المنهج النبوي ودعوة الحق:

ومن دلائل حاجة البشر إلى منهج النبي ﷺ في معالجة قضاياهم الاجتماعية التي على رأسها قضايا العقيدة والعبادات والأخلاق باعتبارها أولى الضرورات الاجتماعية والتي لا يستقيم بدونها حال مجتمع، ولا تصلح من دونها الخليقة، "فهنالك ارتباط وثيق بين طبيعة النظام الاجتماعي وطبيعة التصور الاعتقادي، بل هنالك ما هو أكبر من الارتباط الوثيق، هنالك الانبثاق الحيوي انبثاق النظام الاجتماعي من التصور الاعتقادي،

(١) هذا الدين، سيد قطب، (ص٤٥).

فالنظام الاجتماعي بكل خصائصه هو أحد انبثاقات التصور الاعتقادي، إذ هو ينبت نباتا حيويا فطريا ويتكيف بعد ذلك تكيفا تاما بالتفسير الذي يقدمه ذلك التصور للوجود ولمركز الإنسان في الوجود ولغاية وجوه الإنساني.

فما من نظام اجتماعي يمكن أن ينشأ نشأة طبيعية سوية، وأن يقوم بعد ذلك قياما صحيحا سليما إلا حين ينبثق من تصور شامل لحقيقة الوجود ولحقيقة الإنسان، ولمركز الإنسان في هذا الوجود ولغاية الوجود الإنساني، إذ أن غاية أي نظام اجتماعي ينبغي أن تكون هي تحقيق غاية الوجود الإنساني"[1].

ويمكن إجمال الغايات الكبرى للوجود الإنساني في مبدأ إدراك الحق ونصرته، وزعزعة الباطل وهزيمته؛ فإن الصراع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسان حيث كان منذ خلق الله آدم عليه السلام وكرمه بأمر الملائكة أن يسجدوا له، وامتناع إبليس عن امتثال أمر ربه، استكبارا منه وعلوا، كما دل عليه القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[2].

ومع ذلك فالحق لا ينتصر بذاته، فكان من حكمته -تعالى- أن جعل الحق بحاجة إلى قوة تحميه وتذود عنه، وتكفل له الذيوع والانتشار، وتبيِّن حقيقته للناس، وتكشف

(١) المستقبل لهذا الدين، سيد قطب، (ص١٢).

(٢) سورة البقرة الآيات: ٣٤، ٣٧.

باطل أعدائه من أهل الشر ودعاة الضلال والهدم، كما أن في ذلك ابتلاء لأهل الخير وجند الحق، وتمحيصا لهم، مصداقا لقوله ﷻ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[1]،[2].

ومن هذا المنطلق نقرر حقيقتين مهمتين:

الأولى: هي أن الدين الإسلامي هو الحق، ولذلك لا بد من الدعوة إليه، ونشره بين الناس، ولابد من الدفاع والذود عنه، لأنه دعوة الحق والخير، فكان الاستمساك به أقوى الواجبات، لأن سبيل النجاح والمصلحة في الاستمساك بدعوة الحق، فالحق دائما وأبدا سبيل الفوز والنجاة.

الثانية: أن دعوة الحق إذ تحتاج لمن يدعو إليها فهي تحتاج إلى آليات ووسائل غير عادية، من الدعم المتواصل وتنويع الوسائل والتزام العمل والقدوة من جانب المسلمين عموما وخاصة رجال الدعوة ودعاتها، بعد أن أرشدنا الله تعالى إلى ذلك: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3]، فالآية تضمنت أهم قاعدتين من قواعد الدعوة القول الحسن والعمل الصالح، ورسول الله ﷺ وأصحابه

---

(١) سورة آل عمران الآيات: ١٤٠، ١٤١.

(٢) ينظر: أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، عبد الله بن محمد الموسى، (ص١٣).

(٣) سورة فصلت الآية: ٣٣.

رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان من جند دعوة الحق طبقوا منهج القرآن وأسلوبه العملي تطبيقا تاما، فكان لهم ما أرادوا من نجاح الدعوة وتحقيق المراد[1].

المنهج النبوي والعلاقة بقضايا البشر:

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا على هديهم وما جاءوا به، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها[2].

ولا عجب أن "تعالت الصيحات في عالمنا العربي والإسلامي بأنّه لا بديل لعلاج أوجاع العالم الإسلامي وحل مشكلاته الاجتماعية غير الإسلام، وقد أقلقت هذه الصيحات وهذه الأطروحة العديد من النظم القائمة في خطّ طنجة - جاكرتا: (خطّ عرض العالم الإسلامي)، وراحت هذه النظم تكيد بأصحاب هذا الطرح وتزجّ بهم في غياهب السجن، وقد دافع أصحاب الطرح الإسلامي عن هذا الطرح بقولهم لقد جربنّا

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص١٣).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط١٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، (١/ ٦٨).

الإشتراكيّة فلم ننجح، وجربناّ الرأسماليّة فلم ننجح، وكذلك الديمقراطية والعلمانية، فعلام لا نجرّب الإسلام"[1].

ولما كانت الأنظار تقصر والأهواء تتغلب والعقول تتفاوت وتختلف اشتدت حاجة الناس إلى مصلح من قبل الله، يطلق نفوسهم من قوى الأوهام، ويهديهم السبيل إلى ما فيه خير، وينذرهم عاقبة الانهماك في الملذات، ويعلمهم كيف يتحامون الفتنة، وهذه كلها من دعائم وركائز المنهج النبوي في علاج ومجابهة الأمراض والأخطار الاجتماعية التي تطرأ أمام البشر.

"أن المناهج البشرية مهما بلغت من الرقي والنضح تتسم بالعلاجات والحلول الجزئية للمشكلات البشرية، وكثيرا ما تعالج جانبا بإيذاء الجانب الآخر، وتلك هي الثمرة المباشرة للرؤية الناقصة التي لا تلم بجميع الجوانب في الوقت الواحد، فإذا عادت إلى علاج الداء الجديد الذي أنشأه العلاج للداء الأول أنشأت داء جديدا، وهكذا دواليك كما تشهد بذلك دراسة التقلبات والأطوار التي أنشأتها النظم البشرية، وهذا بلا شك سوف يكلف البشرية جهودا أشق من الجهد الذي تبذله للمنهج الكامل الشامل المستقيم مع الفطرة الذي ينظر إلى مشكلاتها كلها من جميع الجوانب، ويضع لها العلاج الكامل الشامل المنبثق من الرؤية الكاملة الشاملة"[2].

وثمت أمور عدة تبين بوضوح وجلاء حاجتنا إلى معرفة منهج النبوة، لحل مشكلاتنا، وعلاج قضايانا؛ ومن هذه الأمور ما يلي:

---

(١) مقال على شبكة الانترنت بعنوان: آليات النهضة في العالم الإسلامي، بقلم: يحي ابو زكريا، بتصرف قليل. http: //alarabnews. com/alshaab/GIF/21-02-2003/a3. htm

(٢) هذا الدين، سيد قطب، (ص٣٦).

أولا: إن النبي ﷺ قد رسم المنهج الصحيح الآمن لحل مشكلات المجتمعات، ودعوة الناس، وهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة؛ وقد فشلت جميع المناهج والطرق والأطروحات التي تنكبت هديه ﷺ سواء في محيط الفرد أو المجتمعات.

ثانيا: إن منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية مرجع خصب لأنه ﷺ وضع أولويات حل المشكلات، وطرائق ذاك الإصلاح لإبداع منهجية أصيلة تجمع بين الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ والتوجيه الذي يروم إلى مخاطبة السلوك الجمعي للأفراد، والقدرة على الإبداع والاجتهاد، فيما يعود على الأمة بالنفع والصلاح.

ثالثا: إن منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية سبب لدفع البلاء والهلاك والضنك عن المجتمعات، قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[1].

ووجه الدلالة من الآية الكريمة، أن الإصلاح سبب لدفع البلاء والهلاك عن الأمة، وأهم صور هذا الإصلاح حل المشكلات.

يقول سيد قطب: "وهذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم، فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله، في صورة من صوره، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير، فأما الأمم التي يَظلِم فيها الظالمون، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستنكر،

(١) سورة هود الآية: ١١٧.

ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تَحقُّ عليها، إما بهلاك الاستئصال، وإما بهلاك الانحلال .. والاختلال!"[1].

رابعا: إن دراسة منهج النبي ﷺ، وما يحويه من كريم الأخلاق وحسن المعاملة، تلك الصفة المشهود لها من رب العالمين بقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، والحرص الشديد على هداية الناس، وإصلاح شئونهم، وحل مشكلاتهم، إذ وصفه الله بقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وبالوقوف على ما يتعرض له من مواقف وما يواجهه من مشكلات، وبذله من نفسه وماله في سبيل إخراج الناس من ظلمات الشرك والكفر إلى نور الهداية والإيمان، فإن ذلك من أهم الأسباب والدوافع لمحبته وسلوك منهجه، وتعلق القلوب به ﷺ، وتعظيمه وإجلاله، فمن المعلوم أن محبة النبي ﷺ واجبة على كل مسلم ومسلمه وذلك لتحقيق الإيمان، قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[4].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٢م، ط١، (٤/ ١٩٣٣).

(٢) سورة القلم الآية: ٤.

(٣) سورة التوبة الآية: ١٢٨.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، (١/ ١٢)، برقم (١٥)، ومسلم -واللفظ له- كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، (١/ ٦٧)، برقم (٤٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»(١).

خامسا: إن الدعاة والمصلحين في حاجة إلى المنهج النبوي الذي يشتمل على الأساليب والوسائل الناجحة، والمناسبة التي تمكن الداعاة والمصلحين من معرفة الطرق الصحيحة في الدعوة إلى دين الله تعالى وإصلاح المجتمعات، فلِهذا المنهج دوره الفعال في التأثير عليهم، وذلك على النحو التالي:

١- يمدهم بالأمل، ويدفعهم إلى العمل، عندما يستشعرون ما حل بإمام الدعاة من محن وتحديات، وما واجهه من مشكلات وعقبات، فواجه كل ذلك بقوة وعزيمة، وصبر واحتساب، فنال مراده، وساد أمره ونهيه، وانتشرت دعوته حتى بلغت مشارق الأرض ومغاربها.

٢- يجعل الداعية متحليًا بالصبر فيما يواجهه من متاعب وعقبات، وما يلقاه من أذى وشدائد، فلا يستعجل النتائج، فمنهج النبي ﷺ كله صبر، إذ أنه لم يكن صبره مقتصرًا على الابتلاء، وما يصيبه من أذى في سبيل الدعوة، بل شمل صبره على طاعة الله ﷻ فقد أمره الله بذلك في قوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾ ﴾(٢)، ويشمل ذلك الصبر على المكروهات والصبر عن المحبوبات.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الإيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ، (٨/ ١٢٩)، برقم (٦٦٣٢).

(٢) سورة الأحقاف الآية: ٣٥.

٣- يبصرهم بالأولويات الدعوية الواجب اتباعها في سيرهم ودعوتهم وهدايتهم للخلق.

سادسا: إن في منهج النبي ﷺ دروسا نبوية في حل المشكلات الاجتماعية، والتربية والسلوك والأخلاق من خلال مواقفه ﷺ مع أصحابه الذين رباهم؛ فأخرج منهم جيلا قرآنيا فريدا، وكوّن منهم أمة، هي خير أمة أخرجت للناس، وأقام بهم دولة نشرت العدل في مشارق الأرض ومغاربها.

أثر العزوف عن المنهج النبوي في العصر الحديث:

ما من عصر يمر بالبشرية إلا وهو في حاجة إلى منهج الله، لكن هذا العصر- الذي نعيش فيه هو أشد العصور فقرًا إلى الاتصال بكتاب الله، والانعطاف إلى الدين والتوقير لكلماته، ذلك أن الرقي العقلي المحض الذي بلغته الإنسانية يجعل مستقبلها على حافة الهاوية، إن لم يقترن هذا الرقي باكتمال روحي معتمد على الله، ورسله، ومنهجهم الإلهي في حل المشكلات الاجتماعية التي تعرض للبشر[1].

لقد أدى الابتعاد عن منهج النبي ﷺ واللهاث وراء فلسفات مشوهة دون دراية كافية بموضع النفع منها إلى جفاف روحي، وانقطاع عن هداية الله رب العالمين، وغلبة الأثرة والجشع على الأقوياء، وسيادة المنطق المادي في كل شيء، وذلك نذير شؤم وناقوس خطر، فأي تقدم يحرزه العلم في تلك الميادين لا يبعث على التفاؤل ما لم يصحبه عود سريع إلى الله وإعزاز لأمره وإعلاء لشرعه.

ولذلك تكاثرت المشكلات الاجتماعية، وتعددت المذاهب والفلسفات التي تحاول أن تعرض لحلولها، لكنها في مجملها تنصب على الجانب المادي في هذه المشكلات، أما

(١) ينظر: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، الغزالي، (ص١٩).

الجانب الروحي فهي قصيرة الباع في معالجته، ووصف دوائه، ولهذا تتابعت الأزمات على الأمة الإسلامية، لكثرة هذه المشكلات بتعقد الحياة الاجتماعية من ناحية، ولعزوفها عن المنهج النبوي في حل هذه المشكلات من ناحية أخرى، ولو أردنا أن نعرف إلى أي مدى سرت يد التخلف في مقومات أمتنا لوجدناها طالت كل شيء.

ففي "حقل التعليم ذبلت الدراسات الإسلامية، ونبتت خلالها أشواك كثيرة، وفشت الظنون والخرافات والإسرائيليات والنصرانيات والإغريقيات حتى لكأن حصاد هذه الدراسات طين لا قمح، وحسك لا تمر، والعلم الإسلامي اليوم متوار في معاهد خاصة بعدما عزل عن الحياة العامة وساء تقويمه، وفي حقل التشريع ساد القحط كل ناحية وعجز الفقه سنين عددا أن يحكم المعاملات المتجددة وأن يضبطها باسم الله في مجراها العتيد"[1].

وفي حقل السياسة الشرعية يوجد التخبط من أولي الأمر، شاعت الخلافات بين الأمم العربية وأصبح كثير منها عدوا لغيره.

وفي مجال العلاقات الاجتماعية تفشت الفرقة، وانطمست الألفة، وعم الشقاق، وسيطر الغضب، وغاب صوت العقل، وهذا كله من أجل سوء الفهم، والتسرع في الحكم، وعدم العلم بمكان المصلحة، وكل ذلك منشؤه عدم الوعي بمنهج النبي ﷺ في تشخيص وعلاج هذه القضايا.

والعالم بأسره ليس غنيا عن هذا المنهج النبوي وهديه في معالجة الأدواء التي تعرض على صفحة المجتمع، فهو في حاجة كبيرة إلى أن يعرف محمدا ﷺ، وأن يدرس منهجه دراسة بعيدة عن الافتراء والتزيد، ليأخذ من الإحاطة بمنهجه أمجد درس فيما

(١) نفس المرجع، (ص٣٣).

تستطيع المواهب البشرية بلوغه من خير وفضل وجلالة وسناء، وسيعرف كل دارس لحقيقة هذا الإنسان الكبير أن المثل التي ذكرها أصحاب النظريات الخلقية العليا قد تجسدت في هذا الرجل، واستحالت سننا وضيئا هاديا يثير الحب، والإعزاز والاقتداء[1].

وبذلك يتأكد لنا أن منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية يجب أن يتأصل في نفوس أفراد المجتمع، حتى يحافظوا على وجودهم وأوطانهم، ويحموا أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم من الهلاك.

فإذا أراد المسلمون بل كل البشر إدراك الحق وتحري نصرته، وإعلاء رايته، فعليهم فهم سيرة النبي ﷺ، ومعرفة منهجه في علاج قضايا البشر معرفة عميقة، حتى يتسنى لهم ملاحقة التساؤلات والإشكالات التي تتوالى على البشر، ويضيقون بها ذرعا، وقد يتكلف بعضهم كثيرا من الجهد والمال والقلق النفسي بغية وضع حد لها، ولو تعرف على منهج النبي ﷺ في ذلك لهان عليه أمرها وسلس له قيادها.

واحسب فيما تقدم ذكر شيئا عن مدى حاجة الأمة الإسلامية لمعرفة المنهاج النبوي في حل المشكلات الاجتماعية، حفاظا على سلامتها واستقرارها، ودرءًا لهوانها وهلاكها.

❁❁❁❁

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص٢٢).

الفصل الثاني

أصول ومقومات منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية.

وفيه عشرة مباحث:

- **المبحث الأول:** الاهتمام بالعلم.
- **المبحث الثاني:** صحة الفهم والعمل.
- **المبحث الثالث:** التوكل على اللّه والاستعانة به وحده.
- **المبحث الرابع:** التوازن: ويتمثل في أمور عدة، منها المساواة بين الأفراد لا التساوي.
- **المبحث الخامس:** العدل.
- **المبحث السادس:** التلطف والرفق.
- **المبحث السابع:** سلامة القصد.
- **المبحث الثامن:** التمحيص والتميز.
- **المبحث التاسع:** معرفة الظروف الثقافية والنفسية والفطرية المؤثرة على حل المشكلات الاجتماعية.
- **المبحث العاشر:** مراعاة الأعراف السائدة في المجتمع.

تمهيد

يعتمد المنهج النبوي على مقومات وأصول واضحة في التعامل مع القضايا والمشكلات الاجتماعية، وقد تنوعت هذه المقومات بين أهداف وغايات في حد ذاتها، وبين وسائل لهذه الأهداف ولغيرها، وبين وسائل وغايات في آن واحد، فالمقومات الهادفة تعد من المقاصد العامة لهذه الدعوة، والمقومات الوسائل هي المنهجية التي تعمل من خلالها الدعوة النبوية.

ولاشك أن "لكل نظام عناصره ومقوماته التي يقوم عليها ولا ينهض إلا بها، وله مدخلاته ومخرجاته، مما يعني أهمية هذه المقومات، ففقدانها بالكلية أو وجود أي خلل فيها يعني تعطيل عملية التوجيه وبالتالي الحئول دون الوصول إلى أهدافها مهما كان سمو هذه الأهداف"[1]، لا سيما وأن قوة الداعي تنطلق من قوة قدراته، وما يملكه من مقومات وأصول في حياته الشخصية، لذا فحري بالدراسة أولا أن تتعرض لمعنى المقومات حتى تقف على جذور ثابتة، فنقول:

المقومات لغة: "جمع مقوم، وهي مأخوذة من قومت الشيء عدلته، وقوَّمتُه: عَدَّلتُه فهو قَويمٌ ومستقيم، والمقوِّم يعني: الغير معوج"[2].

---

(١) مقومات الداعية المربي كماء جاءت في القرآن، الدكتور/ محمود أبو دف، أ. مصطفى منصور، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، ٧-٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ١٦-١٧ أبريل ٢٠٠٥م، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، (ص٥٩١).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (٢/ ٤٩٩)؛ ومادة: (ق و م)، (٩/ ٢٠٠)، و (١٠/ ١٥٠).

والقِوامُ: نظام الأمر، وعماده، وملاكه الذي يقوم به؛ يُقالُ: هذا قِوام الدين، وقِوام الحق: أي الذي يقوم به؛ ويقال: قوّم الشيء تقويمًا: أزال اعوجاجه وعدَّله، وقِوامُ كل شيء ما استقام به. . وقوَّمتُ الشيء فهو قويم: أي مستقيم[1].

والمقومات: "السمات والخصائص الشخصية والأدائية اللازم توافرها في الداعية المربي المؤهل للقيام بدوره بنجاح"[2].

أما الأصول لغة فهي: جمع أصل وهو أساس الشيء وجذره القائم عليه، قال ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

وتعرف الأصول اصطلاحًا بحسب العلم الذي تضاف إليه، فهي ككلمة مفردة لا اصطلاح لها، ولكنها تضاف إلى العلوم فتتغير بمفهومها، فهناك أصول التفسير وهي كما عرفه الدكتور مساعد الطيار هي:(مجموعة من القواعد والأسس النظرية التي يقوم عليها علم التفسير)[4]، وعرفها الدكتور فهد الرومي بقوله هو : " القواعد والأسس التي يقوم

(١) ينظر: لسان العرب، (١٢/ ٥٠٤)، والقاموس المحيط، (ص١٤٨٧)، ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر، (ص٢٣٣)، والمعجم الوسيط، (٢/ ٧٦٨).

(٢) المصدر السابق، (ص٥٩١).

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٢٤.

(٤) فصول في أصول التفسير ، لمساعد الطيار، جامعة أم القرى، (ص ١١).

عليها علم التفسير ، أو هو " العلم الذي يتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن ويكشف الطرق المنحرفة أو الضالة في التفسير [1].

أما بالنسبة إلى أصول الفقه فهي: علم مغاير، وتعريفه اصطلاحا هو: علم يبحث في أدلة الفقه الإجمالية وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد[2].

أما بالنسبة إلى تعريف الأصول الاصطلاحي هنا: فلابد من إضافتها إلى الدعوة كي نتمكن من اصطلاحها كفن مدون، فأصول الدعوة اصطلاحا هو: علم بقواعد وأحكام وأسباب وآداب يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للبشر عامة، وتعليم وتربية المستجيبين كافة، وتحقيق التمكين لهذا الدين خاصة[3].

والرسل الكرام -عليهم صلوات الله وسلامه- هم سفراء الله بينه وبين عباده، اصطفاهم لحمل الأمانة وتبليغ الدعوة والرسالة، قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) ﴾[4]، فاقتضت حكمته -جل وعلا- أن يجعلهم أكمل البشر خلقًا، وأفضلهم علما، وأشرفهم نسبا، وأن يحفظهم بعنايته، ويكلأهم برعايته، ويربيهم على عينه، معصومون من الوقوع في الذنوب والمعاصي وارتكاب المنكرات والمحرمات، فهم حملة مشعل الهداية

---

(١) بحوث في أصول التفسير ، للدكتور فهد الرومي ص ١١ .

(٢) التمهيد – شرح مختصر الأصول من علم الأصول، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، تأليف: أبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي، ط١، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م، (١/ ٥).

(٣) مبادىء علم أصول الدعوة، دراسة تأصيلية، تأليف الدكتور محمد يسري ط١، ١٤٢٩هـ، (ص ٣٢١).

(٤) سورة الأنبياء الآية: ٧٣.

والإصلاح، وقادة ركب الإنسانية والقدوة للبشرية جمعاء، حيث كان كل منهم صورة مجسمة للكمال الروحي الذي يحتاج إليه أهل زمانه، ورسولا إلى قومه وأمته ليطهرهم ويزكيهم.

وما كان ذلك إلا بالاختيار والإعداد، ولقد أشار التوجيه القرآني إلى ضرورة اختيار الدعاة المربين وإعدادهم، وفي حديثه عن إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾[1].

وإن أصول ومقومات الداعية الناجح هي المعدِّلات التي تعدِّل الداعية، وتقوِّم اعوجاجه، فتجعله مستقيمًا معتدلًا، حكيمًا منضبطًا في كل أموره، ناجحًا في دعوته موفّقًا مُسدَّدًا بإذن الله تعالى، والدعوة العالمية تحتاج إلى إنسان متميز، قادر على حملها وتقديمها للعالم، إنسان تربيته وخلقه القرآن.

ومقومات المنهج النبوي كثيرة ومتعددة، ولكن الباحث اقتصر على بعض الأصول التي تتفرع منها المقومات والمتعلقة بمنهج هذا البحث.

❁❁❁❁

(١) سورة النحل الآية: ١٢١.

المبحث الأول

الاهتمام بالعلم

لقد كانت أولى مقومات الدعوة النبوية هي العلم، الذي أخذ طريقه إلى الوجود من أول يوم في حياة هذه الرسالة الفذة، إطاعة لأمر الله تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ﴾[1]، ليكون أساسا حركيا للدعوة في كل منزل وقطر، طلعت عليه أنوار المنهج النبوي الفريد، حتى باتت توسم هذه الدعوة في الأوساط المعرفية بالدعوة ذات النزعة العلمية.

لذلك أولى النبي ﷺ للعلم مكانة عظيمة، لأنه الأساس الذي يبنى عليه كل شيء؛ وللوقوف على أهمية العلم في المنهج النبوي يلزم التعريف به أولا:

فالعلم لغة: إدراك الشيء بحقيقته[2].

والعلم: اليقين ويأتي بمعنى المعرفة أيضًا وهو نقيض الجهل[3].

وفي الاصطلاح الشرعي: عرَّفه الإمام ابن القيِّم الجوزية -رحمه الله- بقوله: «العلم ما قام بدليل ورفع الجهالة»؛ ثم بين ذلك بقوله: "إن للعلم علامة قبله وعلامة بعده؛ فعلامته قبله: ما قام به الدليل، وعلامته بعده رفعه الجهالة"[4].

وقال ابن تيمية – رحمه الله –: العلم نوعان:

---

(١) سورة العلق الآية: ١.

(٢) المعجم الوسيط، الدكتور/ إبراهيم أنيس وآخرون، دار إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، ط١، ١٤٠٦هـ، (٢/ ٦٢٤)، مادة: علم.

(٣) لسان العرب، (٩/ ٣٧١)، المصباح المنير، (٢/ ٤٢٧).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، (٢/ ٤٩١).

أحدهما: العلم العملي وهو ما كان شرطا في حصول المعلوم كتصور أحدنا لما يريد أن يفعله، فالمعلوم هنا متوقف على العلم به محتاج إليه.

والثاني: العلم الخبري النظري، وهو ما كان المعلوم غير مفتقر في وجوده إلى العلم به كعلمنا بوحدانية الله ﷻ وأسمائه وصفاته وصدق رسله وبملائكته وكتبه وغير ذلك، فإن هذه العلوم ثابتة سواء علمناها أو لم نعلمها؛ ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالما به وبما تضمنه من الأمور التي يحتاج إليها في دنياه وآخرته وانتفع بعلمه به، وأعطاه ذلك صفة لم تكن له من قبل ولو لم يعلمه لكان جاهلا ناقصا[1].

والنزعة العلمية في هذه الدعوة منبثقة من حقيقة أساسية هي كون هذا الوجود العالمي محكوما بقوانين وسنن في الخلق لا تتبدل ولا تتحول، كما قال ﷻ: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[2]، فهي ماضية في ضبط حركة الوجود العالمي وتنسيقها بدقة، لضمان توازنها واستمرارية سيرها كما قدره الله وأراده، فكل شيء في الوجود العالمي محسوب بدقة، كما قال ﷻ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[3]،[4].

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٩هـ، (١/ ٨٩).

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٦٢.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٢.

(٤) ينظر: منهج النبي في حماية الدعوة، الطيب برغوث، (ص١٢٠).

وإذا كان الهدف من الدعوة هو الوصول بالإنسان إلى الكمال الاستخلافي فإن الإنسان يرتقي في مدارج هذا الكمال بقدر معرفته بالسنن التي تحكم الكون والحياة، لأنه بذلك يقف على قوانين التسخير التي تضع يديه على أسباب تحقيق مستويات متقدمة من التوافق والانسجام مع منظومة الوجود الكوني الواسع، لهذا كان الترقي المعرفي هو البعد الأول في المشروع الاستخلافي الذي يجب على الإنسان الخليفة الاهتمام به، وجعل الدعوة كمحتوى منهاجي ومنهجي لهذا المشروع؛ تعتبره كهدف أسمى من أهدافها العامة التي سيظهر أثرها في الأهداف الأخرى[1].

وما دامت الدعوة النبوية تهدف في الأساس إلى إنشاء مجتمع سليم يجد البدائل والحلول لكل ما يعن له من مشكلات، فإنها باستهداف ترسيخ قيمة العلم تبلغ درجة كبيرة من تحقيق هذا الهدف، فإن للعلم أثرا سحريا في علاج مشكلات المجتمع، وهو يعتبر آلية متجددة لاحتواء وتحييد المشكلات المتجددة، فبنشر العلم وترسيخ قيمته يصبح لدى كل فرد من المسلمين قسط مهم يواجه به مشكلات حياته، ولهذا يقوم العلم دائما بدور المصلح الذاتي.

من هنا يفهم، لماذا اهتمت الدعوة بالعلم، فلقد كان لهذا الاهتمام أثره البالغ في حياة المدعويين، فبالعلم يستطيعون التعرف على مشكلاتهم، ووضع التصورات الصحيحة لها، سواء كان ذلك على مستوى التوصيف، أو تحديد الأسباب، أو افتراض الحلول اللازمة لعلاج هذه المشكلات؛ فلولا العلم ما كان لهذه الأمور أن تستقيم، ولولاه ما كان للمدعويين أن يفطنوا إليها، ويعملوا تجاهها العمل الصحيح اللازم.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص١٠١).

وقد حتمت الدعوة النبوية الأخذ بهذا القسط من العلم والتعلم فجعلت العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقد فهم العلماء المسلمون من ذلك أن المأمور الواجب هو ما يسمى بعلم الحال، وبذلك لن يعدم أي فرد من أفراد المجتمع المسلم قسطا وافرا يؤهله للتعامل مع مشكلاته بسهولة، لاسيما وأن الدعوة قد وضعت حدًا أدنى لهذا العلم، هذا الحد لا يسع المسلم جهله بحال، فهو واجب حتمي عليه.

وهذا العلم يشمل كل علم يتوقف عليه القيام بالواجب أو ترك المحرم، فتعلمه فرض عين على كل مسلم مكلف، أما ما زاد على ذلك من العلوم الشرعية أو الدنيوية التي تحتاجها الأمة، فهذه تعلمها فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي من سائر أمة الإسلام، وسدت بهم حاجة الأمة، فقد حصل المقصود، وأدي الواجب، وسقط الإثم عن الباقين.

مظاهر الاهتمام بالعلم.

لقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى كون الإسلام بذاته علما وضعه الله تعالى بين يدي من شاء من الناس، ليعيش في وفاق مع نفسه وانسجام مع محيطه الاجتماعي والطبيعي، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1].

أي: أن هذا القرآن الذي خاطب الله به البشرية هو كتاب عظيم الشأن أودع الله فيه ما يحتاجه المكلفون من العلم والعمل، لتزكية أنفسهم وتكميل فطرتهم وسعادتهم في معاشهم ومعادهم فهو كتاب علم: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾[2]،

(١) سورة الأعراف الآية: ٥٢.

(٢) سورة هود الآية: ١.

عالم بمواقع الأمور فصارت محكمة متقنة لا نقص فيها ولا نقض لها، فهي كالبنيان المحكم.

الأمر الذي يجعل الاستقامة عليها من تمام الرشد، وكمال الوعي، والغفلة عنها والانحراف إلى ما سواها من علامات الجهل والظلم، وسوء المنقلب في العاجل والآجل، وهو ما حذر منه القرآن الكريم في مواطن منها قوله ﷻ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[1]،[2].

وهناك مظاهر متعددة تدل بقوة وتؤكد بيقين أن هذه الدعوة هي دعوة العلم والمعرفة، ومن هذه المظاهر على سبيل المثال:

إشادة القرآن والسنة النبوية بفضل العلم وفضل العلماء.

تعددت نصوص القرآن والسنة النبوية التي تشيد بفضل العلم والعلماء، والقارئ للقرآن الكريم يجد عدد هائل من النصوص التي تعلي من قيمة العقل وفضل العلم، فمنها:

قول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[3]، حيث يقرن شهادته سبحانه بشهادة الملائكة وأولي العلم.

ومنها قوله الله ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[4].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٥.

(٢) ينظر: منهج النبي في حماية الدعوة، الطيب برغوث، (ص١٢٠).

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٨.

(٤) سورة النحل الآية: ٤٣.

فتخصيص أهل الذكر والنص عليهم فيه رفع لشأنهم المتأكد بإضافتهم للذكر الذي وصف في القرآن الكريم بأنه مبارك؛ وفي هذه الآية المباركة دلالة واضحة على أمر الله لعباده بحسن السؤال لأهل العلم والخبرة؛ فبحسن السؤال والتعلم يكون حسن الجواب والتعليم، فيستطيع المدعو الوقوف على مواطن الزلل والخلل، ويعمل على إصلاحها من خلال جوابهم، ومن هنا يصبح للعلم الناتج عن هذا السؤال المندوب إليه شرعًا دورًا محوريًا للإصلاح، ووضع حلول عملية لكل المشكلات.

ويدل على هذا المعنى أيضًا، أن الله تعالى قد أمر نبيه ﷺ بالاستزادة من العلم والمعرفة، فقال سبحانه وتعالى لنبيه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[1].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "وقوله تعالى رب زدني علما واضح الدلالة في فضل العلم لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم"[2].

كما أشاد القرآن بمكانة أهل العلم، وأشاد بدرجتهم، فقال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[3].

وكذا الحال بالنسبة للسنة النبوية، فقد حثت على العلم والاستزادة منه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... ، **ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به**

(١) سورة طه الآية: ١١٤.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م، (١/ ١٤١).

(٣) سورة المجادلة الآية: ١١.

طريقا إلى الجنة»[1]؛ فجعل النبي ﷺ العلم سبيلا موصلا إلى الجنة، وإلى الدرجات العلى في الآخرة.

أما العلماء فقد جعل لهم النبي ﷺ مكانة عظيمة، وجعل لهم قدرًا كبيرًا، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[2].

ولا شك ولا ريب أنهم ورثوا الأنبياء في هذا العلم الموصل إلى هداية الناس، ومن قبيل هدايتهم حل ما يحيط بهم ويجول من مشاكل على اختلاف أنواعها، منها تلك المشاكل الاجتماعية؛ فيكون العلم سبيلا موصلا إلى التعامل معها.

حرص النبي ﷺ نفسه على التعلم وعلى التعليم.

كان رسول الله ﷺ نموذجا للمتعلم الباحث عن العلم النافع الحريص على التلقي المتقَن والتطبيق الكامل لكل ما يتعلمه، يدل على ذلك حرصه وحاله ﷺ عندما كان يتلقى الوحي من معلمه جبريل، حتى إن القرآن الكريم يرشده إلى أن الله تعالى الذي أنزل هذا القرآن كفيل بتعليمه إياه وحفظه ويوجهه إلى عدم إرهاق نفسه في ذلك: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[3].

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٨/ ٧١)، برقم (٧٠٢٨).

(٢) رواه أبو داود في "سننه" (٣/ ٣١٧)، برقم (٣٦٤١)، وابن ماجه في "سننه" (١/ ٨١)، برقم (٢٢٣)، وصححه الألباني كما في حاشية سنن ابن ماجه.

(٣) سورة القيامة الآيات: ١٦،١٩.

"ورسول الله ﷺ بالقدر الذي كان حريصا فيه على التلقي من معلمه جبريل كان حريصا على تعليم أصحابه وإرشادهم وهدايتهم قولا وعملا"[1].

فالهدف من العلم ليس جمعه وخزنه بل الهدف تمثله تمثلا صحيحا وتطبيقه تطبيقا سليما، وقد قيل "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم"[2].

وهذا الحرص الوارد في المنهج النبوي على تطبيق العلم، وعدم الوقوف عند التنظير الباهت والمعرفة المجردة فيه دلالة واضحة على حرص المنهج النبوي على توظيف هذا العلم توظيفًا سديدًا يمكن من خلاله التعامل مع ما يعانيه المجتمع من أمراض اجتماعية وإلتواءات سلوكية، فيعمل هذا التطبيق على علاجها، ووضع المسلم على الطريق الصحيح، والمنهج القويم وفق هذا التوجيه النبوي والإرشاد الرباني.

ومن حرص النبي ﷺ على التعليم مما يندرج في ناحية التطبيق العملي لطلب العلم في العصر النبوي هو ما صنعه النبي ﷺ، حين جعل فداء كل أسير يقرأ ويكتب أن يعلِّم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة، ولا يغيب عن الذهن أن هذا هو باب العلم والتعليم[3].

ولقد دعا القرآن الكريم الإنسان إلى تأمل مظاهر الطبيعة في نفسه وفي الظواهر الكونية المحيطة به، حيث يلاحظ القارئ للقرآن الكريم مدى كثافة النصوص التي تلفت

---

(١) أسباب نجاح الدعوة النبوية في العهد النبوي، عبد الله الموسى، (ص٣١٤).

(٢) معجم ابن المقرئ تحقيق عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، (ص١٢١)، برقم (٣١٥)، وضعفه الألباني في تحقيق الإيمان لابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، (ص١٢٣).

(٣) ينظر: الدعوة إلى الله، جاد الحق علي جاد الحق، (ص١٥٢).

النظر إلى المعمار الكوني بما فيه خلقة الإنسان نفسه، قال الله ﷻ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[1]،[2].

كما شنَّع القرآن الكريم تشنيعًا عظيمًا بعدم إعمال الفكر وتعطيل العقل عن تأمل مخلوقات الله والانسياق وراء الخرافة والوفاء العاطفي الأصم لمواريث الآباء والأجداد، والفناء في الأشخاص والاستسلام للظنون الكاذبة وركوب الأهواء، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[3]، وقال: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4]، وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[5]،[6].

واستنادا إلى هذه الركائز نصل إلى القول بأن النزعة العلمية "أو الاهتمام بالعلم خاصية أساسية وجوهرية في الدعوة الإسلامية، سواء في ذاتها كدين، أو كجهد تبليغي يقوم به المسلمون من أجل تعريف الناس بحقائق الإسلام، وإحداث تغيير مناسب في حياتهم، فكل شيء في إطار الإسلام ينطلق من العلم ويتمُّ بالعلم، سواء تعلق الأمر بفهم

---

(١) سورة يونس الآية: ١٠١.

(٢) ينظر: منهج النبي في حماية الدعوة، الطيب برغوث، (ص١٢٤).

(٣) سورة المؤمنون الآية: ٨٠.

(٤) سورة الجاثية الآية: ٢٣.

(٥) سورة محمد الآيات: ٢٣، ٢٤.

(٦) ينظر: نفس المرجع، (ص١٥٢).

السنن النفسية والاجتماعية المودعة في الوحي نفسه أو تعلق بفهم السنن الكونية الأخرى في الآفاق والأنفس أو تعلق بمنهجية التسخير توقعا وتحكما واستفادة"[1].

وثمة سؤال يطرح نفسه في هذا المقام، كيف كان المنهج النبوي المرتكِز على العلم سببا في حل المشكلات الاجتماعية من منظور المنهج النبوي؟.

كان العلم ولا يزال عاملا فعالا في قيادة المجتمعات الإنسانية نحو نور المدنية، وكان معولا لهدم الخرافات والأساطير التي كانت تتحكم في عقول الناس وأفئدتهم كما كان الجسر الذي اقتاد الإنسانية من ظلمة البدائية الحالكة، وضيق الهمجية الخانقة، إلى نور المدنية ورحابة الحضارة.

لقد كانت حياة البدائي مزيجا من الشعوذة والخرافة والسحر، وكانت تصوراته تغلب في سذاجتها وغرابتها سذاجة الأطفال في أحكامهم وتصوراتهم، فالمرض لدى هذا الكائن الذي لا يعرف ماهية الكون والحياة يعزى إلى الشعوذة، وتردي المحاصيل سببه غضب الآلهة أو كيد الأرواح الشريرة، وتقديم القرابين البشرية يبشر ـ بالنصر ـ في الحروب أو يخصب الموسم الزراعي، أما الكسوف والخسوف وسقوط النيازك فأمور تتبعها كوارث إنسانية غير محسوبة العواقب[2].

الجهل ومشكلة ضلال الخلق.

لقد تعدد مظاهر الجهل وأشكاله، سواء كانت في الأفكار والتصورات، أو في الأخلاق والسلوكيات، أو الأعمال والممارسات، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى

(١) نفس المرجع، (١٢٥).

(٢) ينظر: أثر العلم في المجتمع، برتراند رسل، ترجمة صباح صديق الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٨ م، (ص٢٠).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾[1].

فبين أن الأصل في الإنسان هو الظلم والجهل، إلا من زكاه الله بالعلم والعدل الذي يمنعه من الظلم، والعلم النافع الذي يرفع عنه الجهل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والجهل والظلم هما أصل كل شر"[2].

فكثير ممن يرتكبون الكبائر، ويسرفون على أنفسهم بالمعاصي، أو يتساهلون بظلم العباد وبخسهم حقوقهم، لا يعلمون أن فعلهم هذا من المحرمات الكبائر، وإن عرفوا تحريمه من حيث الجملة، فإنهم لا يدركون شناعته وشدة تحريمه، وما يترتب عليه من الإثم والشؤم، والعواقب السيئة في الدنيا وفي الآخرة، فيتساهلون في فعله، ويستهينون بشأنه، ولو علموا ما ورد في هذا المنكر من الوعيد والعذاب الشديد، لما ارتكبوه، أو أصروا عليه واستمرأوه.

فمن يشرب الخمر مثلًا أو يفعل الزنا، أو يمارس الغيبة أو النميمة، لو علم بأضرار هذه المعاصي على القلب والبدن، والدين والدنيا، وما يترتب عليها من العذاب والنكال الأليم، والعقوبات العاجلة والآجلة، لكان ذلك أعظم زاجر له عن اقترافها، أو استمرائها والتهاون بشأنها.

وقد يُؤتى الإنسان من قبل جهله من وجه آخر، حيث يظن أن فعله هذا مبارك مشروع، وصاحبه مأجور مشكور، وليس الأمر على ظنه وحسبانه في الواقع، كمن يظلم كافرًا أو فاسقًا، ويتعمد الإساءة إليه بالقول والفعل، وهو يظن أن عمله هذا قربة يرفعه

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٧٢.

(٢) اقتضاء السراط المستقيم، ابن تيمية، (ص ٣٧).

الله بها درجات، ويجهل أن الظلم حرام في حق كل أحد، سواء كان مسلمًا أو كافرًا، برًّا أو فاجرًا، وأن فعله هذا من الصد عن سبيل الله، والظلم لعباد الله، وكلاهما حرام بنصوص كثيرة في الكتاب والسنة[1].

وفي هذا السياق يمكننا أن نقدر الأثر العظيم لما جاءت به الدعوة النبوية من علوم ربانية، نورت طريق المعرفة أمام البشرية، واجتثت من تربته البدع، والخرافات، وتقاليد الكهنة، وغورت منابع السحر والشعوذة، وفتحت للعقل الإنساني نوافذ واسعة أمام الحقيقة، ورسمت له العلاقة الحقيقية بينه وبين الكون، وبذلك وفرت على البشرية بأسرها كثيرا من العناء.

ونذكر هنا واقعة من الوقائع الكثيرة التي غيرت مجرى الفكر الإنساني وكان لها فضل كبير على طرائقه، فعن المغيرة بن شعبة[2] رضي الله عنه قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا، وادعوا الله**»[3].

---

(١) ينظر: بحث بعنوان: أثر العلم الشرعي في مواجهة العنف والعدوان، إعداد فضيلة الدكتور/ عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان، (ص ٥).

(٢) هو: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود، أبو عبدالله الثقفي صاحب رسول الله، أسلم عام الخندق، وأول مشاهده الحديبية، روى عن النبي ﷺ وروى عنه أبو أمامة الباهلي، والمسور بن مخرمة وقرة المزني وأولاده عروة وحمزة وعقار، كان موصوفا بالدهاء، توفي سنة ٥٠هـ. ينظر: الإصابة، (٦/ ١٥٦-١٥٧)، وأسد الغابة، (٤/ ٤٧١).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الكسوف، باب: لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته، (٢/ ٣٤) برقم (١٠٤٣)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: الكسوف، باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف "الصلاة جامعة"، (٣/ ٣٦)، برقم (٢١٦١).

إن الفكر البدائي الذي كان حديث عهد بالخرافة والسحر، وسائر القيم التي كانت تمثل معارفه وقوانينه الاجتماعية والتشريعية يربط بين الحدث الطبيعي والفعل الإنساني، لغموض العلاقة بين الإنسان والكون فيأتي هذا الربط الساذج ليعمل على سد هذه الفجوة، أما المنهج الرباني الذي يرتكز على العلم فيؤسس لعلاقة جديدة بين الإنسان والكون ويحدد هدف الإنسان من الحياة، وعلاقته بالكون على أساس التوازن والتكامل والإحسان لا على أساس الخوف من الظواهر والتصاغر أمام الطبيعة، وما يشبه هذه الأمور التي كان الكهنة يبثونها في روع الناس ليصلوا إلى مآربهم عبر تسخيرهم وابتزازهم.

لقد دعا الإسلام العقل البشري إلى حب المعرفة وغذى ضمير الإنسان بحب الخير والرحمة والبر والسعادة والرفاهية لبني الإنسان جميعا، ووجهه إلى ما فيه تقدم الإنسانية؛ لأن العلم منذ أقدم العصور لا يزال رافع منار المدنية، ومشيد مجد الشعوب، وغذاء الأرواح، والعقول، والدواء الناجع لأمراض النفوس، والعلاج الناجح لمشكلات المجتمعات[1].

وإذا أردنا شهادة لا تتصف بالانحياز على ما قلناه فهذا الفيلسوف برتاند رسل يقر بهذه الحقيقة عندما يقول: كان للعلوم منذ زمن العرب وظيفتان.

الأولى: تمكننا من معرفة الأشياء.

والثانية: تمكننا من فعل الأشياء، أما الإغريق فقد كانوا باستثناء أرخميدس يهتمون بالناحية الأولى فقط فقد امتلكوا فضولا كبيرا تجاه العالم، لكن اعتماد المتمدنين منهم على العبيد للحصول على مستوى معاشي مريح جعلهم لا يعيرون استخدام العلم لفعل

(١) ينظر: الإسلام دين الإنسانية، محمد عبد المنعم خفاجي، (ص٣٨).

الأشياء أي انتباه، والرغبة في استخدام العلم للأغراض العملية أتتنا أولا من خلال الخرافات والسحر فالعرب رغبوا في اكتشاف حجر الفلاسفة وإكسير الحياة وفي معرفة كيفية تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، وأثناء تتبعهم للبحوث وراء هذه الأهداف اكتشفوا العديد من حقائق الكيمياء[1]؛ وحسبنا هذه الشهادة على ما فيها من تحامل دليلا كافيا على صدق ما قررناه في هذا المبحث.

أثر الدعوة إلى العلم على الحياة الاجتماعية فيما بعد وفاة النبي ﷺ؟

أدى اهتمام الدعوة النبوية بالعلم النافع إلى ارتفاع قدر العلم وتقديسه فأقبل المسلمون جيلا بعد جيل على تحصيل العلم وتدوينه والعمل على نقله بشتى الطرق رغبة في الانتفاع بنوره في الدنيا، والتزود به للآخرة، وأصبح العلم لدي المسلمين من مظاهر الزينة والرقي الاجتماعي، فاهتمت به جميع فئات المجتمع الإسلامي، ولما كان الإسلام لا يفرق بين الرجل والمرأة، في الحقوق الاجتماعية عملت النساء هي الأخرى على النهل من فيض العلم.

ولقد كان من أخص صفات المسلم في القديم الحرص على التزود بقسط من الثقافة وطلب العلم، من المهد إلى اللحد، والرحلة من أجله، والهجرة في سبيله، والإقبال على القراءة وعلى تكوين مكتبة متخيرة في كل منزل، وحث الأبناء على الإقبال على العلم، وكان من الشعائر كذلك بذل الأموال الطائلة في سبيل تشجيع البحث والثقافة وإعزاز شأن العلماء، حتى لقد كان الناس ينصرفون عن مواكب الرشيد في عنفوان خلافته ليسيروا في مواكب العلماء، وكان العلم نورا يضيء لا نارا تحرق فلم يتخذوه وسيلة

(١) ينظر: أثر العلم في المجتمع، برتراند رسل، (ص٤١).

للإفساد ولا للتجارة والمنصب، وظل المسلمون يحرصون على الثقافة حرصا ظاهرا والتراث العلمي والفكري في نضوج مستمر[1].

وقد اتبع المسلمون هذا المنهج فكان منهم عباقرة أفذاذا أمثال جابر بن حيان في الكيمياء، والرازي في الطب، وابن الهيثم في الطبيعة وعلم الأضواء، وابن خلدون في سنن الله في الاجتماع وغيرهم وسار المسلمون خطوات فكانوا سادة العالم المسيطرون على ناصيته[2].

هؤلاء العلماء استطاعوا بمشعل العلم الذي دعا إليه الإسلام وحبب فيه أن يضيئوا العالم، ويخرجوه من غيابات الجهل، ويخرجوا تلك المجتمعات من انحرافاتها الاجتماعية، ويجدون حلولًا لمشاكلهم على كافة المستويات.

لذلك ما كثرت المشكلات الاجتماعية بين الناس على اختلاف بيئاتهم وأماكنهم إلا بعد أن نحَّو العلم جانبًا، فلم يكترثوا به، ولم يعلو قدره، فتراكمت تلك المشكلات عليهم، وتضخمت تلك الأمراض الاجتماعية الفتاكة بجسد الأمة، حتى وصلت الأمة جراء مشكلاتها وأمراضها إلى ما وصلت إليه.

❁❁❁❁

(١) ينظر: الإسلام دين الإنسانية محمد عبد المنعم خفاجي، (ص٤٤).

(٢) ينظر: نفس المرجع، (ص٣٧).

المبحث الثاني

صحة الفهم والعمل

لا شك أنه يتجلى الفهم الثاقب والعلم المستنير بارتباط صحة الفهم بحلول المشكلات الاجتماعية، إذًا فما المقصود بهذا الفهم.

الفهم لغة: معرفتك الشيء؛ وفهمت الشيء: عقلته وعرفته.

وأفهمه الأمر وفهمّه إياه: جعله يفهمه، واستفهمهُ: سأله أن يُفهِمه[1].

والفهم: حسن تصور المعنى؛ جودةُ استعداد الذهن للاستنباط[2].

والفهم اصطلاحا: ورد لفظ الفهم في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله ﷻ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴿٧٩﴾﴾[3].

و"الفهم: هو تصور الشيء من لفظ المخاطب؛ والإفهام: هو اتصال المعنى باللفظ إلى فهم السامع"[4].

وصحة الفهم أصل يجتمع فيه الطابع المنهجي للدعوة والطابع الغائي على حد سواء، كما أن هذا الأصل يعتبر أداة مهمة، ووسيلة فعالة لحل المشكلات الاجتماعية، وقد جاءت الدعوة النبوية نفسها لتعزيز هذا الأصل واستهداف إيجاده لما له من دور تجاه

---

(١) لسان العرب لابن منظور، (١٠/ ٤٥٩)، مادة (فهم).

(٢) المعجم الوسيط، (٢/ ٤٠٧)، باب: الفاء.

(٣) سورة الأنبياء الآية: ٧٩.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، (١/ ٤٢٠).

المشكلات الاجتماعية، فهذا الأصل تشتبك فيه الغايات والآليات من خلال علاقة تبادلية واضحة فكل واحدة تهدف للأخرى وكل واحدة تستدعي الأخرى.

يقول الإمام ابن القيم: "صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة.

وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمده حسن القصد، وتحري الحق، وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى"[1].

وصحة الفهم أو الفهم الدقيق آلة مهمة في إنجاح المقصد، وإنجاز الأمور، وإظهار الحق، فهذا شاهد يوسف يتوصل بفطنته لشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه، وهذا سليمان عليه السلام يتوصل بقوله: "ائتوني بالسكين حتى أشق الولد بينكما إلى معرفة عين الأم"[2].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (١/ ٦٩).

(٢) نفس المرجع.

فتلك الأمثلة تدل دلالة واضحة على أهمية صحة الفهم، وما تلعبه من دور فعال في علاج المشكلات الاجتماعية، وهو ما تحلى به كل من شاهد يوسف، وسليمان عليهما السلام حين حكم كل منهما في قضية اجتماعية ألقيت بين يديه.

وكما كان لصحة الفهم دورها وأثرها في علاج المشكلات الاجتماعية فيما قبل دعوة النبي ﷺ، فقد كان لها أعظم الأثر في رسوخ وتمكن هذه الدعوة من حل المشكلات والقضايا الاجتماعية.

أذاً كيف كانت صحة الفهم سببا في حل المشكلات الاجتماعية من منظور المنهج النبوي؟.

١- إن صحة الفهم تهيئ صاحبها لفهم صاحب المشكلة والاطلاع على تركيبته النفسية؛ ومن ثم يختار الأسلوب الملائم والسياسة المناسبة للتعامل معه:

وقد ظهر ذلك من خلال سياسة النبي ﷺ للعرب، فمن تأمل حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة في طباعها المتنافرة، وكيف ساسها واحتمل جفاهم، وصبر على أذاهم، إلى أن انقادوا إليه فالتفوا حوله، وقاتلوا دونه أهليهم وآباءهم، واختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم، وأحباءهم من غير ممارسة سبقت له، ولا مطالعة كتب تعلم منها أخبار الماضين، وتحقق أنه ﷺ أعقل العاقلين[1].

٢- إن صحة الفهم تورث صاحبها الفطنة التي تعينه على مخاطبة جميع ملكات صاحب المشكلة؛ فلا يدع مجالا لمراودة نفسه، بالعودة إلى الخطأ مرة أخرى.

---

(١) ينظر: محمد المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، مكتبة محمد علي صبيح ميدان الأزهر القاهرة، ط٦، ١٩٨٦م، (ص١٨).

"والفطنة هنا ليست مجرد منطق بارد، بل منطق يمتد من الظاهر إلى الباطن، ومن الدنيا إلى الآخرة، فكما أن للإنسان جانبا منطقيا فله كذلك جانب عاطفي، والذين يخاطبونه من جانبه العاطفي قد يفشلون عند وجود ثغرة في جانبه المنطفي، أما النبي ﷺ فكانت فطنته تتجلى في أنه كان يخاطب الحواس والمنطق والحدس في آن واحد، فلا يهمل الأشياء المادية المرئية عند تناوله للإنسان بل يجعلها ممرًا للنفوذ إلى روحه، وهو يستعمل العقل ويدعو إلى استعماله ويهتم باستعمال المنطق والمحاكمات العقلية، ويخاطب الضمائر عن طريقها، فكل من سمع صوته في وجدانه وصل إلى الحقيقة أسرع ممن يخاطب الوجدان وحده، وبعد أن يخاطب عقل محدثه يأخذ بيده ليقربه إلى القلب أيضا بطريقة خارقة غير اعتيادية، وأحيانا بمعجزة ثم يجعله يتقدم خطوة أخرى وينصبغ باطمئنان الإيمان ويذوق حلاوته حتى يصبح شخصا آخر همه الحياة الأخرى"[1].

ولاشك فإن المنهج النبوي يبين لنا أهمية صحة الفهم في التعامل مع أصحاب الحاجات والمشكلات، من خلال تعامله ﷺ معهم، وإدارته ﷺ للحوار تجاههم، وأبرز الأمثلة الدالة على هذا المعنى حقيقة ما ورد عن أبي أمامة ﷺ، قال: إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه، فقالﷺ: «**ادنه**»، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك؟**»، قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أفتحبه لأختك؟**»، قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبه لعمتك؟**»، قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أفتحبه لخالتك؟**»،

(١) النور الخالد، محمد فتح الله كولن، (ص١٤٤).

قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه**»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

وهكذا فإن النبي ﷺ استطاع مخاطبة العقل والعاطفة في آن واحد، دون أن يزجر أو يعنف أو ينهر، حتى استطاع ﷺ أن يصل بالشاب السائل إلى بر الأمان من أقرب طريق ممكن، وأسهله، وأخفاه، وذلك بفضل فطنته وفهمه ﷺ؛ فاستطاع بهذه الفطنة أن يخلص شابا على حافة الزنا من الآثام، ثم رفعه إلى مثل هذه المنزلة السامية في أقصر وقت ممكن، وهذا أمر تحتار له العقول[2].

ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة رضي الله عنهم وجدها طافحة بهذا، ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله[3].

آليات صحة الفهم.

لما كانت صحة الفهم أصلا مهما، تنبني عليه الأساليب والوسائل المختلفة لعلاج المشكلات الاجتماعية، ولما كان انعدامه يعني عدم القدرة على حل هذه المشكلة وفق المنهج النبوي، فقد حرص هذا المنهج على وضع الأسس والمعايير العامة التي تكفل صحة الفهم

---

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٣٦/ ٥٤٥)، برقم (٢٢٢١١)، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٧٦٧٩) من طريق أبي اليمان الحكم بن نافع، عن حريز بن عثمان، بهذا الإسناد، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٣٧٠).

(٢) ينظر: النور الخالد، محمد فتح الله كولن، (ص١٤٦).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (١/ ٦٩).

لمن يتصدى لمهمة الإصلاح الاجتماعي وفق المنهج النبوي، وبالتالي يستطيع أن يضع الحل الملائم لهذه المشكلات.

فمع بعد العهد عن زمن النبوة الأول، واتساع رقعة الدولة تعقدت القضايا الاجتماعية، وتعقد على إثرها الفهم ومع فساد الملكات، وغلبة الأهواء ساد سوء الفهم، حتى قال ابن الجوزي: "فأقل موجود في الناس الفهم والغوص على دقائق المعاني"[1].

فلما كان الأمر كذلك، وعز الفهم السليم بين الناس، وصار سلعة نادرة الوجود، فقد أثر ذلك تأثيرًا كبيرًا في تضخيم المشكلات وتأخر إيجاد العلاج النافع الناجع لها، ولهذا فقد ركزت الدعوة على قضية الفهم؛ فإن الغرض من الدعوة هو علاج مشكلات المجتمع، ومن لم يفهم أمراض المجتمع وأخطاءه لم يتوصل إلى العلاج، ولذلك فيجب على الداعية عند علاج الخلل الاجتماعي أن يُعمل فهمه لفهم الواقع وأحوال الناس، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم: "ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

النوع الأول: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما.

النوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه، أو على لسان قوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده، واستفرغ

---

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي، تحقيق: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (ص٣٨٥).

وسعه، في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرا؛ فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع، والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله"[1].

إن الدعوة إلى الله تتطلب من المنتصب لها اطلاعا غزيرًا على القرآن الكريم، وعلى سيرة الرسول ﷺ لكونها التطبيق العملي الرشيد للمنهج النبوي في علاج المشكلة الاجتماعية، ثم يأتي بعد ذلك سير الخلفاء والأصحاب في تمثلهم لهذا الأصل، ولعل هذا القدر من دراسة العصر الأول يعطى صورة دقيقة عن هذا المنهج النبوي، فإذا استكمل الداعية هذا النصيب الواجب بقى عليه أن يدرس المجتمع الذي يعيش فيه دراسة فحص واستقصاء، فينبغي عليه أن يكون ذا خبرة واعية بالميدان الذي سيعمل فيه حتى يدرك كيف يُصلح دنيا الناس بدين الله[2].

ومن غير تحصيل هذه الأمور يقع الداعية في سوء الفهم، وسوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده، وسوء القصد من التابع فيقع الدين وأهله في محنة لا جابر لها[3].

ولقد كان مصاب الإسلام في عصور كثيرة، وفى هذا العصر خاصة، يجيء من الدعاة الذين يعجزون عن الموازنة بين شتى تعاليمه، إما لشلل في مداركهم يمنعهم من الاتزان وإحسان الفهم والاقتباس والتوجيه، أو لنقص في ثروتهم العلمية، فهم يحفظون شيئا وتغيب

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (١/ ٦٩).

(٢) ينظر: مع الله، محمد الغزالي، (ص١٦٠).

(٣) ينظر: الروح، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ص٦٣).

عنهم أشياء[1]؛ ولهذا لم يهمل المنهج النبوي العقل بلا تعاهد ومراقبة وتقويم، بل وضع له من الضوابط ما يكفل له التفكير السليم والفهم الدقيق، الذي يؤهله لمواجهة المشكلة الاجتماعية.

فعندما تتهيأ للعقل صحة الفهم فإنه على وفق التطبيقات النبوية والصحابية التي سبق ذكرها، سوف يعرف كيف يختار العلاج الأمثل للمشكلة الاجتماعية، وبهذا تكون صحة الفهم سببا قويا في علاج الانحرافات الاجتماعية، حيث تعين المتصدي لعلاج الخطأ على استيعاب المشكلة استيعابا دقيقا، ثم تمكنه من اختيار الحل الأمثل لهذه المشكلة.

وهنا يأتي العمل الذي سوف يكون ثمرة مهمة من ثمار الفكر السليم المبني على الاقتناع السالم من غبش الهوى وسوء القصد، وإن المنهج النبوي حين يربي العقل فهو يربي القلب والوجدان، وما دام الوجدان طاهرا، والقلب سليما، فلن يكون العمل إلا صحيحا وصوابا، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا صوابا.

وبناء على كل ما سبق، فإن لصحة الفهم وفق الهدي النبوي دوره البارز في التعامل مع المجتمع ومع أمراضه ومشكلاته، فإذا ما انسلخ المصلح أو الداعية أو بعُد عن هذه الفضيلة، كان عن العلاج أبعد، ووقع في الحرج الشديد نتيجة بعده عن أهم خصائص المنهج النبوي اللازمة لأجل علاج المشكلات التي انتشر ظهورها في المجتمع المسلم.

❁❁❁❁

(١) ينظر: مع الله، محمد الغزالي، (ص١٥٩).

المبحث الثالث

التوكل على الله ﷻ، والاستعانة به ﷻ

إن قوة التوكُّل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفِه، فالتوكل على الله من أعلى مقامات اليقين، وأشرف أحوال المقربين، وهو نظام التوحيد، وجماع الأمر، كما أنه نصف الدين، والإنابة نصفه الثاني، ومنزلته أوسع المنازل، وأجمعها، وهو مفتاح كل خير؛ لأنه أعلى مقامات التوحيد، وعبادة من أفضل العبادات.

فالتوكُّل لغةً: مصدر الفِعل (توكَّلَ)، يُقال: (وكلَ) الأمرَ إلى فلان: فوَّضه إليه واكتفى به، و(توكَّل على الله) و(اتَّكلَ عليه) في أمره: اعتمدَ عليه ووثقَ به واستسلمَ له، ومنه: (الوكيل) وهو: مَن وُكِلَ إليه الأمر[1].

واصطلاحًا: اختلفت عبارات السلف في تعريف التوكل على الله تبعًا لتفسيره تارة بأسبابه ودواعيه، وتارة بدرجاته، وتارة بلازمه، وتارة بثمرته، وغير ذلك من متعلقاته؛ وسبب هذا الاختلاف أن التوكل من أحوال القلوب وأعمالها وهي صعبة أن تُحد بحد أو تُحصَر بلفظ.

فالتوكل هو: "صدقُ اعتمادِ القلبِ على الله تعالى في استجلاب المصالح، ودفع المضارّ، من أمور الدنيا والآخرة كلِّه"[2].

والتوكل هو: الثقة بما عند اللهّ، واليأس عما في أيدي الناس[1].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (١١/ ٧٣٤)، المصباح المنير، للفيومي، (٢/ ٦٧٠)، والقاموس المحيط، (ص١٣٨١).

(٢) جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، مكتبة ومطبعة مصطفى الباب: ي الحلبي، دمشق، ط٤، ١٣٩٣هـ، (ص٤٣٦).

فالتوكل على الله من أعظم مقامات اليقين، ومن شروط الإيمان برب العالمين، فقد أمر الله به نبيه فقال ﷻ: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾[٢].

وكما أمره به كذلك في الأحوال المتغيرة من حرب وسلم في قوله ﷻ: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾[٣].

وأمر به عباده المؤمنين فقال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٤].

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "فجعل التوكل على الله شرطا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه، وكلما قوي إيمان العبد؛ كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان؛ ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفا كان دليلا على ضعف الإيمان ولا بد، والله تعالى في مواضع من كتابه يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية.

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الرأس من الجسد؛ فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن؛ فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل"[٥].

---

(١) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ، (ص٧٤).

(٢) سورة النمل الآية: ٧٩.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٦١.

(٤) سورة المائدة الآية: ٢٣.

(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام العلامة شيخ الإسلام محمد بن أبى بكر بن سعد بن جرير الزرعي ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ، (٢٣/ ١٤٧).

ومن هنا نثير تساؤلًا كيف كان التوكل سببًا في علاج المشكلات الاجتماعية؟.

فالدعوة النبوية نفسها علاوة على كونها دينا فهي منهجية تحتاج لها الحياة؛ لكي تتنامى وتيرتها على اطراد واستقامة خلَّاقة، وطروء خلل من نوع ما على هذه الدعوة يعني طروء خلل على الحياة الاجتماعية نفسها، فنجاح الدعوة سبب كاف في وقاية المجتمع من الأمراض التي ستحيق به لو قدر أن هذه الدعوة أصابها شيء، ولقد كان يكفي لنا لكي ندرك أهمية التوكل على الله في القيام بأمر الدعوة ومكانته في حمايتها والمضي بها، وكان يكفي لنعلم مدى تأثير هذا الخاصية المميزة لها، أن نتصور ما مضى ذكره من ثمرات التوكل والتي تظهر في ما يلي:

أولا: إن الله قد خاطب نبيه بشان ما يعرض له ويواجهه من مشكلات عدائية أو إيذائية بأمره بالإعراض والتوكل على الله، فقال ﷻ: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾[1].

ثم أمره بالتوكل عليه والثقة به في النصر على عدوه، ففي هذا التوكل حل لمشكلة الخوف، والذعر، وعدم الشعور بالأمان الذي يُفتقد في كثير من الأحيان عند البعض نظرًا لما يحيط بهم من أحداث.

وندب الله ﷻ عند اختلاف العباد إلى فضيلة التوكل عليه، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة النساء الآية: ٨١.

(٢) سورة الشورى الآية: ١٠.

ثانيا: إن إيمان المسلم لا يستقيم إلا بالتوكل على الله، فقد جعل الله تعالى التوكل عليه من أبرز صفات المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

أي: "يعتمدون عليه بقلوبهم؛ فلا يرجون سواه؛ وفي الآية وَصَفَ المؤمنين حقًا بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان، وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده"[2].

ثالثا: إن التوكل على الله تعالى لا يقتضي ترك الأخذ بالأسباب، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به.

وهذا المعنى يدل عليه أيضًا ما رواه الترمذي وغيره عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رجل: يا رسول اللهّ! ‹أعقلها وأتوكل، أو أُطلقها وأتوكل؟›، قال ﷺ: «**أعقلها وتوكل**»[3]،[4].

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٢.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، دار بن خزيمة، الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، (ص٧٠).

(٣) أي: اعتمد على الله، وذلك لأن عقلها لا ينافي التوكل، تحفة الأحوذي، (٦/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه الترمذي في "سننه" كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: برقم (٦٠)، من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقال: هذا حديث غريب من حديث أنس، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٤٠٨ هـ، (٢/ ٣٠٩)، برقم (٢٠٤٤)، وهو حديث حسن بشواهده، ينظر: جامع الأصول، برقم (٩٥٠٥)، (المتن والحاشية).

والمتأمل في سيرة النبي ﷺ أفضل المتوكلين، يجده مع قوة توكله، أنه كان يأخذ بالأسباب، فيلبس لأمة الحرب، فقد كان إذا خرج للجهاد يلبس درع أو درعين أحيانا، وحفر الخندق، وفي جميع معاركه كان يترصد القوم، فيبث العيون (الجواسيس) ليأتوا له بالأخبار، ويأخذ من الخيل ما استطاع، كل ذلك دليل على أنه ﷺ كان يأخذ بالأسباب؛ وأن أكثر كسبه ﷺ ونفقته كان من خمس الغنائم، وهو أشرف أنواع المكاسب، فقد قال النبي ﷺ: «**وجعل رزقي تحت ظل رمحي**»(١).

كما أخذ ﷺ بالاسباب عند هروبه من المشركين إبّان الهجرة من مكة الى المدينة فاختبأ ﷺ هو وصاحبه في الغار وهو متوكلا على الله ﷻ إذ قال له أبو بكر الصديق: يا رسول اللهّ! لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين اللهّ ثالثهما**»(٢).

---

(١) جزء من حديث عبد الله بن عمر، أوله: "بعثت بين يدي الساعة ... " رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٢/ ٥٠)، برقم (٩٢)، بسند لا بأس به، ، وأخرجه أبو داود في كتاب: اللباس باب: ٤، برقم (٤٠٣١)، وقد ذكره البخاري في "صحيحه" معلقا بصيغة التمريض، في الجهاد، باب: ما قيل في الرماح، (٣/ ١٠٦٧)، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٨٢٨)، ثم قال: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، (٧/ ٨-٩)، برقم (٣٦٥٣)، وأخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، (٤/ ١٨٥٤)، برقم (٢٣٨١)، وكلاهما من طريق ثابت عن أنس عن أبي بكر الصديق ﷺ.

قال النووي[1] -رحمه الله- معناه: ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد، وهو داخل في قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[2]، وفيه بيان عظيم على توكل النبي ﷺ حتى في هذا المقام[3].

ويتحدث ابن القيم -رحمه الله تعالى- عن توكل الرسول ﷺ وصحابته الكرام مع أخذهم بالأسباب فيقول: "وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يوم أحد، ولم يحضر الصف قط عريانًا، كما يفعله من لا علم عنده ولا معرفة، واستأجر دليلًا مشركًا على دين قومه، يدله على طريق الهجرة، وقد هدى الله به العالمين، وعصمه من الناس أجمعين، وكان يدخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين.

وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد، وجميع أصحابه وهم أولو التوكل حقًّا، واكمل المتوكلين بعده، وهم من اشتُم رائحة توكلهم من مسيرة بعيدة، أو لحق أثرًا من غبارهم .... "[4].

---

(١) النووي هو: الإمام العالم يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن حزام الحازمي محي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي، شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه ولد سنة ٦٣١هـ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ، كان لا يضيع شيئاً من أوقاته، وكان يقرأ في كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ، ثم اعتنى بالتصنيف، فجمع شيئاً كثيراً، منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، (١٣/ ٢٩٤).

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٨.

(٣) بيان المعاني، الشيخ العلامة عبد القادر ملاحويش آل غازى الفراتي الديرزوري، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٨٢هـ، (ص٨٩).

(٤) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (٢/ ١٣٤-١٣٥).

فبالأخذ بالأسباب الذي هو من صميم التوكل حلٌ لبعض المشاكل التي يسببها التواكل واللامبالاه، وذلك وفق ما يبينه لنا منهج النبي ﷺ في تلك الصور السالفة الذكر المبينه لسلوكه ﷺ تجاه الأسباب وتعامله معها.

ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرط مذموم، مخالف لما أمر الله به من الأخذ بالأسباب فقد قال الله تعالى في شأن الحذر من العدو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴿٧١﴾ ﴾[1]، وقال تعالى في شأن طلب الرزق والتجارة: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

وللتّعلق بفعل الأسباب، قال تعالى لمريم -عليها السلام-: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

رابعا: إن التوكل على الله ﷻ سبب لحل مشكلة الطيرة والتي تعد من الشرك والعياذ بالله، فقد أخبر النبي ﷺ أن الطيرة من الشرك ولكن الله ﷻ يذهبه بالتوكل، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الطيرة شرك وما منا إلا**[4]، **ولكن الله يذهبه**

---

(١) سورة النساء الآية: ٧١.

(٢) سورة الجمعة: ١٠.

(٣) سورة مريم الآية: ٢٥.

(٤) قال الشارح عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "قوله وما منا إلا"، قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري في الحديث إضمار، التقدير «وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك».

بالتوكل»[1]. فدل ذلك على أن هذا التوكل سبب لبعض المشاكل الاجتماعية التي منشأها خلل قلبي في بعض النفوس.

خامسا: إن التوكل على الله ﷻ مما يستجلب به الرزق، وفي ذلك حل لمشكلة الفقر، فقد روى عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أنكم توكَّلون على اللهّ حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِماصًا، وتعود بطانًا**»[2].

قال أبو حاتم الرازي[3]: "هذا الحديث أصلٌ في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يُستجلب بها الرزق"[4]، قال اللهّ ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ۝٣﴾[5].

---

(١) أخرجه في "الأدب المفرد"، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، (١/ ٣١٣)، برقم (٩٠٩)، وصححه الشيخ الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه" كتاب: الزهد عن رسول الله، باب: في التوكل على الله، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم (٢٣٤٤)، ورواه الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه.

(٣) هو: الإمام الحافظ محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الغطفاني، ولد سنة ١٩٥هـ، شيخ المحدثين، كان من بحور العلم،له مصنفات كثيرة منها أهمها تفسير القرآن الكريم، توفى سنة ٢٨٧هـ. ينظر: طبقات الحنابلة، (١/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء، (١٣/ ٢٤٧).

(٤) تزكية النفوس، جمع أحمد فريد، المحقق: ماجد بن أبي الليل، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، (ص ٩٨).

(٥) سورة الطلاق الآيات: ٢، ٣.

وقال أبو هريرة ﷺ: عن إحدى بنات الحارث بن عامر إنها قالت: «والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب[1]، قالت: والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده، وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا»[2].

وقال رسول ﷺ: «**إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقال له: حسبك قد هديت، وكفيت، ووقيت، فيتنحى له الشيطان، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي، وكفي، ووقي**»[3].

سادسا: إن التوكل على الله سبب للوقاية من حدوث المشكلات: «فهو من أعظم الأسباب التي يدفع العبد بها ما لا يطيق، ويرفع ما يصيبه من الأذى، والظلم والعدوان، فمن توكل على الله كفاه وأمنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه المنافع التي يحتاجها، وإذا كان الله كافيه –سبحانه– فلا مطمع لعدو فيه، ولا يصل إليه ضر إلا أذى لا بد منه كالحر، والبرد، والجوع، والعطش، لكن أن يضره بما يبلغ مراده منه فلا»[4].

---

(١) هو: خبيب بن عدي الأنصاري شهد بدرا وأسر يوم الرجيع في السرية التي خرج فيها في سبعة نفر فقتلوا وذلك في سنة ثلاث. ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، (٢ / ٤٤٠ -٤٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الجهاد والسير، باب: هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن ركع (ومن صلى) ركعتين عند القتل، (٤/ ٦٧)، برقم (٣٠٤٥).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، (٥/ ٤٩٠)، برقم (٣٤٢٦)، وقال: حسن صحيح غريب، وفي سنن أبو داود، كتاب: الأدب، (٤/ ٣٢٥)، برقم (٥٠٩٥). والنسائي في الكبرى، (٦/ ٢٦)، برقم (٩٩١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٥١٣). عن أنس بن مالك ﷺ.

(٤) مجلة البحوث العلمية، العدد الرابع والتسعون، الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة ١٤٣٢هـ، عدد (٩٤)، (ص٢٥٠).

إن من طبيعة الإنسان الضعف، فهو محتاج لجلب مايصلحه وينفعه، ومحتاج للدفع ما فيه مضرته وحل مشكلته، فإذا التجأ إلى مخلوق ضعيف مثله؛ فقد التجأ إلى ضعف وخور، أما إذا التجأ إلى خالقه ومولاه وتوكل عليه، فإنه تعالى كافيه فيما توكل عليه فيه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ ﴿٣﴾﴾[1]. أي: "كافيه الأمر الذي توكل عليه فيه"[2].

سابعا: إن التوكل على الله يعد بلا ريب قوة دفع للمؤمن في حياته لكي يتغلب على مشكلاته؛ فهو حين يؤمن أن توكله على الله يحقق له مطلبه ومبتغاه؛ فإنه لن يتردد في العمل من أجل هذا المطلب، و"ذلك أن النفس عند إرادتها عملًا مّا تحتاج إلى قوة دفع من داخلها؛ ألم تر أن المرء عندما يواجه ظرفًا أو موقفًا غير عادي تبدأ أحاسيسه، ومشاعره، ومختلف قواه، تتحفز لمواجهة هذا الموقف؛ فيكون جهده فيه أكبر من جهده في الأحوال العادية، فإذا توكل العبد على الله مخلصًا من قلبه في هذا التوكل مستشعرًا في نفسه عظمة المتوكل عليه، قويت أحاسيسه ومشاعره بل وسائر قواه للقيام بأي عمل مهما كانت مخاطره"[3].

فدل على أن في التوكل حلًا فعالًا لمشكلات الخوف من المواجهة؛ إذ به يقوى القلب على المواجهة والإقدام.

---

(١) سورة الطلاق الآية: ٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (٧/ ٤١١).

(٣) مقال بعنوان: حقيقة التوكل على الله، محمد عامر ياسين، في ٨/ ١/ ٢٠١١م http: //www. ahlalhdeeth. com/vb/showthread. php?t=122683

"وكذلك فليصنع في أمور معاشه، ويعمل كل ما يناسبه من الأسباب النافعة متوكلًا على الله، راجيًا فضله، مطمئنًا لكفايته، معتمدًا عليه غاية الاعتماد، راضيًا بما قدره ودبره له من مُسرٍّ ومحزن، والتوكل على هذا الوجه نصف الإيمان، والله تعالى قد ضمن الكفاية للمتوكلين"[1].

ثامنا: إن التوكل على الله سببب لحل المشكلات في الجانب الفردي، لما له من آثار تربوية في تنمية شخصية المسلم، سواء كانت تتعلق بـ:

الجانب الإيماني: كتحقيق الإيمان، فالتوكل والإيمان لا يفترقان، فقد جمع الله تعالى بينهما في أكثر من موضع في كتابه الكريم، قال الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

وكذلك حسن الظن به، والرضا بقضائه، وما ورد في دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب.

أو الجانب النفسي: كالطمأنينة والسكينة، والبعد عن الخوف والقلق، وقوة الإرادة والعزيمة، وتفريج الكرب والغم، ودفع العين والحسد والسحر.

أو الجانب الأخلاقي: كالصبر، والعفة والقناعة، والقوة والشجاعة، والبعد عن الكبر والعجب.

تاسعا: إن التوكل على الله سبب لحل المشكلات في الجانب الاجتماعي: "كالنمو العلمي والثقافي: فلقد كان التفكير الخرافي سائدا في مجتمع الجاهلية، ويحتل صورا وأنواعا

---

(١) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٨هـ، (ص ٣٨-٣٩)، بتصرف.

(٢) سورة التغابن الآية: ١٣.

شتى كالعيافة والطيرة والطرق[1]؛ فلقد كانت كل تلك الأنواع، عوامل تثبط عن المضيِّ في تحقيق الأهداف، وبالتالي كانت سببا في توقف مسيرة العطاء والسعي في الأرض لذلك الكائن المستخلف، وأصبحت تلك الأمور الخرافية نوعا من ثقافة تلك المجتمعات، وتحتل مكانتها في عقول معتنقيها"[2]؛ كما كانت سببا لاضمحلال التآزر والتكافل، والانتعاش الاقتصادي، وإنتاجية المجتمع، والنصر والتمكين في الأرض.

عاشرا: أن المشكلات التي لحقت بالأمة الإسلامية، وما عانته من انهزامات فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية، كان من أهم أسبابها غياب المفهوم الصحيح للتوكل على الله، فالنصر والتمكين لا سبيل لبلوغه بغير الإيمان والتوكل على الله وحده وعدم الركون إلى الأسباب، وفي غزوة حنين، ما يشير إلى هذا الأمر، فقد تعلق الصحابة ﷺ، وركنوا إلى عددهم وعدتهم، فقد كانوا اثني عشر ألفا، مقابل أربعة آلاف من جيش هوازن، فأذاقهم الله الهزيمة وشتات الأمر، وذلك في أول المعركة، ثم ثبّت الله قلب رسوله ﷺ، ومن بقي معه من الصحابة ﷺ، وأنزل عليهم جنده من الملائكة، فانتصروا وظفروا[3]، قال الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ

(١) العيافة: زجر الطير، والطيرة: مطلق التشاؤم، والطرق: الضرب بالحصى.

(٢) التوكل على الله وآثاره التربوية في تنمية شخصية المسلم، إعداد: زكي بن رزيق بن عطا الله الحازمي، (رسالة ماجستير) كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ، (ص٢١٥).

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (٢/ ٣٣٦).

أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

إن "من الملاحظ أن أهم عوامل الخذلان التي تمنى بها القوى المادية على كثرتها في الجيوش المحاربة، إنما هي تناقص القوى المعنوية القلبية، التي أثبتت التجارب التاريخية أن في مقدمتها قوة التوكل على الله، فهي أثقل القوى المعنوية على الإطلاق"[2].

"وإن هذا الخذلان الذي تمنى به الأمة المسلمة اليوم، تعود أهم أسبابه إلى انطفاء نور التوكل على الله في قلبها، فعاشت في ظلام الهزيمة والشتات، فلا هي عندها من القوة المادية، ما توازي به أعداءها، ولاهي عندها من القوة المعنوية ـ التوكل على الله ـ ما ترجو به أن ينصرها الله تعالى، ويكمل به قلتها وضعفها"[3].

ويتبين مما سبق أن التوكل على الله والاستعانة به من أعظم ما يستعان به في حل المشكلات التي تواجه المسلم، على كافة المستويات الفردية والجماعية، فهو من أعظم الحلول وأنجعها في معالجة المشكلات الاجتماعية، وأن الأخذ بالأسباب الموصلة للحلول لا يتنافى مع التوكل على الله، وهذا مذهب السلف الصالح، فإنهم يعتقدون عدم منافاة الأخذ بالأسباب للتوكل.

❁❁❁❁

(١) سورة التوبة الآيات: ٢٥،٢٦.

(٢) تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد ووجوه النصر، عبدالرحمن حسن الميداني، مجلة دعوة الحق، العدد (٦٤)، ١٤٠٧هـ، (ص ٢٠).

(٣) التوكل على الله وآثاره التربوية، إعداد: زكي بن رزيق، (ص٢٢٣).

المبحث الرابع

التوازن

يعد التوازن من أصول المنهج النبوي ومقوماته التي تتصل بالأهداف والغايات، فالدعوة تقوم على التوازن بين الروح والجسد، وبين العقل والقلب، وبين الواجبات والحقوق وبين الدنيا والآخرة، وفي مجمل الأمر يهدف المنهج النبوي إلى التوفيق وتنظيم العلاقة بين المتطلبات المادية والمتطلبات الروحية.

والتوازن في اللغة: "من (وزن) وهو (رَوْز الثقل والخفة)؛ ويقال: (أوزن) من هذا: أي أقوى وأمكن، وقيل: إنه القدر المعلوم وزنه وقدره عند الله تعالى"(١).

وفي الاصطلاح: قال ﷻ: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩﴾(٢).

أي: "معلوم، وقيل: من كل شيء يوزن ويقدر بقدر"(٣).

والتوازن: يشمل العدل، والتوسط، والقصد، الاعتدال.

وهو يعني: التوسط والاعتدال والاقتصاد في الأمور، وهو أفضل ما يتبعه المؤمن في أعماله ليؤدي ما عليه من واجبات نحو ربه، ونحو نفسه، ونحو الآخرين.

وقد أمر النبي ﷺ بالتوازن في كل شيء؛ حيث قال: «**القَصْدَ القَصْدَ، تبلغوا**»(١)؛ "أي: الزموا التوسط والتوازن في تأدية أعمالكم تحققوا ما تريدونه على الوجه الأتم"(٢).

---

(١) لسان العرب لابن منظور، (١٣/ ٤٤٦).

(٢) سورة الحجر الآية: ١٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، (٨/ ٢٤٩).

وبالجملة فهو: أن يعطى كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقصان.

والتوازن هو الانسجام والائتلاف بين أجزاء الشيء ويقابله التنافر والاختلاف ويعبر عنه بالوسطية نسبة إلى الوسط، ولا يشترط في توازن الشيء التساوي بين أجزائه وإنما يكفي الاعتدال والانسجام فيما بينهما كما يقال عن الدم في جسم الإنسان إنه متوازن مع اختلاف نسبة تركيباته كما، والتوازن من الخصائص المتعلقة بخاصية الشمول في المنهج النبوي فلا يظهر جمال الشمول إلا بالتوازن:﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾[٣]، وقال ﷻ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢ ﴾[٤]،[٥].

وقد وصف الله عباد الرحمن بالتوازن، فقال الله ﷻ:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة علىٰ العمل، (٨/ ١٢٢) برقم (٦٤٦٣).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، المكتبة العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ، (٢/ ٦٦). بتصرف.

(٣) سورة الرحمان الآيات: ٧ ، ٩.

(٤) سورة النساء الآية: ٨٢.

(٥) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ١٩٩٥م، (١٢٧).

(٦) سورة الفرقان الآية: ٦٧.

وأمر -تبارك وتعالى- بالتوازن في الإنفاق دون إسراف أو بخل، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

ففي هذه الآية حكمة بليغة حيث بيّنت أن المحمود في العطاء هو التوازن الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط؛ فينبغي على المسلم أن يوازن لحل مشكلة الإنفاق، فلا يكون مسرفًا فيضيّع نفسه ومن يعول، ولا يكون بخيلًا مقترًا مقصرًا في حق أبناء أمته ومجتمعه؛ وبذلك يضمن عدم نشوء أي نوع من أنواع الانحراف الاجتماعي، الذي قد يظهر من خلال الإفراط في تلبية مطالب معينة على حساب غيرها، فإن الإفراط أو التفريط ينشأ عنه أنواع الانحراف الاجتماعي، فالتوازن بذلك عنصر وقائي يقي المجتمع مخاطر الخلل الاجتماعي.

وفي هذه الآية القرآنية الكريمة السابقة، وفي هذه المعاني الجليلة السالفة، نجد أسمى المعاني لقيمة التوازن وقدرته على التعامل مع المشكلات الاجتماعية، بل ووضع الحلول العملية المناسبة لها، فيكون التوازن سبيلًا موصلًا لحل كثير من المشاكل في ضوء ذلك المنهج الرباني قرآنًا وسنة.

المنهج النبوي والتوازن.

إن المنهج النبوي قائم في الأساس على التوازن والاعتدال والانسجام الكلي، فالقرآن الكريم الذي هو دستور هذا المنهج كتاب متوازن فيما جاء به من هداية وما عرضه

(١) سورة الإسراء: ٢٩.

من موضوعات، وما عالجه من مشكلات، يحقق انسجاما بين الروح والمادة وبين العقل والقلب وبين الحقوق والواجبات[1].

والمتأمل لهدي القرآن الكريم يلحظ عنايته الفائقة، وحرصه البالغ على هذه الخاصية، فهو لا يذكر النار عارية عن ذكر الجنة، فكل ترهيب مصحوب بترغيب، وهو لا يقرر واجبا على المكلفين من غير أن يعود عليهم ذلك بمصلحة، دل عليها النص أحيانا، من ذلك قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[3]، فكل تعاليمه مرتبطة بمصلحة فلا تكليف بواجب إلا وهو مصحوب بمصلحة.

ومن مظاهر حرص المنهج النبوي على التوازن والاعتدال أنه حين يطلب واجبا من مكلف يطلبه بكيفية معينة هي الاعتدال والتوازن، فالقرآن الكريم حين أهاب بالمسلمين للصدقة لم يطلق في أمرها حتى يكون بعضهم مسرفا، والبعض الآخر مقترا بل حدد كيفيتها، في القصد والتوازن بين التقتير والإسراف: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾[4].

---

(١) ينظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٣.

(٣) سورة المائدة الآية: ٦.

(٤) سورة الفرقان الآية: ٦٧.

وأنه حين يصف حال المسلم يصفه بأنه "يقسم آماله ورغائبه على معاشه ومعاده، ويطلب الخير لنفسه في يومه وغده، قد علمنا القرآن الكريم أن التطلع إلى النعمة والسعادة في كلتا الحياتين هو من أكبر الذكر لله، قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾[1].

وقد جاء في النصح (لقارون) ما يؤكد العمل للحياتين معا، فإن الدنيا وسيلة للآخرة، وصحة الوسيلة ضمان لنجاح المقصد، كما أن انتظام المقدمات مؤدّ إلى تحصيل النتيجة المطلوبة، ومن ثم تضمن إرشاد الله (لقارون) هذه المعاني كلها:﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[2]،[3].

إذًا، كيف كان التوازن في المنهج النبوي سببا في علاج المشكلة الاجتماعية؟.

إن المشكلة الاجتماعية هي الخلل الذي يحدث في الواقع والمجتمع، وأحد أسباب هذه المشكلة هي الإفراط في تقدير شيء على حساب شيء كما تقدم بيانه، ولما كان لابد من

---

(١) سورة البقرة الآيات: ٢٠٠ ، ٢٠٢.

(٢) سورة القصص الآية: ٧٧.

(٣) ينظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، (ص١٤٣).

علاج هذه المشكلة، فإنه لابد من إعادة كل شيء إلى نصابه، ويتمثل ذلك في إيجاد المساواة والتوازن بين الأمور المتقابلة.

ولقد قام المنهج النبوي في جانب كبير من جوانبه على أساس خاصية التوازن، وهذه الخاصية أو هذا الهدف ليس له نطاق محدد يقف عنده، بل هي تشمل جميع شئون المرء، وسائر أحواله:

١- الإنسان وفق نظرة المنهج النبوي لابد أن يوازن في مأكله، وبين حق شرابه، وحق نفَسِه، ثم حق بطنه من الأكل.

٢- في ملبسه ينبغي أن يكون مقتصدا لا يسرف في الملبس؛ ليختال به أمام أعين المحرومين فيجرحهم ذلك.

٣- وفي أمر الصدقة أهابت الدعوة بالمسلم أن يكون مقتصدا بين الإسراف والتقتير كما سبق بيانه.

٤- وفي أمر العبادة أيضا يقف المنهج النبوي على مسافة متوسطة بين مطالب الروح ومطالب الجسد.

فالمنهج النبوي ينظم حياة الإنسان على وفق قاعدة التوازن، التي تجعل منه إنسانا سويا بعيدا عن الخطأ والانحراف، وبذلك يخلق المنهج النبوي مجتمعا سليما من الآفات الاجتماعية بقدر الإمكان؛ إذ به تُعالج تلك المشكلات الناتجة عن كثير من الصراعات، سواء كانت هذه الصراعات على مستوى حاجة الإنسان الفطرية من مأكل ومشرب ومسكن، أو على مستوى حاجته الاقتصادية في إنفاقه بين الإسراف والتقتير، أو على مستوى حاجته المادية والروحية، فلا يشبع الجسد على حساب الروح، ولا تشبع الروح على حساب الجسد.

علاج التوازن للمشكلات في الدين والدنيا:

أولا: قدمنا أن المنهج النبوي يراعي في أمر العباد التوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فلا يبالغ المرء في طلب العبادة ليقع الإنسان في أسر الرهبانية، ولا يوغل

في تقديس مطالب الجسد فيتردى في حفر المادية، وكان النبي ﷺ حريصا كل الحرص على إقامة أصحابه في هذه المنطقة فلا يتجاوزوها إلى الإفراط أو التفريط.

وأمر بالتوازن في كل شيء، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا**»(١).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «**كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدا**»(٢)؛ وقد قال ﷺ: «**القصد القصد تبلغوا**»(٣).

أي: عليكم بالوسط المتوازن من الأمور في القول والفعل، تبلغوا مقصدكم وبغيتكم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبِروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلِّي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، (١/ ٥٤٢)، برقم (٧٨٥).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، (٢/ ٥٩١) برقم (٨٦٦).

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، (٨/ ٩٨)، برقم (٦٤٦٣)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله، (٥/ ٢٣٧٣)، برقم (٢٨١٦).

إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[1].

فالنبي ﷺ قد أدرك أن بعض أصحابه سيقع في مشكلة عن طريق الإخلال بحقوق الجسد، فسارع إلى رده وعمل على تذكيره بأن ما يصنعه ليس هو الطريق لحياة اجتماعية سليمة بقوله: (فمن رغب عن سنتي فليس مني)، فإن تعذيب البدن وإرهاقه بالعبادات وتحميله ما لا يطيق ليس وسيلة لبلوغ الكمال المنشود، إذ ليس من لوازم هذا الكمال أو مقتضياته فعل ذلك، ولا من مقاصد الإسلام تعذيب الجسد لا قصد الغايات ولا قصد الوسائل، ومن ظن ذلك فهو واهم، فإن مثالية الإسلام يمكن بلوغها بنهج معتدل وسير مريح، وإن الخروج عن هذا النهج يضعف الجسد ويقعد به عن أداء الفرائض فضلا عن النوافل[2].

ومن خرج عن هذا النهج فقد وقع في مشكلة خطيرة، وعلاجها كما فعل النبي ﷺ، في رفع الخلل بإيجاد التوازن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد.

ثانيا: قد حرص هذا المنهج من جهة أخرى على محاربة المادية الطاغية البحتة، لأنها نأت عن القيم الرفيعة والآداب العالية والمثل الحية وأصبح الماديون في ظلها يمثلون نشاطا جامدا خاليا من الروح والمعنى، بعيدا عن المبادئ السامية وأصبحوا يمثلون حربا على

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، (٧/ ٢)، برقم (٥٠٦٣).

(٢) ينظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص٦٩).

المعاني الإنسانية وعلى الفضائل الكريمة[1]، مما تسبب في حدوث انحراف في جانب المعاني الدينية والقيم الإنسانية.

ولذلك يأتي المنهج النبوي ليؤكد على ارتباط الجانبين ببعضهما ارتباط لا انفصام له، فإذا كان في الشق الأول يحرص على رفع الخلل الناشئ عن تغليب جانب الدين فهو في هذا الجانب يحرص على رفع الخلل الناشئ عن تغليب جانب الدنيا، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، قال: «**رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**»[2].

فهذا الحديث يتناول جانبا من جوانب الدنيا وهو التجارة، فيحث التاجر على أن يكون سمحا متساهلا، لا يغفل أمر الآخرة ولا ينسى في غمرة انشغاله بالدنيا أن الآخرة خير وأبقى، فالتوازن ضروري بين الدنيا والآخرة، وهذا المبدأ قد صاغته الآية الكريمة في قول الله عز وجل: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[3].

فهذه الآية أساس قوي من أسس قاعدة التوازن التي تجعل البون قريبا بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة، فالمنهج النبوي يقرن بين مطالب الجسم والنفس ليرفع الخلل عن المجتمع، ويمنع وقوع مشكلة اجتماعية، بكف طغيان أحدهما عن الآخر، وهذا التوازن يجعل من المرء عنصرا معتدلا، متوازن الجوانب، مهيأ للانخراط في المجتمع.

---

(١) ينظر: الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، أحمد عمر هاشم، ، مكتبة غريب، الفجالة، القاهرة (١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري، في "صحيحه" كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، (٣/ ٥٧)، برقم (٢٠٧٦).

(٣) سورة القصص الآية: ٧٧.

ولما كان الإنسان نفسه هو وحدة بناء المجتمع، يسهم اعتدال مزاجه في اعتدال مزاج المجتمع ككل، كان التوازن سببا قويا في وأد الانحرافات والمشكلات والأخطاء الاجتماعية، وسببا قويا في اعتدال المزاج المجتمعي ووقايته من المشكلات، سواء منها المشكلات التي تنشأ عن تخلف الحياة الاجتماعية التي تنشأ عن إهمال مطالب الجسد، أو منها المشكلات التي تنشأ عن سيطرة القيم النفعية على روح التسامح والأخلاق الحميدة، بسبب تغليب مطالب الدنيا على مطالب الآخرة.

وعليه، فالتوزان مطلب ضروري دل عليه المنهج النبوي لأجل الخروج بالمجتمع من مشاكله وانحرافاته وصراعاته، وهو الذي يعمل بدوره على الالتقاء بين المتناقضات بصورة فعالة، يمكن من خلالها وضع الأمور في نصابها الصحيح، دون انحرافات أو التواءات أو تغليب جانب من الجوانب على غيره.

أما إذا حل الخلل الاجتماعي محل التوازن الاجتماعي في العلاقة بين الطبقات كان الدفع – الذي يزيل الخلل ويعيد التوازن بين الفرقاء، مع الاحتفاظ بسنة التعدد – هو السبيل الإسلامي للحراك الاجتماعي وليس الصراع الذي يعني صرع ونفي الآخر والانفراد بالوجود والثمرات، فالصراع الاجتماعي والطبقي كما عرفته مذاهب الحضارة الغربية قد استهدف مساواة ينفرد فيها طرف البورجوازية في اللبرالية، والبروليتاريا في الشمولية الماركسية بالوجود والثمرات بعد نفي النقيض، أما الدفع في المفهوم الإسلامي وهو حراك اجتماعي يغير مواقع الفرقاء المختلفين ويعيد العلاقة بينهم إلى مستوى (التوازن، الوسط، العدل) عندما ينفي الخلل

الظلم ودون أن ينفي الآخر أو يصرعه، فالصراع يعني نفي الآخر، وقد قال الله ﷻ: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾[1].

أما الدفع فإنه تغيير للمواقع دون نفي التعددية والتمايز، فقال ﷻ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾[2]،[3].

إن التوازن بمعناه التام هو الذي يعني المواءمة والانسجام بين سائر شئون الحياة بعضها البعض، بين الدنيا والآخرة، وبين البشر بعضهم ببعض من خلال المساواة المبنية على العدل، كما أنه مقوم هام من مقومات المنهج النبوي، وهو أسلوب تنظيمي وقائي يقي من الخلل الاجتماعي قبل وقوعه، ويدفعه بعد وقوعه، وبه اكتسب المنهج النبوي مرونة كافية لعلاج أكبر قدر من مشكلات المجتمع.

❁❁❁❁

(١) سورة الحاقة الآية: ٧.

(٢) سورة فصلت الآية: ٣٤.

(٣) ينظر: الإسلام وضرورة التغيير، محمد عمارة، (ص١١٣).

المبحث الخامس

العدل

يعد العدل من آكد مقومات الحياة الفردية والاجتماعية، التي جاء بها الإسلام، وأي حياة يصادر فيها العدل، ويتنكب فيها للحق، فهي مرتع للمشكلات الاجتماعية، لا سيما تلك المشكلات التي يؤديها الظلم والجور بين العباد، وفي هذا المبحث سوف يتناول الباحث العدل كخلق نبوي، ودور هذا الخلق في القضاء على المشكلات الاجتماعية.

فالعدل في اللغةً هو: خلاف الجور، وهو "القصد في الأمور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو مصدر الفِعْل (عَدَلَ) يَعْدِلُ فهو عادل"(١).

وأما العدل في الاصطلاح فهو: "أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه"(٢).

ويمكن تعريفه أيضًا بأنه: "إعطاء كل ذي حق حقه من غير إفراط أو تفريط"(٣).

وقيل هو: "عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا"(٤).

وقيل هو: "استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف ولا تقصير، ولا تقديم ولا تأخير"(٥).

---

(١) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، (٦/ ٣٨).

(٢) الأخلاق والسير، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، (ص٨١).

(٣) التعريفات للجرجاني، (ص ١٩١).

(٤) نفس المرجع، (ص١٤٧).

(٥) تهذيب الأخلاق، أبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ؛ قرأه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن أحمد، ط١، ١٩٨٩م، (ص٢٨).

ولقد قامت شريعة الإسلام على العدل ومحاربة الظلم، باعتباره من أهم الغايات التي جاءت بها شرائع السماوات، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾﴾[1].

فدلت الآية الكريمة على أن إقامة العدل من أشرف الغايات وأعظمها منزلة والتي من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب.

كما أمر الله به في كتابه المبين، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[2]؛ وأمر الله تعالى رسوله أن يبين للناس كون العدل مطلبًا شرعيًا مأمورًا به، فقال ﷻ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[3]؛ أي: "بالعدل في العبادات والمعاملات، لا بالظلم والجور"[4].

يقول ابن القيِّم -رحمه الله-: "فإنَّ الله أرسل رُسله وأنزل كُتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فإذا ظهَرت أمَارات الحق، وقامَت أدلة العقل، وأسفَر صُبحه بأيِّ طريق كان، فثمَّ شرعُ الله ودينه، ورضاه وأمره، والله تعالى لم يَحصُر طُرق العدل وأدلَّته وأَماراته في نوعٍ واحد، وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدلُّ وأظهر، بل بيَّن بما شرَعه من الطرق أنَّ مقصوده إقامة الحق والعدل،

(١) سورة الحديد الآية: ٢٥.

(٢) سورة النحل الآية: ٩٠.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٢٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (ص٢٨٦).

وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استُخرِج بها الحق ومعرفة العدل، وجَب الحكْم بموجبها ومقتضاها"[1].

فإقامة العدل يجنب المجتمع الوقوع في المشكلات؛ إذ به يرد الحق إلى الضعيف، وينتصف للمظلوم من ظالمه، وبه تصان الدماء والأنفس والأعراض والحرمات، وتحفظ الحقوق والحريات، والأموال والممتلكات، وبه تطبق القوانين والتشريعات على الجميع دون أية قيود أو استثناءات، سواء كانوا حكامًا أو محكومين، أفرادًا أو جماعات، ولما كان العدل بهذه المنزلة، كان هو الخلق الأجدر لحفظ كيان المجتمع، والوقوف على حقوق الخلق، فهو صمام أمان للوقاية من وقوع المشكلات الناجمة عن ضياع بعض هذه الحقوق من أصحابها المستحقين لها.

أهمية تحقيق العدل

لقد عُنِيَ الإسلام بإقامة العدل عناية عظيمة، لأنه أساس الملك وقوامه، وعدته ونظامه؛ فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ٨﴾[3]؛ والسر وراء ذلك أن العدل الشامل يدعو إلى الطاعة ويبعث على الألفة، ويستوجب المودة وتعمر به البلاد وتنمو به الأموال، وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه لا يقف عند حد، ولا ينتهي إلى غاية، وفي مقابل كل جزء منه قسط من الفساد، حتى يعم هذا الفساد بعموم هذا الجور، وقد نبَّه المصطفى ﷺ على هذا المعنى بقوله: «ثلاث منجيات وثلاث

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، (٤/ ٣٧٣).

(٢) سورة النحل الآية: ٩٠.

(٣) سورة المائدة الآية: ٨.

مهلكات، فأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا، وخشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، وأما المهلكات فشح مطاع، وهوى متَّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[1].

فالعدل هو المعيار الذى يُدرَكُ من خلاله مدى ثبات المجتمع واستقراره، فالمجتمع الذى يتفشى فيه الظلم وتضيع فيه الحقوق وتغيب بين أفراده الواجبات، فهو مجتمع جاهلي فوضوي، حيث يتسم أفراده بهيجان النفس، واضطراب القلب، وشرود الفكر، وذهاب العقل، من جراء الخوف والظلم وعدم الشعور بالاستقرار والأمن، فيسود بينهم النزاع والشقاق، وتتفشى فيهم الجريمة، وكل ذلك من أمارات خراب المجتمعات وانهيارها، فما قامت الصراعات والثورات، وتغيرت الحكومات والأنظمة السياسية والاجتماعية إلا نفورا من الظلم وبحثًا عن العدل[2].

أما المجتمع الذي يسود فيه العدل وتعرف فيه الحقوق وتؤدى فيه الواجبات فهو مجتمع يتسم بالثبات والاستقرار، حيث تسكن فيه النفوس، وتطمئن فيه القلوب فتهدأ فيه الضمائر، وتهتدي فيه العقول، لشعورهم بالأمان والاستقرار، مما يؤدى إلى رخاء وازدهار ذلك المجتمع، لأنه لا ثبات، ولا تقدم، إلا بالأمن والاستقرار، ولا أمن ولا استقرار إلا بالعدل[3].

---

(١) محمد المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، (ص٣٢٢)، والحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم (٧٤٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٣٠٤٥).

(٢) ينظر: الحياة الاجتماعية في الإسلام، محمد سلامة الغنيمي، بدون بيانات، (ص١).

(٣) المرجع السابق، (ص٢).

وهنا ننقل كلمة مهمة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إذ يقول: "إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة؛ ولهذا يروى: الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"(١).

وقال أيضا: "إن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة"(٢).

ولذلك عُنِي المنهج النبوي بترسيخ مبدأ العدل، وجعله حقًا للجميع مع الطبقات والفئات والأشخاص، فلا فرق بين الغنى والفقير والصغير والكبير والصالح والطالح والضعيف والقوى والكافر والمسلم والحاكم والمحكوم والحقير والعظيم والعدو والصديق؛ فالكل في ميزان العدل سواء.

إذًا، كيف كان العدل سببًا في علاج المشكلات الاجتماعية؟.

تقدم فيما سبق، أن شيوع العدل يؤدي إلى ثبات المجتمع واستقراره، وأن غياب العدل يتسبب في تراكم الظلم، وسيطرة مشاعر السخط والكراهية لدى الفئات المهضومة، حيث تفقد الثقة في عدالة القانون، ويلجأ كل أحد إلى الوصول لحقه بدون تفكير في طبيعة الوسيلة التي يستخدمها في ذلك، وهو الأمر الذي يستتبع كمًّا هائلًا من التشوهات الاجتماعية، وهي مشكلات لا تقف عند حد، حتى تنتهي إلى خراب المجتمع بأسره.

ولقد ضمَّن المنهج النبوي علاج المشكلة الاجتماعية من خلال العدل من خلال وسيلتين:

---

(١) الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، ط١، (ص٧).

(٢) الفتاوى، ابن تيمية، (٢٨/ ١٤٦).

الوسيلة الأولى: تشريعه للعدل على المستوى الوقائي:

فقد أولى المنهج النبوي مبدأ العدل في تشريعاته عناية لا نظير لها في أية شريعة سابقة، ولم يبلغ مثلها مكان العدل في أي نظام قانوني قديم أو حديث، وليس أدل على ذلك من آيات القرآن الكثيرة التي تحض على العدل وتأمر به أمرا مجملًا شاملًا للشؤون كلها، في عديد من الآيات، وأمرًا مفصلًا خاصًا ببعض الأمور التي يُتوقع فيها الحيف والظلم، في بعض الآيات الأخرى، فمن آيات القرآن التي جاء فيها الأمر بالعدل على وجه العموم والإطلاق قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴿٩٠﴾﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴿٥٨﴾﴾[2]؛ وقد يبدو للوهلة الأولى أن هذه الآية الكريمة يقتصر نطاقها على التطبيق في مجال القضاء، والحكم في المنازعات وفق قواعد العدالة، غير أن هذا الفهم لا يتفق وما ذهب إليه جماهير المفسرين لكتاب الله، إذ يقررون أن المراد من الحكم في هذه الآية هو ما كان عن ولاية عامة أو خاصة[3].

وضمانا لحماية المجتمع من المشكلات الناشئة عن الظلم فقد شُرِعَ العدل في جميع الشئون الاجتماعية صغيرها وكبيرها:

فأول مستويات العدل هي عدل الإنسان في نفسه وذلك بحملها على المصالح وكفها عن المفاسد، ثم بالوقوف في أحوالها على أعدل الأمرين من تجاوز أو تقصير، فإن

---

(١) سورة النحل الآية: ٩٠.

(٢) سورة النساء الآية: ٥٨.

(٣) ينظر: النظام السياسي للدولة الإسلامية، محمد سليم العوا، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٦ م، (ص٢٠١).

التجاوز فيها جور، والتقصير فيها ظلم، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم، ومن جار عليها فهو على غيره أبلغ جورا قال ﷻ: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[1]،[2].

ثم تتسع دائرة العدل شيئا فشيئًا لتشمل وجوب العدل داخل الأسرة، وقد خصت الدعوة الأسرة وهي نواة المجتمع بنص خاص يوجب العدل فيها، فقد أحل الله الزواج بأربع نساء، تنظيما للحياة الجنسية التي كانت مضطربة فاسدة في الجاهلية، وكبحا لفوران شهوة العرب إلى المرأة، لكنه اشترط العدل بينهن، فقال ﷻ: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴿٣﴾ ﴾[3].

ولقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في عدله بين نسائه، وقد خصهن بالأهمية في جانب العدل مراعاة لتجنب وقوع المشكلات الزوجية، فكان يعدل ويتحرى العدل بين زوجاته ثم يعذر إلى ربه وهو مشفق خائف، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل، ويقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**»[4]-يعني القلب-.

---

(١) سورة التوبة الآية: ٣٦.

(٢) ينظر: محمد المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، (ص٣٢٣).

(٣) سورة النساء الآية: ٣.

(٤) رواه أبو داود في النكاح، باب: في القسم بين النساء، (٣/ ٤٧٠)، برقم (٢١٣٤)، والترمذي في النكاح، باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر، (٣/ ٤٤٦) برقم (١١٤٠)، وسنن النسائي كتاب: النساء، باب: ميل الرجل إلى بعض نسائه، (٧/ ٦٤)، وسنن ابن ماجه، كتاب: النكاح، باب: القسمة بين النساء، (١/ ٦٣٤)، برقم (١٩٧)، وصححه الحاكم، (٢/ ١٨٧)، ووافقه الذهبي.

فإن عدم العدل بين الزوجات عند التعدد، قد ينشأ عنه بعض المشاكل والأحقاد بين أفراد الأسرة الناشئة عن الغيرة، كما أن مثل هذا قد يوجد في الأسرة التي ليس فيها تعدد، ووجود مثل هذا لا يمنع التعدد ولا يعطله، فالله -سبحانه- شرع التعدد مع علمه -تعالى- بالنفوس والطبائع، وهذا دال على أن مقاصد التعدد تسمو بكثير عما قد يقع من الكيد والتباغض أثراً لهذه الغيرة الطبيعية.

وبناءً عليه فإن مراعاة المنهج النبوي في إقامة العدل داخل محيط الأسرة، هو صمام الأمان لهذا الكيان الأسري، ومن ثم يمكن لهذا الخُلُق الرفيع الراقي أن يشكِّلَ وقاية من الوقوع في المشكلات الاجتماعية لا سيما الأسرية منها، وإذا ما وقعت هذه المشكلات في المحيط الأسري نتيجة للجور والظلم، يكون هذا العدل حلًا لها، وعلاجًا نافعًا ناجعًا لهذه الأمراض الاجتماعية التي قد تمرض بها الأسرة المسلمة.

وبالخروج عن دائرة الأسرة إلى محيط المجتمع يبرز عدل الإنسان مع نظرائه وإخوانه، وذلك بترك الاستطالة، واجتناب الإدلال، وكف الأذى، فترك الاستطالة أدعى إلى الألفة، ومجانبة الإدلال أبقى للعطف والرحمة وكف الأذى مروءة ونصفة[1].

ثم يأتي عدل الحاكم في الأحكام المتعلقة بحقوق المؤمنين بعضهم على بعض، أو حقوق الله على عباده، وهنا يأمر الله تعالى الرسول ﷺ أن يحكم بالقسط، فيقول ﷻ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2]، وأمر الناس بذلك

(١) ينظر: محمد المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، (ص٣٢٣).

(٢) سورة المائدة الآية: ٤٢.

فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ٥٨﴾[1].

"وقد أنزل الله شريعة واحدة تطبق على الجميع، لا فرق بين إنسان وآخر حكما أو رعية قويا أو ضعيفا غنيا أو فقيرا، فالقانون إذا لم يكن للناس جميعا تطبق عليهم أحكامه على السواء فلا خير فيه للمجتمع ويكون ظلما، وإذا ارتفع العدل بين الناس صار الناس أصنافا وطبقات ونبت الحقد في صدورهم ونمت الكراهية في نفوسهم، فأدى ذلك إلى هلاكهم جميعا"[2]؛ قال رسول الله ﷺ: «**إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها**»[3].

ومن المعلوم أن هذا النوع من العدل من أهم الأنواع، إذا به يستقر حال المجتمع؛ فبه ينتصف للضعيف من القوي، وبه ترد الحقوق إلى أصحابها، فتهدأ النفوس، وتزول الأحقاد المتوقعة من جراء الظلم والجور، وتطمئن القلوب؛ فيصبح هذا النوع من العدل الحل الآمن لبعض المشكلات الاجتماعية التي قد تحدث كآثار لهذه الأمراض الاجتماعية الفتاكه؛ لذا فإن المتأمل في المنهج النبوي يجد أن النبي ﷺ قد عالج هذا الأمر في المجتمع

---

(١) سورة النساء الآية: ٥٨.

(٢) المجتمع الإسلامي في ظل العدالة، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٣، ١٩٧٦م، (ص١٨). المكتبة الوقفية (PDF).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: ذكر أسامة بن زيد، (٥/ ٢٩)، برقم (٣٧٣٣)، ومسلم، في كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره والنهى عن الشفاعة في الحدود، (٥/ ١١٤)، برقم، (٤٥٠٥).

المسلم، ورسخ مبدأ العدل والمساواة بين القوي والضعيف، وبين الغني والفقير، وبين الشريف والوضيع، فلكل فرد حقه، وعليه واجبه، أيّاً كان حاله أو عرقه أو لونه أو مكانته بين الخلق.

ثم يأتي عدل المحكومين مع الحكام، والمرؤوسين مع الرؤساء، وَقوامُ ذلك إخلاص الطاعة، وبذلُ النصرة، وصدقُ الولاء، فإن إخلاص الطاعة أجمع للشمل، وبذل النصرة أدفع للوهن، وصدق الولاء أنفى لسوء الظن، ومن لم تتم له هذه الأمور من المرؤوسين، تسلط عليه من كان يدافع عنه واضطر إلى اتقاء من كان يقيه[1].

الوسيلة الثانية: رفع الظلم الواقع على أفراد المجتمع علاج لمشكلاته:

لم يقف المنهج النبوي عند حد التشريع النظري في علاج المشكلات الاجتماعية، وإنما تناول التطبيق الفعلي لمبدأ العدل، تأكيدًا على الصبغة العملية التي يعمل من خلالها هذا المنهج العظيم، وسنذكر هنا مثالا يوضح لنا كيف أن تطبيق العدل يعصم المجتمع من مشكلات كثيرة لا يعالجها مثل العدل.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**»، قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»، قال: فرجع فرد عطيته[2].

---

(١) ينظر: محمد المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، (ص٣٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: الإشهاد في الهبة، (٣/ ١٥٨)، برقم (٢٥٨٧).

فالحديث يبيِّن أن بشيرًا أبا النعمان قد أَعطى ولده عطية لم يعط مثلها لسائر أبنائه، وهذه في حد ذاتها مشكلة اجتماعية كبيرة، فالتمييز بين الأبناء يبلي روابط الأخوة، وأواصر المحبة بينهم، ويزرع الشقاق والحقد بينهم، كما ينمي الغيرة بين أمهاتهم، ويشعر بعضهن بأنهن مهضومات الحق، ويترجمن هذا الشعور نفورا وشقاقا قد يصل إلى حد النشوز.

وهذا ما أدركته الفطنة النبوية فأمر النعمان بأن يعدل بين أبنائه أيّاً كان شكل هذا العدل، سلبا أو إيجابا على البعض دون البعض الآخر، ورفض ﷺ أن يشهدَ على هذا العقد باعتباره ظلمًا سوف يترتب عليه المشكلات الاجتماعية التي بيَّناها، وبالفعل قد رجع النعمان ﷺ عن عطيته رفعا للظلم، وتحقيقا للعدل، وسدًّا للباب أمام المشكلات التي يمكن أن تنجم عن هذا الظلم.

وأخيرا فإن إقامة العدل من الأسس المهمة في أزالت المشكلات الاجتماعية من جذورها، وقد وضع شيخ الإسلام ابن تيمية قانونا اجتماعيًا مهمًا، أقامه على العدل وهو: "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة"[1].

وإن: "الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام"[2].

وإن: "العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم الدنيا بالعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة"[1].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، المكتبة القيمة، القاهرة، ط٢، ١٤٠١هـ، (ص٤٢-٤٣).

(٢) الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية، مصر، د. ت، (ص ٤٦).

ولعل هذا ما جعل السلف الصالح من قبل ينحازون إلى الكافر العادل دون المسلم الجائر، وذلك بقولهم: "إن المسلم الجائر إسلامه له، وجوره علينا، في حين أن الكافر العادل كفره عليه، وعدله لنا"[٢].

وبناء على ما سبق، فإن لتطبيق مبدأ العدل وفق الهدي النبوي أثره البالغ على المجتمع المسلم في صيانته من المشكلات الاجتماعية، وحفظه، وحمايته، وكذلك فهو حل لكثير من تلك المشكلات التي وقعت بين الناس على إثر الظلم.

❁❁❁❁

(١) المرجع السابق، (ص ٤٣).

(٢) الفقيه المعذب، ابن تيمية، عبدالرحمن الشرقاوي، العدد (٤٤) من سلسلة كتاب: اليوم، الصادر عن مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨٥، (ص ١٥٥)، وكذلك: فهمي هويدي، في الشريعة العدل قبل الحد، مقالة منشورة في صحيفة الأهرام القاهرية، في عددها الصادر يوم ١٣ أبريل ١٩٩٣م.

المبحث السادس

التلطف والرفق

يعد التلطف والرفق من أهم المقومات التي لا تستقيم الحياة السوية إلا بهما، وقبل أن يبدأ الحديث عن هاذين المقومين، وبيان أهميتهما في منهج النبي ﷺ في التغلب على حل المشكلات الاجتماعية، فإنه يحسن الوقوف أولًا على تعريفهما في اللغة والاصطلاح.

فالتلطُّف لغة: من مادة (لطف)، والمادةُ تدورُ حول معنىً عامٍ واحدٍ هو الترفقُ[1]؛ واللطيف: الذي يُوصِل إليك أَرَبك في رفق.

واللطيف من الكلام ما غَمُضَ معناه وخفي[2]؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[3].

والتَّلَطُف للأمر: "الترفق له"[4].

واستلطف الشيء: "قربه منه وألصقه بجنبه، أو وجده لطيفًا"[5].

والتلطُّف في الاصطلاح هو: "إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدّة أو أكثر قبولًا"[6].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (٥٠/ ٢٠١)، مادة (لطف).

(٢) التهذيب، للأزهري، (١٣/ ٣٤٧)، مادة (لطف).

(٣) سورة الكهف الآية: ١٩.

(٤) لسان العرب، ابن فارس، مادة (لطف).

(٥) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (٢/ ٢٨٦).

(٦) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، (ص٢٤٠).

وأما الرِّفق لغة فهو: ضد العنف والشدة، يُقال: "رفق بالأمر، وله وعليه: لطف، ورفق بالرجل، وأرفقه، وترفَّق به بمعنى واحد"(١).

ويُطلق الرفق على المداراة إذا كان في ذلك دفع برفق، يُقال: (دَارَأهُ) أي لاينه واتقاه(٢)، ودفعه(٣)، ولاطفه ولاينه اتقاءً لشرِّه(٤).

وأما الرفق في اصطلاح العلماء: فهو لا يخرج عن المعنى اللغوي؛ ويدل معنى الرفق بعض آيات الذكر الحكيم؛ كما في قوله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٥).

وفي قوله ﷻ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٦).

فالرفق هو: "لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل"(٧).

والتلطف والرفق صورتان من صور كمال الفطرة، وجمال الخلق التي تحمل صاحبها على البر والتقوى.

والذي يعني الباحث من التلطف والرفق هنا، هو ما يحملانه من معاني لين الجانب بالقول وبالفعل، والأخذ بالأسهل والأيسر، وحسن الخلق، وكثرة الاحتمال، وعدم

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، (١٠/ ١١٨).

(٢) مختار الصحاح، الرازي، (ص٨٥)، مادة: درأ.

(٣) القاموس المحيط، لفيروزآبادي، (ص٥٠).

(٤) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (١/ ٢٧٦).

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

(٦) سورة طه الآيات: ٤٤، ٤٣.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١٠/ ٤٦٤).

الإسراع بالغضب والتعنيف والشدة والخشونة، لما لذلك من دور مهم في حل المشكلات الاجتماعية.

فمن غير الممكن أن تسمو المقومات الإصلاحية وحلول المشكلات الاجتماعية عندما تكون القسوة والغلظة هي الراحلة التي يجري امتطاء صهوتها لتجسيد ذلك المقصد.

فإذًا، كيف كان رفق النبي ﷺ وتلطفه سببا في علاج المشكلة؟.

تعددت المواقف التي ساهم فيها الرفق والرحمة في علاج المشكلات التي واجهها النبي ﷺ، وسنذكر أمثلة منها ونبيِّن فاعلية الرفق في علاج هذه المشكلات:

١- أثر الرفق في علاج مشكلة الدعوة:

وهنا نذكر الدعوة على أنها قيمة اجتماعية يعتبر غيابها خللًا في المجتمع، ولقد كان لطف النبي ﷺ ولينه مع قومه سببا من أسباب استجابة الناس له، وإلتفافهم حوله، وتفدِيَتَهُ بالنفس والمال والولد، وكان سببا في حرص أصحابه على طاعته والائتمار بأمره، فلو طلب من أحدهم أن يقتل نفسه لفعل مطاوعًا راضيا، وقد أخبرنا القرآن الكريم عن هذه الحقيقة فقال:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1].

فالرحمة من أخلاق الرسول ﷺ وهي خُلُق ذو جذور عميقة في النفس، ومحلها القلب ومن آثارها في السلوك الظاهر لين الجانب للناس، ونقيضها غلظ القلب وقساوته

(١) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

ومن مظاهر هذا النقيض الخشونة في معاملة الناس والسلوك الفظ، والرحمة خُلُق مؤلف محبب، ونقيضها خلق منفر مثير للكراهية، فمن آثار الرحمة التأليف، ومن آثار نقيضها التنفير، وهذا ما دل عليه التقابل في الآية بين طرفين؛ الأول: الرحمة وبعض ظواهرها، تأليف القلوب الذي هو من آثارها، ولم يصرح به اكتفاء بذكر ما يقابله؛ والثاني: غلظ القلب وبعض ظواهره، تنفير القلوب الذي هو من آثاره، ونضع هذا التقابل في الموازنة التالية:

١- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[1]، أي: فاجتمعوا عليك.

٢- ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2]؛ أي: لتفرقوا عنك وتركوك، أو لانصرفوا عنك، بسبب الغلظة والفظاظة المنافية للرفق والرحمة.

فجاءت مقابلة الرحمة بغلظ القلب؛ فدلت على أن الرحمة خلق في القلب، وجاءت مقابلة اللين في المعاملة بالفظاظة في المعاملة مع التغيير في الترتيب، وجاءت مقابلة ائتلاف القلوب عليه بسبب رحمته ولينه لهم بانفضاض الناس عن غليظ القلب فظ المعاملة، ولكن اكتفى النص هنا بذكر أحد المتقابلين لأن الآخر يدل عليه، ولما كانت الرحمة فضيلة خلقية كان غلظ القلب وقسوته رزيلة خلقية[3].

---

(١) سورة آل عمران جزء من الآية: ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران جزء من الآية: ١٥٩.

(٣) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ط٥، ١٩٩٩م، (١/ ٤٤١).

ولقد كان لهذا الخلق العظيم جاذبية وأثر على قلوب الناس من حوله في غاية القوة والوضوح جعل النفوس تهفو إليه، وتؤمن به، وتتبعه وتحبه، حتى أقرَّ بحبه وعظمته من كان يبغضه من قبل.

والسر في ذلك أن النفوس جبلت على الميل إلى العظمة وحب الكرامة، وشبت في الغالب على الأنفة والرعونة، ونشأت على التقيد بالإلف والعادة، فمن أراد صرفها عن غيها إلى رشدها، وحاول الخروج بها عن مألوفاتها وعاداتها، ولم يمزج مرارة الحق بحلاوة التلطف، ولم يسهل صعوبة التكليف بطلاوة الرفق واللين، كان إلى الانقطاع أقرب منه على الوصول، ودعوته أجدر بالرفض من القبول، وكان كمن رام أن يطهر ثوبا من الدنس فأوقد فيه نارا فأحرقته، ولذلك قال الله -تعالى- لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[1]، فإنه يفيد أن لين القول محل رجاء التذكر والاتعاظ، والمعد للنفوس للخوف والانزجار[2].

لقد كان الرفق واللين عاملا مهما من عوامل نجاح الدعوة النبوية وتجمع الأفئدة من حولها، تتشرب تعاليمها الصافية وتطرح عن نفسها أغلال الرجس والخشونة والقسوة والهمجية، وتنشأ تنشئة جديدة بعيدا عن حالها الأول، وبهذا الخلق النبيل تنحل كثير من المشكلات العارمة التي كانت تتحكم في الحياة الاجتماعية قبل بعثة النبي ﷺ، وزيادة على ذلك يستريح المجتمع من مشكلاته التي يفترض أن تواجهه لو لم توجد الدعوة النبوية التي تتضمن من الشرائع والمصالح ما يضمن وقاية المجتمع من كثير من الآفات.

---

(١) سورة طه الآية: ٤٤.

(٢) ينظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ، (ص١١٩).

فلهذا الخلق الذي دل عليه هدي النبي ﷺ مع المدعوين في رحمته بهم، ولينه معهم مما أدي إلى تأليف القلوب والتفافها حوله، فكان هذا الخلق الرفيع الراقي سببًا لوقاية المجتمع من تلك المشكلات التي قد تنجم عن الشدة والغلظة والعنف؛ لذا كان من منهجه ﷺ لين الجانب ورفقه بمن حوله، وكما أن هذا الخلق من أسباب الوقاية، كذلك هو من أهم الحلول لبعض المشكلات الموجودة بالفعل؛ إذ إن القلوب حال الرفق بها واللين معها أكثر طواعية وخضوعًا عنها حال الشدة والقسوة عليها.

٢- أثر الرفق في إزالة العداوات والحزازات النفسية.

فمن الوقائع التي تؤكد على فعالية اللين والرفق في علاج المشكلات الاجتماعية، ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أن يهوديًا كان يقال له فلان حبر كان له على رسول الله ﷺ دنانير فتقاضاها النبي ﷺ فقال له: «**يا يهودي! ما عندي ما أعطيك**» قال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني، فقال: إذًا أجلس معك، فجلس معه فصلَّى رسول الله ﷺ الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء الآخرة، والغداة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهددونه، ويتوعدونه، ففطن رسول الله ﷺ: ما الذي تصنعون به؟، فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟! فقال رسول الله ﷺ: «**منعني ربي أن أظلم معاهدا ولا غيره**»، فلما ترجل النهار قال: اليهودي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجرة بطيبة وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق،

ولا متزين بالفحش ولا قول الخناء، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله؛ وكان اليهودي كثير المال[1].

فهذه الواقعة تؤكد على عظيم أثر الرفق في علاج المشكلة الاجتماعية فمع أن اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين نجد أن رفق النبي ﷺ مع اليهودي يزيل من نفسه العداوة وليس ذلك فحسب بل إن الرفق واللين يستضيفه ناحية الحب، فالرجل اليهودي شديد العداوة للمسلمين ولرسولهم، تأخذه رحمة النبي لحبه والإيمان به، فالرفق يخاطب وجدان المرء، ويفرغ منه رواسب الحقد، فيتسع لقبول الهدى، وتبني الحق ولو بعد لجاجة وعناد شديدين.

٣- توجيه المخطئ دون عناد وزجر، له أثر في تفادي بعض المشكلات.

وذلك يظهر من قصة الأعرابي الذي بال في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فما كان منه ﷺ إلا أن قال لهم: «**دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»[2].

قال الحافظ ابن حجر تعليقا على هذا الحديث: "وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزم من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه، وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خُلُقه"[1].

---

(١) ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم، (٣/ ٧٠٠)، برقم (٦٥٤٧) ودلائل النبوة للبيهقي، (٦/ ٢٨٠)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه وهو من غرر الحديث ومحمد بن أبي السري العسقلاني ثقة).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد، (١/ ٥٤)، برقم (٢٢٠).

وهذا الحديث يوضح ما للرفق من أثر كبير في علاج مشكلة خطأ هذا الأعرابي، فإن الغلظة والشدة في تقويم مثل هذا الخطأ سيترتب عليه عدد من المفاسد، والتي منها:

- تلويثه لبقعة أكبر في المسجد، وتلويث ملابسه من جراء انتشار البول بسبب قيامه أثناء التبول.

- تضرر الأعرابي بسبب ألم قطعه إتمام عملية التبول بعدما شرع فيها.

- الصدام بينه وبين الصحابة بسبب فعلته القبيحة.

وقريب من ذلك ما جاء عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينا أنا أصلِّي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ تنظرون إليّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكنِّي سكت، فلما صلَّى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[٢]

فهو لم يزد على أن قال له بكل رفق ولين مخاطبا عقله ووجدانه في آن واحد: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»[٣]، ولما قارن الصحابي بين أسلوب النبي ﷺ وأسلوب غيره - والناس حديثو عهد

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، (١/ ٣٢٤ - ٣٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، (١/ ٣٨١)، برقم (٥٣٧).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، (١/ ٣٨١)، برقم (٥٣٧).

بجاهلية - اعترف بأن أسلوبه أسلوب معلم من طراز مختلف، فامتلأ فمه بكلمة تعتبر أهم نتيجة في هذا السياق، وهي أنه ليس هناك معلم قط قبله ولا بعده أحسن منه تعليما.

٤ - الرفق علاج الخطأ الناشئ عن عدم الرفق.

قد يكون الرفق علاجا للخطأ الذي تسبب فيه ترك الرفق نفسه، ومن ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوي يبكيان فقال: «**ارجع عليهما فأضحكهما كما أبكيتهما**»(١).

وفي الحديث إشارة واضحة إلى أن الرفق المنهجي في الدعوة النبوية علاج سليم للخطأ، لا سيما الخطأ الذي ينشأ بسبب إهمال الرفق العام، فلقد شرع الله الرفق بشكل عام، وأمر به كما تقدم بيانه، لأن الرفق علاج وقائي يترتب عليه انعدام كم هائل من المشكلات، فلما لم يفهم هذا الصحابي هذا الأمر، وترك الرفق ترتبت عليه مشكلة أخرى، هي إزعاجه لأبويه فكان لابد من الرفق لعلاج هذا الخطأ والرجوع بالأمور إلى نصابها، ولذلك لم يزد النبي ﷺ على أن قال له: «**ارجع عليهما فأضحكهما كما أبكيتهما**».

❁❁❁❁

(١) رواه أبو داود في "سننه"، كتاب: الجهاد، باب: في الرجل يغزو وأبواه كارهان، (٢/ ٣٢٤) برقم (٢٥٣٠)، وصححه الألباني كما في الحاشية.

المبحث السابع

سلامة القصد

سلامة القصد والإخلاص لله روح الدين ولب العبادة وأساس أي داعٍ إلى الله، وفي أعمال الحياة المعتادة قد يكون الإخلاص شرطًا لإتقانها وتجويدها وضمان ثمراتها، ولكن في ميدان الدين لا يرتفع عمل أبدًا ما لم تصحبه نية صالحة، وما لم يقترن بإرادة وجه الله وحده، والإخلاص فريضة على كل عابد وهو في محرابه الخاص يتعامل مع ربه فحسب، فإذا اتصل الأمر بالدعاة فهو فريضة آكد وعقدة أوثق[1].

إن سلامة القصد والإخلاص أصل أصيل وركن ركين ليس في علاج المشكلة الاجتماعية وفق منهج النبي ﷺ فحسب، بل في الدين كله، وهي أحد شرطين لقبول العمل.

فالقَصْد لغةً: استقامة الطريق، يُقال: قصدَ يقصد قَصْدًا، فهو قاصِد.

وطريق قاصد أي: سهل مستقيم، والقَصْد في الشيء: خلاف الإفراط[2].

والسلامة لغةً: البراءة والعافية، وتسلَّمَ منه: تبرَّأ، يُقال: سَلِمَ المسافر يسلَم، سلامةً: خلصَ ونجا من الآفات، فهو سالم[3].

---

(١) ينظر: مع الله، محمد الغزالي، (ص١٦١).

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، (٦/ ١٨٥)، ولسان العرب لابن منظور، (٣/ ٣٥٣)، (مادة قصد).

(٣) ينظر: لسان العرب، (١٢/ ٢٨٩)، مادة: سلم، والمصباح المنير، للفيومي، (١/ ٢٨٦).

ونعني بسلامة القَصْد: استقامة طريق الداعية في دعوته إلى الله تعالى، ووقوفه بلا إفراط ولا تفريط مع الحقِّ، واستقامة غرضه وأهدافه في علاقته مع الله تعالى ومع الناس، وبراءته من كلِّ غرض ونيَّة تخالف الشرع الحنيف.

"ويطلق اصطلاح اتجاه القصد على العمل الذي له جانبان أحدهما جميل، والآخر قبيح، والمسلم لا يرى أن المعاصي تؤثر فيها النية الحسنة فتنقلب طاعة، فالذي يغتاب شخصا لتطييب خاطر شخص آخر هو عاص لله تعالى آثم لا تنفعه نيته وقصده الحسن في نظره، وكذلك الذي يبنى مسجدا بمال حرام لا يثاب عليه، بل يعاقب على هذا المال الحرام، فلا يكفى أن يكون القصد حسنا، بل لابد أن يكون الفعل والعمل صالحا موافقًا للشرع"[1].

فالله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۝٥ ﴾[2]، ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾[3]،[4].

وفي الحديث الصحيح القدسي عن أبي هريرة ،رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»[5].

---

(١) منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط٣، (ص٨٤، ٨٦).

(٢) سورة البينة الآية: ٥.

(٣) سورة الزمر الآية: ٣.

(٤) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (١/ ١٠٤).

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله، (٤/ ٢٢٨٩)، برقم (٢٩٨٥).

ولخطورة أمر الإخلاص في مجال الدعوة إلى الله عامة أخبر النبي ﷺ أن أول ثلاثة تسعر بهم النار: قارئ القرآن، والمجاهد، والمتصدق بماله، وهم الذين فعلوا ذلك ليقال: فلان قارئ، فلان شجاع، فلان متصدق، ولم تكن أعمالهم خالصة لله[1].

وقال ﷺ: «**من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله ﷻ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»، يعني ريحها[2].

ويفهم مما سبق أن سلامة القصد في علاج المشكلات الاجتماعية غاية متفرعة عن عمومها في جميع فروع الشريعة، وأنها ليست بالأمر إذا ترك عفي عنه، بل هي مطلوبة في ذاتها بحيث إذا لم تقترن بنية المتصدي لحل المشكلة الاجتماعية عوقب صاحبها بذلك، حيث يطلب بأمر الدين عرضا من الدنيا فكان من الذين يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

الأنبياء وسلامة القصد.

إن الوفاء للحق، والقيام على أمره، ومواجهة الناس به، من أول السمات التي عاش بها رسل الله أجمعين، حتى كان هو الجزء الأساسي في كيانهم كله وقد استمر الرسل في إخلاصهم لدعوة الله لا يخافون من اضطهاد، ولا يملون من معارضة الناس ولا يهتمون بنوعية المستمع إليهم، فهذا سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه طويلا بلا كلل، ولا ملل، وإذا أعرضوا عنه لا يتركهم، يشير إلى ذلك قول الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (٣/ ١٥١٣)، برقم (١٩٠٥).

(٢) رواه ابن ماجه في "سننه" (١/ ٩٢)، برقم (٢٥٢)، وفي سنن أبي داود، (٣/ ٣٢٣)، برقم (٣٦٦٤)، وصححه الألباني كما في حاشيتيهما.

يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾[1]،[2].

وعلى نهج سيدنا نوح عليه السلام كان رسل الله أجمعين يتصدون للناس في صبر وإصرار، ويعيشون كلية في النور الذي شرفهم الله به، ومن المستحيل أن يخافوا عرفا سائدا أو يتملقوا رضى العامة والجماهير، إن سيدنا يوسف عليه السلام دخل السجن لأنه تمسك بدعوته ولم ينحرف إلى ما أرادته امرأة العزيز، وبعد ما دخل السجن أخذ يدعو إلى دين الله تعالى، وفي توضيح هذا الموقف يقول لربه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3].

ويقول لأصحابه في السجن: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾[4]،[5].

إذًا، كيف كانت سلامة القصد سببا في علاج المشكلة الاجتماعية وفق المنهج النبوي؟

---

(١) سورة نوح الآيات: من ٥ - ١٠.

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، الدكتور/ أحمد غلوش، (ص١٥٠)، بتصرف قليل.

(٣) سورة يوسف الآية: ٣٣.

(٤) سورة يوسف الآية: ٣٩.

(٥) ينظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

لقد أهتمت الشريعة الإسلامية بسلامة القصد اهتماما عظيما، ويظهر هذا الاهتمام في كلام الله سبحانه في توجيه نبيه ﷺ إلى أصول هذا الأدب منذ أول مراحل الرسالة، ومع وصف الله له بأنه لعلى خلق عظيم، إذ أنزل الله عليه قوله في سورة القلم: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾[1]، أي: غير مقطوع، إذ هو أجر خالد في جنات النعيم، فأبان الله له أن عليه أن يخلص لله في تأدية الرسالة، وأن له أجرًا على ذلك لا ينقطع عند الله تعالى[2].

ثم أبان له في السورة نفسها أن المصلح من شأنه أن لا يطالب الناس بأجر هدايته للناس، وإرشاده إياهم إلى منهج سعادتهم، وحل مشكلاتهم، حتى يكون أكثر تأثيرا فيهم؛ إذ يشعرون أنه لا غرض له عندهم؛ وإلا اتهموه بالغرض فضعف تأثيره في نفوسهم، فقال الله تعالى له فيها: ﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾[3]، فجاء هذا على صيغة استنكار تكذيبهم له مع أنه ﷺ لم يسألهم أجرا، ثم أمر الله تعالى بأن يواجههم بقوله لهم: ما أسألكم عليه من أجر، حتى يقطع ظنونهم وأوهامهم التي قد تصور لهم أنه طالب دنيا، مُلك، أو مال، أو زعامة، أو غير ذلك من متاع الحياة الدنيا، فأنزل الله عليه قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾[4]، أي: ما أسألكم على هذا الأمر، الذي أدعوكم إليه وأبذل فيه كل جهدي من أجر، قل أو كثر، ثم أنزل الله عليه قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

(١) سورة القلم الآية: ٣.

(٢) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ص٤٨٤).

(٣) سورة القلم الآية: ٤٦.

(٤) سورة ص الآية: ٨٦.

﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾[1]، فأمره الله أن يؤكد للناس أنه لا يسألهم على أمره الذي يقوم به لخيرهم وسعادتهم أي أجر، إلا رضا قلبه وسعادة نفسه بهداية من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا يكون فيها من الناجين[2].

ولقد صدع النبي ﷺ بأمر ربه فخلص قصده في علاج مشكلات الناس من قصد غير مرضاة الله سبحانه، وهو الأمر الذي انعكس على علاج مشكلات مجتمعه بأسرها عن طريق الدخول في دينه كما سيأتي.

سلامة القصد كانت سببا في علاج التنظيمات الاجتماعية الفاسدة.

إن السلوك الأخلاقي الأمثل هو ما كانت الغاية منه اكتساب مرضاة الله تعالى، أما السلوك الأخلاقي الذي يقصد منه تحصيل الأجر من الناس فهو تجارة مادية عاجلة، وهو لا يعبر عن خُلق أصيل ثابت في النفس، وإنما يعبر عن تحرك نفسي- وسلوكي في اتجاه المصلحة العاجلة للنفس، فحيثما وجدت هذه المصلحة – سواء أكانت خيرا أو شرا – تحركت النفس وتحرك السلوك، وعندئذ يختلط الخير بالشر- وتختلط فضائل الأخلاق برذائلها، أما ربط السلوك الأخلاقي بابتغاء مرضاة الله فهو الذي يجعله من المكارم دائما[3]؛ وحين يدرك صاحب الخطأ أو صاحب المشكة أن الذي يتولى تقويمه لا يريد شيئا من وراء عمله هذا سوى معالجة خطئه وإصلاح حاله، انصاع لرأيه وأذعن لمشورته، وبذلك ترتفع المشكلة الاجتماعية ويعالج الخطأ، فعلى هذا الأساس يصبح سلامة القصد عنصرًا فعالًا

(١) سورة الفرقان الآيات: ٥٦، ٥٧.

(٢) ينظر: الأخلاق الإسلامية، لحنبكة، (ص٤٨٤).

(٣) ينظر: نفس المرجع.

لعلاج المشكلات الاجتماعية، ويصبح جانبًا مشرقًا إيجابيًا في التعامل مع أصحاب المشكلة وأفرادها.

وهذا نفسه الذي حدث مع النبي ﷺ في دعوة قومه، على اعتبار أن هذه الدعوة تتضمن علاجا لسائر المشكلات الاجتماعية التي كانت متفشية في الجزيرة العربية قبل مبعث النبي ﷺ، فقد كانت الجزيرة العربية تعج بالظلم والفجور وأكل الربا أضعافا مضاعفة، وكانت تسيطر عليها علاقات اجتماعية غير سليمة في الزواج والطلاق، وكان الرجل يتحكم في زوجته كما المتاع، وكان رب الأمة يدعوها إلى البغاء متى أحب، لا يردعه عرف ولا تردعه شريعة، وكانت العصبية والغلبة هي القانون السائد فكان القوي ينجو من القانون، وكان الضعيف يقع تحت طائلته.

ولم يكن في مقدور فلسفة ما، ولا دعوة، ولا أدب، أن تعالج هذه الأخطاء التي تراكمت وغلب عليها طابع العموم، ولم يكن ذلك في مقدور منهج غير دين سماوي يخاطب الوجدان والعقل، وينطلق من هذا لمخاطبة الغرائز والجوارح لينظم كل شيء من جديد، ويضع حدودا جديدة ويقرر نظامًا اجتماعيًا شاملًا لكل شيء، فتنحل بذلك الانحرافات الاجتماعية التي كانت سائدة لهذا الحين.

وهذا الدين يحتاج إلى داع يعرِف الناس منه سلامة القصد، حتى لا يقع في أنفسهم أنه يطلب الملك بهذه الدعوة، ولقد كان هذا الداعي هو النبي ﷺ، الذي تعرضت له قبائل قريش تغريه بالرجوع عن فكرة الدعوة إلى الله وتقول له: «إن كنت تريد بهذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، ...»؛ ولكن الرسول ﷺ لم يكترث بكل هذا الاغراء، فقال رسول الله ﷺ: «**ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا**

مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»، أو كما قال رسول الله ﷺ[1].

واستمر في دعوته بإخلاص تام لا يعدل برضوان ربه شيئا من الدنيا ولو عظم، وها هم أولاء يهددونه بالإيذاء والإهانة فيصبر ويستمر في طريقه إلى الله تعالى حتى يتم له النصر، ويدخل الناس في دين الله أفواجا، ودخول الناس في هذا الدين يعني قبولهم لشريعته التي أعادت تنظيم كل الترتيبات الاجتماعية، وأزالت الأخطاء والمشكلات، وأنماط الانحراف الاجتماعي التي كانت سائدة.

ويتبين مما سبق أن من مقومات حل المشكلات الاجتماعية أن يصحح الداعية نيته، وأن يتخلص من حظوظ النفس، وأن يستحضر أن ربه مطلع على سريرته.

❁❁❁❁

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري، (١٧/ ٥٥٥).

المبحث الثامن

التمحيص والتمييز

يتناول هذا المبحث الأهمية والمكانة اللتين يحظى بهما التمحيص والتمييز في حياة الناس وذلك قبل إصدار الأحكام عليهم، ومعالجة ما يتعرض لهم من مشكلات فردية كانت أو جماعية، فعندما يبني الإنسان تصوراته، ويصدر أحكامه على أساس من العلم وليس الظن أو التخريص، فإن ذلك يحميه من الوقوع في ظلم الناس، واتهامهم في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

وقبل الخوض في هذين الأمرين سوف يتعرض الباحث لمفهوم كل من التمحيص والتمييز في كل من اللغة والاصطلاح، وذلك على النحو التالي:

التمحيص في اللغةً: "مصدر من الفِعل (محَّص) الشيء محصه: نقَّاه، يُقال (محَّص الذهب بالنار) و(محص العقب من اللحم): نقاه ليفتله وترًا، و(محَّص) الله التائب من الذنوب: طهَّره"[1].

والتَّمْحِيص: "الابتلاء والاختبار"[2].

والتمييز: مصدر الفعل (ميَّز) الشيء: عزلَه وفرزَه.

والتمييز بين الأشياء: فصل بعضها عن بعض.

ومنه قولهم: تمييز الصواب عن الخطأ، والحق عن الباطل، والخير عن الشر، وفي التنزيل العزيز، قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[1].

---

(١) المعجم الوسيط، (٢/ ٨٥٥).

(٢) مختار الصحاح، الرازي، (١/ ٦٤٢).

والتمييز عند قدماء الفلاسفة هو: التفريق بين الشيئين بحسب الفصل الذي يُقال على أحدهما، و هم يسمون كل معنى تميز به شيء عن شيء شخصيًّا كان أو كليًّا: فصلًا[٢].

وفي الاصطلاح: ترك العجلة في الحكم وطلب التثبُّت والتيقن من الأمر.

والعجلة: فعل الشيء قبل وقته اللائق به[٣].

وقيل: طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن حتى قيل: "العجلة من الشيطان"[٤].

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[٥].

ففي هذه الآية الكريمة "أمر من الله ﷻ للمؤمنين بالتثبت من خبر الفاسق، والاحتياط لئلا يكون كاذبا أو مخطئا فيحكم بقوله، ونهي عن إتباع سبيل المفسدين؛ ومن هنا امتنع كثير من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسْقَه، وقبلها آخرون لأن فسْقَه غير محقق"[٦].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٧٩.

(٢) المعجم الفلسفي، الدكتور/ جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، (١/ ٣٠٧)

(٣) التوقيف، للمناوي، (ص٢٣٧).

(٤) المفرادات، للراغب، (ص٣٢٣).

(٥) سورة الحجرات الآية: ٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي، القاهرة، مكتبة الصفاء، ط١، ٢٠٠٢م، (٦/ ٢٤٧).

"وإنما كانت العجلة من الشيطان لأنه عندها يروج شره على الإنسان من حيث لا يشعر بخلاف من تمهَّل، وتروَّى عند الإقدام على عمل يريده فإنه تحصل له بصيرة به، ومتى لم تحصل تلك البصيرة فلا ينبغي الاستعجال"[1].

والمقصود بالتمحيص والتمييز في هذا المبحث هو: تمحيص وتمييز ما يروى عن الأفراد أو الجماعات من أخبار سيئة، أو غير محمودة.

فلقد اتصف منهج النبي ﷺ بالهدوء والتأنِّي، والتمييز والتمحيص قبل إصدار الأحكام والأفعال، فأدرك ﷺ بذلك ما لا يدركه غيره في طيْشه وعجلته وتسرُّعه؛ والمتأمِّل لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، يجد أن العجلةَ مذمومة، وأنه لا خير فيها، في غير ما أُمرت به من الأوامر الشرعية، فالعجلة في الأمور والتصرفات تعود على الشخص بالندامة شاء أم أبى.

إذًا، كيف كان التمييز والتمحيص عاملا فعَّالًا في علاج المشكلات الاجتماعية؟

انطلاقا من حرص المنهج النبوي على استيعاب جميع المشكلات الاجتماعية في المقامات المختلفة، ولأن الحالات الاجتماعية تختلف باختلاف الظروف المكانية، والنفسية، والبيئية، استعملَ المنهج النبوي التمحيص والتمييز كأسلوب في علاج المشكلات الاجتماعية، وقد تمثلت مساهمة هذا الأسلوب في أنه يساعد على التعرف على الظروف المختلفة التي لها دخل في صناعة المشكلة، والتي يساعد التعرف عليها على اختيار العلاج المناسب لهذه المشكلة، فالمشكلات الاجتماعية شأنها شأن الأمراض المختلفة يجب أن يختص كل مرض بعلاج مناسب، وفقا للظروف المحيطة بالمشكلة، وقد اعتمد هذا الأسلوب النبوي في عمله عدة آليات منها:

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي، تحقيق وإعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (ص١٠٧).

أولا: تمحيص الحالة الاجتماعية.

واجهت مشكلة الإحساس بالعجز بالقياس إلى إمكانات الغير لبعض الصحابة ﷺ فذهبوا يلتمسون الجواب عن هذا التساؤل عند النبي ﷺ.

روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ، قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم، قال: «**كيف ذاك؟**»، قالوا: صلَّوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال، قال: «**أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله؟ تسبحون في دبر كل صلاة عشرا، وتحمدون عشرا، وتكبرون عشرا**»[1].

ونلاحظ في هذا الجواب حرص المنهج النبوي على تمحيص الفروق الاجتماعية بين الأشخاص، مع مراعاتها في إسقاط الحكم المناسب، ولأن لكل شخص ظروفه الخاصة التي قد تقف حاجزا أمامه عن السير في الطريق أو قد تعين آخرين على ذلك، فوجب مراعاة هذه الفروق الاجتماعية عند تقدير الفائدة الاجتماعية للناس، فليست العبرة بما يقوم به المرء من أعمال، بل يجب التمحيص والنظر إلى ما يحيط به من عوامل مساعدة أو عوائق، ومدى ما يبذله كل عامل في ذلك العمل[2]، بالقياس إلى هذه الظروف ففي الحديث السابق يبين النبي ﷺ لأصحابه أنه لا تلازم بين صلاح الإنسان وبذله وإنفاقه، بل

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الدعوات، باب: الدعاء بعد الصلاة، (٨/ ٧٢)، برقم (٦٣٢٩)، ومسلم، في "صحيحه" كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (١/ ٤١٦)، برقم (٥٩٥).

(٢) ينظر: الدعوة الفردية أهميتها، حالاتها، وعوامل نجاحها، الدكتور/ صالح بن يحيى صواب، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٦م، (ص٥٦).

قد يكون الإنسان صالحا لمجرد ذكره ربه؛ لأن ذكره ربه يرقق قلبه، ورقة قلبه تظهر على سلوكه، وإذا صلُح سلوك المرء قلت أخطاؤه وبهذا تقل مشكلات المجتمع، وهذا هو أهم مطلوب.

ولذلك جاء الحديث عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**سبق درهم مائة ألف درهم**»، قالوا: وكيف؟ قال: «**كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله، فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها**»[1].

إن المنهج النبوي عادل كل العدل، لا يمكن أن يرى الناس تختلف قدراتهم المادية والاجتماعية ويقف مكتوفا، من غير أن يبيِّن أن لكل من الغني والفقير حظا من الصلاح وإسهامًا في المجتمع، فلكل فرد في المجتمع قيمة وفائدة حسب قدراته وإمكاناته، لا حسب إمكانات غيره ممن قد يكون حاله أفضل منه، وقد قرر ذلك بما لا يدع مجالا للاستفهام.

ثانيا: تمحيص القدرات العقلية والنفسية.

إن المنهج النبوي يمحصُّ الظروف النفسية والعقلية المحيطة بالشخص، ليراعيها فيما بعد في طريقة مخاطبة المخطئ، وأسلوب إقناعه بالرجوع عن الخطأ، فمثلا تكون الأدلة

---

(١) رواه النسائي في "سننه" (٥/ ٥٩)، برقم (٢٥٢٧)، وحسنه الألباني كما في الحاشية. وفي مسند الإمام أحمد : أن رسول الله ﷺ قال: «سبق درهم درهمين»، قالوا وكيف ذلك يا رسول الله، قال: «كان لرجل درهمان فتصدق بأحدهما فانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها»، (١٤/ ٤٩٧)، برقم (٨٩٢٩). من حديث أبي هريرة ﷺ .

بالمحسوسات أحيانا، وبالمعنويات أحيانا أخرى، وبهما معا أحيانا أخرى، وذلك يحقق لها الوصول إلى أفهام الناس أجمعين[1].

وهذا نفسه ما لفت الله -سبحانه وتعالى- نظر النبي ﷺ إليه في قوله تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2]، فإن هذه الآية إشارة إلى أن المدعوين على ثلاثة أحوال، مُنيب متذكر وهذا شديد الحاجة إلى معرفة الأوامر والنواهي، ومعرِض غافل وهذا شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب، ومعارض متكبر وهذا شديد الحاجة إلى المجادلة، فجاءت هذه الآية الكريمة وافية بحق جميع الأصناف[3].

وكذلك الحال في المناهج فقد يصلح لحالة من الأحوال أو لمعالجة موقف من المواقف منهج لا يصلح غيره، فلابد من اختيار المنهج العاطفي للموقف العاطفي والمنهج العقلي للموقف الجدلي، والمنهج الحسي للموقف التجريبي، وقد لا يكفي منهج بعينه، ولأجل هذا استخدم النبي ﷺ كلا من المنهج العاطفي والمنهج العقلي معا مع الشاب الذي جاء يستأذنه بالزنا، وقد سبق عرض الحديث، ذلك لأن مجيء الشاب المسلم إلى رسول الله ﷺ مستأذنا بالزنا يدل على أنه شاب ضعيف اختل توازنه، واضطربت شخصيته، ودفعته غريزته إلى الزنا؛ فكان إيمانه حاجزا له ودافعا له على الاستئذان بالزنا، والاستئذان بالزنا دليل ناطق بالحالة المرضية فيه من جهة وبجانب الخير في الشاب من جهة أخرى، وإلا لذهب وزنى كما يزني غيره، فاقتضى هذا التشخيص الدقيق منه ﷺ لحالته النفسية استيعابه

(١) ينظر: الدعوة الإسلامية، الدكتور/ أحمد أحمد غلوش، (ص٤٣٠).

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٥.

(٣) ينظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ، (ص١٨٨).

كل الاستيعاب، واستخدام كلا المنهجين معه حتى أنقذه مما هو فيه وأعاده إلى التوازن والصواب[1].

ثالثا: تمحيص الظرف الزمني الخاص.

وفي الحديث التالي ما يوضح بجلاء مراعاة النبي ﷺ تمحيص ظروف الناس الاجتماعية التي ترتبط بزمن ما، وما يتعلق بها من عادات وتقاليد وقيم وتطلعات، فقد همَّ النبي ﷺ بنقض الكعبة لولا أن نقضها في زمن بعينه يصد الناس عن الدعوة لحداثة عهدهم بالكفر، وعدم تمكن المعاني الإيمانية من قلوبهم، فقد خشي النبي ﷺ أن تنكره قلوب الناس لقرب عهدهم بالكفر، ويظنون أنما يفعل ذلك لينفرد بالفخر دونهم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم** -قال ابن الزبير- بكفر، **لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس وباب يخرجون**»، ففعله ابن الزبير[2].

قال ابن بطال[3]: "فيه: أن النفوس تحب أن تساس بما تأنس إليه في دين الله من غير الفرائض، بأن يترك ويرفع عن الناس ما ينكرون منها"[1].

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، (ص٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: العلم، باب: من ترك بعض الاختيار، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه، (١/ ٣٧)، برقم (١٢٦).

(٣) هو: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال الأشعري القرطبي، ويعرف أيضا باب: ن اللجام بالجيم المشددة، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم مليح الخط حسن الضبط، عني بالحديث العناية التامة وشرح صحيح البخاري في عدة مجلدات ورواه الناس عنه، وكان ينتحل الكلام على طريقة الأشعري، وتوفي سنة تسع وأربعين وأربع مائة. ينظر: "الوافي بالوفيات"، الصفدي، (٢١/ ٥٦)، =

فلو لم يقدِّر النبي الظرف الزماني، ولو لم يتفطَّن النبي ﷺ لثقافة قريش في ذلك العهد القائمة على الفخر بالأحساب، والبحث عن مواطئ الصدارة، وأن هذه الطباع لن تنسجم مع قيامه بتعديل بينان المسجد الحرام في ذلك الوقت بعينه، لكانت السبيكة الاجتماعية للمسلمين قد تصدعت، ولكانت الوحدة التي عمل القرآن على توطيدها قد انشرخت.

من هنا يفهم معنى منهج النبي ﷺ في تمحيص واختيار الظرف الزماني للفعل الدعوي، فمقتضى ذلك الاختيار والتمحيص حيث تكون المصلحة الدعوية، فلما كان ذلك الاختبار مراعيًا لهذه المصلحة فهو بذلك عامل وقائي لكثير من المشكلات الاجتماعية، فبجلب المصلحة تدفع هذه المشكلات، وإذا ما وقعت تلك المشكلات يكون التمحيص سبيلا لحلها.

وعلى ما سبق، فإن للتدرج الزمني في التشريع الإسلامي أثره الواضح في التعامل مع المشكلات الاجتماعية، لاسيما تلك المشكلات المتغلغلة في النفوس، فبهذا التدرج الزمني استطاع التشريع الإسلامي والمنهج النبوي أن يمثل حلًا لكثير من المشكلات الاجتماعية في مجتمع الإسلام.

❁❁❁❁

و"ديوان الإسلام" محمد بن عبد الرحمن الغزي، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، (١/ ٣٤٠)، و"الأعلام للزركلي"، (٤/ ٢٨٥).

(١) شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (١/ ٢٠٥).

المبحث التاسع

معرفة الظروف الثقافية والنفسية والفطرية المؤثرة في حل المشكلات الاجتماعية

من المقومات المهمة في منهجية الدعوة في حل المشكلات الاجتماعية الوقوف على الظروف الثقافية والنفسية والفطرية المؤثرة في حل المشكلات الاجتماعية، فإن الخصائص النفسية الفطرية والمكتسبة تختلف من شخص لآخر، فلكلٍ صفات حسنة، وأخرى سيئة، والداعية حال مخالطته للآخرين يجب أن يتعرف على هذه المميزات والقدرات، ويحتفظ بها لأصحابها، وإن خالفوه في الرأي، إذ هي معادن يمكن صقلها واستغلالها لصالح الدعوة في علاج المشكلات التي تواجهها[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «**تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا**»[2].

والمثال المشاهد على ذلك، أن كثيرا من الناس يضحي بوقته ونفسه وماله ووقته في طرق الضلال، وهذا إن هداه الله تعالى سيبقى متصفا بهذه الصفات، ولكن في طريق الخير،

---

(١) ينظر: الدعوة الفردية أهميتها، حالاتها، وعوامل نجاحها، الدكتور/ صالح بن يحيى صواب، (ص٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: التفسير، باب: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]، (٤/ ١٧٨)، برقم (٣٤٩٣)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: فضائل الصحابة باب: خيار الناس، (٤/ ١٩٥٨)، برقم (٢٥٢٦).

وقد كان عمر شجاعا في الجاهلية، فلما أسلم استفاد الإسلام من هذه الصفة التي تميزه، وخرج المسلمون بعد إسلامه وأعلنوا التحدي[1].

ومن المعلوم أن المدعوين ليسو في الاستجابة أو الفهم أو التدين سواء، فقد فطرهم الله على صفات متفاوتة، وإدراكات متباينة، وطباع مختلفة، مع أنهم يشتركون في جملة الخصائص والصفات البشرية، التي تصدر عنها المواقف الفكرية والعقدية والسلوكية لهم. وعليه فإنه من البعيد عن الحكمة مخاطبتهم على حد سواء.

لذا كان من الأهمية أن يكون عند من يريد حل المشكلات وتصحيح الأخطاء، الإلمام التام بالظروف الثقافية والنفسية المؤثرة في توجيه سلوك الأفراد.

فإذًا، كيف كانت مراعاة الظروف الثقافية والنفسية والفطرية سببا في علاج المشكلات الاجتماعية؟

إن معرفة ظروف من يواجهون مشكلات اجتماعية، أو يقعون في أخطاء يرشد إلى الطريق الصحيح في التعامل معهم، وذلك مما يعين المصلح على تشخيص السلوك بطريقة موضوعية، ويجعله أقدر على تحديد العوامل التي تقف وراء السلوك السلبي، كما يمكنه من التفسير بصورة سليمة ودقيقة ومن ثم اقتراح الحلول العلاجية الملائمة له.

إن الصفات النفسية والعادات والتقاليد والأوضاع الثقافية لها أثر كبير في النسق الاجتماعي الذي يتولد منها، بحيث يصعب جدا الفصل بين هذه السياقات وبين هذه الأوضاع والثقافات، فيأتي المنهج النبوي لاستثمار الجيد من هذه الأمور وتوظيفه توظيفا سليما لحل المشكلة، أما غيرها من الأمور فمنها ما يحتاج لزمن ليس بالقصير لِيتغيِّر، وهنا

---

(١) ينظر: الدعوة الفردية أهميتها، حالاتها، وعوامل نجاحها، الدكتور/ صالح بن يحيى صواب، (ص٢٦).

لا يجازف المنهج النبوي فيقوم بتجريده عن الموقف، لأن هذا يعد بمنزلة سلخا تدمى بعده النفوس، ولذلك يعمل بالتدريج على إزالته أو تخفيف أثره.

ولقد سلك القرآن الكريم هذا المسلك أيضا في توظيفه لخاصية ثقافية من خصائص الفئات التي يدعوها للدخول في ساحة هديه، فجاءت نداءاته المتكررة لهذه الفئات مشفوعة بلقب مستمد من ثقافاتها وخصوصياتها حثًا لها على قبول الموعظة أو الإنصاف في المجادلة، فخاطب اليهود والنصارى بقوله ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، وخاطب المسلمين بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، وخاطب غيرهم بقوله: ﴿ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[1].

ومن المواقف التي تؤكد على حضور هذه الآلية في علاج المشكلة الاجتماعية في منظومة المنهج النبوي موقفه ﷺ من أبي سفيان أثناء فتح مكة، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب؛ فأسلم بمر الظهران، فقال له العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فلو جعلت له شيئا؟ قال: «**نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**»[2].

فأدرك النبي ﷺ حب أبي سفيان للزعامة والظهور في قومه، وأنه ربما نفس عليه زعامته فيما بعد فيؤدي ذلك إلى توتير الأجواء بين أهل الدين الواحد، وأنه ربما اجتمع عليه نفر من قومه من الذين سوف يسلبون المجد التليد، فتتكون بؤرة من المنافقين في مكة

---

(١) ينظر: الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة، محمد الخضر حسين، تحقيق علي بن حسن الحلبي، دار الراية ، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ، (ص٤٤).

(٢) السيرة النبوية، عماد الدين بن كثير ، مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦م، (٣/ ٥٥٤).

كما تكونت من قبل في المدينة وكان لها أثرها العظيم الذي كاد يفتك بوحدة المسلمين في غزوة بني المصطلق، فلما أدرك النبي هذه الظروف النفسية لأبي سفيان استغلها في علاج هذه الأزمة الاجتماعية الوشيكة الحدوث.

لقد كان المسلمون على مشارف كارثة حقيقية توشك أن تعصف باستقرارهم، لو لم يتم احتواء الطلقاء الذين سيدخلون في الدين شاعرين بالخسارة والغبن وفقدان السيطرة والزعامة، كانوا على حافة مشكلة اجتماعية كبرى لا تتلاءم وطبيعة الدين الجديد الذي يجمع ولا يفرق، وهنا تأتي حكمة النبي ﷺ وتنجح إحدى آليات منهجه في احتواء الموقف، فلا بأس من إعطاء أبي سفيان شارة من شارات الزعامة يستفيد منها أبو سفيان، ويرضي طبيعة الفخر لديه ويستفيد منها الإسلام باجتماع قوم أبي سفيان وعصبيته حول الدين الجديد ومؤازرتهم له.

وقد أرضاه بما لا يضر أحدا ولا يكلف جهدا، ولا عليه أن يتحبب إلى نفس بمثل هذا الثمن الميسور[1].

وهكذا فقد استطاع المنهج النبوي مراعاة الظروف السياسية والاجتماعية في ذلك الوقت، وذلك لأجل خدمة الدعوة الإسلامية، وخدمة الدعوة إلى دين الله، فهذا المنهج النبوي والهدي الرباني يعد منارة يهتدي بها المجتمع إذ له القدرة من خلال مبدأ مراعاة الظروف هذا الذي أرساه أن يتعامل مع المشكلات الاجتماعية والتعايش معها من خلال إيجاد الحلول الفعالة لها.

---

(١) فقه السيرة، محمد الغزالي، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ (ص ٣٧٩).

ويتصل بهذه القضية مخاطبة النبي ﷺ للملوك بصفة التعظيم، وقد آتت أكلها في بعض الأحيان اعتمادا على مخاطبة الطبيعة النفسية في تميزها وتفردها عن غيرها، ومن ذلك ما جاء في مخاطبته لهرقل بعظيم الروم، والتي كان لها أثر فعال على نفسيته، حيث نادى هرقل في الملأ وقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى ابن مريم؟، قالت الروم: وما ذاك أيها الملك؟، قال: تتبعون هذا النبي العربي .. إلى آخر القصة[1].

إنه لا يكفي في علاج المشكلة وفق منهج النبي ﷺ أن يكون في يد القائم بها حجة، أو موعظة يلقيها في أي صورة شاء، فإن المخاطبين يختلفون ذوقا وثقافة، بإختلاف الزمن والبيئة، ومن اللائق أن تصاغ دعوة كل طائفة في أدب يليق بأذواقها، أو ثقافتها، فالخبرة بما للطوائف من أحوال نفسية، وإلقاء الدعوة في الثوب الملائم لهذه الأحوال، موكول إلى ذكاء الداعي، ورسوخه في العلم بالنفوس وخصائصها[2].

❁❁❁❁

(١) الطبقات الكبرى، إحسان عباس، محمد بن سعد بن منيع، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، (١/ ٢٥٩).

(٢) ينظر: الدعوة إلى الإصلاح، محمد الخضر حسين، مرجع سبق ذكره، (ص٤١).

المبحث العاشر

مراعاة الأعراف السائدة في المجتمع

اهتم المنهج النبوي بمعرفة أعراف الناس، وعاداتهم، وتقاليدهم، واعتبر ذلك الأمر مقوما أساسيا من مقوماته قد يرقى لمنزلة الغايات، وقبل الخوض في الحديث عن هذا المبحث ينبغي التعريف بمعنى العرف لغة واصطلاحًا.

فالعرف لغة: أصل الكلمة (عرف) العينُ والرَاءُ والفاءُ أَصلان صحيحان، يدلُّ أَحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينةِ[1].

ومنه المعروف وهو خلاف النكر، سمي بذلك لسكون النفوس إليه.

والعُرف: ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم[2].

فالعرف: ما يعرفه كل أحد.

والعادة: ما يتكرر معاودتها مرة بعد أخرى.

وأما العرف اصطلاحًا فهو: ما اعتاده الناس وساروا عليه من فعل شاع بينهم، أو لفظ تعارفوا إطلاقه على معنى خاص لم يوضع له في اللغة، ولا يتبادر غيره عند سماع ذلك اللفظ[3].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤/ ٢٨١).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٤ / ٢٨٩٦). والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، (٢/ ٥٩٥).

(٣) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، الدكتور/ وهبة الزحيلي، (٢/ ٨٢٨)، وتيسير أصول الفقة، الدكتور/ محمد أنور البدخشانى، طبعة كراتش بباكستان، ١٩٩٠م، (ص١٥٨).

وهو أيضًا "ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطباعة السليمة بالقبول"[1].

والعرف من الأدلة الشرعية عند الفقهاء، وإليه يحتكم في كثير من أحكام الفقه الفرعية، وخاصة في أحكام الأيمان والنذور، والطلاق[2]، وكونه من الأدلة الشرعية الكلية -حتى وإن كان مختلفًا فيه- فيدل ذلك على أهمية العرف ومكانته في الشريعة الإسلامية عامة والفقه الإسلامي خاصة، وقد جاءت بعض القواعد الشرعية المعتبرة الدالة على هذا المعنى، فمن هذه القواعد: (المعروف عرفا كالمشروط شرطا)، وغيرها من القواعد المعتبرة للعرف.

ولقد احتلت الأعراف السائدة في المجتمع مكانة مهمة في المنهج النبوي الدعوي، فتعددت أشكال العرف وتنوعت مجالاته بحيث تلبي متطلبات التطور وشمولية الدعوة، وتسد حاجات المدعوين التي تختلف باختلاف الزمان والمكان والبيئة، لهذا نجد الأعراف معتبرة في معظم جوانب الحياة المختلفة، وذلك يشمل كثيرًا من الأنظمة والمعاملات، سواء المالية أو الاجتماعية والأخلاقية أو غيرهما.

إن المنهج النبوي إذ يهدف إلى حل مشكلات الناس فلابد له من التعرف على أسباب هذه المشكلات، ترجع في بعض الأحيان إلى ظروف نفسية أو اجتماعية أو إلى العرف، وقد تكون بعض الحلول غير منسجمة بالمرة مع العادات والتقاليد فيصعب حل

---

(١) التعريفات للجرجاني، (ص١٩٣).

(٢) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، الدكتور/ وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، (٢/ ٨٢٨)، وتيسير أصول الفقه، الدكتور/ محمد أنور البدخشاني، طبعة كراتش بباكستان، ١٩٩٠م، (ص١٥٨).

بعض المشاكل، بل قد تتضخم مشكلة ما بسبب عدم التلاؤم بين الحل الموضوع لها وبين الإطار الاجتماعي المحيط بها، كالجرَّاح الذي يهدف لمعالجة جسد مختل بزراعة عضو غريب عنه فيؤدي إلى زيادة تلف الجسم بتعفن العضو في داخل هذا الجسد.

لقد راعى المنهج النبوي مشكلات الناس، وتصحيح أخطائهم، وتوجيههم للطريق الصحيح، والعادات والأعراف التي يسيرون عليها في حياتهم الاجتماعية، والبيئات التي نشئوا فيها؛ مع مراعاة العادات الصالحة، والعادات الفاسدة، والعادات التي يشوبها الصلاح والفساد في آن واحد.

ولذلك لم يُغفل المنهج النبوي العرف والعادة في حياة الناس، "لأن في نزع الناس عما ألفوه وتعارفوا عليه من الأمور المعتادة المستحسنة لدى الطباع السليمة حرجًا شديدًا؛ إذ قد استقامت عليها أمورهم، وصلحت بها أحوالهم، فيصعب عليهم الإقلاع عما اعتادوه وألفوه"[1].

وقد أكد أئمة الإسلام على هذا المعنى، فراعوا العرف في توجيهاتهم، وأقوالهم، وفتاويهم؛ وفي هذا الصدد يقول الإمام ابن القيم: "ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم، وعوائدهم، وأزمنتهم، وأمكنتهم، وأحوالهم، وقرائن أحوالهم؛ فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم، وعوائدهم، وأزمنتهم، وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب

(١) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، الدكتور/ صالح بن حميد، دار الاستقامة، الرياض، ط٢، ١٤١٢ هـ، (ص٣٢١)

على أبدانهم، بل هذا الطبيب الجاهل وهذا المفتي الجاهل أضر ما على أديان الناس وأبدانهم والله المستعان"[1].

"إن المنهج النبوي لا يتجاهل واقع الإنسان فطريًا كان أم عارضًا، بل نراه دائما في غاية الحرص على الانطلاق بالأوضاع من النقطة التي هي فيها فعلا، فلا يغفل واقع الناس والمجتمع ولا يعتسف الحلول ويُلزم الأتباع بحركة متوازنة قائمة على العلم بالواقع الإنساني الفطري المُعاش، وهذا ما حدا العلماء فيما بعد إلى تأصيل هذه القضية خاصة في بعدها المعاش أو العارض، فخصصوا في مصنفات أصول الفقه بابا للعرف واعتبروه من مصادر التشريع"[2].

مظاهر الاهتمام بأعراف الناس في الشريعة الإسلامية

أشار القرآن الكريم لأهمية العلم بأحوال الناس وطبائعهم صالحة كانت أم فاسدة، فحكى عن نبيه إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[3]، فإبراهيم يعلم عن قومه كذبهم وخلقهم الإفك، كما يعلم تفاهة معبوداتهم من دون الله[4].

وللأعراف والعادات سلطانا كبيرا في نفوس المدعوين، فهي قضايا مسلمة يصعب انتزاعها منهم، والعرف منه ما هو مشروع، ومنه ما يقع مخالفًا للشرع، وإعمال العرف قد

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (٣/ ٦٦).

(٢) ينظر: منهج النبي في حماية الدعوة في المرحلة المكية، الطيب برغوث، (ص١٤٦).

(٣) سورة العنكبوت الآية: ١٧.

(٤) ينظر: الدعوة إلى الله في العنكبوت، عبيد بن عبد العزيز بن عبيد السلمي، (ص٢٦١).

قامت عليه أدلة عديدة، منها أن الشريعة أناطت بالعرف كثيرًا من الأحكام، فمن الأدلة على الأخذ بها، واعتبارها، قول الله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[1].

أي: المعروف، وبكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد[2].

فكل ما شهدت به العادة والعرف مما لم يتصادم مع ثوابت الإسلام، قضي به لظاهر هذه الآية إلا أن تكون هناك بيِّنة تمنع من هذا.

وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3]؛ "فأناط الحكم بالعرف وهو المعروف بين الناس"[4].

وفي الحديث ما رواه عبدالله بن مسعود ﷺ قال: «**ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن**»[5].

والمعنى: أن كل ما رآه المسلمون بعقولهم من العادات وغيرها مستحسنا، فهو حسن عند الله يقبله ويعتد به، ووجه الأخذ لاعتبار العرف من هذا الخبر أنه إذا كان كل ما

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٩٩.

(٢) تفسير الطبري، (١٣/ ٣٣١)، وتفسير السعدي، (١/ ٣٢٣).

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٣٢.

(٤) تفسير السعدي، (١٢/ ٩٥).

(٥) رواه الإمام أحمد في "مسنده" في الحسد، (١١/ ٣٧٩)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، (٣/ ٧٨ - ٧٩).

رآه المسلمون مستحسنا قد حكم بحسنه عند الله واعتباره، فكذلك إذا كان العرف مما استحسن المسلمون في المجتمع كان محكوما باعتباره[1].

ومن هنا تكتسب دعوته قوة الحجة، لاعتمادها على العلم الواقعي الذي لا يستطيع أحد أن يماري فيه، فتكون السبل ممهدة أمام علاج المشكلة الاجتماعية.

إذًا، كيف كانت مراعاة العرف سببا في علاج المشكلات الاجتماعية من منظور المنهج النبوي؟

لقد كان لعلم النبي ﷺ بعادات الناس وأحوال الأمم دور كبير في علاج المشكلات الاجتماعية، وعلى رأسها مشكلات الدعوة باعتبار أنها ضرورة اجتماعية.

ففي بداية الدعوة عندما بلغ إيذاء قريش للمسلمين مداه، أراد ﷺ أرضاً أخرى تتبنى دعوته وتكفل لها الحماية الكاملة وتمنعه من المشركين، فكان يعرض على القبائل التي يقابلها في الحج أن يؤمنوا بالله، ويمنعوه فلا يستجيب له أحد، وكان بعضهم يساومه في ذلك فيقرر له الحماية في مقابل وراثة الأمر من بعده، فكان لا يقبل إلى أن يسر الله له مقابلة وفود المدينة في الحج فتم له المراد[2].

والشاهد من هذا الكلام أنه ﷺ لو لم يسع لمعرفة الناس وأحوالهم وأيهم الأنسب إلى دعوته فهو أمام أمرين إما أن تظل الدعوة حبيسة مكة يعرض لها الأذى والضر في كل حين، أو يجازف فيلجأ لأرض لا تناسب دعوته فيتعرض للأذى، وتجهض دعوته في

---

(١) ينظر: مقال بعنوان: المنهاج النبوي والقضايا الاجتماعية الكبرى، الإستاذ الدكتور/ علي جمعه، مجلة حراء الالكترونية http: //www. hiramagazine. com/.

(٢) ينظر: فقه السيرة النبوية، محمد الغزالي، (ص ١٤٨)، وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي، (ص ١١٥).

مهدها، لكن سعيه إلى العلم بأحوال الناس وطباعهم، سهل له الحصول على مأوى لدعوته وبذلك حلَّت المشكلة.

وقبل ذلك نصح النبي ﷺ أصحابه أن يتوجهوا إلى الحبشة يوم شكوا له ظلم المشركين فقال: "إن بالحبشة ملِكًا لا يظلم عنده أحد"(١).

وقد بعثَ النبي ﷺ معاذا إلى اليمن وأعلمه بحال القوم الذين سيقدم عليهم وأنهم أهل كتاب وأعلمه كيف يدعوهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»(٢).

ويمكن القول بأنه لا يوجد مجال من مجالات الحياة المختلفة إلا وللعرف فيه مكان، ولذلك يتحتم على من يتصدى لعلاج المشكلات الاجتماعية وفق المنهج النبوي أن يلم بأعراف الناس وعاداتهم، لأنه حينئذ يكون عالما بأعذارهم ومواضع ضرورتهم وحرصهم، أميل إلى الرفق والعدل بهم، قاصدا الوسط معهم، وهذا بالتالي يجعل الناس

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، (١/ ٣٢١)، وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (٧/ ٥٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (٢/ ١٢٨)، برقم (١٤٩٦).

أكثر تجاوبا مع ما يدعو إليه من الخير والصلاح، فيتمهد الطريق أمام حل المشكلات الاجتماعية[1].

ومن الأدلة ايضا على أنَّ العرف كان سببا في حل المشكلات الاجتماعية قول الله ﷻ: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[2].

فهنا حدد المولى ﷻ أن الخلاف بين الزوجين يفصل فيه العرف، سواء كان الخلاف في المهر الذي لم يسمَ، أم كان الخلاف في النفقه والكسوة، أم كان الخلاف في المعاملة وغيرها، فالعرف فاصل في حل كثير من النزاعات، حتى إن الحكمين اللذين يفصلان بين الزوجين المتخاصمين يحكمان بينهما بالعرف بما يوافق كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فقال ﷻ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[3].

وفي المقابل إذا كان المصلح يجهل أحوال الناس وعللهم أخطأ الصواب في علاج المشكلات الاجتماعية، وكان كمتطبب جرب دواء في مرض خاص فنجح فصار يصف ذلك الدواء بعينه لكل مريض، وخطر ذلك على الأبدان جسيم فكذلك على القلوب، فضلا عن المشقة والحرج الذي يترتب على تجاهل ما اعتاده الناس ولم يكن به مخالفة للشرع[4].

---

(١) ينظر: مكانة العرف في الدعوة الإسلامية، رقية بنت نصر الله محمد نياز، منشورات مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، (ص٢٢).

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٢٨.

(٣) سورة النساء الآية: ٣٥.

(٤) ينظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ، (ص١٠٣).

وبناء على ما سبق، فإن مراعاة عوائد الناس وأعرافهم ووضع ذلك في الاعتبار كما دلنا على ذلك وأرشدنا المنهج النبوي من أهم أسباب التعامل مع المشكلات الاجتماعية، ووضع الحلول الفعالة لها، فلا يمكن أن تتصور تلك المشكلات على وجهها السليم حتى يمكن حلها والتعامل معها، إلا مع تصور العوائد والأعراف المحيطة بها.

❁❁❁❁

الفصل الثالث

وسائل وأساليب النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: وسائل النبي ﷺ في التعامل مع المشكلات الاجتماعية. وفيه ثمانية مطالب.**

- **المبحث الثاني: أساليب النبي ﷺ في التعامل مع المشكلة. وفيه ثمانية مطالب.**

تمهيد:

تحفل السنة النبوية المطهرة بالمبادئ التربوية العظيمة التي تتناول جوانب كثيرة من الحلول المختلفة لشتى المشكلات الاجتماعية، ومن تلك المبادئ استخدامه ﷺ لكل وسيلة بصرية أو سمعية ممكنة، من شأنها أن تساهم على حل المشكلة، أو لتأكيد المعنى وتجسيد المفهومات المجردة، وتحقيق الهدف المتوخى من الموقف المستهدف.

وتتعدد وسائل وأساليب معالجة المشكلات ومواجهة المنكرات وتصحيح الأخطاء تبعا لتنوع الأشخاص المرتكبين، وهذا يقتضي معرفة الأشخاص وذهنياتهم، ونفسياتهم، وظروفهم، وبيئاتهم، وما يتقبلونه وما لا يتقبلونه، فرب أسلوب أوسيلة يدفعان بالمخطئ إلى أن يبالغ في الخطأ والمخالفة، ويزداد عنادا في ذلك نتيجة الوسيلة أو الأسلوب الذي لا يناسب الحال، بينما يتقبل النصح لو جاء بأسلوب أو وسيلة تناسب حاله.

ومن الحكمة أن تكون الوسيلة أو الأسلوب لمعالجة الخطأ أو المنكر بما يؤدي إلى النتيجة المرجوة.

والوسائل والأساليب التي ستتناولها هذه الدراسة إنما هي على سبيل المثال لا الحصر، حيث إن كتب السنة تزخر بعدد وافر منها؛ والعبرة في هذا الصدد ليس بعدد الوسائل التي استعان بها النبي ﷺ في حل الكثير من المشكلات التي تواجهه أو تواجه صحابته -رضوان الله عليهم-، وإنما بتقرير المبدأ والفكرة، حيث إن النبي ﷺ مشرِّع، ويكفي استخدامه للوسائل والأساليب ولو لمرة واحدة، ليكون في ذلك أسوة وهديا للدعاة والمصلحين في كل العصور.

ولا شك أن مزيدا من البحث والتنقيب في كتب السنة النبوية المطهرة سيقود إلى مزيد من المعرفة والاستفادة من وسائله وأساليبه العظيمة، ولا غرو فهو المربي والمعلم الأول صلوات الله وسلامه عليه.

وكتب السنة قد زخرت بالكثير من الوسائل والأساليب النبوية التي تتنوع حسب المواقف والأحداث في التعامل مع الأخطاء والمشكلات الاجتماعية، مما يجعل كل من لديه فقه وأراد الاقتداء قاس النظير على النظير، والشبيه على الشبيه، فيما يمر به من مواقف وأحداث ليتوصل إلى الوسيلة أو الأسلوب، المناسبين للحالة المعينة.

❁❁❁❁

المبحث الأول

وسائل النبي ﷺ في التعامل مع المشكلات الاجتماعية.

وفيه ثمانية مطالب:

- **المطلــب الأول: المواجهة المباشرة.**
- **المطلـب الثاني: الإشارة باليد الواحدة، أوباليدين، أوبالأصابع.**
- **المطلـب الثالث: السماع من المتخاصمين.**
- **المطلـب الرابع: الاستعانة بمن يعينه على حل المشكلة.**
- **المطلب الخامس: اليسر وعدم التشدد.**
- **المطلب السادس: إدخال السرور على الآخرين.**
- **المطلـب السابع: مراعاة أحوال بعض المخطئين.**
- **المطلـب الثامن: وضع العلاج المناسب للمشكلة.**

تمهيد:

من نعم الله الظاهرة وحِكَمه البالغة أن أكمل نصاب هذا الدين بكمال وسائلِ تبليغه، وأساليب بلاغه، وشمولها وتنوّعها في خطابها ومضمونها ومنهجها؛ ولقد دلَّ على هذا الكمال قول الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾[1].

فالمسلم الحقّ لا يصدر في دعوته وعبادته إلا من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، فما وافق منها الأصلين أخذ به والتزمه، وما خالف منها الوحيين نبذه وطرحه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض**»[2]، وهذا الفيصل المعتبر بين أهل الاقتداء والاتّباع، وبين أهل الأهواء والابتداع.

و"من سنة الله -تعالى- أن المقاصد لا تحصل إلا بالوسائل، لذلك أمر -تعالى- عباده بمباشرة الوسائل، واتخاذ الأسباب الموصلة إلى مقاصدها، فقال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[3].

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب: القدر، باب: النهي عن القول بالقدر، (٢/ ٨٩٩)، برقم (٣)، ورواه الحاكم في المستدرك، (١ / ٩٣)، برقم (٣١٩)، وأورده الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع الصغير، برقم (٢٩٣٧)، وقال: صحيح.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٦٠.

وقد استقر هذا الأمر في الفطر السليمة، ورسخ في العقول، وثبت في المدارك السوية، وقامت عليه شئون الدين والدنيا، وأصبح من لا يباشر الأسباب الموصلة إلى مراداته ينسب إلى ضروب العبث وقلة الإدراك"[1].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي[2] -رحمه الله تعالى-: "الأشياء ثلاثة: مقاصد؛ كالصلاة مثلا، ووسائل إليها؛ كالوضوء والمشي، ومتممات لها؛ كرجوعه إلى محله الذي خرج منه، والوسائل تُعطى أحكام المقاصد وكذلك المتممات للأعمال تعطى أحكامها؛ كالرجوع من الصلاة، والجهاد، والحج، واتباع الجنازة، وعيادة المريض، ونحو ذلك، فإنه من حين يخرج من محله للعبادة فهو في عبادة حتى يرجع"[3].

وللوقوف أولا على معنى الوسائل يقال:

---

(١) محاضرة بعنوان: الوسائل الدعوية، أحمد بن عبد العزيز الحمدان، تم تفريغها بكتيب (PDF)، (ص٢).

(٢) هو: الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي، ولد عام ١٣٠٧هـ، توفي والداه وهو صغير فنشأ يتيماً، حفظ القرآن الكريم واشتغل بالعلم، أعطاه الله - عز وجل - محبة في القلوب وثقة في النفوس، فصار مرجع بلاده -عنيزة- وعمدتهم، فهو مدرسهم ومفتيهم وواعظهم وإمام الجامع وخطيبه، من أشهر مؤلفاته: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان). توفي سنة ١٣٧٦هـ. ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٨هـ. (ص٤٢٢).

(٣) المجموعة الكاملة، لابن سعدي، (٤/ ١٤٥).

الوسيلة لغة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد؛ يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة، أي تقرَّب إليه بعمل[1].

والواسل: الراغب إلى الله، وتوسَّل إليه بوسيلة إذا تقرَّب إليه بعمل.

وتوسَّل إليه بكذا: تقرَّب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه.

والوسيلة: الوصلة والقربى، وجمعها الوسائل[2].

والوسيلة هي: التوصل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوصيلة؛ لتضمنها لمعنى الرغبة، قال ﷻ: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3]،[4].

والوسائل في الاصطلاح العام، هي: "الأفعال التي يُتوصَّل بها إلى تحقيق المقاصد"[5].

وفي اصطلاح الدعاة هي: الطرق الشرعية -القولية والفعليّة- التي يستعين بها الداعية في إيصال مقصود الدعوة ومضمونها.

فالوسائل الدعوية تأخذ شكل الأدوات، والآلات والأوعية الحسية والمعنوية، لنقل مضمون الدعوة، فهي أداة وقناة يعبر منها المعنى إلى الناس[1].

---

(١) ينظر: الصحاح، الجوهري، مادة: وسل (٥/ ١٨٤١).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: وسل، (١١/ ٧٢٤).

(٣) سورة المائدة الآية: ٣٥.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهانى، (١/ ٨٧١).

(٥) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفى بن كرامه الله مخدوم، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م، (ص١٦٠).

وخلاصة وسائل الدعوة أنها: ما يستعمله الداعية من الوسائل الشرعية الحسية، أو المعنوية ينقل بها دعوته إلى المدعوين.

والمتأمل في منهج النبي ﷺ يجد أن وسائله لحل المشكلات الاجتماعية قد جاءت متنوعة، وكأنها حلقات في سلسلة، كل حلقة تقود إلى التي تليها، فأظهرت لنا هذه الوسائل طبيعة التدرج والشمول والاستمرار والتجديد، لتناسب الحال والزمان والمكان، وقد اقتصر الباحث من هذه الوسائل في عدد ثمانية مطالب.

❁❁❁❁

(١) ينظر: أسس في الدعوة ووسائل نشرها، الدكتور/ محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان عمان، الأردن، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، (ص ٩٠).

المطلب الأول

المواجهة المباشرة

تعتبر وسيلة المواجهة المباشرة لحل المشكلات من أثقل الوسائل على النفوس، لما فيها من المواجهة والإحراج، إلا أنها أنجع دواء للمشكلات التي تعرض للبشر؛ فبالمواجهة وعدم تركها للصدفة تعمل فيها وفق طبيعتها العشوائية غير المنظمة.

وحيث إن من الحكمة مراعاة متطلبات الموقف ومواجهة الأحداث بما يناسب خطورتها وعظم نتائجها، "فوضع الندى في موضع السيف بالعلا ...

مضر كوضع السيف في موضع الندى"[1].

وقبل الشروع في الحديث عن تلك الوسيلة كوسيلة اتسم بها المنهج النبوي في حل المشكلات الاجتماعية، ينبغي التعريف بها أولًا لغة واصطلاحا:

فالمواجهة في اللغة: (واجهه) مواجهة وواجها قابل وجهه بوجهه واستقبله بكلام أو وجه[2]؛ واجه فلانا مواجهة: قابلة وجها لوجه[3].

وهي: التصدي والمقابلة وجها لوجه بغير ستر أو حجاب[4].

---

(١) طرف من قصيدته للمتنبي في مدح سيف الدولة وتهنئته بالعيد، مطلعها: "لكل امرئ من دهره ما تعودا *** وعادات سيف الدولة الطعن في العدا". ينظر: ديوان أبو الطيب المتنبي، لإبي الطيب المتنبي، (١/ ١٩١).

(٢) المعجم الوسيط، (٢/ ١٠١٥). باب: الواو.

(٣) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (١/ ٣٧٣).

(٤) الصحاح، الجوهري، (٥/ ١٧٩٧)، مادة: قبل.

وأما المواجهة اصطلاحًا فهي: الوسيلة التي يستخدمها الفرد في التعامل مع المواقف، والمشكلات التي تواجهه المجتمع، والتي تمثل تهديدًا وضررًا أو تحديًا لشخصية الفرد.

إن الهروب من المشكلة وعدم مواجهتها يؤدي بها في الغالب إلى أن تتضخم؛ فيتجاوز نطاقها الشخصي؛ لتعم آثارها ونتائجها السلبية، فيؤدي إلى نشوء مشكلة اجتماعية عامة، قد تتسبب هي الأخرى في وجود مشكلات اجتماعية جديدة لم تكن في الحسبان، فيؤدي كل ذلك إلى تفكك المجتمع وتشرذمه، وتمكن الفساد منه على وجه يصعب علاجه؛ ومن هنا فإن أنجع دواء للمشكلات التي تعرض للبشر هو مواجهتها وعدم تركها.

ومن هذا المنطلق لا يُتصور من النبي ﷺ أن يترك مشكلة ذات صلة بحياة الناس ولا يتعرض لها بالمعالجة المناسبة في ضوء الوحي الإلهي، أو في ضوء المبادئ التي جاءت بها الشريعة المطهرة.

وإذا ما تقرر ذلك فسوف يورد الباحث مثالا يتبين منه المقصد السابق، وهو ما يتعلق بمشكلة أخذ مال الصدقة لمن لا يستحقها فيما يظهر للغير.

فعن عبيد الله بن عدي بن الخيار[1]، قال: أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي ﷺ في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها، فرفع فينا البصر وخفضه فرآنا جلدين، فقال: «**إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني، ولا لقوي مكتسب**»[1].

---

(١) هو: عبيد الله بن عدي ابن الخيار القرشي النوفلي ولد في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- كان عبيد الله بن عدي من فقهاء قريش وعلمائهم، فهو ثقه قليل الحديث، مات رضي الله عنه في خلافة الوليد بن عبد الملك.ينظر:سير أعلام النبلاء، (ص ٥١٥).

إلا أن الأساس الفقهي الذي جاء به هذا الحديث: "أنه لم يعتبر في منع الزكاة ظاهر القوة والجلد دون أن يضم إليه الكسب، فقد يكون من الناس من يرجع إلى قوة بدنه، ويكون مع ذلك أخرق اليد لا يعتمل فمن كان هذا سبيله لم يمنع من الصدقة بدلالة الحديث"[٢].

وقد يصادِف بعض المصلحين شيئًا من هذا القبيل فيأخذه الحياء والخجل من الغير، فلا يعمد إلى حل هذا الإشكال، وإزالة هذا الانحراف الذي وقع فيه البعض، ويقوِّم سلوكه وفق الصواب الذي يعلمه، تاركًا ذلك لعوامل الزمان والصدفة، لكن هذا قطعا ليس نهج النبي ﷺ الذي أمره الله تعالى بالتبليغ، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴿٦٧﴾﴾[٣].

ومن هنا لم يكن مُتصورًا من النبي ﷺ أن يهرب من مواجهة مشكلة من المشكلات، بل إن المنهج النبوي الإصلاحي في بعض الأحيان لم يكن ينتظر وقوع حادثة معينة ليقوم بدوره في المواجهة المباشرة، بل كان يحاصر المشكلة ويضيق عليها الخناق، حين يعمد إلى وضع الوقاية منها في صورة قاعدة عامة تتجاوز حدود الزمان والمكان، وهذا الأمر قد ورد على نفس القضية التي ذكرناها كمثال سابق، أعني قضية الاعتماد على كسب اليد دون

---

(١) رواه أبو داود في "سننه"، (٢/ ١١٨)، برقم (١٦٣٣)، والنسائي في "سننه"، (٥/ ٩٩)، برقم (٢٥٩٨)، وصححه الألباني كما في حاشيتيهما.

(٢) معالم السنن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، (٢/ ٦٢).

(٣) سورة المائدة الآية: ٦٧.

تكفف الناس وسؤالهم، فقد روى أبو هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدا، فيعطيه أو يمنعه**»[1].

لقد اتخذ النبي ﷺ وسيلة المواجهة المباشرة في حل كثير من المشكلات الاجتماعية، وذلك للوقوف على ماهية تلك المشكلات ومواجهة أصحابها بغية معرفة الأسباب الداعية لحدوثها، واستيعاب أبعادها ثم يواجهها بالحل المناسب الناجع.

وفي هذا الجانب ورد العديد في المنهج النبوي من تلك المواقف التي نهج النبي ﷺ لحلها بالمواجهة المباشرة، فمن ذلك:

أولا- المواجهة المباشرة لمشكلة نشر الأنباء الكاذبة والفتن والإشاعات، فمن المعلوم أن نشر الإشاعات والفتن المغرضة هي من أكبر المشكلات التي تفتك بالمجتمع، وتهدد أمنه، مما يجعل الفساد والخراب يعم البلاد، ويشعل فتيل القتال والتناحر، ونار العداوة والبغضاء، بسبب هذه الإشاعات المغرضة، والأقاويل الباطلة، ومثال ذلك:

مواجهة النبي ﷺ المباشرة للصحابي الحارث بن ضرار الخزاعي ﷺ، حيث زعم الوليد بن المغيرة عندما أرسله النبي ﷺ ليقبض ما عند الحارث من الزكاة، فلما سار الوليد بعض الطريق رجع، وقال للنبي ﷺ إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، وكان وقتها الحارث ﷺ في الطريق إلى رسول الله ﷺ فلما وصل ودخل على رسول الله قال له: «**منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟**»، قال لا والذي بعثك بالحق[2]؛ فنزلت الآية خطابًا للمؤمنين

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المساقاة، باب: بيع الحطب والكلا، (٣/ ٥٧)، برقم (٢٠٧٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٤/ ٢٧٩)، برقم (١٨٤٥٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم =

بالتبيّن والتثبت من الأنباء والأقوال التي تصلهم؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[1].

ومن هنا فإن المواجهة المباشرة كانت سببا لظهور الأمر ووضوحه، وتبين النبي ﷺ حقيقته، ولولا هذه المواجهة ما جلت الحقيقة على مرأى ومسمع من المسلمين آنذاك، وقد نزل الوحي مؤيدًا لقول الحارث مؤكدًا على صدقه مع النبي ﷺ.

ثانيا- المواجهة المباشرة لحل مشكلة خطر التجسس لصالح العدو، إذ واجه النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة عندما أرسل كتابا إلى المشركين يخبرهم بعزم النبي على السير إلى مكة، مع أن النبي ﷺ جعل ذلك سرًا عند بعض الصحابة ﷺ ومن بينهم حاطب، وأفشى بين الناس أنه يريد خيبر، فتعامل النبي ﷺ مع هذه المشكلة بمواجهة حاطب مباشرة، حيث قال له: «**ما حملك على ما صنعت؟**»، قال حاطب: والله ما بي ألا أكون مؤمنا بالله ورسوله، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله؛ فقال النبي ﷺ: «**صدق، ولا تقولوا له إلا خيرا**»؛ فقال عمر ﷺ: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، فقال: «**أليس من أهل بدر؟**»؛ فقال: «**لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال:**

والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، (٣/ ٢٧٤)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة، (٧/ ٢٣٤).

(١) سورة الحجرات الآية: ٦.

اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم»، فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم[1].

ولولا مواجهة النبي ﷺ في هذا الموقف ما استطاع النبي أن يسمع إقرار حاطب ﷺ ويعلم منه الأمر على حقيقته، وأنه ما أراد بذلك الخيانة، إنما أراد الدفاع عن أهله بين أيدي المشركين، وأقرَّ النبي ﷺ على صدق كلامه، وشهد له بمغفرة الله ﷻ لكونه من أهل بدر المشهود لهم بالإيمان؛ ففي هذا الموقف وفي هذه المشكلة المتعلقة بأمر من أمور الدولة لا يصلح فيها التلميح، بل وجبت المواجهة والتصريح، وهو ما فعله النبي ﷺ مع حاطب وأمام الصحابة ﷺ أجمعين.

فأنزل الله خطابه مواجهة مباشرة، بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المغازي، باب: فضل من شهد بدرا، (٥/ ٧٧)، برقم (٣٩٨٣).

(٢) سورة الممتحنة الآية: ١.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٢٧.

ثالثا- المواجهة المباشرة لحل المشكلات الزوجية؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن أباه شكاه إلى الرسول ﷺ بأنه زوجه امرأة من أشراف العرب، ومكث يسألها كل يوم: كيف رأيتِ زوجك؟، فقالت: صالحًا غير أنه لم يطأ لنا فراشًا[1].

فواجه النبي ﷺ عبدالله بن عمرو بن العاص فقال له: «**يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل**»، قلت، بلى يا رسول الله، قال: «**فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا**»[2].

رابعا- المواجهة المباشرة لحل مشكلة اجتماعية قد يمتد خطرها لينال القريب والبعيد، فقد ورد أنه لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، حتى كثرت منهم القاله، فقال قائلهم: قد لقي والله رسول الله قومه، فدخل عليه سيدهم سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إن هذا الحي أي الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء؟.

فقال النبي ﷺ: «**اجمع لي قومك في هذه الحظيرة**»، فخرج سعد، فجمع الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ متذكرًا فضلهم وسابقتهم في الإسلام، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: «**يا معشر الأنصار، مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم!،**

---

(١) الأثر والحديث رواه البزار في "مسنده"، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، (٤/ ١٢٣)، برقم (٢٣٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: النكاح، باب: لزوجك عليك حق، (٧/ ٣١)، برقم (٥١٩٩).

ألم آتكم ضُلالًا فهداكم الله؟، وعالة فأغناكم الله؟، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟»، فتذكروا منة الله ورسوله عليهم وقالوا: بل الله ورسوله أمنّ وأفضل، ولله ولرسوله المنّ والفضل؛ فقال ﷺ: «**أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدْقتُم وصُدقْتم، أتيتنا مكذبًا فصدقناك، ومخذولًا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فأغنيناك، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شِعبًا وسلكتِ الأنصار شِعبًا لسلكتُ شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**»؛ فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًا[1].

فوجه الدلالة من هذا الحديث هو أن النبي ﷺ أستخدم وسيلة المواجهة المباشرة لمواجهة الأنصار بالأمر الواقع والذي يتطلب المبادرة في بيانه فاستطاع بذلك أن يقضي على المشكلة في مهدها وقبل أن تتضخم؛ ففي مثل هذا الموقف وهذه المشكلة لم يصلح للأمر غير المواجهة منه ﷺ.

فهكذا واجه رسول الله ﷺ الخطر، وحل المشكلة، ودرأ الفتنة، بنقاش مباشر، واضح صريح، فقد خاطبهم بالمألوف، والمتداول في المجتمع، حتى يعطيهم حقهم كاملا

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، (٥/ ١٧٥)، برقم (٤٣٣٠). ومسلم في "صحيحه" كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه، (٤/ ١٥٧٤)، برقم (١٠٦١).

في الخصومة، وحتى يشعروا بأنهم أدلوا بكل ما لديهم من حجج، وهذا الوضع وهذه المواجهة هما اللذان أراحا نفوسهم، واستلَّا كل ما فيها من شوائب.

وبذلك يتبين لنا كيف كانت المواجهة المباشرة وسيلة ناجعة في علاج المشكلات المجتمعية من منظور المنهج النبوي، ودورها الإيجابي في تجلية الحقائق، وإيضاح الغموض، وردع المعتدين، وحل المشكلات.

ويمكننا أن نلمس هذه الحقيقة في هذا المجتمع الفاضل الذي رافق حياة النبي ﷺ، والذي ساد فيه الصدق والعدل والحق والمساواة، في حين أن مجتمعات أخرى لذلك العهد كانت تعمه في ظلمات الظلم والجهل والفوضى العارمة.

❁❁❁❁

المطلب الثاني

الإشارة باليد الواحدة، أوباليدين، أوبالأصابع

يعتبر اللسان من أعظم وسائل البيان التي خص الله ﷻ بها الإنسان، وهو الأصل في تفاهم الناس فيما بينهم، إلا أن "هناك وسائل بيانية أخرى يعمد إليه البلغاء، ولها من القدر والأهمية ما يقارب قدر اللفظ، أو تساويه وذلك كالبيان بالإشارة، والبيان بالخط، وبالعقد، وبالحال والذي يقلِّب في البيان العربي كله نثره وشعره يلحظ ذلك جيدا"(١).

وإذا كانت المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم مستورة خفية، وبعيدة وحشية فإنه "على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع"(٢).

ولأن الإشارة تكون أقوي في التأكيد واليقين من الألفاظ- لأن العيان أقوي من السماع - ولأن "الاكتفاء بالوسيلة اللفظية المجردة كثيرًا ما يسبب الملل، أما إذا شاركت الأذن سمعًا، واليد حركة، والعين نظرًا، واللسان ترديدًا، فإن عملية التعليم تغدو أكثر نشاطًا ومتعة ورسوخًا، فعادة الإنسان أن ينسي المسموع، لكنه لا ينسى المنظور المشاهد"(٣).

إن الإشارة عامل مهم في إضاءة المعنى وإيضاح الدلالة، وهي شريك مهم ووسيلة فعالة في إعانة اللفظ على الدلالة، وهي مكتنزة بطاقة أخرى تجعلها تستغني في بعض

---

(١) بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق، الدكتور/ سعيد جمعة، بحث منشور بملتقى أهل التفسير، ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٥م. http: //vb. tafsir. net/tafsir4094./.

(٢) البيان والتبيين، للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، (١/ ٨١).

(٣) فنون الحوار والإقناع، لمحمد دياس، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، (ص ١٤٣).

الأحيان عن اللفظ، كما أن لها آليات أخرى في الدلالة تجعل منها وسيلة بلاغية في غاية الأهمية والخطورة، وذلك لقدرتها على الحشد البياني واستدعاء المعاني الكثيرة.

وتؤكد الدراسات الحديثة في رصدها للغة الجسد مدى فاعلية الإشارة وإضافتها للفظ، وتدلل على ذلك من خلال إحصائيات رياضية جاء في بعضها أن التأثير الكلي للرسالة يتحقق من خلال الشق اللفظي بنسبة ٧ ٪ (الكلمات فقط)، والشق الصوتي بنسبة ٣٨ ٪ (متضمنا نبرة الصوت وتغير مقامه وغير ذلك من الأصوات)، والشق غير اللفظي بنسبة ٥٥ ٪، فتتحمل الإشارة بذلك أكثر من نصف العملية البيانية[١].

و"يتفق معظم الباحثين اليوم على أن الكلمات تستخدم أساسًا لنقل وتوصيل المعلومات، بينما تستخدم لغة الجسد لإتمام المواقف الخاصة بالعلاقات بين الأشخاص، وفي بعض الحالات تستخدم كبديل عن الرسائل اللفظية"[٢].

"فالإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط"[٣].

وقد اهتم البلاغيون العرب بأسلوب الإشارة واعتبروها ضربا من البيان، وفي ذلك يقول الجاحظ: "وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتقتل والتثني، واستدعاء الشهوة، وغير ذلك

---

(١) ينظر: لغة الجسد، آلان باربار بييز، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٠٨ م، (ص٩).

(٢) نفس المرجع، (ص ١١).

(٣) البيان والتبيين، للجاحظ، (١/ ٨٣).

من الأمور"[1] فقد أثبت لها مزية وزيادة على ما يكون للفظ من دلالات وبهذا يتوافر للإشارة ما لا يتوافر في اللفظ.

ولما تقدم من بيان أهمية الإشارة فقد كان لها في بيان المعصوم ﷺ مقام رفيع لا يقل عن مقام اللفظ، ولقد حرص الرواة جميعا على نقل هذا البيان كاملا غير منقوص، بما فيه من لفظ وخط وإشارة، وعقد وحال، لأنهم يعلمون أن هذه الوسائل ليست حشوا، أو كمًّا مهملًا، بل لها دور في بناء المعني، وتكوين الدلالات"[2].

ويبرز هنا سؤال مهم في هذا المقام، مؤداه: **ما علاقة الإشارة بعلاج المشكلات الاجتماعية التي واجهت النبي ﷺ؟**.

والإجابة على هذا السؤال هي أن الإشارة وسيلة بلاغية مهمة لما تقدم بيانه، وهي قد تفيد في علاج المشكلة بما توفره من دعم معنوي وحسِّي للفظ، قد يكون أوقع أثرا في علاج المشكلة مما لو انفرد اللفظ بذاته في ذلك.

ولتوضيح هذا المقصد نذكر هنا بعض الأمثلة التي تؤكد ذلك.

أ) ما جاء عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه كان له على عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي[3] رضي الله عنه مال، فلقيه فلزمه حتى ارتفعت أصواتهما، فمر بهما النبي ﷺ فقال: «**يا كعب**»، فأشار بيده كأنه يقول: النصف، فأخذ نصف ما له عليه، وترك نصفا[1].

---

(١) نفس المرجع، (١/ ٨٤).

(٢) بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق، الدكتور/ سعيد جمعة، مرجع سبق ذكره.

(٣) هو: عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي، واسم أبي حدرد سلامة بن عُمير، له صحبة، يكنى أبا محمد، وأول مشاهده الحديبية وخيبر وما بعدها، توفي سنة إحدى وسبعين زمن مصعب بن الزبير. ينظر: ترجمته في أسد الغابة، (٣/ ٢١١-٢١٢)، رقم (٢٨٩٠)، والإصابة، (٤/ ٤٨)، رقم (٤٦٤٠).

لا شك أن مدى الصوت -مهما كانت قوة صاحبه- مدى محدود، ولو أن رجلا وقف ليحدث آخر عن بعد لما فهم منه شيئا، وهنا يبرز دور الإشارة لأنها تصل حيث لا يصل الصوت، وتحمل المراد حيث يعجز اللفظ عن حمله[٢]، إلا أن للإشارة هنا أثرا أعمق من ذلك، ولو لم تكن الإشارة أداة فاعلة في حسم المشكلة الاجتماعية لما كان لها دور في هذا الحديث، فإن الإشارة بطاقتها الدلالية قد (حَكَمْتْ فَحَسمْتْ، وقَضَتْ وأصْلَحت) كل ذلك بلا لفظ واحد، ولكي نفهم أثر الإشارة في حل المشكلة هنا لابد من استعادة قصة الحديث مرة أخرى.

إن كعبًا ﷺ له على أبي حدرد ﷺ دَينا وقد اختلفا حول هذا الدين، ويبدو أن الاختلاف تطور حتى ارتفعت الأصوات وأوشك الأمر أن يزداد سوءا، ولم يعد الكلام مجديا في هذه اللحظة، بل ربما جر الكلام إلى أخذ ورد كما هي العادة في المشاحنات، وفي غمرة الغضب لا يستطيع المرء أن يدرك مرامي الحديث، وهنا تأتي الإشارة لتقطع مادة الخصومة، فخاصية الإشارة أنها تأخذ بمجامع العين إلى حيث تخفق، فينشغل البال في هذه اللحظة بما تومئ إليه، فتهدأ الثائرة وتنفتح عين العقل فيحصل الفهم وهو الذي حدث بالفعل، وقد وضع البخاري هذا الحديث في باب هل يشير الإمام بالصلح، إدراكا منه لمرامي الإشارة في هذا الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الصلح، باب: هل يشير الإمام بالصلح؟، (٣/ ١٨٧)، برقم (٢٧٠٦)، ومسلم كتاب: المساقاة، باب: استحباب: الوضع من الدين، (٣/ ١١٩٣)، برقم (١٥٥٨).

(٢) المرجع السابق.

ب) ومن ذلك إشارته بيدٍ واحدة في علاج قلة الفهم، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج**»، قيل: يا رسول الله وما الهرج؟ فقال هكذا بيده فحرفها كأنه يريد القتل[1].

وهنا تأتي "الإشارة مؤكدة للفظ، ومدعمة له، وكأن وصول المعنى إلى القلب عن طريق السمع لا يكفي، فأريد استصحاب طريق إضافي، فإذا وجد القلب أن المعنى قد وصله من طريقين مختلفين، وكل منهما يؤكد الآخر، فتح للمعنى الباب ليستقر فيه"[2]

وبذلك يرتبط علاج مشكلة الفهم أمام المتلقي بطريق إيماءة شريفة صدرت من النبي ﷺ وعرفت طريقها إلى القلب محفورة في صفحته.

ج) الحل النبوي لمشكلة التساهل بأمر اليتيم ومن يكفله، فكان علاجه ﷺ لهذا الأمر هو حث المؤمنين على كفالة الأيتام، والإحسان إليهم، واستنهاض الهمم حتى لا يبقى في الأمة يتيم غير مكفول.

فعن سهل ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئا[3].

ويظهر بوضوح في هذا الحديث أن الإشارة هنا زادت من عمق التشبيه، ووضعت له كثيرا من الأضواء البيانية، وفتحت له الباب ليجمع كل معاني الود، والألفة والاقتران، والوحدة وغير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: العلم، باب: من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، (١/ ٢٨)، برقم (٨٥).

(٢) بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق، الدكتور/ سعيد جمعة، مرجع سبق ذكره.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الطلاق، باب: اللعان، (٧/ ٥٣)، برقم، (٥٣٠٤).

ويكفي هذا التمثيل وهذه الإشارة لكي يفهم المتلقي قرب ما بين كافل اليتيم وبين النبي ﷺ بمقدار ما بين السبابة والوسطى، وهذا الأسلوب أوقع في النفس وأبلغ من غيره، لما له من تجسيد حسي للقرب المكاني الذي ناسبه التجسيد لا التقرير.

د) ومثل ذلك استخدام النبي ﷺ لكلتا يديه في تقرير قضية التكافل الاجتماعي والتضامن الإنساني، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» وشبك أصابعه[1].

فقد استخدم الرسول ﷺ التشبيك بين أصابعه الشريفة للكناية عن القوة والتماسك الذي تتحصل عليه الجماعة في تضامنها وتعاونها، ولا نحتاج هنا لنبين مدى ما توفره هذه الإشارة من تعبيرات -مهما كانت كثرتها- فإنها لا تصل إلى العمق الدلالي الذي تصل إليه هذه الإشارة.

إن الإشارة لا تكتفي بإخراج المعنوي في صورة المحسوس، وإنما تقوم بتصويره وتجسيده، فيتحول الأمر إلى صور حية مشاهدة تراها العيون، ومن ثم يتفاعل معها المتلقي؛ فيرسخ المعنى في القلب رسوخا لا مزيد عليه[2].

وبذلك يتضافر التوجيه الإشاري مع التوجيه القولي في ترسيخ حل المشكلة، كما يتدعم البنيان بأعمدته وجوانبه وأركانه في انسجام وتكامل.

فمن خلال ما سبق، نجد أن المنهج النبوي قد استخدم الإشارة في حل كثير من المشكلات الاجتماعية، وعلى رأس هذه المشكلات الانفلات الأخلاقي وكثرة القتل

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، (١/ ١٠٣)، برقم، (٤٨١).

(٢) ينظر: بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق، د سعيد جمعة، مرجع سبق ذكره.

وسفك الدماء، ومشكلة اليتم، ومشكلة ضياع الترابط والأخوة الإيمانية بين أفراد الأمة الواحد وغيرها من المشاكل؛ وهكذا .. فلقد كانت الإشارة سببا مهما من أسباب درء وحل كثير من المشاكل الاجتماعية في المجتمع المسلم.

❁❁❁❁

المطلب الثالث

السماع من المتخاصمين

حث المنهج النبوي لمراعاة العدل والمساواة في المعاملات المتعلقة بالحكم بين خصمين، فلا يختص أحدهما بمجلس شريف دون صاحبه، ولا يميز في الخطاب بينهما لكون أحدهما من الأشراف والآخر من آحاد الناس، وكذلك لا يسمع من أحدهما دون الآخر.

فإذا لم يراع القاضي هذه المساواة بين الخصمين فإن ذلك يوجب كسر قلب أحد الخصمين، ويؤدي إلى أن يتجرأ بعضهم على بعض، ويكون من نتيجته انكسار همة هذا الخصم وضياع حقه في النهاية[1].

ومن خلال سماع الطرفين يبحث القاضي عن العدل ويعيد الحق إلى نصابه والباطل إلى صوابه، وبغير هذه الطريقة لا يتمكن القاضي من علاج المشكلة الاجتماعية؛ لأن حقيقة المشكلة الاجتماعية هي الانحراف في السلوك، والحكم بغير الحق والعدل هو الانحراف نفسه، وما لم يتوفر لهذا الانحراف من يقومه يبقى الانحراف قائما ولا تنتهي المشكلة.

وفي قصة داود عليه السلام دليل قوي على ما تم ذكره؛ والقصة كما عرضها القرآن الكريم أن داود عليه السلام فوجئ ذات يوم باثنين يتسوران عليه المحراب، وأعلماه أنهما جاءا إليه ليقضي بينهما، وبدأ أحدهما فعرض خصومته: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ

---

(١) ينظر: درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، علي حيدر، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (٤/ ٥٩٤-٥٩٥).

أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، والقضية- كما عرضها أحد الخصمين- تحمل ظلما صارخا مثيرا لا يحتمل التأويل؛ ومن ثم اندفع داود عليه السلام يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثا، ولم يطلب إليه بيانا، ولم يسمع له حجة، ولكنه مضى- يحكم: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

ويبدو أنه عند هذه المرحلة اختفى عنه الرجلان؛ فقد كانا ملكين جاء للامتحان! امتحان النبي الملك الذي ولاه الله أمر الناس ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم.

وقد اختارا أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخة مثيرة، ولكن القاضي عليه ألا يستثار، وعليه ألا يتعجل، وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد، قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته فقد يتغير وجه المسألة كله، أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعا أو كاذبا أو ناقصا! عند هذا تنبه داود عليه السلام إلى أنه الابتلاء[3].

ولقد كان السماع من المتخاصمين وسيلة من وسائل علاج المشكلات الاجتماعية التي تنشأ عن الخصومة، لذلك تكرر التوجيه النبوي في المساواة بين الخصمين كثيرا، فعن

---

(١) سورة ص الآية: ٢٣.

(٢) سورة ص الآية: ٢٤.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٥/ ٣٠١٨).

علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذا تقاضى إليك الخصمان، فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر**»، قال علي: «**فما زلت قاضيا بعد**»[1].

فلا قضاء إلا في مجلس قضاء، فجلوس الخصمين بين يدي القاضي شرط في صحة القضاء، وشرط في قبول البينات من قبل المتخاصمين، ... وإلا فلا عبرة بقضاء لا يجتمع فيه الخصمان أمام القاضي ويدلي كل بحجته في نفس المجلس ومن ثم يحكم القاضي بينهما.

ومما سبق يفهم وجه القول بأن السماع من المتخاصمين يحسم المشكلة الاجتماعية، وسوف نورد مثالين من قضايا سماع النبي ﷺ يؤكد كل منهما على ما تم تقريره:

القضية الأولى: بين اليهودي والأنصاري، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: بينما رسول الله ﷺ جالس جاء يهودي، فقال: يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك، فقال: «**من؟**»، قال: رجل من الأنصار، قال: «**ادعوه**»، فقال: «**أضربته؟**»، قال: سمعته بالسوق يحلف: والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أي خبيث، على محمد ﷺ، فأخذتني غضبة ضربت وجهه، فقال النبي ﷺ: «**لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، أم حوسب بصعقة الأولى**»[2].

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب: الأحكام، باب: استماع بيان الخصمين، (٤/ ٩٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه الترمذي في سننه، (٣/ ٦١٠)، برقم (١٣٣١)، وقال: (هذا حديث حسن).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الخصومات، باب: ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، (٣/ ١٢١)، برقم (٢٤١٢).

هذا الحديث يعالج مشكلة اجتماعية تتمثل في خصومة قائمة بين رجلين أحدهما اعتدى على الآخر بلطمه على وجهه، وقد جاء شاكيا إلى النبي ﷺ وينتظر منه أن يعاقب الآخر، فلو أخذ النبي بكلام اليهودي ولم يتثبت بسؤال الآخر لاقتص منه وأمر بأن يلطمه اليهودي قصاصا، ولكن النبي ﷺ لما سمع من الآخر تبين له وجه اللطم، وهو أن اليهودي كذب حين فضَّل موسى على البشر الذين يدخل فيهم محمد ﷺ، وذلك إما أن يكون كذبا على الله وانتقاصا من دين الإسلام فيكون لطم المسلم له عقوبة على كذبه عنده[1]، وإما أن يكون ذلك كفًا له وتأديبا[2] لئلا يحدث فتنة في الدين، ومن المعلوم أن الفتنة أشد من القتل الذي هو أشد من اللطم فإذا هان القتل فاللطم من باب أولى.

إن إنصاف اليهودي في هذه الحالة يعني استمرار الفتنة والاعتداء على المواطنة التي هي أساس الاجتماع، والتي تعني حقوقا كثيرة منها حرمة الدين، أما الاستماع إلى الرأي الآخر فإنه بلا شك أسهم في اتضاح الحقيقة، وبالتالي حل المشكلة الاجتماعية ووضع حدود لها، فالمشكلة ليست في نشوب مشادة بين رجلين، ولكنها كانت أعمق من ذلك لقد كانت فتنة توشك أن تعصف بهدوء المجتمع وسلامه.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المغازي، باب: فضل من شهد بدرا، (٥/ ٧٧)، برقم (٣٩٨٣).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (٩/ ٣٦٤٤).

القضية الثانية: قال الأشعث بن قيس[1] ﷺ: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال لي رسول الله: «**ألك بينة**»، قلت: لا، قال: فقال لليهودي: «**احلف**»، قال: قلت: يا رسول الله إذًا يحلف ويذهب بمالي، فقال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**»[2]، فأنزل الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[3].

إن السماع لكل طرف من أطراف الخصومة وسيلة فعالة في علاج مشكلات الخصومة بين الأطراف، وصيانة المجتمع بشكل عام عن الانحراف بإلقاء التهم على الغير جزافا، ذلك المبدأ الذي قرره القرآن الكريم في قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾[4]، والذي بينه التطبيق النبوي من خلال منهجه في علاج المشكلات

---

(١) هو: الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي، صحابي، وفد على النبي ﷺ سنة عشر- في سبعين راكباً من كندة وكان من ملوك كنده، فأسلم، وشهد اليرموك فأصيبت عينه، امتنع عن تأدية الزكاة في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ فحورب واستسلم، وأطلقه أبو بكر وزوجه أخته أم فروة، فأقام في المدينة وشهد الوقائع، توفى في الكوفة سنة ٤٠. ينظر ترجمته في: الإصابة، (١/ ٦٦)؛ الأعلام، (١/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الشهادات، باب: سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة قبل اليمين، (٣/ ٢٣٢)، برقم (٢٦٦٦) ورقم (٢٦٦٧). عن عبد الله ﷺ.

(٣) سورة آل عمران الآية: ٧٧.

(٤) سورة الحجرات الآية: ٦.

الاجتماعية، فلم يقبل على طرف واحد دون السماع من الطرف الآخر، ولم يوقع العقوبة عارية عن مراعاة ظروف بعض الناس.

ولما تقدم بيانه فإن أكثر تصعيد الخلافات ينشأ من الغموض في الطرف الآخر، فإذا تحدث عن نفسه بوضوح وصراحة يكون قد أزال عن نفسه الالتباس.

وبذلك يتبين أهمية السماع من المتخاصمين، وانه يدخل في معنى ذلك كل المشكلات الاجتماعية بين الناس، كالمشاكل الزوجية، والأبناء مع البنات، وعامة الناس، فلا يؤخذ كلام أحد الأطراف حتى يسمع من الطرف الآخر، وأن ذلك من أسباب العدل والإنصاف.

❁❁❁❁

المطلب الرابع

الاستعانة بمن يعينه على حل المشكلة

تعددت الأحداث والمواقف التي تؤكد استعانة النبي ﷺ بالغير ممن له خبرة بهذا الشأن، كواحدة من الوسائل المهمة للتغلب على حل المشكلات الاجتماعية، بل إن المفضل لمن واجهته مشكلة لم يتبين له فيها وجه الصواب، أن يستعين بشخص حكيم وعاقل يستطيع تفهم أبعاد المشكلة والمساهمة في إيجاد حل أو حلول لها، لاسيما لو كان هناك أطراف متعددة.

وفي هذا قال القدماء: (إن عقلا إلى جوار عقلك أفضل من عقلك وحدك)، وقيل: (أصاب من استشار).

كما أن الله سبحانه أمر نبيه بمشاورة أصحابه في الأمر، فقال ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[1]، وقد اختلف العلماء لذلك، فقالت طائفة: في مكائد الحروب وعند لقاء العدو تطييبًا لنفوسهم، وتأليفا لهم على دينهم، وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله أغناه عن رأيهم بوحيه، وقالت طائفة: فيما لم يأته فيه وحي ليبين لهم صواب الرأي.

وقالت طائفة أخرى ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجته إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشورة من الفضل، وقال آخرون: إنما أمر بها مع غناه عنهم لتدبيره تعالى له، وسياسته إياه ليستن به من بعده، ويقتدوا به فيما ينزل بهم من النوازل[2].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٣/ ٤٩٥- ٤٩٦).

وإذا كان أمر الحرب يعود في أغلبه إلى شأن من شؤون الدنيا فهو في أغلب حالاته، دفاع عن حدود الدولة، فإنه لا يرى بأسا في القول بأن النبي ﷺ كان يستشير في أمور الدنيا، أو فيما لم ينزل فيه نصٌّ، وقد تأكد ذلك بالعديد من الحوادث التي ليس ذلك محل بسطها، وتفصيل القول فيها.

وعلى أقل تقدير فليس هناك من حرج شرعي في القول بأن النبي ﷺ، كان يستعين بمن له خبرة وعقل وحكمة في علاج بعض المشكلات الاجتماعية التي تطرأ على المجتمع، فإن النبي ﷺ "وإن كان أكمل الناس عقلا إلا أن علوم الخلق متناهية، فلا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح ما لا يخطر بباله، لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا"[1].

وبرأي الغير يتقوى رأي المرء إن توافق معه، أو يحصل له التمحيص إذا خالفه، فيختبر المرء رأيه في هذه الحالة فيبذل المزيد من الجهد في تحري صحة رأيه من صوابه ولهذا قال الشاعر الحكيم:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن *** برأي نصيح أو وصية حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة *** فإن الخوافي قوة للقوادم[2].

(١) مفاتح الغيب، تفسير الرازي، ، (٩/ ٣٩٧).

(٢) البيت من البحر الطويل. ينظر: ديوان بشار بن برد، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور-الدار التونسية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٦م، (١/ ١٠١٥)، والخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت؛ والقوادم: عشر ريشات في مقدم الجناح وهي كبائر الريش.

وهناك نماذج ووقائع متعددة لجأ فيها النبي ﷺ إلى أخذ رأي الغير في علاج بعض المشكلات الاجتماعية:

لقد استعان النبي ﷺ برأي أصحابه فـ"شاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج فنزل على رأيهم، وشاور أبا بكر وعمر في أسارى بدر، وشاور عليا وأسامة في أمر عائشة في قصة الإفك"(١)، إلى غير ذلك.

وسوف نعرض هنا لبعض الحوادث التي تبين لنا كيف أدت الاستعانة بالغير إلى وضع علاج لمشكلة معينة.

أ- أخذ النبي ﷺ برأي أم سلمة رضي الله عنها في إقناع الصحابة برأيه.

بعد انعقاد الصلح بين المسلمين وبين المشركين، والذي كان ضمن شروطه أن يعود المسلمون، ولا يطوفون بالبيت، على أن يطوفوا به في العام الذي يليه، أثار هذا الأمر غضب بعض المسلمين وتقاعسوا عن الإحلال من إحرامهم بالتحليق والذبح بعد أمرهم النبي ﷺ بذلك ثلاث مرات، فلما لم يفعلوا دخل النبي ﷺ يشكو لأم سلمة من ذلك فأشارت عليه فقالت له: "يا نبي الله أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما"(٢).

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب: والسنة، باب: قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الشورى: ٣٨]، (٩/ ١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (٣/ ١٩٦)، برقم (٢٧٣١).

لقد أدركت أم سلمة رضي الله عنها مدى أثر رباط الاقتداء والأسوة بين الرسول ﷺ وبين صحابته، وأنهم لا يروه يفعل شيئا إلا سارعوا بالتأسي به، ومن هنا أشارت عليه أن يبدأ بنفسه في تطبيق مقتضيات الصلح، ولا يكلم أحدا، فلما فعل ذلك تتابع الصحابة رضي الله عنهم على الاقتداء به في فعله، فعاد رأي الجماعة حاكما ورعية واحدا كما كان.

ب- استعان النبي ﷺ بمجموعة من أصحابة لحل مشكلة وقعت في حين من أحياء الأنصار، فقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأُخبرَ النبي ﷺ بذلك، فقال ﷺ: «**اذهبوا بنا نصلح بينهم**»[1]؛ فخرج إليهم النبي ﷺ في أناس من أصحابه يصلح بينهم ويحل مشكلتهم.

ويؤيد هذا المسلك ما ورد في القرآن الكريم في قول الله عز وجل: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ ﴿٩﴾ ﴾[2].

ج- وفي الحروب اتخذ النبي ﷺ من خبرات الفرس التي كان يعرفها سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال سلمان للنبي: «إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا»[3]، وبذلك نجت المدينة، وانسحبت الأحزاب بفكر عسكري فارسي.

د- أتخذ النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليستطلع أخبار الأحزاب (يوم الخندق)، ويحل مشكلة سبر المشركين في قعر معسكرهم لما عرف عنه من الدقة في تنفيذ الأوامر، على ألا يثير الناس بأي فعل، فدخل وعلم عزم الأحزاب على الرحيل فعاد مسرعًا للنبي

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الصلح، باب: قول الإمام لأصحابه اذهبوا بنا نصلح، (٣/ ١٨٣)، رقم (٢٦٩٣).

(٢) سورة الحجرات الآية: ٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٧/ ٣٩٣).

وأخبره بالأمر؛ فقد أحسن النبي ﷺ في اختيار من يقوم بالمهام العظام والصعاب، ولا سيما في أوقات الأزمات.

ومن هنا يُعلم أنه ليس من العيب أن يبحث الإنسان عن من يعينه في حل مشكلاته، أو مشكلات مجتمعه، فالنبي ﷺ على علو منزلته وعظَمِ قدر مكانته يستعين في بعض الأحيان بأشخاص لحل المشكلات والأخذ برأيهم.

وبذلك يتضح أن أخذ النبي من يعينه على حل المشكلة وسيلة مهمة من وسائل علاج المشكلات الاجتماعية، وذلك إن المدارك والعلوم البشرية متناهية ولا ينفرد أحد بكل مجامع الرأي الدنيوي، وقد يكون في رأي الغير من الحكمة والمصلحة ما ينتفع به في حل معضلة أو مشكلة عويصة.

من هنا يفهم، قيمة الاستعانة بالآخرين والأخذ برأيهم في التعامل مع المشكلات لا سيما المشكلات الاجتماعية منها، وكيف كان للنبي ﷺ منهجًا عمليًا في هذا الأمر، اتضح هذه المنهج من خلال سيرته النبوية، ومن خلال النماذج والأحداث العملية التي ذكرنا بعضها.

❁❁❁❁

المطلب الخامس

اليسر وعدم التشدد

من القواعد التي أصَّلَ لها الإسلام قاعدة: (التيسير وعدم التشديد) على الناس، دون تفريط، ولا إفراط؛ قال الله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[2].

ولقد تضافرت وتواترت أدلة الشرع الحنيف قرآنا وسنة في هذا الصدد للدلالة على الأخذ بأمر التيسير، ورفع الحرج والمشقة من على كاهل العباد، ولقد شمل هذا التيسير كل أركان الدين العملية وفرائضه من صلاة وصوم وزكاة وحج.

لذا فقد تبنَّت قاعدة التيسير ورفع الحرج والمشقة مكانة كبيرة في منهج النبي ﷺ في التعامل مع المشكلات الاجتماعية واقتراح الحلول، ولذا فإن المنهج النبوي يؤكد على هذا القاعدة من خلال معرفته بطبيعة النفس البشرية، ورعايته لمقتضيات ضعفها، والتي إن حُمِّلَت فوق طاقتها انقطعت وكلَّت، ولم تظفر بالمطلوب وقد بيَّن النبي ﷺ هذه العلة فيما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال لي النبي ﷺ: «**ألم أُخبرَ أنك تقوم الليل**

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٥.

(٢) سورة المائدة الآية: ٦.

وتصوم النهار؟» قلت: إني أفعل ذلك، قال: «**فإنك إذا فعلت ذلك هجمت**[1] **عينك، ونفهت نفسك، وإن لنفسك حقا، ولأهلك حقا، فصم وأفطر، وقم ونم**»[2].

إن المكلَّف إذا كان يحصل له بسبب إدخال نفسه في العمل مشقة زائدة على المعتاد فإنها تؤثر فيه أو في غيره فسادا، أو تحدث له ضجرا أو مللا وقعودا عن النشاط إلى ذلك العمل، فينقطع في الطريق ويبغض إلى نفسه العمل كما هو الغالب في المكلفين[3].

فإذا كان للتشدد في أمور العبادات هذا الأثر الخطير -على الرغم من أنها قد لا تتطلب إلا المشقة البدنية- فكيف الحال في الأمور الاجتماعية التي قد تحتاج في كثير من شؤونها إلى أعباء مادية، قد لا تكون في متناول كثير من الناس؟.

لا شك أن الأثر الذي يحدثه التشدد في هذه الحالة سوف يؤدي إلى مزيد من الأضرار التي سوف تزيد بطبيعة الحال على مجرد التعب البدني الذي يجلبه التشدد في العبادات، ولنأخذ مثالا يوضح تبعات التشدد في الأمور الاجتماعية ليظهر لنا مدى أثر التيسير في إزاحة هذه التبِعات من ناحية ويظهر لنا كيف يكون اليسر- وسيلة من وسائل حل المشكلات الاجتماعية من منظور منهج النبي ﷺ؟.

---

(١) هجمت عينك: بفتح الجيم أي غارت أو ضعفت لكثرة السهر ونفهت بنون ثم فاء مك أي كلت، ينظر: فتح الباري لابن حجر، ابن حجر العسقلاني، (٣/ ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: التهجد، باب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه (٢/ ٥٤) برقم (١١٥٣)، ومسلم كتاب: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم، (٢/ ٨١٦)، برقم (١١٥٩).

(٣) ينظر: الموافقات، الشاطبي، (٢/ ٢٣٩).

يعتبر التغالي في المهور مشكلة اجتماعية بارزة من قديم الزمان، إلا أنها قد تطورت وتشعبت في العصر الحديث، وأخذت الأسر والعائلات المختلفة تتمسك بها لمجرد التباهي والافتخار بالحديث عنها، وهذه الظاهرة إذا كانت تثقل كاهل المقبلين على الزواج بأعباء مادية شديدة الوطأة فإن لها في نفس الوقت آثارا خطيرة على من لا يملكون هذه النفقات الباهظة، ومن هذه الآثار الخطيرة ما يلي:

١- بقاء الرجال أيامى، وبقاء البنات عوانس، وهذا معناه تعطيل الزواج وإيقاف سنة الله في الحياة، وتأخُّر نسل الأمة الإسلامية.

٢- حصول الفساد الأخلاقي عند الجنسين عندما ييأسون من الزواج، إذ يبحثون عن بديل غير شرعي لذلك.

٣- حدوث الأمراض النفسية في صدور الشباب من الجنسين بسبب الكبت وارتطام أفكارهم بخيبة الأمل.

٤- عزوف الشباب عن الزواج بالمواطنات، ورغبتهم في الزواج بالأجنبيات، وهذا أمر في غاية الخطورة؛ إذ يترتب عليه مشكلات لا حصر لها[1].

وإذا كان التشدد ينجم عنه كل هذه المضار فلا ريب أن اليسر وعدم التشديد يقي من كل هذه المضار، ويؤدي إلى حصول ما يقابلها من المصالح، وقد كانت هذه الآلية من وسائل المنهج النبوي في علاج المشكلات الاجتماعية بصفة عامة، وعلاج هذه المشكلة بصفة خاصة.

---

(١) ينظر: الزواج والمهور، عبد العزيز المسند، دار العمير للثقافة والنشر، ط٤، ١٤٠٦هـ، (ص٥٧) وما بعدها.

فيروى في هذا الصدد عن سهل ابن سعد الساعدي ﷺ، أن امرأة عرضت نفسها على النبي ﷺ، فقال له رجل يا رسول الله زوجنيها، فقال: «**ما عندك؟**»، قال: ما عندي شيء، قال: «**أذهب فالتمس ولو خاتما من حديد**»، فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئا، ولا خاتما من حديد ولكن هذا إزاري ولها نصفه، قال سهل وما له رداء، فقال النبي ﷺ: «**وما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء**»، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه النبي ﷺ فدعاه، أو دعي له فقال: «**ماذا معك من القرآن**» فقال معي سورة كذا، وسورة كذا لسور يعددها، فقال النبي ﷺ: «**أملكناكها بما معك من القرآن**»[1].

فهذ اليسر وهذه السهولة ترتب عليها في لحظة واحدة علاج مشكلة كثيرة الحدوث، هي مشكلة عدم القدرة على الزواج لكثرة نفقاته، وهنا يتفرس النبي ﷺ في حال هذا الرجل فيعلم أنه لا يملك شيئا ليتزوج به فيأمره بالتماس أي شيء، ولو خاتم من حديد فلا يستطيع الرجل، ولكنه لا يترك المشكلة قائمة دون حل، فيستعين بالتيسير مرة أخرى؛ فيسأل عن حفظه لشيء من القرآن، وليس عن حفظه القرآن، فيجد الرجل يحفظ سورا قليلة فيزوجه بها.

ولم تكن هذه القصة واقعة عين وعلاجا لمشكلة خاصة، بل كانت قاعدة عامة في سائر الحالات التي تتصف بنفس الظروف السابقة، ولذلك قال الشافعي -رحمه الله-:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: النكاح، باب: عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، (٧/ ١٧)، برقم (٥١٢١).

"إن لم يكن له شيء يصدقها فيتزوجها على سورة من القرآن، فالنكاح جائز، ويعلمها سورة من القرآن"[1].

وفي جانب الكفارات نورد مشكلة وقعت لأحد الصحابة رضي الله عنهم حيث جاء إلى النبي ﷺ يريد حلا ومخرجا لها، وهو صحابي فقير لا يملك قوت يومه، وهي نموذج لما كان يقع للصحابة من إحراجات ومشكلات.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «**ما لك؟**»، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «**هل تجد رقبة تعتقها؟**» قال: لا، قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**»، قال: لا، فقال: «**فهل تجد إطعام ستين مسكينا؟**»، قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ فبينا نحن على ذلك أتي النبي ﷺ بعرق فيها تمر -والعرق: المكتل[2]- قال: «**أين السائل؟**» فقال: أنا، قال: «**خذها فتصدق بها**»، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها -يريد الحرتين- أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «**أطعمه أهلك**»[3].

---

(١) سنن الترمذي، (٣/ ٤٢١).

(٢) العرق المكتل - بكسر الميم وسكون الكاف وفتح المثناة الفوقية- قال الحافظ في "فتح الباري" (٤/ ١٦٨): إنَّه تفسير من أحد رواته؛ والعرق المكتل يسع فيه ثلاثين صاعا من التمر.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الصوم، باب: إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر، (٣/ ٣٢)، برقم (١٩٣٦)، وأخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: الصيام، باب: تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان، (٢/ ٦٨٤)، برقم (١١١١).

ففي الحديث دلالة واضحة لدور التيسير في حل مشكلة هذا الرجل وحل لما يواجه الإنسان من مشكلات.

وإذا كان هذا التيسير في المنهج النبوي في القضايا الشرعية وشرائع الدين فلا شك أنه في أمور الدنيا آكد على العباد، فتبين من خلال ذلك أنه منهج أصيل يمكن من خلاله التعامل مع كثير من المشكلات الحياتية التي قد تحيط بالإنسان أو تواجه وتقابله.

وفي جانب الحقوق المالية فقد تبين أهمية التيسير في حل مشكلة قضاء الدَّين؛ فإن الدَّين من أشد المشكلات وطأة على المسلم وأكثرها همًا، لذلك كان من منهج النبي ﷺ أن يوصي الغرماء بالحط من الدَّين تيسيرا على المدين.

إن اليسر في اختيار البدائل والحلول للمشكلات الاجتماعية وسيلة مهمة في سرعة الإجهاز على هذه المشكلة، ووضع حد لها، وعلى العكس من ذلك، فإن التشدد يؤدي إلى تنامي هذه المشكلة وتضخمها خاصة حينما تكون الحلول في حالة الشدة في غير متناول الجميع فتبقى المشكلة قائمة؛ وقد يترتب عليها مشاكل أخرى تجلب بدورها أضرارا نفسية وسلوكية، قد تبين لنا مدى فعالية اليسر؛ ونبذ الشدة من خلال المنهج النبوي في التعامل مع المشكلات الاجتماعية.

❁❁❁❁

المطلب السادس

إدخال السرور على الآخرين

إن إدخال السرور على قلوب الآخرين استمالة لحبها، أو إعانة لها على مشاكلها التي تعاني منها، فهو في الحالة الأولى يستجيش عواطف القلوب ليهيئها لقبول الحق والصواب، وإتباع السلوك السويّ، وفي الحالة الثانية يؤجج قواها النفسية، ويستحث العزم الكامن في وجدانها؛ لكي تستجمع قواه، وتواصل تنفيذ المهمة الملقاة على عاتقها.

فمن هنا اتخذ النبي ﷺ وسيلة إدخال السرور على الآخرين للوصول إلى تلك الغاية المهمة.

فالسرور لغةً: سرر، و(سررت) الرجلَ سُرورا فرّحته[1]، وهو: ارتياح في القلب عند حصول نفع أو توقعه أو اندفاع ضرر[2].

واصطلاحًا: لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي، فالسّرور إلتذاذ وانشراح يحصل في القلب فقط، من غير حصول أثره في الظّاهر[3].

وقيل هو: "حالة نفسانيّة تعرض عند حصول شيء لذيذ"[4].

---

(١) الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطاع الصقلي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، (٢/ ١٥٧) مادة: (سرر).

(٢) المعجم الوسيط، (١/ ٤٢٧).

(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٦/ ٥١٣).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ، (ص ٤٠٣).

إن مدخلات السرور وجالبات البهجة لا تقع تحت حصر، فليس المال وحده هو جالب السرور وزارع البهجة، بل أبواب الإحسان واسعة من القول الحسن، والفعل الجميل، والخلق الكريم، والمشاركة الوجدانية، إنها أبواب واسعة بقدر اتساع نعم الله التي لا تحصى فهي كلها ميادين للفرح والسرور والابتهاج.

وبناء على ذلك، فإن حلَّ المشكلات الاجتماعية لأفراد المجتمع لا يقتصر على الجوانب المادية فقط، بل يتعداها إلى الجوانب الحسية والمعنوية، فالإنسان عقل وروح وكتله من المشاعر والأحاسيس، فإذا أصيب بأمر ما، أو نزلت به نازلة، أو لحقه ضرر ما في نفسه، أو ماله أو عياله، وأثرت به فقد تشتت أمره، وتفرق تحت ضغط ما أصابه؛ فهو بحاجة إلى من يعينه ويساعده في أموره ويتضامن مع قضاياه ومشاكله المختلفة، فبذلك تكون حالته النفسية أكثر استقرارًا.

ومن هذا المنطلق كان المنهج النبوي حريصًا على أن يكون المرء مدخلًا للسرور على قلوب إخوانه المسلمين، ومجسدًا ذلك بفعله لذلك وأمره فمن ذلك:

أ) الحث على إدخال السرور على المسلم عموما: إن إثر إدخال السرور من أهم الوسائل لإبعاد الهم والحزن والتعب والاكتئاب النفسي لدى الآخرين، ولذلك حث النبي ﷺ على هذه الوسيلة الهامة، فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: « .. **وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا**»[1].

---

(١) جزء من حديث، أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، (١٢/ ٤٥٣)، برقم (١٣٦٤٦)، وابن أبي الدنيا، في "قضاء الحوائج"، (ص٤٧)، برقم، (٣٦)، وحسن الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة برقم (٩٠٦)، وفي صحيح الجامع، برقم (١٧٦).

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»(١).

ب) إدخال السرور على أصحاب الهموم والأحزان: فعن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**»(٢).

فوجه الدلالة هنا أنه إذا عَلِمَ المهموم والمغموم أن ما يصيبه من الأذى النفسي- نتيجة للهمّ والغم، وأن ما يصيبه من المصائب والأحزان لا يذهب سدى بل هو مفيد في تكثير الحسنات، وتكفير السيئات، فإذا عَلِمَ العبد ذلك فرح واستبشر، وأنه لولا المصائب والابتلاءات لوردنا يوم القيامة مفاليس كما ذكر بعض السلف، ولذلك كان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ج) إدخال السرور عن طريق العطاء: إن لإدخال السرور على قلب الآخرين في الدعوة النبوية طرق متعددة، ومن أبرز الوقائع المتعلقة بهذا المبحث هي زيادته ﷺ في عطاء الفئات التي دخلت الإسلام بعد الفتح تأليفا لقلوبها مع قلوب المسلمين، فبعد قيام دولة الإسلام وانزواء دولة الكفر تمخضت الأحوال عن فئات من المجتمع القديم دخلت في الإسلام ولكنه لم يتمكن من قلوبها، وبسبب الثارات القديمة التي كانت بين هذه الفئات وبين المسلمين أضمرت نفوس هؤلاء القوم حقدًا لم يستطع دخولهم في الإسلام أن

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: البر والصلة والأدب، باب: استحباب: طلاقة الوجه عند اللقاء، (٨/ ٣٧)، برقم (٦٨٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، (٧/ ١٤٨)، برقم (٥٦٤٢).

يطمسه، وإذا كان المجتمع هادئا في لحظته فإنه لا يمكن الوثوق بهذا الهدوء ما دامت النفوس تنطوي على ضغائن وأحقاد، سرعان ما تتأجج إذا وجدت ثقابا يقدحها، ومن هنا مسَّت الحاجة لعلاج يأخذ بمجامع هذه القلوب ويفرِّغها مما تتحمله من سخائم وحزازات، ويملأها بالسرور والسعادة، وقد اقتضت حكمة النبي ﷺ أن يخص هذه الطوائف بزيادة في العطاء، حتى تمتلئ النفوس بالسعادة، وتخلع عنها مظاهر الحقد والغضب "فإن الإنسان عبد الإحسان وقد جبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها"[1].

وبالفعل كان لهذه الوسيلة أثر كبير في تأليف القلوب وتوحد المجتمع تحت راية الدولة الجديدة، وصدع الناس بهذا الحب، حتى قال صفوان بن أمية رضي الله عنه: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي»[2].

د) إدخال السرور على المريض لمشاركته في همه مواساته: لقد اتضح أن إدخال السرور على المرء في هذه الحالة يؤدي إلى نتائج محمودة، وذلك أن الله -تبارك وتعالى- لما وضع المرض وضع معه الدواء، فلم يجعل داء إلا وجعل معه الدواء[3].

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٤/ ٢٩٨). بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه (٤/ ١٨٠٦) برقم (٢٣١٣).

(٣) رواه أبو داود في "سننه" (٤/ ٣) برقم (٣٨٥٥) عن أسامة بن شريك، قال: أتيت النبي وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من ها هنا وها هنا، فقالوا: يا رسول الله، =

فإذا كان المرض مشكلة صحية فردية فهو مشكلة اجتماعية من ناحية أخرى إذ ينطوي على تعطل أفراد المجتمع عن أداء أدوارهم في الحياة، وهو لا يقل خطورة عن مشكلة الفقر، فالمرض يغلق في نفس الإنسان طاقات الفرح، ويضعف عواطف التفاؤل ويعطل غريزة الحياة، ومن أجل ذلك كان المريض في حاجة غير عادية لرفع المعنويات وإيقاظ التفاؤل بداخله، ليكون ذلك عونا له على مدافعة قوى المرض.

وقد كانت هذه من وسائل النبي ﷺ لمواساة المريض وإعانته على المرض، قال ابن القيم -رحمه الله-: من "هديه ﷺ أنه كان يسأل المريض عن شكواه، وكيف يجده ويسأله عما يشتهيه، ويضع يده على جبهته، وربما وضعها بين ثدييه، ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته، وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه، وربما كان يقول ﷺ للمريض: «**لا بأس طهور إن شاء الله**»، وهذا من كمال اللطف، وحسن العلاج والتدبير"[1].

وقد حث النبي ﷺ أصحابه على رفع معنويات المريض، فكان من فعله ﷺ أنه كلما ذهب إلى مريض يزوره دعا الله له بالشفاء، ويسمعه من الكلمات المبشرة التي تشرح صدره لحاجته إلى تلك الكلمات التي ترفع من معنوياته، فعندما ذهب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يزوره قال: «**اللهم اشفِ سعدًا**، ... »[2].

أنتداوى؟ فقال: «تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد الهرم»، والترمذي في "سننه"، (٤/ ٣٨٣) برقم (٢٠٣٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، (٤/ ١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المرضى، باب: وضع اليد على المريض، (٧/ ١٥٣)، رقم (٥٦٥٩)، ونحوه في صحيح مسلم، كتاب: الوصية، باب: الوصية بالثلث، (٥/ ٧٢)، رقم (٤٣٠٢).

ففي هذا الحديث نوع من أنواع العلاج وهو الإرشاد إلى ما يدخل السرور ويطيِّب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به العزيمة، وتنتعش به القوة، وينبعث به الأمل، ويساعد على دفع العلة أو تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطبيب.

والخلاصة أن في تفريج نفس المريض وتطييب قلبه وإدخال السرور عليه تأثيرا عجيبا في علاج مشكلته المتمثلة في القعود عن مزاولة الحياة، وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه، ويدخلون السرور على قلوبهم[1]، وبذلك يتبيَّن مدى فائدة هذه الوسيلة في علاج مشكلات المجتمع الكثيرة.

وهكذا فإن لإدخال السرور بصفة عامة أثره الواضح في علاج تلك المشكلات الاجتماعية التي قد يعاني منها الإنسان في حياته خاصة المشكلات الاجتماعية، وقد اتضح لنا باستقراء المنهج النبوي من خلال عرض بعض الأمثلة والشواهد من السنة النبوية، وهذا ما سبق إيضاحه وبيانه.

❁❁❁❁

(١) ينظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، شهاب الدين القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (٣/ ٨).

المطلب السابع

مراعاة أحوال بعض المخطئين

لقد فطر الله الناس على صفات متفاوتة، وإدراكات متباينة؛ فمنهم الذي يتأثر بالعاطفة ويستجيب للموعظة، ومنهم العقلاني الذي يناسبه الطرح العقلي، ومنهم الذي يؤخذ بالترغيب، ومنهم الذي يتأثر بالترهيب، ومنهم المسالم المنصت، ومنهم المجادل العنيد، ومنهم العالم، ومنهم الجاهل، ومنهم القوي، ومنهم الضعيف.

ولذلك فإن مقتضى الحكمة أن تُراعى هذه الطباع، وأن يهتم بخطاب كل صنف بما يناسبه، وكذلك مراعاة الأسباب التي أدت إلى وقوع ما إقترفوه من مخالفات، وما وقعوا فيه من مشكلات، في إطار الشرع الحنيف.

والمراعاة في اللغة: الحفْظُ والرفْقُ وَتخْفيفُ الكُلف والأَثْقال[1]؛ وراعيتُه مراعاة: لاحظتُه محسنًا إليه ومنه مراعاة الحقوق[2].

وفي الاصطلاح: لا يبتعد عن المعنى اللغوي، ويجري مجراه، بمعنى أن المراعي يلاحظ ويرعى قول غيره ويضعه في اعتباره، ويحافظ عليه ويرفق به.

وقال ابن عاشور[3]: طلب المراعاة أي الرفق لأن الرعي من لوازمه الرفق بالمرعي[1].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (١٤ / ٣٢٦، ٣٢٩).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٣٨ / ١٦٤).

(٣) هو: الإمام محمد الطاهر ابن عاشور التونسي ولد سنة ١٢٩٦هـ، وهو رئيس المفتين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه فهو من كبار العلماء والمصلحين في عصره، وتنوعت آثاره من حيث موضوعاتها، فألف في التفسير، والحديث، والأصول، والأدب، واللغة، والتاريخ والتراجم، والدراسات الإسلامية، =

فمراعاة أحوال الناس: تعني سياسة أمور الناس، واختيار الأصلح لحل مشكلاتهم، والاهتمام بشئونهم، والرفق بهم والتخفيف عنهم، وتقدير حالهم وواقعهم.

ومن منطلق هذه المرتكزات فقد راعى النبي ﷺ أحوال الناس في تطبيق الأحكام الشرعية وإيجاد الحلول المناسبة للمشكلات الاجتماعية، فكان تعامله مع الفرد مخالفا لتعامله مع الجماعة من حيث كونهم جماعة، أو الأمة، فلم يكن التعامل متماثلا مع الجميع، وذلك بتقدير الظروف الخاصة التي قد تدفعه لارتكاب الخطأ؛ "فليس ما يصلح لشخص يصلح لآخر، وليس كل ما يصلح لبيئة يصلح لأخرى، وليس كل ما يصلح لفئة أو جنس يصلح لغيرها، وليس كل ما يصلح لزمن يصلح لسائر الأزمنة والعصور، والمعلم الموفق هو الذي يعطي كل إنسان فردًا أو جماعة من العلم ما يلائمه، ويصلح له، وبالقدر الذي يصلح به، وفي الوقت الذي ينتفع به"[٢].

ومن أبرز الأمثلة التي توضح مدى استخدام النبي لوسيلة مراعاة أحوال المخطئين:

وتوفي سنة ١٣٩٤هـ. يراجع: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، إسماعيل حسني، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، ط١، ١٩٩٥م، (ص ٧٥- ٩٨).

(١) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، (١/ ٩٦١).

(٢) السنة النبوية مصدرا للمعرفة والحضارة، للقرضاوي، (ص ١٣٥).

أولا: لم يكن النبي ﷺ ليعاقب المنافقين رغم ما بلغه عنهم، درء لحدوث مشكلات اجتماعية لا تحمد عقباها، ويتضح ذلك من قوله لعمر ﷺ لما أراد أن يقتل عبد الله بن أبي بن سلول: «**دعه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**»(١).

ثانيا: قد تنشأ مشكلة عن طرق خطأ ارتكبه بعض الأشخاص ويستحق عليه عقابا معينا، وعند العلم بالظروف التي دفعته لفعل ذلك يخفف هذا العقاب وقد ترفع عنه التهمة من الأساس، وهذا ليس تساهلا وإنما هو القصد والعدل ووضع الشيء في موضعه، وقد يأتي الوحي مؤكدًا لهذا الأمر لندرك عندها أن الحق هو ما ذهب إليه النبي ﷺ من خلال مراعاة وتقدير أحوال بعض المخطئين.

وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ الذي أُتِهِمَ بخيانة الله ورسوله والمؤمنين، كيف أن النبي ﷺ صدَّقه، عندما شرح ظروفه الخاصة التي اقتضت منه أن يفعل ما فعل من إعلام المشركين بوقت مسير المسلمين، وأنه إنما فعل ذلك متأولًا لم يقصد خيانة، وأن خشيته على أهله من الكفار -وليس له بينهم ظهير- هي التي دفعته أن يتخذ يدًا له على الكفار ليحمي بها أهله.

ومن جانب آخر فإن الصحابي الذي أُبلِيَ بلاء حسنا في نصرة الإسلام والمسلمين يوم كان الإسلام ضعيفا، لا يُعقل أن يخون الإسلام وأهله في وقت اشتداد أزره وتنامي قوته، وظهور أمارات انتصاره وعزه، فلم يصح أن تنسى له سوابق بلائه وإحسانه، ولذلك لم يزد عقاب هذا المخطئ عن عتابه من الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾ [المنافقون: ٦]، (٦/ ١٥٣)، رقم (٤٦٢٢). عن جابر بن عبد الله ﷺ.

وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾[1]،[2].

إن حاطبًا خرج عن جادة الصواب بهذا العمل، وما كان له أن يوادّ المشركين وهم الذين تبجحوا بالكفران، وتظاهروا على العدوان، وصنعوا بالمسلمين ما حاطب أعلم به من غيره، لكن الإنسان الكبير تعرض له فترات يصغر فيها، والله أبر بعباده من أن يؤاخذهم بسورات الضعف التي تعرو نورهم فيخبو، وسعيهم فيكبوا، وقد استكشف النبي ﷺ خبيئة حاطب، فعرف أنه لم يكذبه في اعتذاره، إنهم مقبلون على معركة كبيرة قد ينهزمون فيها، فتقوم العصبيات القديمة بحماية الأقارب الشاردين، ويبقى حاطب لا حمى له، فليتخذ تلك اليد عند قريش حيطة للمستقبل، ذلك ما فكر فيه حاطب، وهو خطأ، فإن المشركين لم يذكروا في عداوة الإسلام رحما ولا أهلا، وما ينبغي -ولو دارت علينا الدوائر- أن نبقي لهم ودا، وقد خاصمناهم في ذات الله، وأخذ علينا العهد أن نبذل في حربهم أنفسنا وأموالنا، ولو جاز اتخاذ يد عندهم فكيف يتوسل لذلك بعمل يعد خيانة كبيرة فادحة الإضرار بالإسلام وأهله؟!، على أن حاطبا شفع له ماضيه الكريم، فجبرت عثرته، وأمر النبي ﷺ المسلمين أن يذكروا الرجل بأفضل ما فيه، وبهذا التقدير السمح علمنا الإسلام ألا ننسى الحسنات والفضائل لمن يخطئون حينا بعد أن أصابوا طويلا[3].

---

(١) سورة الممتحنة الآية: ١.

(٢) ينظر: أسباب النزول، أبو الحسن النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، (ص٤٢١).

(٣) ينظر: فقه السيرة، محمد الغزالي، (ص ٣٧٧).

ثالثا: مراعاته ﷺ لأحوال المدعو البيئية والعلمية: في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد فصاح به الناس، لكن النبي ﷺ عالج مشكلته مراعيا جهله وحاجته أيضا لقضاء الحاجة؛ بقوله لهم: «**لا تزرموه، دعوه**»، فتركوه حتى بال!، ثم دعا بدلو من ماء فصبَّ عليه، ثم عالج جهله بتعليمه برفق فقال: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر؛ إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن**»(١).

ففي هذا الموقف قد راعى النبي ﷺ حال الأعرابي وأنه ممن كان يجهل آداب هذا المكان (المسجد) الذي لم يألفه في جاهليته.

ولم يقتصر ﷺ في حل مشكلته على تبصيره بموطن الخطأ فقط إنما زاد في البيان، فذكر له – على سبيل الحصر تقريبًا – مجموعة الأعمال التي تمارس في المسجد لعلمه بحاجة الأعرابي إليها.

رابعا: مراعاته ﷺ لأحوال المدعوّ النفسيَّة: ففي معاملة النبي ﷺ للشاب الذي أتاه يطلب منه أن يأذنَ له في الزِّنا، وهو من كبائر الذُّنوب؛ تعاملَ معه النبيُّ ﷺ بشفقةٍ ورحمةٍ مع الإنكار عليه برفق وحكمة؛ مراعاة لحالته النفسيَّة؛ وتقدم ذكر الحديث في مبحث صحة الفهم.

وفي هذا أعظم دليل على سعة هذا المنهج النبوي ومراعاته للأحوال والظروف والمستجدات، لذلك حرص على مخاطبة الناس على قدر عقولهم وعلى مقدار ما يستوعبون

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، (٨/ ١٢)، برقم (٦٠٢٥)، ومسلم، في "صحيحه" كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، (١/ ٢٣٦)، برقم (٢٨٥)، – والسياق له – من حديث أنس بن مالك ﷺ.

ويفهمون؛ فقد ورد عن ابن مسعود ﷺ: «ما أنت بمحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[1].

وعلى ما سبق، فإن مراعاة النبي ﷺ لأحوال المدعوين وحالتهم وظروفهم لمن أهم الوسائل في المنهج النبوي المستخدمة لحل المشكلات لاسيما المشكلات الاجتماعية، ومن خلال استقراء الأمثلة المذكورة آنفًا، وتناولها بشيء من التحليل والبيان تبين لنا أثر هذه المراعاة على حال المدعوين واستيعاب مشاكلهم وهمومهم على اختلافها وتنوعها.

❁❁❁❁

(١) أخرجه مسلم في مقدمة كتابه، باب: النهى عن الحديث بكل ما سمع، (١/ ١١)، برقم (١٤).

المطلب الثامن

وضع العلاج المناسب للمشكلة

قد تتعدد الحلول المطروحة لحل مشكلة ما، إلا أنه في غالب الأمر يكون أحد هذه الحلول هو الأنسب والأمثل لهذه المشكلة فيكون هذا الحل هو الحري بالاختيار، وقد يُختار من بين الحلول حل ليس أمثل الحلول المطروحة فيؤدي إلى تأزمها، لأنه لم يكن حلًا جذريًا، فيبقى خطر المشكلة قائمًا، ويبقى العمل على حلها بهذه الطريقة دون جدوى، ولعل الحل المناسب لأي مشكلة هو الذي يخضع لمجموعة من المعايير، وهذه المعايير على النحو التالي:

- أن يكون هذا الحل متقبلًا لدى الأفراد.
- أن يكون الحل سريعًا لأجل تحديد الهدف المنشود.
- أن يكون هذا الحل ذا كفاءة، وله القدرة على تخطي المشكلة[1].

ولقد كان المنهج النبوي تطبيقا صادقا لهذا المبدأ؛ مما أسهم في علاج المشكلات الاجتماعية علاجًا جذريًا لا علاجًا قشريًا، فكان النبي ﷺ في حالة تعدد الحلول يختار الحل الأنسب للمشكلة دون غيره من البدائل التي قد تكون صالحة في علاج المشكلة في ظاهر الأمر، وبذلك كان يتم الإجهاز السريع على المشكلة قبل أن تتضخم؛ فتحتاج إلى آليات كثيرة لوضع حد لها، وإذا ما ثبت بالتجربة خطأ بعض البدائل عمد النبي ﷺ إلى الحل الآخر الذي ليس فيه احتمال الخطأ.

---

(١) ينظر: المرشد الشخصي للسعادة والنجاح، إبراهيم بن حمد القعيد، وخالد بن عبد العزيز المبارك، دار المعرفة للتنمية البشرية، الرياض، ١٤٢٣هـ، (ص٢٢٩).

ويمكن أن تطبق هذه الوسيلة -وضع العلاج المناسب- على مسألة صلح الحديبية التي سبق أن ذكرناها في وسيلة الاستعانة برأي الغير ممن له دراية ورأي صائب.

فبالنظر إلى هذا الصلح وأحداثه يمكن استخلاص التالي:

أولا: غضب الصحابة رضي الله عنهم من اشتراط المشركين في صلح الحديبية على المسلمين أن يحلوا من عامهم دون الطواف بالبيت، وأصروا على الدخول لمكة، على الرغم من موافقة النبي ﷺ واستعداده للعودة للمدينة.

ثانيا: أمرهم النبي ﷺ بالإحلال وذبح الفدية (ثلاث مرات)، ومع ذلك لم يسمعوا إليه، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فأشارت عليه أن اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك.

ثالثا: يظهر هنا للمشكلة أكثر من حل فأحد هذه الحلول أنه أمر ﷺ أمرًا قوليًا مباشرًا ولكنه لم ينجح لثلاث مرات.

الحل الثاني: أن يكرر النبي أمره ويصعد المنبر مثلًا ليأمرهم بذلك، ولكن النبي ﷺ لم يفعل ذلك.

الحل الثالث: هو ما أشارت به السيدة أم سلمة رضي الله عنها وهو أن يخرج النبي ﷺ على وجه السرعة حتى ينحر بدنه ويدعو حالقه ليحلق له، ويبدأ بنفسه دون أن يكلم أحدًا منهم.

رابعا: أما الحل الأول: فقد ثبت بالتجربة عدم جدواه، وقد ينجح إذا عمد إليه النبي ﷺ مرة أخرى، لكنه سيستهلك مزيدا من الوقت ولا يتناسب مع حالة الصحابة الغاضبين في هذا الوقت بسبب الشروط التي اعتبروها مجحفة وغير عادلة، وقد تحصل مناوشات بينهم وبين المشركين لهذا الوقت، أو يتهور بعض الصحابة ويدخل البيت على الرغم من قريش فيبطل العهد ويدخل المسلمون حربا لا داعي لها.

وأما الحل الثاني: وهو الوعظ فسوف يستهلك نفس الوقت، وقد يترتب عليه نفس المخاطر التي مرت، بالإضافة إلى أن الصحابة ﷺ تحت تأثير الصدمة قد عراهم من ذهول العقل والدهشة ما قد لا ينفع معه الوعظ والإرشاد، فمست الحاجة هنا إلى حل عملي سريع يزيل الذهول عن عقول الصحابة من ناحية، ويجعلها تبادر إلى فعل ما أمر به النبي ﷺ، ولم يكن هذا الحل إلا ما أشارت به الصحابية الجليلة أم المؤمنين وهو ما ثبت نجاحه، فما هو إلا أن رأى المسلمون ما صنع النبي ﷺ حتى انزاح عنهم الذهول، وأحسُّوا خطر المعصية لأمره، فقاموا -عجلين- ينحرون هداهم، ويحلق بعضهم بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل الآخر لفرط الغم[1].

ومثال آخر نجد أن النبي ﷺ قد وضع العلاج المناسب للمشكلة، فقد روَى أبو هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلًا على خيبر فجاءه بتمر جنيب[2]، فقال رسول الله ﷺ: «**أكُلَّ تمر خيبر هكذا؟**»، قال لا والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تفعل، بِع الجميع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبًا**»[3].

فالعلاج المناسب الذي وضعه النبي ﷺ لهذه المشكلة في البيع هو البيع بالدراهم ثم الشراء بهذه الدراهم تمرا من ذلك النوع؛ فمن هنا يفهم أن النبي ﷺ لم يقف دوره عند

---

(١) ينظر: فقه السيرة، محمد الغزالي، (ص ٣٣٦).

(٢) نوع من التمر من أعلاه، وفسر بأنه الخلط من التمر، شرح صحيح مسلم للنووي، (٤/ ٢٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: البيوع، باب: إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، (٣/ ١٠٢)، برقم (٢٢٠١)، وأخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساقاة، باب: بيع الطعام مثلا بمثل، (٣/ ١٢١٥)، برقم (١٥٩٣).

التحذير فقط، بل إن دوره قد تخطى ذلك الأمر بكثير؛ ليشتمل على التحذير والترغيب، ومناقشة المشكلة، ووضع الحلول المناسبة لها، ثم بعد ذلك اختيار الحل العملي الفعال المناسب لهذه المشكلة، وهذا ما يعرف في الاصطلاح العلمي الحديث بـ(السبر والتقسيم).

وبناءً على ما سبق، يتجلى لنا أهمية انتقاء العلاج والحل المناسب طبقًا لمنهج النبي ﷺ من خلال استقراء وتحليل بعض وقائعه وطرقة في التعامل مع بعض المشاكل.

❁❁❁❁

المبحث الثاني

أساليب النبي ﷺ في التعامل مع المشكلة.

وفيه ثمانية مطالب:

- **المطلب الأول**: أسلوب المبادرة.
- **المطلب الثاني**: أسلوب القدوة الحسنة.
- **المطلب الثالث**: أسلوب الحوار المقنع.
- **المطلب الرابع**: أسلوب التفاوض.
- **المطلب الخامس**: أسلوب التعريض.
- **المطلب السادس**: أسلوب المداعبة.
- **المطلب السابع**: أسلوب إظهار الغضب وعدم الرضا.
- **المطلب الثامن**: أسلوب التأنيب والتوبيخ.

تمهيد:

تعد أساليب علاج المشكلات الاجتماعية في المنهج النبوي من أكمل وأتم وأشرف الأساليب العلاجية التي يمكن أن يلجأ إليها أي إنسان، حيث إن النبي ﷺ لا يأتي بالعلاج من تلقاء نفسه، إنما هو توجيه ووحي من رب العالمين، فكان ﷺ يتعامل مع المشكلات كلٌّ على حده.

وبلا شك أن العلم بالشيء فرع عن تصوره، فالأسلوب هو طريقة الإقناع الذي لا بد له من مُبلِّغ حتى يؤدي غرضه.

وهدف الأسلوب أنه ينبغي أن يراعى فيه ظروف وحالة المخاطب؛ فرب مخاطب يعتمد على الجدل والمنطق الإستنتاجي لإقناعه، ورب مُبلِغ يحتاج إلى الأسلوب البلاغي، وبهذه الحيثية فالناظر إلى منهج النبي ﷺ يلمس كل أنواع الأساليب الإقناعية والبلاغية، الذي استطاع من خلالها التغلب على مواجهة الأحداث وحل المشكلات، لأن النبي ﷺ قد امتلك ناصية هذا الأمر كله؛ وهذا ما ستوضحه المطالب التالية:

المطلب الأول

أسلوب المبادرة

المبادرة أسلوب جميل ومعنى كبير يدل على الجديةَّ، ويشعر بالعزيمة، وينبئ عن علوّ همة تدعو إلى الإسهام في مجالات الخير كلها، وعدم التواني أو التأخير، وهي تقلل تفاقم المشكلة وتطورها، واتساع رقعتها، وبالتالي كلما زادت المبادرات والمسارعة كلما قل استفحال المشكلة، ومن ثمَّ يكون صعوبة علاجها وإصلاحها.

والمبادرة لغة: بادر إلى الشيء بدورا، وبادر إليه مبادرة وبدارا، وهي المسارعة.

وتبادر القوم: أسرعوا؛ وتبادروه أي بادر بعضهم بعضا إليه أيهم يسبق إليه فيغلب عليه.

وضد المبادرة التواني والكسل، وكم من إنسان توانى وكسل ففاته خير كثير(١).

وفي الاصطلاح: يتبين من المعنى اللغوي بأن المبادرة تدل على المسارعة والعجلة بمعناها المحمود، وبالتالي فإن تعريف المبادرة بأنها: "المسابقة على الخير فكرًا أو قولًا، أوفعلًا، ناتجة عن انفعال ذاتي؛ يترجم إلى عمل مثمر لصالح الأمة تضيف به خيرا، أو تتقي به شرًا"(٢).

وتعني المبادرة الإسراع إلى وضع حل للمشكلة الاجتماعية، وتنقسم المشكلات الاجتماعية من حيث المبادرة واحتمالية التأجيل إلى قسمين:

---

(١) ينظر: لسان العرب، (٤/ ٤٨)، ومختار الصحاح، (١/ ٧٣).

(٢) مقال بعنوان: المبادرة الفردية في العمل الجماعي، الدكتور/ حامد محمد إدريس محمد، في ١٢/ ٢/ ٢٠١٢م، http: //www. al-khalas. org/index. php/joomla-home/116-2012-02-12-06-21-00

القسم الأول: ويتمثل في المشكلات التي تحتمل التأجيل ولا يساهم التأجيل في تأزم هذه المشكلة أو تعقدها، بل قد يكون تأجيل مواجهة المشكلة عاملا مهما من عوامل مخض الرأي للخروج بزبدته، واستخلاص الحل المناسب بعد طول تفكير ورويَّة.

القسم الثاني: هي المشكلة التي لا تحتمل التأجيل، بل لا بد من الخوض في إجراءات مواجهتها في الحال، لأن تركها بدون مواجهة يجعل زمامها يتفلت من اليد، وبذلك تتضخم المشكلة وتستعصي على الحل، وقد تؤدي إلى نشوب مشكلات أخرى، فنجد أنفسنا بإزاء مشكلة معقدة أو مجموعة من المشكلات.

وإذا جئنا للمنهج النبوي نجد الإطار الأصولي يؤكد على ضرورة المبادرة إلى حل المشكلة على مستوى القسم الثاني، وهي المشكلة التي يترتب على ترك مواجهتها أضرارًا فادحة قد تكون أعظم بكثير من المشكلة ذاتها، وهنا لا يجوز أن يتأخر البيان عن وقت الحاجة كما يقول الأصوليون، وإن كان يجوز تأخير البيان إلى وقت الحاجة، وهو ما يناسب القسم الأول من القسمين السابقين[1].

وعلى كل حال، فلقد كان هناك حرص بالغ من النبي ﷺ على المبادرة في معالجة المشكلات التي لا تحتمل التأجيل، وكان الهدف من هذه المبادرة محاصرة المشكلة وتأطيرها

---

(١) ينظر: التقرير والتحبير علي تحرير الكمال بن الهمام، ابن أمير الحاج، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (٢/ ٣٠٢)، وشرح تنقيح الفصول، للقرافي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م، (ص ٢٨٢)، والمستصفى، للغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (ص ١٩٢)، والعدة في أصول الفقه، للقاضي أبي يعلى، الدكتور/ أحمد ابن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م، (٣/ ٧٢٤).

بإجراءات العلاج، حتى يمكن حل هذه المشكلة حلا جذريا يقضي عليها من الأساس، أو يعمل على إيقاف نبضها وتسكينها ويضع لها الإجراءات العلاجية يوما بعد يوم إلى أن ينتهي خطرها تماما.

ويمكننا أن نطبق ذلك على واقعة من وقائع السيرة النبوية تبين إلى أي مدى كانت المبادرة إلى علاج المشكلة أسلوبًا ناجحا في القضاء عليها أو إيقاف نبضها، وسوف نمثل هنا لمشكلة نشبت بين المهاجرين والأنصار في غزوة بني المصطلق.

فقد جاء في سيرة ابن هشام أنه بينما كان المسلمون على ماء المريسيع عقب الانتهاء من غزوة بني المصطلق ازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث، فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؛ ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.

فسمع ذلك زيد بن أرقم ﷺ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله، فقال له رسول الله ﷺ: «**دعه يا عمر لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه!**» ولكنه أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس[1].

---

(١) ينظر: السيرة لأبن هشام، (٢/ ٢٩٠)، والقصة أخرجها البخاري في "صحيحه"كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ =

فبادر النبي ﷺ في علاج هذه المشكلة من خلال أمر الناس بالرحيل؛ "فأمر النبي ﷺ عمر أن يؤذن في الناس بالرحيل وظل يسير بهم بقية اليوم والليل كله وصدرا من اليوم الثاني، لا يدع لهم مجالا يفرغ فيه المنافقون للخوض فيما يريدون من باطل، فلما انحطوا بعد ذلك على الأرض لم يدع لهم التعب فرصة الحديث عن شيء، وذهب الجميع في سبات عميق"[1].

وبالفعل كانت هذه المبادرة ناجحة في إشغال القوم عما يخوضون فيه، إذ أمرهم بالمسير في وقت لم يكونوا يعتادونه، حتى يشغلهم السير عن الاجتماع على المحادثة والكلام الباطل، ومن الواضح أن هذا الحل يعالج المشكلة دون أن ينجم عنه تداعيات كبرى.

وانتهى هذا النزاع وهذا الشقاق وذهب إلى غير رجعة ونزل القرآن الكريم ليكذب المنافق ابن سلول، وجعل بعد ذلك إذا حدث عبد الله بن أُبيٍّ بالحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه؛ فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: «كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته»، فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري[2].

وفي المنهج النبوي العديد من الحوادث التي أتضح مبادرة النبي ﷺ إلى حلها مباشرة فمنها:

ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ [المنافقون: ٦]، (٦/ ١٥٤)، برقم (٤٩٠٥)، ومسلم، في"صحيحه" كتاب: البر والصلة والآداب، باب: نصر الأخ ظالما أو مظلوما، (٤/ ١٩٩٨)، برقم (٢٥٨٤).

(١) نفس المرجع، (٢/ ٢٩٠).

(٢) ينظر: السيرة، لابن هشام، (٢/ ٢٩٣).

١- المبادرة لحل مشكلة «موقف بعض الأنصار من غنائم حنين» عندما وجدوا في أنفسهم من توزيع النبي ﷺ، وعطائه الجزيل لقريش وبعض قبائل العرب، وعدم إعطائهم منها، حتى قالوا: «إن هذا لهو العجب يُعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم»[١].

فما أن سمع النبي ﷺ الخبر بادر في الحال لتحديد موعدًا للاجتماع بهم ومناقشة الأمر معهم، وهذا ما ينبغي عمله تجاه أي مشكلة في بدايتها وعدم تمييعها أو الاستهانة بها.

٢- أن النبي ﷺ حين علم بأن خصومة وقعت بين حيين من الأنصار بادر النبي ﷺ للصلح بينهما؛ كما روى سهل بن سعد ﷺ: أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأُخبِر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**اذهبوا بنا نصلح بينهم**»[٢].

ففي الحديث بيان لأهمية المبادرة لحل تلك المشكلة عندما علم بها وفي حينها مباشرة.

٣- حديث الغلام الذي كانت يده تطيش في الصفحة، فلما رآه رسول الله ﷺ على هذا الخطأ أمره بتداركه وتصحيحه مباشرة فقال له: «**يا غلام؛ سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، (٥/ ١٥٧)، برقم (٤٣٣١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الصلح، باب: قول الإمام لأصحابه اذهبوا بنا نصلح، (٣/ ٢٤٠) برقم (٢٦٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين، (٧/ ٨٨)، برقم (٥٣٧٦)، وأخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم (٢٠٢٢).

ومن خلال ما سبق يتأكد أن أسلوب المبادرة وفق منهج النبي ﷺ كان صفوة الحكمة وغاية التدبير في التحكم في المشكلات الاجتماعية، وذلك وفق إطار الحل السليم الذي لا يترتب عليه شيء من المفاسد أو المضار؛ إذ بهذه المبادرات قطع تلك المشكلات من دابرها قبل أن تكبر وتتضخم ويصعب حلها بعد ذلك، فكانت هذه المبادرات علاجًا ناجعًا نافعًا فعالًا لكثير من المشكلات الاجتماعية وفق منهج النبي ﷺ من خلال استقراء سيرته وردود أفعاله ﷺ تجاه الحدث.

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الثاني

أسلوب القدوة الحسنة

إن الله ﷻ جبل بني آدم على أن يتأثر بعضهم ببعض خاصة عند وجود مشابهة، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالمظهر الخارجي، وهذا يؤكد حقيقة تربوية هي أن الناس يتأثرون ببعضهم البعض في الأقوال والأفعال والاتجاهات والأفكار والاعتقادات وسائر الأخلاق، مما يعطي أهمية كبيرة لأسلوب القدوة وتأثيرها البالغ في الأفراد والجماعات والمجتمعات(١).

والقدوة: "هي المثال الذي يتشبَّه به الغير، فيعمل مثل ما يعمل"(٢).

وإن الثابت من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها "أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع، ولا سيما في الأمور العملية ومواقف الشدة، وهذا التأثير في أغلب الأحيان فطري لا شعوري"(٣).

ومن هنا يأتي خطر أسلوب القدوة إن لم تتم إدارته وتوجيهه بحيث يكون في الإطار الإيجابي، فإن الإنسان لما كان لا بد له من قدوة يتطلع إليها ويتحلى بأخلاقها، فإنه قد لا يسلم من وجود قدوة سيئة، فإذا تم التأثر بهذه القدوة السيئة كان الاقتداء يصب في

---

(١) ينظر: أصول التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٠م، (ص٣٧٨) وما بعدها.

(٢) المعجم الوسيط، (٢/ ٧٢١).

(٣) الأساليب الربوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك، فواز الصعيدي، (ص١٤٥).

معين الأخلاق الفاسدة والسلوكيات السيئة، فيصبح مجال الاقتداء في هذه الحالة هدمًا تربويًا[1].

ولذلك كانت رحمة الله تعالى بالأمة أن قيَّض لها الأسوة الحسنة في الأنبياء بصفة عامة، فقال ﷻ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴿٩٠﴾ ﴾[2]، وفي الصالحين من الأمم السابق، فقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴿٤﴾ ﴾[3]، وفي محمد ﷺ، فقال تعالى -في حق نبيه-: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[4]، ولما كانت القدوة في كل ذلك موصوفة بأنها حسنة، فإنه يفهم بطريق المخالفة أن القدوة السيئة تنحرف بسلوك صاحبها في الدنيا، وتودي به إلى الهلاك في الآخرة، لأنها مخالفة لسبيل الأنبياء والمرسلين.

ولذلك تأتي أهمية هذا الأسلوب في تقويم وعلاج المشكلات الاجتماعية، فإن الاقتداء بالنبي من شأنه أن يوفر الاستقامة التامة للحياة الإنسانية ويعصمها من الانحراف والانجراف إلى مهاوي الخطأ؛ قال ابن حزم[5]: "من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا،

---

(١) نفس المرجع، (ص١٤٢).

(٢) سورة الأنعام الآية: ٩٠.

(٣) سورة الممتحنة الآية: ٤.

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٢١.

(٥) هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أصله من فارس، ومولده بقرطبة من بلاد الأندلس سنة أربع وثمانين وثلثمائة. كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، له: «المحلى» في الفقه، و«الإحكام لأصول الأحكام» في أصوله، وتوفي سنة ست وخمسين وأربع مائة. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٣/ ٣٢٥)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٨/ ١٨٤)،.

وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه"[1].

وقد كان لأسلوب القدوة ظهور بارز في كثير من وقائع السيرة النبوية، وكان له آثارًا مذهلة في علاج الأخطاء والمشكلات، بل إن هذا الأسلوب يتربع على قمة الأساليب النبوية في علاج الأخطاء، لأن ذلك الأسلوب كان يترجم الكلمات إلى مواقف ويحوِّل العبارات إلى سلوكيات وأخلاقيات؛ فتتربى النفوس من خلاله تربية صحيحة مؤثرة، فأسلوب القدوة "تطبيق عملي يثبت القدرة والاستطاعة الإنسانية على التخلي عن الانحرافات، والتحلي بفضائل الأعمال والأقوال، فهي تنقل المعروف من الحيز النظري إلى الجانب التطبيقي المؤثر فتلامس بها الأبصار والآذان والأفئدة فيحصل الاقتناع والإعجاب ثم التأسي"[2].

ومن المعلوم "إنَّ وجود منهج تربوي متكامل لا يُغني عن القدوة؛ فالمعلم القدوة يحقِّق بأسلوبه التربوي وسلوكه كلَّ الأسس والأساليب والأهداف التي يُرجَى أن يقوم عليها المنهج التربوي.

ولذلك بعث الله النبيَّ محمدًا ﷺ ليكون قدوة حسنة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3]؛ فكان ﷺ هاديًا ومربيًا بسلوكه الشخصي، بالإضافة إلى الذِّكر الحكيم والسُّنَّة؛ وبلا شك فإن شخص النبي ﷺ ترجمةٌ عمليةٌ حيَّةٌ لتعاليم وآداب القرآن.

---

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ابن حزم، (ص ٢٤).

(٢) أصول التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، (ص٣٧٨).

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٢١.

ولا بُدَّ للمجتمع من قدوة فيمن يتولَّى أمره، تتجسَّد فيه المبادئ الإسلامية؛ فيتطلع المجتمع إليه ويسير على نهجه"[1].

ولقد طبق النبي ﷺ في سلوكه ما قال بلسانه، وأمر أصحابه أن يقتدوا بأفعاله في أهم الأعمال وأفضلها، كقوله لهم في الصلاة: «**صلُّوا كما رأيتموني أُصلي**»[2]، وكان يعلمهم الصلاة بالفعل مع القول؛ وقال لهم في الحج: «**لتأخذوا مناسككم**»[3].

ولتمثيل على فعالية هذا الأسلوب في علاج المشكلات الاجتماعية من خلال التطبيق على واقعة صلح الحديبية التي سبق الإشارة إليه، ولنقتبس جزءا من السياق لندلل به على هذا المقصد، وقد تقدم من القصة أنه عندما امتنع الصحابة رضي الله عنهم عن تنفيذ أمر النبي ﷺ بالإحلال من إحراماتهم دخل النبي على أم سلمة رضي الله عنها فأشارت إليه أن "اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا"[4].

---

(١) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، (ص٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأذان، باب: باب بين كل أذانين صلاة لمن شاء، (١/ ١٦٢)، رقم (٦٣١).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الحج، باب: استحباب: رمى جمرة العقبة يوم النحر راكبا وبيان قوله ﷺ «لتأخذوا مناسككم»، (٢/ ٩٤٣)، برقم (١٢٩٧).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (٣/ ١٩٦)، برقم (٢٧٣١).

فمن خلال هذا المثال يتبين لنا أن فعالية أسلوب الاقتداء ظهرت من خلال سرعة انتقال الخير من المقتدَى به إلى المقتدِي، لأن تنفيذ الشيء عمليا والتمسك به أكثر إقناعا للمدعوين من طلبه بالقول والإلحاح عليه، فقد كرر النبي ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم الأمر لكي يتحللوا من إحرامهم، وطلب ذلك إليهم ثلاث مرات فلم يكن ذلك مجديا، ولكنه عندما بدأ بتنفيذ مشورة السيدة أم سلمة رضي الله عنها وفعل ذلك الشيء تتابع الصحابة رضي الله عنهم على فعله اقتداءً به ﷺ، "فبمجرد العمل بالخير وتطبيقه تحصل قناعةٌ عند الآخرين بصلاحية هذا الخير والفعل للتطبيق وأنه ليس أمرا مثاليا مجردا"[1]، ولا بعيدا عن الاحتمال.

وبذلك فقد أثبت أسلوب الاقتداء في منهج النبي ﷺ مدى عمق التأثير الذي يحدثه في النفس البشرية، ومدى سرعة استجابتها للأمور العملية أكثر من استجابتها للأمور النظرية.

❁❁❁❁

(١) الأساليب الربوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك، فواز الصعيدي، (ص١٤٦).

المطلب الثالث

أسلوب الحوار المقنع

الحوار المقنع هو الحوار الذي يعتمد على العقل والمنطق لتعميق التفكير في جوانب موضوع التحاور، بهدف العصف بفكرة خاطئة وإحلال فكرة أخرى مكان الفكرة القديمة.

فالحوار من أهم الأساليب الذي اتخذته الشريعة الإسلامية لهداية البشرية، والسعي لإقناعهم بالدين الحق، وإقامة الحجة عليهم من خلال الحوار المقنع والمناقشة الموضوعية الهادفة في جوّ من الحرية والاحترام المتبادل.

فالحوار: -بفتح الحاء وكسرها- والتحاور، والمحاورة **لغة هو**: مشتق من الحور، وهو الرجوع؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ﴾[1]؛ فالحوار هو: مراجعة الكلام[2]، والمحاورة: المجاوبة[3].

واصطلاحا: "مراجعة الكلام وتداولُه بين طرفَين"[4].

وغايته: "إظهار الحق، وإقناع الطرف الآخر، عن طريق التفاهم والمناصحة والبيان"[1].

---

(١) سورة الانشقاق الآيات: ١٤، ١٥.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢ / ١١٧).

(٣) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، (٢/ ٢٣ - ٢٤).

(٤) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد حسن الزمزمي، دار التربية والتراث بمكة المكرمة، ورمادي للنشر بالدمام، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، (ص٢٢).

"وطريقة الحوار المقنع هي الطريقة التي تقوم على أساس النقاش بالأسئلة والأجوبة للوصول إلى حقيقة من الحقائق لا تحتمل الشك، ولا النقد، ولا الجدال، ولذلك فإن القناعة الحاصلة عن طريق الحوار قناعة يقينية، والشخص الذي نحاوره لعلاج خطئه يمر عادة بثلاثة مراحل مهمة في سبيل الوصول للصواب.

فالمرحلة الأولى هي: مرحلة اليقين بالخطأ، ويأتي دور المحاور في تشكيكه في القناعات القديمة وذلك في المرحلة الثانية، وفي هذه المرحلة يظهر الشخص الذي تجري محاورته حائرا مترددًا متناقضًا في مواقفه، ويأتي دور المصلح ليستغل هذه الحالة فيقوده إلى المرحلة الأخيرة وهي مرحلة اليقين بعد الشك، والتي تقوم على أساس الإدراك العقلي لا على أساس الإدراك الساذج"[٢].

ولقد كان إتباع هذا الأسلوب في المنهج النبوي دائما ما يؤتي أكله وينجح في إصلاح الخطأ وعلاج المشكلة الاجتماعية، وذلك لما للاقتناع العقلي من أثر على النفس البشرية، والتي من طبيعتها أن تستجيب إذا حصلت لديها القناعة العقلية التامة[٣]، هذا إلى جانب أن تنوُّرَ العقل وتيقُّنه من أمر ما، له دخل قوي في التأثير على وجدان المرء، فيتشرب عقل المرء ووجدانه لليقين فيصعب بعد ذلك نزعه منهما.

---

(١) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، عدنان بن محمد آل عرعور، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (ص٢٣١).

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، عمر التوني الشيباني، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٨٨م، (ص٤١٥).

(٣) ينظر: الأساليب الربوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك، فواز الصعيدي، (ص١٧٤).

وقد ظهر هذا الأسلوب جليا في قصة الفتى الذي جاء طالبا من النبي ﷺ أن يحلل له الزنا والتي سبق عرضها؛ فهذا الشاب جاء على قناعة سابقة بأنه يصح أن يستبيح أعراض الناس بالزنا، وذلك بسبب ظروفه النفسية والاجتماعية التي قد لا تعينه على الزواج، ورغم فداحة هذا الخطأ إلا أنه خطأ لم يتجاوز مساحة الاعتقاد، فالمشكلة هنا في اعتقاد شخص لا في تصرفه، وإذا كان بعض الناس قد يقع في فخ الزنا مع الاعتقاد بخطأه فيناسبه إيقاع الحد عليه، فإن حالة هذا الشاب لا يناسبها هذا العلاج البدني، لأنها ناجمة عن اعتقاد خاطئ لم يتلبس بفعل المحرم، ومن هنا مست الحاجة إلى إزالة هذا الاعتقاد عن طريق الحوار المبني على الإقناع.

وهذا بعينه ما فعله النبي ﷺ فقد أثبت للفتى أن الزنا قبيح من خلال وضعه موضع الآخرين ممن ينتهِك الزنا أعراضهم فحصل بذلك التناقض الذي أشرنا إليه من قبل بين الإقبال على الشيء وعدم الرضا به في آن واحد، ولما كان أحدهما قطعا هو الصواب؛ فقد اقتنع الفتى به، ولم يعد هذا الفتى لهذا الأمر بعد ذلك.

فلقد كان النبي ﷺ في أسلوب الحوار المبني على الإقناع يأخذ بيد محدثه ليقربه إلى القلب، ثم يجعله يتقدم خطوة أخرى وينصبغ باطمئنان الإيمان ويذوق حلاوته حتى يصبح شخصا آخر همه الحياة الأخرى[1].

والنبي ﷺ كان أقدر الخلق على إقناع الناس وعلاج مشكلاتهم بالحوار النبوي العاطفي، فقد روى عبد الله بن زيد بن عاصم[1] رضي الله عنه قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم

(١) ينظر: النور الخالد، محمد فتح الله كولن، (ص١٤٤).

حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟، وعالة فأغناكم الله بي؟**»، كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن، قال: «**ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟**»، قال: كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن، قال: «**لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؛ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا، حتى تلقوني على الحوض**»[٢].

وفي هذا الحديث يتبين بجلاء أهمية الحوار والإقناع في حل المشكلات الاجتماعية والسلوكية، حيث إن النبي ﷺ تعامل مع هذه الفئة المؤمنة -التي قالت ما قالت- بكل هدوء حتى أقنعهم، فأثّر هذا الأسلوب فيهم حتى إنهم بكوا من تأثّرهم، وأعلنوها بقولهم: (رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظًا)، وفي هذا الأسلوب تبرز قوة النبي ﷺ في الحوار وإثارة العواطف والتّأنيب والاسترضاء[٣].

وهذا الكلام من النبي ﷺ للأنصار فيه من اللين والرفق بهم والخلق العظيم ما فيه، ولذا أرضاهم وأقنعهم حتى اقتنعوا ورضوا.

---

(١) هو: عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمر بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري المدني، صحابي شهير، روى صفة الوضوء وغيره واستشهد بالحرة سنة ٦٣هـ. ينظر: الاستيعاب، (٣/ ٤٥)، رقم (١٥٥٧-١٥٥٨)، والإصابة (٦/ ٩٠-٩١) رقم (٤٦٧٧-٤٦٧٩)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المغازي، باب: غزاة أوطاس، (٥/ ٢٠١)، برقم (٤٣٣٠).

(٣) ينظر: منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة، (ص٤٢). بتصرف.

من هنا يتبين قيمة الحوار المقنع الذي اتبعه النبي ﷺ وكان من صميم منهجه ﷺ، فبه تمكَّن النبي ﷺ من احتواء المشكلة من خلال مخاطبة النفس البشرية، والدخول إلى أعماقها وتفهم آمالها ومخاوفها، مما يجعل للحوار قيمة عالية في القدرة على التصدي وحل المشكلات الاجتماعية وهو ما بدا جليًا من خلال الأمثلة المطروحة آنفًا.

❁❁❁❁

المطلب الرابع

أسلوب التفاوض

"يعتبر التفاوض من العمليات الاجتماعية التفاعلية التي تستخدم فيها مهارات التفاوض وقدرات التأثير والإقناع، إذ أنها لا تتوقف على مجرد الحقائق والحسابات المنطقية وإنما تشمل العديد من جوانب الرغبات والدوافع والحاجات والاتجاهات والعواطف والانفعالات"(١).

وقبل الدخول في عمق هذا المطلب ينبغي للباحث التعريف بأسلوب التفاوض من حيث اللغة والاصطلاح.

فالتفاوض في اللغة: الجذر اللغوي للكلمة (فوض) فـ"الْفَاءُ وَالواو والضَّاد أَصلٌ صحيح يدُلُّ على اتّكال في الأَمر على آخر وردهِ عليه، ثُمَ يفَرّعُ فيردُّ إِليه ما يُشبهه؛ من ذلك فوَّض إِليه أَمره، إِذا ردّه"(٢).

و"فاوضه في الأمر مفاوضة، بادله الرأي فيه بغية الوصول إلى تسوية واتفاق"(٣).

"وتفاوض القوم في الأَمر، أَي: فاوض فيه بعضُهم بعضا"(٤).

والمفاوضة: "المجاراة في الأمر؛ يقال: فاوضه في أمره، أي: جاراه"(٥).

---

(١) إدارة المفاوضات، إعداد: ربحي عبد القادر موسى الجديلي، فلسطين، غزة ٢٠١٠م، (ص٩).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤/ ٤٦٠).

(٣) المعجم الوسيط، (٢/ ٧٠٦).

(٤) لسان العرب، ابن منظور (٧/ ٢١٠)، مختار الصحاح، الرازي، (١/ ٥١٧)، مادة (ف و ض).

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (١٨/ ٤٩٧).

وأما التفاوض في الاصطلاح: فهو المحادثة والمناقشة بين طرفين أو أكثر حول موضوع محدد للوصول إلى اتفاق؛ ويعرَّف التفاوض بأنه: "موقف تعبيري حركي قائم بين طرفين أو أكثر حول قضية من القضايا يتم من خلاله عرض وتبادل وتقريب ومواءمة وتكييف وجهات النظر واستخدام كافة أساليب الإقناع للحفاظ على المصالح القائمة، أو للحصول على منفعة جديدة بإجبار الخصم بالقيام بعمل معين"[1].

ويهدف التفاوض إلى تحقيق الربح للجميع، وأن ينتهي الحال بكل المشاركين إلى تحقيق أهدافهم، ومصالحهم الشخصية[2].

ولقد كان للتفاوض في المنهج النبوي الاجتماعي مساحة كبيرة أبرزت الحنكة المذهلة والقدرة الفائقة على حل المشكلة عن طريق التفاوض مع الخصم وأظهرت في الوقت نفسه مدى حرص النبي ﷺ على مصلحة جميع الأطراف، والوصول بالمشكلة موضع التفاوض إلى نقاط مشتركة ترضي كل الأطراف وتنحّي هذه المشكلة جانبا.

ولكن كيف كان أسلوب التفاوض يعمل على حل المشكلات الاجتماعية؟

إذا تطرقنا إلى كيفية مساهمة أسلوب التفاوض في علاج المشكلة الاجتماعية، وجدنا "أن أسلوب التفاوض يستمد حتميته من كونه في بعض الأحيان يشكل المخرج أو المنقذ

---

(١) ملخص كتاب المدخل إلى فن التفاوض، جابر يوسف محمد يوسف، الأكاديمية العربية بالدنمارك، ٢٠١١م، (ص٤).

(٢) ينظر: الفن الجديد للتفاوض، جيرارد آي نيرنبرج هنر اتش، كاليرو، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٠م، (ص١٥).

الوحيد الممكن استخدامه لمعالجة القضية التفاوضية والوصول إلى حل للمشكلة المتنازع بشأنها، هذا من جانب"[1].

ومن جانب آخر فإن التفاوض يبرز الخصمين مظهر المتعاونين الذين يريدان الوصول إلى حل لمشكلة معينة، عن طريق تلبية حاجات كل الأطراف التي قد تكون متضاربة، إلا أنه في بعض الأحيان يتضمن تنازل كل طرف عن شيء من أهدافه للوصول إلى تسوية لنزاع أو إنهاء لمشكلة.

فإذا ما دخل كل طرف في المفاوضات على أساس أنها مشروع تعاوني ستزداد احتمالية سعيهما للوصول إلى حل، حيث ستتشكل أهداف مشتركة إلا أن ذلك لا يعني أن كل هدف سيكون بنفس القيمة لدى المشاركين في العملية التفاوضية، ولكن سيكون هناك احتمالية أكبر في أن يحقق كل طرف أهدافه ويرضي حاجاته الشخصية[2].

ولقد أسهم المنهج النبوي التفاوضي في علاج كثير من المشكلات والإجهاز على كثير من المنازعات، وتحمِل كتب السيرة الكثير من أخبار هذه المفاوضات[3]، وستناول بالتحليل صلح الحديبية لنؤكد على جدوى هذا الأسلوب في علاج المشكلة والقضاء عليها.

فقد روى البخاري هذه القصة مطولة، ونحن إذ نذكر منها ما يتعلق بالمفاوضة شاهد المطلب، قال معمر، قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب

---

(١) ملخص كتاب المدخل إلى فن التفاوض، جابر يوسف محمد يوسف، (ص٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص١٥).

(٣) ينظر: مقدمة عبد الحكيم راضي لكتاب: نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، دار الذخائر، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ، (ص ١١).

بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، قال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: (باسمك اللهم) كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا (بسم الله الرحمن الرحيم)، فقال النبي ﷺ: «**اكتب باسمك اللهم**» ثم قال: «**هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «**والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله**» - قال الزهري: وذلك لقوله: «**لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**»- فقال له النبي ﷺ: «**على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به**»، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة[1]، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله!، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ ...الخ"[2].

وتحديد الأهداف الأساسية التي تضمنها هذا التفاوض هي كالآتي:

١. رجوع النبي ﷺ وأصحابه من عامه وعدم دخول مكة، وإذا كان العام القادم دخلها المسلمون.

٢. من أحب أن يدخل في عقد مع محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد مع قريش وعهدهم دخل فيه.

---

(١) أي: قهرا.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (٣/ ١٩٥)، برقم (٢٧٣١).

٣. من أتى محمدا من قريش من غير إذن وليه ردَّه إليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردُّ إليه.

وهذه التنازلات وإن كانت في الظاهر غير مرضية، ويظهر منها إجحاف بحق المسلمين، إلا أن إمعان النظر بها يوصل إلى حقائق أخرى منها:

أولا: إن هذه التنازلات لا تتضمن إهانة ولا إذلالا للمسلمين فالرسول عليه الصلاة والسلام عندما تفاوض على شروط الحديبية لم يتنازل عن الهدف الجوهري وهو أداء مناسك العمرة، بل تنازل عن تأجيل هذه المناسك لعام واحد، وبدلا من (بسم الله الرحمن الرحيم) كتب (باسمك اللهم)، وبدلا من (محمد رسول الله) كتب (محمد بن عبدالله)، ولا يعني ذلك تنازلا عن ثابت من ثوابت الدين.

ثانيا: إن الاتفاق على أمر ما في عملية من عمليات التفاوض يعني إلتزام كل الأطراف به، وهذا ما يعني مكسبا كبيرا بالنسبة للمسلمين الذين سيكون من حقهم أن يحجوا في العام القادم دون معارضة أو تحرش من المشركين.

ثالثا: إنه ﷺ يعلم أن هذه الشروط لن تنتفع بها قريش بقدر ما ستضار بها، وهذا أمر يتصل بحكمته وبنبوته، فهذه الشروط وإن كانت في ظاهرها في مصلحة قريش إلا أنها في الحقيقة على عكس ذلك تماما، ولكن تعنت قريش أعماها عن وجه المصلحة في حين أن ثبات النبي ﷺ قاده إلى عينها.

وبالفعل لم تمر أيام طوال على إبرامه حتى تبين المسلمون مدى الحكمة في تصرف الرسول ﷺ، فإن قريشا كانت تعتبر رأس الكفر، وحاملة لواء التمرد والتحدي للدين الجديد، وعند ما شاع نبأ تعاهدها مع المسلمين؛ خمدت فتن المنافقين الذين يعملون لها، وانفرط عقد المشركين، وتبعثرت القبائل الوثنية في أنحاء الجزيرة؛ وخصوصا لأن قريشا جمدت على سياستها النفعية واهتمت بشؤونها التجارية، فلم تجتهد في ضم أحلاف لها، في

الوقت الذي اتسع فيه نشاط المسلمين الثقافي والسياسي والعسكري، ونجحت دعايتهم في تألف قبائل غفيرة، وإدخالها في الإسلام[1].

ومن هنا ندرك أن موافقة النبي ﷺ على شرط قريش في ردِّ من جاءه مسلما قد أتت في مصلحة المسلمين، فقد تجمع الفارُّون من قريش عند ساحل البحر، وشرعوا يهددون قوافل قريش المارة بطريق الساحل ويقتلون من مر بهم من قريش، وإذا قريش ترسل إلى رسول الله ﷺ تناشده الرحم أن يؤوي إليه هؤلاء فلا حاجة لها بهم، وبذلك نزلت قريش عن الشرط الذي أملته تعنتا، وقبله المسلمون كارهين[2].

وهذه الواقعة المهمة تؤكد على معانٍ جديرة بالتأمل والتمعن:

أولا: حرص النبي ﷺ على أسلوب التفاوض في الصلح، واعتنائه به في حل المشكلات وهذا لجدارة هذا الأسلوب في ذلك، حيث يعني هذا الأسلوب الانتهاء إلى نقاط مشتركة يتفق عليها الجميع ويلتزم بها.

ثانيا: إدراكه ﷺ أهمية التعاون على الوصول لحل للمشكلة، حتى ولو كان ذلك يتضمن التنازل عن بعض الأهداف ما دام ذلك لن يمس بالثوابت.

ثالثا: إن الوصول إلى الأهداف المشتركة التي تلبي حاجيات كل الأطراف أولى وأجدر في حل المشكلة من حصول طرف من الأطراف على مصالحه مع بقاء المشكلة الاجتماعية قائمة.

رابعا: إن الإخلاص في التعاون مع الغير حتى ولو على حساب المكاسب العاجلة، لابد أن يثمر في العاقبة والمآل مكاسب أعظم بكثير مما فات قبل ذلك.

---

(١) ينظر: فقه السيرة، محمد الغزالي، (ص ٣٣٧).

(٢) نفس المرجع، (ص ٣٣٦).

وهناك مثال آخر لتفاوض النبي ﷺ، ويظهر ذلك في تفاوضه مع الأنصار في بيعة العقبة (وهي البيعة التي عقدها ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من زعماء المدينة ووجوهها)، وكان من أهم بنودها بعد عبادة الله -عز وجل- لا شريك له، حماية النبي ﷺ من كل مكروه، والسمع والطاعة له في العسر- واليسر- والمنشط والمكره والأثرة، وأن لا ينازعوا الأمر أهله.

فقد ذكر غير واحد من أصحاب السير أن هذه البيعة عقدت أيام منى عند العقبة ليلا، قال كعب ابن مالك: فلما اجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاء ومعه عمه العباس فتكلم القوم وقالوا: خذ منا لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: «**أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**»، فأخذ بيده البراء بن معرور[1]، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع منه أزرنا[2]، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة[3]، ورثناها كابرا عن كابر.

فتدخل أبو الهيثم بن التيهان[4]، فقال: يا رسول الله: بيننا وبين الرجال اليهود حبالا، وإنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك

---

(١) هو: البراء بن معرور الخزرجي الأنصاري أول من بايع وأول من استقبل القبلة وأول من أوصى بثلث ماله، وأحد النقباء من الأثنى عشر. ينظر: الإصابة، (١/ ١٤٤)، والأعلام للزركلي، (١/ ٤٧).

(٢) أي: نساءنا.

(٣) أي: السلاح.

(٤) هو: أبو الهيثم بن التيهان هو: مالك بن عتيك الأنصاري الأوسي، أحد النقباء، آخى النبي بينه وبين عثمان بن مظعون وشهد المشاهد كلها وهو القائل في رثاء رسول الله « لقد جدعت آذاننا وأنوفنا غداة =

وتدعنا؟، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «**بل الدم الدم والهدم الهدم**[1] **وأنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم**»[2].

ثم قال العباس بن نضلة[3]: يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟، قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذ نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على هلكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: نأخذه على مصيبة

فجعلنا بالنبي محمد « توفي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ في المدينة سنة عشرين. ينظر: الاستيعاب، (٤/ ٢٠٠)، والإصابة، (٤/ ٢١٢)، والمعارف لابن قتيبة، (ص٢٧٠) تحقيق ثروت عكاشة، والأعلام للزركلي، (٥/ ٢٥٨).

(١) الهدم: بالسكون وبالفتح أيضا: هو إهدار دم القتيل، يقال: دماؤهم بينهم هدم، أي مهدرة، والمعنى دمي ودمكم شيء واحد، إن طلب دمكم فقد طلب دمي، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي لاستحكام الألفة بيننا، وهو قول معروف للعرب، يقولون: دمي دمك وهدمي هدمك، وذلك عند المعاهدة والنصرة. النهاية في غريب الأثر، (٥/ ٥٧٣).

(٢) جزء من حديث بيعة العقبة، رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٣/ ٤٦٠- ٤٦٢)، برقم (١٥٣٧)، من حديث كعب بن مالك ﷺ، وصححه الألباني في فقه السيرة، لمحمد الغزالي، تحقيق الألباني، (ص١٤٩).

(٣) هو: العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة، وقيل: العقبتين، بل قيل: كان مع النفر الستة الذين لقوا رسول الله ﷺ، فأسلموا قبل جميع الأنصار، خرج عباس ﷺ إلى مكة، وأقام مع رسول الله ﷺ حتى هاجر إلى المدينة، فكان أنصاريا مهاجريا، قتل في أحد، ولم يشهد بدرا. ينظر: أسد الغابة، (٣/ ٥٩)، والإصابة، (٣/ ٥١٠).

الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟، قال: الجنة، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه، وفي رواية: والله لا نقيل ولا نستقيل[1].

فمن هذا الأسلوب يتبين لنا أثر التفاوض في الإصلاح، وأثره في تمكين المصلح من وضع الحلول السليمة مع المدعوين، وأن أسلوب التفاوض من أهم الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ في حل العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي واجهها صلوات الله وسلامه عليه، وأن الركن إلى السلم أولى من غيره.

وهذا ما فهمناه من خلال استقراء الأمثلة المقتبسة من السيرة النبوية في تفاوضه ﷺ مع أصحابه ومخالفيه.

❁❁❁❁

(١) ينظر: مختصر السيرة لابن هشام، (٢/ ٨٤ - ٨٥). بتصرف.

المطلب الخامس

أسلوب التعريض

يعتبر أسلوب التعريض أسلوبًا مهما من أساليب علاج المشكلات الاجتماعية الناتجة عن الأخطاء الفردية، وتكمن فائدته في قيمته الأدبية النبيلة حيث يتضمن "مزيد إخفاء يجعله أكثر قبولًا حينما يكون التصريح مثيرا لغضب، أو نقد، أو اتهام، أو عذل وتلويم"(١).

والتعريض وسيلة بيانية لا تظهر إلا في بيئة نالت حظًا صالحًا من التهذيب الاجتماعي والخلقي، وأصبح من بين أهلها من يفرض على نفسه في مخاطبة الآخرين قيودًا تخرج من تحتها عبارته، وهي مصفّاةٍ مما يجرح المشاعر، أو يخدش الحياء، مبرأة من جفوة البداوة وخشونة البداهة(٢).

والتعريض في اللغة: الجذر اللغوي (عرض)، فـ"الْعَيْنُ والراء والضَّاد بناءٌ تكثرُ فروعُهُ، وهي مع كثرتها ترجعُ إِلى أَصلٍ واحد، وهو العرض الَّذي يُخالف الطُّول"(٣).

والتعريض: خلاف التصريح، وقد يكون بضرب الأمثال، وذكر الألغاز في جملة المقال(٤).

---

(١) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، (٢/ ١٥٤).

(٢) ينظر: التعريض في القرآن الكريم، إبراهيم محمد عبد الله الخولي، دار البصائر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، (ص١٥٣).

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤/ ٢٦٩).

(٤) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٧/ ١٦٠، ١٦٥)، مادة عرض.

وفي الاصطلاح: يقدّم فخر الدين الرازي[1]، تعريفًا جامعًا له بقوله: "التعريض في اللغة ضد التصريح، ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده إلاّ أن إشعاره بجانب المقصود أتمّ وأرجح، وأصله من عرض الشيء وهو جانبه كأنه يحوم حوله ولا يظهره، ونظيره أن يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم، ولذلك قالوا: وحسبك بالتسليم مني تقضيا.

والتعريض أن تذكر كلاما يحتمل مقصودك، ويحتمل غير مقصودك، إلاّ أنّ قرائن أحوالك تؤكّد حمله على مقصودك"[2].

ويعني هذا التعريف أن التعريض هو تركيب لغوي يشتمل على معنيين: معنى سطحي مباشر، أو صريح نتوصّل إليه من خلال المعاني التي تحيل إليها الكلمات؛ ومعنى ثان غير مباشر، ويكون هو المقصود، إذ نتوصل إليه من خلال مراعاة السياق الذي ورد فيه، لأنه يفهم منه و يتحدّد به.

ومثاله قولك لمن جاوز حدّه معك (رحم الله امرأ عرف قدر نفسه)، حيث يعدّ هذا المثل كناية من قبيل التعريض بأنه قد تجاوز الحد و أفرط.

---

(١) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري عام: ٥٤٤ هـ، وإليها نسبته، له "المحصول" في أصول الفقه، و"مفاتح الغيب" في التفسير، وتوفي في هراة عام ٦٠٦هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، (٦/ ٣١٣).

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، (٦/ ٤٦٩).

وقد قيل: أن التعريض أحياناً يكون أشد من التصريح.

ولهذا كان التعريض من أساليب المنهج النبوي الذي لا غنى عنه في الحالة التي تتضمن إصلاح خطأً على مسمع من الناس، ويكون في تحديد المخطئ إحراجًا له، وتكمن أهمية أسلوب التعريض وجدواه في حل المشكلات في مثل هذه الأحوال لعدة أسباب:

أولا: إنه أسلوب يتلافى رد الفعل السلبي للمخطئ، ويضمن إبعاده عن تزيين الشيطان له بالانتقام الشخصي والانتصار للنفس، أو امتلاء النفس بالنقمة على الشخص الذي يهتك ستره – في اعتقاده – ويشهر به.

ثانيا: إنه أستر للمخطئ بين الناس وأحفظ لكرامته وماء وجهه، وأدعى لاستمرار حياته على حالة سليمة لا يكون فيها مترقبا للناس وراصدا لأعينهم، وإذا حاول أن يتجنب الخطأ فسيكون على أساس نية صادقة، لا على أساس خشية الذين اطلعوا على خطئه، والذين قد يرون في استقامته تصنعا وافتعالًا.

ثالثا: إنه أكثر قبولا وتأثيرا في النفس، وبه تزداد منزلة المربي وتعلو قيمته، وتتأكد لدى المخطئ سلامة قصد المربي، وأنه لم يرد إلا إصلاح الخطأ وتقويم الاعوجاج بأجمل طريقة، وهنا يصحُّ تقبله للنصيحة والنقد ويرتفع الخطأ؛ ومن هنا يؤتي الأسلوب أكله وتحل المشكلة؛ والوقائع التي تؤكد على استخدام النبي ﷺ لهذا الأسلوب كثيرة نذكر منها:

ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد، فأقبل على الناس، فقال: «**ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه، أيحبُّ أحدكم أن يستقبل**

فيتنخع في وجهه؟ فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره، تحت قدمه، فإن لم يجد فليقل هكذا»، ووصف القاسم فتفل في ثوبه، ثم مسح بعضه على بعض[1].

لقد كان من الممكن أن يسأل النبي ﷺ الصحابة من تنخم هكذا؟ وبعد أن يعرف الفاعل يوضح له آداب التنخم، ولكنه في هذه الحال سوف يشهر به ويفضحه على رؤوس الناس في خطأ قد يُحل بدون ذلك من الوسائل والأساليب، ولكنه ﷺ لما لم يكن فظا ولا غليظ القلب فقد اختار أسلوب التعريض وتعميم الخطاب، حتى تتهيأ بذلك نفس المخطئ لقبول الصواب دون إحساس بالقهر، أو شعور بالإحراج، أو اضطرار لمصانعة للناس.

ومن الأمثلة أن النبي ﷺ استعمل رجلا على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، فقال: هذا مالكم، وهذا هدية.

فقام رسول الله ﷺ على المنبر فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا مالكم، وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله بحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له**

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، (١/ ٣٨٩)، برقم (٥٥٠).

رُغاء أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه يقول: «**اللهم هل بلغت بصر عيني وسمع أذني**»[1].

فالنبي ﷺ يُشهِّر بالخطأ ويذمه ولا يُشهِّر بصاحبه، ولذلك لم يكن رسول الله ﷺ يواجه صاحب الخطأ أمام الناس، لأن ذلك يؤدي إلى تحطيم شخصية المخطئ وأذيته وإذلاله، وإنما يشير إلى الخطأ دون صاحبه أمام الملأ فيعرف صاحب الخطأ خطأه ويتعلم ويرتدع الآخرون.

وعلى هذا فإن أسلوب التعريض هو من أساليب علاج المشكلات وله آثار تربوية هي: (دفع الحرج والفضيحة عن المخطئ -إيصال الحكم له- تنمية روابط الثقة بين الطرفين – توفير الفرصة للغير لمراجعة النفس).

وهذا الأسلوب إنما يكون إذا كان أمر المخطئ مستورا لا يعرفه أكثر الناس، أما إذا كان أكثر الحاضرين يعرفونه وهو يعلم بذلك فإن الأسلوب حينئذ يختلف تماما.

فتبين مما سبق أن أسلوب التعريض كان سببا فعالًا للتعامل مع كثير من المشكلات الاجتماعية، فكان حلًا حليمًا لها، دون جرح أو تجريح، ودون إحراج لصاحب الخطأ ومرتكبه، مما قد يدفعه على الكبر والمعاندة، بل يجعله يسرع في تصحيح الخطأ ما دام أن ستره لم ينقض ويكشف، فكان هذا الأسلوب أسلوبًا فعالًا عمليًا على ما فيه من الحلم واللين والرحمة.

❁❁❁❁

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأكراه، باب: احتيال العامل ليهدى له، (٩/ ٣٦)، برقم (٦٩٧٩)، ، ومسلم في "صحيحه" كتاب: الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال، (٣/ ١٤٦٣)، برقم (١٨٣٢)، عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

المطلب السادس

أسلوب المداعبة

يعد أسلوب المداعبة من الأساليب التي تدخل البهجة على النفس، إذ القصد من ورائه التحبيب إلى النفوس في جو من الأنس والسرور الذي يبهج الصدور، فيسهل على القلب استقبال النصح والتوجيه بانشراح كبير، وتحمل السنة المطهرة في طياتها كثيرا من المواقف التي تدل على المداعبة والملاطفة، كمداعبته ﷺ للأطفال ولأصحابه ولأزواجه؛ وقبل أن نشرع في أهمية هذا الأسلوب لحل المشكلات كان لا بد من ذكر تعريف المداعبة في اللغة والاصطلاح.

المداعبة لغة: أصل الكلمة من الفعل "دعبَ يدعبُ مثل: مَزَحَ يَمْزَحُ؛ فهو دَاعِبٌ؛ والدُّعابةُ بالضم اسم لما يُستملحُ من ذلك وداعبهُ مُداعبةً، وتداعبَ القومُ"[1]، والمداعبة: الممازحة.

والمداعبة في الاصطلاح: هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره[2].

ومفهوم المداعبة معناه: "استغلال بعض المواقف بقول أو فعل يدخل السرور على الآخرين دون جرح للمشاعر أو إهدار للكرامات"[3].

كما في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: «**نعم، غير أني لا أقول إلا حقا**»[1].

---

(١) المصباح المنير، الفيومي، (١/ ١٩٤).

(٢) الفتح، لأبن حجر، (١٠/ ٥٢٦).

(٣) الإنسان بين علو الهمة وهبوطها، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود، ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨م، (ص١٨٣).

فأسلوب المداعبة لا يقل أهمية عما تقدم من أساليب علاج المشكلات الاجتماعية؛ إلا أن المخالفة للمنهج النبوي في هذا الأسلوب، والتجاوز للحد والمبالغة فيه مع ما يصاحبه من مخالفات شرعية في بعض الأحيان يؤدي إلى تضخم المشكلة وصعوبة علاجها، وهكذا يكون إذا لم يفهم المراد من هذا الأسلوب، والمغزى من هذه المداعبة.

وأسلوب المداعبة من أنجع الأساليب التربوية والعلاجية، التي لها أبلغ الأثر في النفوس، كما أنها تعد من حسن الخلق، وسماحة النفس، وكرم الطبع، ولين الجانب، ومحبة الآخرين[٢].

والغرض منها "تطييب نفس المخاطب ومؤانسته"[٣] ليبتهج قلبه ويتقبل تصحيح أخطائه، ومخالفاته، ومن هنا كانت عناية المنهج النبوي بهذا الأسلوب كبيرة في تصحيح الأخطاء وعلاج المشكلات الاجتماعية.

وتأتي فائدة المداعبة في أنها تدخل السرور على النفس، فتنشط بذلك قواها، وينشرح صدر صاحبها، وتهدئة لنفس المخطئ، بما يعينه على التبسط وطرح العناد، وبذلك تكون الفرصة كبيرة أمام المصلحين لتصحيح الأخطاء وعلاج المشكلات الواقعة.

ووقائع استخدام النبي ﷺ لأسلوب المداعبة كثيرة، وسوف نذكر منها بعض الأمثلة؛ لنؤكد به على أن هذا الأسلوب يعتبر سببا مهمًا في علاج المشكلات الاجتماعية.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في المزاح، (٤/ ٣٥٧)، رقم، (١٩٩٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الأدب المفرد"، برقم (٢٦٥).

(٢) ينظر: الإنسان بين علو الهمة وهبوطها، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، (ص١٨٥).

(٣) الفتح، لأبن حجر، (١٠/ ٥٢٧).

المثال الأول: مداعبته ﷺ لزوجاته، مدخلاً بذلك السرور على أنفسهن، وفيها من بثٍ لروحٍ جديدة داخل الأسرة، والتي تساعد بدورها على استمرار الحياة الزوجية وتدفقها.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: «**هذه بتلك السبقة**»[1].

فالسفر مجهد، والنفوس فيه متعبة، وبهذا الأسلوب تغلب النبي ﷺ على حل هذه المشكلة بما يُحدِث لها هذا الأسلوب من انشراح وسرور، وبهذا تنشط وتستمر في مهامها.

المثال الثاني: كان من بين الصحابة الذين اشتهروا بكثرة المزاح نعيمان[2] البدري رضي الله عنه، فقد ذكر ابن حجر في الإصابة، أن أعرابيًا دخل على النبي ﷺ وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض الصحابة لنعيمان: لو عقرتها فأكلناها، فإنا قد قرمنا من اللحم، فخرج الأعرابي وصاح: واعقراه يا محمد! فخرج الرسول ﷺ فقال: من فعل هذا؟، قالوا: نعيمان، فأتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، واستخفى تحت سرب لها فوقه جريد، فأشار رجل إلى النبي ﷺ حيث هو، فقال: ما حملك على ما صنعت؟،

---

(١) رواه أبو داود في "سننه"، كتاب: الجهاد، باب: في السبق على الرجل، (٢/ ٣٣٤)، برقم (٢٥٨٠)، واللفظ له، وقال الألباني صحيح.

(٢) هو: نعيمان ابن عمرو بن رفاعة بن الحارث الأنصاري، شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها، وكان كثير المزاح، يضحك النبي ﷺ من مزاحه، وأخباره مشهورة، وتوفي في خلافة معاوية. ينظر: الإصابة، (٦/ ٤٦٣٩)، وأسد الغابة، (٤/ ٥٧٥).

قال: الذين دلوك لي يا رسول الله هم الذين أمروني بذلك، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويضحك ثم غرمها للأعرابي[1].

وهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم يشيرون على نعيمان رضي الله عنه بعقر الناقة ليأكلوا منها فلما كُشف أمره دلوا رسول الله ﷺ عليه، فاستخرجه ﷺ من بين الأعواد ومسح التراب عن وجهه وهو يضحك (مداعبا له) ومتعجبًا من فعله رضي الله عنه، وجرأته على ناقة الأعرابي، وقد عالج النبي ﷺ هذه المشكلة -وهي الاعتداء على ناقة الأعرابي وعقرها- بغرم ناقة الأعرابي من ماله، ومع أن حل المشكلة هذه لم يكن داخلا في المداعبة، إلا أن تصرف النبي صلى الله عليه وسلم في الوصول إلى مكان نعيمان واستخراجه من بين الأعواد ومسح التراب عن وجهه كان ذلك من باب المداعبة، والذي سيكون له دورا كبيرا في تخفيف أثر المشكلة التي وقع فيها هذا الصحابي.

وعلى هذا الأساس، فإن المداعبة من أعظم وسائل التغيير للمصلح، تلك الوسيلة التي تتقبلها وتلاطفها النفس البشرية، فتكون للانقياد أطوع، وللخضوع أسرع، وللاستجابة أدعى، وهذا ما برز بوضوح من خلال منهجه ﷺ واستخدامه لهذا الأسلوب؛ فدلَّ ذلك على أن المداعبة من أهم الأسباب الفعالة لحل كثير من المشكلات في حياة الأفراد دون جرح أو تجريح.

❁❁❁❁

(١) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، (٦/ ٤٦٥).

المطلب السابع

أسلوب إظهار الغضب وعدم الرضا

من أساليب النبي ﷺ في علاج بعض الأخطاء أو المشكلات إظهار الغضب وعدم الرضا من الفعل، ليدرك صاحب الخطأ خطأه ويتراجع عنه، إلا أنه كان ﷺ لا يغضب لنفسه[1]، ولا يغضب إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى كما جاء في الحديث: «**ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتى إليه حتى ينتهك من حرمات الله، فينتقم لله**»[2]

وغضب النبي ﷺ ليس مقصورا على المخالفات الشرعية أو انتهاك المحرمات، بل قد يغضب النبي ﷺ لخلاف الأولى، أو لترك العمل بالخير، وقد يقال إن الفرق بين الأمرين أنه في حالة انتهاك حرمات الله –عز وجل– يقترن غضبه بتحذير ووعيد أو زجر فعلي أو قولي.

وفي الحالة الثانية يقتصر على الغضب والإعراض عن الخطأ ليفهم صاحبه من مقتضى الحال أنه ارتكب خطأ ما فيتراجع عنه، وهذا منه ﷺ ترفّقٌ وقصدٌ حتى لا يشق على المخطئ ويشعره بأنه ارتكب ذنبا عظيما فيكون باعثا له على اليأس والقنوط، وإنما يحسن أسلوبه ويقوِّم خطأه بطريق الإشارة.

---

(١) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧هـ، (٢/ ٤٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الحدود، باب: كم التعزير والأدب، (٨/ ١٧٤)، برقم (٦٨٥٣)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، (٤/ ١٨١٣)، برقم (٢٣٢٧).

وهذا النوع الثاني هو الذي يعنينا في هذا المقام وهو الذي سنمثل له إذ هو ما يتعلق بالسياق الاجتماعي مباشرة دون قضايا الدين التي هي في تعداد الأصول.

فالمثال الأول: ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رجلا شتم أبا بكر والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله، غضبت وقمت، قال ﷺ: «**إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله، وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان**»[1].

وسننظر لهذا الحديث من الوجهة الاجتماعية لنقرر أن أبا بكر ﷺ كان يقابل الإساءة بالعفو في بداية الأمر، واستمر على ذلك الحال إلى أن أكثر الرجل من شتمه فردَّ عليه، فغضب النبي ﷺ وأعرض عنه، فأدرك أبو بكر أنه أغضب النبي ﷺ بردِّه على الشاتم، فهرول في أثره ليظهر شيئا من اعتذاره.

وبذلك فإن غضب النبي ﷺ والإعراض عن موضع المشكلة قد نجح في تنبيه المخطئ على خطئه، وحمله على الاعتذار منه، وهو أمر يغني في مثل هذه الحالات التي يكون فيها المدعو ذو يقظة وفطانة، كما أنه مناسب في مثل هذه الحالات التي يكون فيها الخطأ صغيرا أو ارتكبه صاحبه عن غير قصد.

أما غير هذه من الحالات فقد يحتاج فيها إلى وسيلة أخرى كأن يقترن الغضب بالوعظ، أو بالزجر الفعلي، كما في حالات انتهاك حرمات الله.

والمثال الثاني: ما جاء عن عبد الله بن عباس ﷺ، أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**»،

---

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (١٥/ ٣٩٠)، برقم (٩٦٢٤)، وحسنه الشيخ الأرناؤوط.

فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: "خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله، لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله"[1].

ففي هذا الحديث كان لغضب النبي ﷺ وعدم رضاه الأثر الفاعل في صاحب الخاتم الذي أدرك خطأه، حيث يتضح ذلك في رفضه أخذ الخاتم عندما قيل له بعدما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به، فأبى ورفض ذلك.

وعن عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج في غزاة فأخذت نمطا فسترته على الباب، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه فجذبه حتى هتكه، ثم قال: «**إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين**»[2]؛ ففي هذا الحديث يتضح أسلوب إظهار الغضب وعدم الرضا في علاج المشكلة وإزالة المنكر بأسلوب حكيم تتحقق به المصلحة ولا يترتب عليه مفسدة.

وعن أبى مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا؛ فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: اللباس والزينة، باب: طرح خاتم الذهب، (٣/ ١٦٥٥)، برقم (٢٠٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: اللباس والزينة، باب: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة، (١٤/ ١٥٩)، برقم (٥٦٤٢).

مما غضب يومئذ فقال: «**يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة**»[1].

فبهذا الحديث تبين أسلوب الغضب وعدم الرضا في علاجه ﷺ لمشكلة إطالة الإمام في صلاته ومشقته على المصلّين، عندما شكا إليه رجلٌ من القوم تطويل إمامهم في صلاته.

ومما تقدم يظهر جليًّا أن أسلوب غضب النبي ﷺ وعدم رضاه هنا لا يخرج الإنسان عن وضعه الطبيعي حال هدوئه، وهذا ضابط من أهم ضوابط المنهج النبوي في استخدام هذا الأسلوب، فهو يتصرف تصرُّف الإنسان في حال طبيعته وقبل غضبه فلا يتعدى بالقول أو الفعل، ولم يخالطه انتصار للنفس، ولا مدخل فيه للهوى، ولذلك فقد أفاد هذا الأسلوب النبوي العلاجي الإنكاري فوائد عدة، منها:

١. إن هذا الأسلوب أعطى النبي ﷺ دفعة نفسية لتغيير هذا المنكر.

٢. إن تغير ملامح الإنسان بسبب هذا الغضب يتضح منه عظم هذا المنكر، فيدل ذلك على أن الأمر ليس عاديا.

٣. إن أسلوب الغضب وعدم الرضا من المتصدي للنصح في بعض المواقف من أنجع الأساليب في التأثير على المشاهد والمستمع، مما يؤدي إلى إستجابتهما لما يريانه من شدة تأثر المتكلم، فيكون هذا الأسلوب دافعا للاستجابة.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأذان، باب: إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، (١/ ١٧٣)، برقم (٧٠٣)، ومسلم في كتاب: الصلاة، باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، (١/ ٣٤٠)، برقم (٤٦٦).

وعلى ما سبق، ووفق ما جاء به المنهج النبوي، فقد استطاع النبي ﷺ من خلال استخدام هذا الأسلوب أن يغير كثير من المنكرات حوله، وأن يزجر الفاعلين، وأن يجعل من هذا الأسلوب محركًا لقلوبهم ومشاعرهم، بل وأفعالهم تجاه مقالة النبي ﷺ، مع الأخذ في الاعتبار ألا يخرج المصلح عن الإطار الشرعي في غضبه، وقد جعل المنهج النبوي ضابطا بارزًا حتى يكون هذا الأسلوب فعالًا صحيحًا عمليًا لحل كثير من المشكلات الاجتماعية في المجتمع المسلم.

❁❁❁❁

المطلب الثامن

أسلوب التوبيخ والتأنيب

التأنيب والتوبيخ نوع من أنواع التعزيرات، وهي الأخطاء التي لا تستحق الحد، ولكنها قد تستحق عقوبة من نوع ما كمواجهة المخطئ بالتعنيف، وزواجر الكلام وغاية الاستخفاف الذي لا قذف فيه، ولا سب[1].

والتوبيخ في اللغة: مصدر الفِعل (وبَّخ): لامَ وعذلَ.

والتوبيخ: التهديد اللوم، يقال: (وبَّختُ فلانًا بسوء فعله).

والتأنيب هو: المبالغة في التوبيخ والتعنيف[2].

وأما المعنى الاصطلاحي: فلا يختلف المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمات عن المعنى اللغوي كثيرًا؛ فإن التوبيخ دون التهديد؛ فالتوبيخ فيه لوم وتعنيف وعتاب، ويكون بزواجر الكلام مع النظر إلى الجاني بوجه عبوس[3].

وعرَّفه بعض المعاصرين بأنه: "توجيه عبارات ناقدة لشخص معين، نتيجة لعدم الرضا عن سلوكٍ معين صدر عنه"[4]؛ وقيل هو: التوعُدُ من غير شتم ولا سبٍّ لعرض[5].

---

(١) ينظر: الأحكام السلطانية، الماوردي، دار الحديث، القاهرة، (ص ٣٤٤).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (١/ ٢١٦)، مادة: وبخ.

(٣) ينظر: بدائل العقوبات السالبة للحرية، الضبعان، (ص١٦١ - ١٦٨).

(٤) المرجع في تدريس علوم الشريعة، الدكتور/عبدالرحمن صالح عبدالله، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، (ص٢٦٥).

(٥) تطور الفكر التربوي، لسعد مرسي، (ص٢٦٦)، حيث نقل هذا التعريف عن القابسي- في رسالته المفصلة التي ضمنها كتابه.

إذًا فالتوبيخ والتأنيب هما شكلان من أشكال العقاب المعنوي، والذي يحتاج إليه المصلح حينما تكون المشكلة كبيرة لا يصلح معها اللين؛ وقد جاء على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام مخاطبا قومه، فقال تعالى حكاية عنه: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]؛ وجاء على لسان لوط عليه السلام في حق قومه، قوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[2].

وأسلوب التوبيخ والتأنيب يكونوا في بعض الأحيان أمرًا ضروريًا يلجأ أليه المصلح في علاج الخطأ الاجتماعي، بتوبيخ المخطئ وتأنيبه ومقارعته بعبارات لاذعة، ويكون الهدف من ورائها علاج مشكلة ظاهرة قد يصل ضررها إلى الغير، فيستحق صاحبها بذلك التوبيخ على هذا الفعل حتى يقلع عن ما اقترفه ويراجع نفسه في الحال ويصلح ما أفسده.

وبعد هذا البيان لأهمية التوبيخ والتأنيب يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال مضمونه، **كيف يكون التوبيخ والتأنيب سببا في حل المشكلات الاجتماعية من منظور المنهج النبوي؟**.

مما لاشك فيه أن التوبيخ والتأنيب الذي لا يتناسب مع حجم الخطأ يعطي نتيجة عكسية؛ فالنبي ﷺ هو خير من يقدر ذلك، فتعدد أحوال المؤدَّبين يفرض على المصلح أن يراعى اختلاف أحوالهم وتفاوت طبائعهم، فمنهم من ينفع معه النظرة الغاضبة، ومنهم من يجدي معه إعراض المؤدِّب عنه، ومنهم من يردعه الكلام العنيف الخالي من السب والشتم والكلام الجارح.

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٦٧.

(٢) سورة هود الآية: ٧٨.

فالتوبيخ والتأنيب لهما أثرهما في نفس الموبخ، بل هما أكثر إيلامًا من الوعظ، ويعظم هذا الأثر إن كان التوبيخ بحضور جماعة من الناس، وقد يعمل التوبيخ في نفس المخطئ ما لا يفعله الضرب في غيره، مما يشير إلى أهمية هذه العقوبة في العلاج المعنوي للمشكلات.

ومن الأمثلة التي تبين استخدام النبي ﷺ لأسلوب التأنيب والتوبيخ في علاج المشكلات كثيرة جدًا نورد منها مايلي:

أ) توبيخه ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه على قيامه في سب مملوكه وتعييره بسواد لون أمه؛ فعن المعرور بن سويد[1]، قال: مررنا بأبي ذر بالربَّذة وعليه برد وعلى غلامه مثله، فقلنا: يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة، فقال: إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيت النبي ﷺ، فقال: «**يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية**»، قلت: يا رسول الله، من سبَّ الرجال سبوا أباه وأمه، قال: «**يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[2].

---

(١) هو: المعرور بن سويد الإمام المعمر أبو أمية الأسدي الكوفي، من ثقات التابعين، حدث عن ابن مسعود وأبي ذر وجماعة، وروى عنه واصل الأحدب وسالم بن أبي الجعد وعاصم بن بهدلة ومغيرة اليشكري وسليمان الأعمش وثقه يحيى بن معين، بلغ عمره مائة وعشرون سنة. ينظر: ترجمته في الطبقات لابن سعد، (٧/ ١٥)، وتهذيب الكمال، (٢٨/ ٢٦٢)، وسير أعلام النبلاء، (٤/ ١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن، (١/ ١٥) برقم (٣٠)، ومسلم، كتاب: الأيمان، باب: إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، (٣/ ١٢٨٢)، برقم (١٦٦١).

فقد وبَّخ النبي ﷺ أبا ذر رضي الله عنه لعظم شناعة ما فعله واستفظاعا لصدور هذا الأمر منه قال ابن حجر: "وإنما وبَّخه بذلك على عظيم منزلته عنده تحذيرًا له عن معاودة مثل ذلك، لأنه وإن كان معذورًا بوجه من وجوه العذر لكن وقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه"[1].

وبذلك نستطيع أن ندرك مدى فعالية هذا الأسلوب في علاج الخطأ من خلال القصة السابقة، فلقد كان هذا التوبيخ لأبي ذر رضي الله عنه له أثر كبير في سلوكه طيلة حياته؛ وقد اتضح ذلك في جوابه على اقتراح المعرور بن سويد، (يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة؟).

ب) عن عمرو بن شعيب[2] عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، وهم يختصمون في القَدَر، فكأنما يفقأ في وجهه حَبُّ الرمان من الغضب، فقال ﷺ: «**بهذا أمرتم؟ أو لهذا خُلِقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم**»[3].

ووجه الاستدلال هنا بيان أسلوب التوبيخ والتأنيب في قول النبي ﷺ حينما رأى أصحابه جاوزوا الحد بسؤالهم مما لا ينبغي السؤال عنه والدخول فيه، وأنكر عليهم

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، (١/ ٨٥).

(٢) هو: عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، من رجال الحديث، وثقة النسائي وغيره، وقال ابن حجر: صدوق، سكن مكة وتوفي بالطائف، سنة ١١٨هـ. ينظر: تقريب التهذيب، (ص٤٢٣)، والأعلام، (٥/ ٧٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٢/ ١٩٦)، والترمذي في "سننه" في أبواب القدر، باب: ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، برقم (٢١٣٣)، وابن ماجه في "سننه" في المقدمة، باب: في القدر برقم (٨٥)، وحسنه الألباني في "صحيح سنن الترمذي" برقم، (١٧٣٢).

وعنَّفَهم بقوله: «**أبهذا أمرتم؟** ... »، فدل هذا الفعل منه ﷺ على استخدامه لأسلوب التوبيخ والتأنيب في العلاج والتوجيه إذا اقتضت الحال ذلك.

ب) وفي علاجه لمنع أهل بيته من أكل الصدقة، يدل على ذلك قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ وهو صغير السن لما أخذ تمرة من تمر الصدقة: «**كخ، كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**»[1].

وإنما زجره ووبخه النبي ﷺ لأنه "عجب كيف خفي على الحسن ﷺ هذا مع ظهور تحريمه، وهذا أبلغ في الزجر من قوله لا تفعل"[2].

وعلى هذا الأساس، فلأسلوب التوبيخ أثره الواضح في توجيه المدعوين، ولهذا الأسلوب ضوابطه ومقاماته التي وضحتها السنة النبوية، كما وضحت آثاره من حيث امتثال المدعوين والوقوف بهم نحو الصواب، لكي يتخطوا مشاكلهم ويخرجوا منها لا سيما تلك المشاكل الاجتماعية كما كان ذلك واضحًا جليًا في قصة أبي ذر المذكورة آنفا؛ لذا، فهذا الأسلوب من أهم سبل الإصلاح والخروج من المشكلات الواردة على أفراد المجتمع المسلم.

❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الزكاة، باب: ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، (٢/ ١٥٧)، برقم (١٤٢٠)، ومسلم، في "صحيحه" كتاب: الزكاة، باب: تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، (٣/ ١١٧)، برقم (٢٥٢٢).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، (٢/ ١٢٩، ١٣٠).

الباب الثاني

منهج النبي ﷺ في حل

المشكلات الزوجية، ومشكلة الفقر والبطالة،

ومشكلة المسكرات والمخدرات.

الفصل الأول

منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الزوجية.

وفيه ستة مباحث:

- **المبحث الأول:** اهتمام الشريعة الإسلامية بقضايا الأسرة
- **المبحث الثاني:** أسباب المشكلات الزوجية.
- **المبحث الثالث:** الحث على ضرورة حسن اختيار الزوجة.
- **المبحث الرابع:** تعامل النبي ﷺ مع زوجاته.
- **المبحث الخامس:** أساليب النبي ﷺ في معالجة المشكلات الزوجية.
- **المبحث السادس:** الآثار المترتبة على حدوث المشاكل الزوجية.

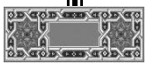

تمهيد:

الزواج من نعم الله تعالى على عباده؛ فبه يكثر النسل، وبه يستعين المسلم على غض بصره وحفظ فرجه والنجاة من الفتن، وبه يتعارف الناس؛ وهو آية من آيات الله تعالى، الدالة على ربوبيته ووحدانيته، كما قال ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1] .

وهذه المودة والرحمة المذكور في النص القرآني السابق لا يمكن التعبير عنها باللسان، بل هي مشاعر تُحس، وأحاسيس تُدرك بين الزوجين.

ومن الطبيعي أن تطرأ على - مدار الحياة الزوجية - بعض المشاكل والمنغصات، التي قد تحول حياة الزوجين - إن لم يتداركا الأمر - إلى جحيم وتعاسة.

ولا شك أن امتثال الزوجين لمنهج الكتاب والسنة في علاج المشكلات؛ هو بداية الطريق لحل تلك المشكلات وتحقيق السعادة الزوجية.

أما إذا حاد الزوجان أو أحدهما عن هدي الكتاب والسنة، وتعديا حدود الله تعالى، وانحرفا عن صراطه المستقيم؛ تفاقمت المشاكل وتعقدت.

وقد حث القرآن الكريم على إتباع منهج الله ورسوله؛ قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[2].

---

(١) سورة الروم الآية: ٢١.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٣٦.

ومن صور الحيدة عن منهج الله ورسوله إهمال المرأة زوجها، أو الرجل زوجته، وعدم الاكتراث بأوامر الشرع، فلا يبالي الزوج بما يقوله أو يفعله، ولا تبالي الزوجة بما تقوله أو تفعله!؛ ولم يتعاشرا بالمعروف، ولم يلتزما بالكتاب والسنة؛ انفتحت المشاكل على البيت المسلم؛ والأخطر من هذا أن تتعدى المشاكل بيت الزوجية لتنال الأقارب من والد الزوج أو الزوجة أو أمهما؛ فتتنكد الحياة وتتنغص المعيشة.

ولقد شهد المسلمون الأوائل وإلى وقت قريب بيوت المسلمين وقد امتلأت بالمودة والألفة والرحمة والسكون، فقلما نسمع بمشكلة أو يرى قاض يفصل في قضية أسرية؛ لما كان المسلمون متمسكين بهدي الكتاب والسنة وبمنهج النبي ﷺ في علاج المشكلات الاجتماعية.

فالمخرج إذًا والعلاج هو تطبيق هذا المنهج النبوي بعد دراسة منهجه ﷺ في معاشرته لأهله وزوجه، وعلاجه للمشكلات الأسرية، واستلهام العبر والمواقف الطيبة من سيرته العطرة المباركة وأخلاقه الزكية الطاهرة.

وسوف يطرح الباحث فيما سيأتي ما نهجه النبي ﷺ في معالجته للمشكلات الزوجية.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الأول

اهتمام الشريعة الإسلامية بقضايا الأسرة

أولا: مفهوم الأسرة في الإسلام:

الأسرة في اللُّغة: الأصل اللغوي للكلمة (أسر)، فـ"الهمزةُ والسِّينُ والراءُ أصلٌ واحدٌ، وقياسٌ مُطَّرِدٌ، وهو الحبسُ، وهو الإمساكُ، منْ ذلك الْأَسِيرُ"[1]، وهي: "الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته، ويطلق على الجماعة يربطها أمر مشترك وجمعها "أسر"[2].

أما الأسرة في الاصطلاح فهي: "الوحدة الأولى للمجتمع وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً ويكتسب فيها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة ويجد فيها أمنه وسكنه"[3].

وهي: "رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما وتشمل الجدود والحفدة وبعض الأقارب على أنْ يكونوا مشتركين في معيشة واحدة"[4].

كما تُعرَّف بأنَّها: "النظام الاجتماعي الذي ينشأ عنه أول خلية اجتماعية تبدأ بالزوجين، وتمتد حتى تشمل الأبناء والآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأقارب جميعاً"[1].

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، (١/ ١٠٧).

(٢) المعجم لوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع، (١/ ١٧).

(٣) نظام الأسرة في الإسلام، محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، عمان، ط٢، ١٩٨٩م، (ص١٧).

(٤) نفس المصدر، (ص ١٨).

ومما سبق يتضح أن الأسرة أهم المجتمعات الإنسانية، وأعظمها تأثيرا في حياة الفرد والمجتمع، وفي التشريع الإسلامي هي النواة الأولى لبناء المجتمع، وبقدر ما تكون قوية متماسكة يكون المجتمع قويًا متماسكًا، وعلى هذا الأساس جاء اهتمام المنهج النبوي بنظام الأسرة، ليكفل لها كل مقومات السلامة من المشكلات الاجتماعية وتحقيق الحياة السعيدة من خلال ربط نشأتها بأصلها، وربط ذريتها وفروعها المنبثقة عنها بها؛ لذا فقد عمل المنهج النبوي على ذلك من خلال عدة أسس، على النحو التالي:

الأساس الأول.

حفظ الأنساب: وهو الأساس في التسلسل الأسري من الجد المعروف إلى الأب المعروف إلى الأبناء الذي يعرف كل واحدا منهم الآخر إلى من ينتمي منهم بالقربى والمصاهرة، وقد قال النبيﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإنَّ صلة الرحم محبّة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**»(٢).

وإلى هذه الغاية العظيمة تشير الآية القرآنية الكريمة في قول الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴿٧٢﴾ ﴾(٣).

(١) الإسلام وتنظيم الأسرة، حسن الكريم، مؤتمر الرباط، ١٩٩٧م، ورقة غير منشورة.

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٣/ ٦٨)، رقم (٨٨٦٨)، والترمذي في البر باب: ٤٩، رقم (١٩٧٩)، وقال: حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم (٢٩٦٥). ومعنى منسأة في الأثر: أي زيادة في العمر، وذلك بأن يبارك الله فيه.

(٣) سورة النحل الآية: ٧٢.

لذا فقد جعل المنهج الإسلامي حفظ الأنساب منهج أساسي لحفظ الكيان الأسري من التفكك والتشرذم، وجعله قويا متماسكًا مترابطًا.

الأساس الثاني.

الحث على تحمُّل المسئولية الأسرية:

فالمنهج النبوي يهدف من وراء بناء الأسرة إلى تدريب الفرد على تحمُّل المسئولية، فالرجل حين يصبح بزواجه مسئولاً عن زوجه وأولاده، يكد ويتعب في سبيل تأمين العيش الأفضل لهم، وكذلك المرأة فإنها تفني حياتها في خدمة زوجها وأولادها، فالأسرة تدرب الرجل والمرأة أعظم تدريب على تحمل المسئولية.

ولقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بجلاء في قوله:

«كلكم راع ومسئول عن رعيته، والإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته»[1].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، (٢/ ٥) برقم (٨٩٣)، ومسلم في كتاب: الإمارة باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (٣/ ١٤٥٩)، برقم (١٨٢٩).

الأساس الثالث.

سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي: فمن المقاصد التي اتَّجه إليها المنهج النبوي في حثّه على تكوين الأسرة، سلامة المجتمع الإسلامي من العلل والآفات الأخلاقية، وقد حذر النبي ﷺ من اقتراف الفواحش، وانتشارها في الأمة، وقرن ﷺ بين ذلك وبين ظهور الأمراض والأوجاع؛ فيقول ﷺ: «**يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»(١).

فالمنهج النبوي يهدف من ذلك تجنيب المجتمع مشكلات الانحراف، أو الشذوذ الجنسي؛ ويضع تشريعات وقائية لهذا الأمر، والتشجيع على الزواج، وغض البصر عن النظر المحرّم، وحفظ العورة، وتحريم الزنى وتجريمه، وتحريم الاختلاط الفاسد بين الجنسين، وتحريم الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية، والتفريق في المضاجع بين الأطفال والشباب، والاستئذان، وتحريم لمس المرأة الأجنبية والرجل الأجنبي، وتحريم قذف المرأة والرجل بالفاحشة.

الأساس الرابع.

مراعاة حقوق وواجبات كلا من الزوجين: فلكي تستقيم حياة الأسرة، جعل المنهج النبوي لكل من الزوجين حقوقاً وواجبات، لأنه متى أدرك كل منهما ما له من حقوق وما عليه من واجبات استقامت الحياة الأسرية، ونَمَت، وتلاشت فيها المشكلات.

---

(١) رواه ابن ماجه في "سننه" كتاب: الفتن، باب: العقوبات، برقم، (٤٠٠٩)، واللفظ له، وحسنه الألباني، ورواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب: الجهاد، باب: ما جاء في الغلول، برقم (٨٧٠).

وقد جاءت هذه الحقوق بشيء من الإيجاز في حديث النبي ﷺ: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنّ عوانٌ**[1] **عندكم، ليس تملكون منهن ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح**[2]**، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم: فلا يوطِئْنَ فُرُشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**»[3].

الأساس الخامس.

حسن المعاملة بين الزوجين: فقد جعل المنهج النبوي من معايير خيرية الرجال حسن معاملة الزوجات، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[4].

الأساس السادس.

الاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة: والذي يعتبر من أهم الأسباب الحائلة دون وقوع المشكلات الأسرية، فإن تبادل الاحترام، ومراعاة الآداب بين أعضاء الأسرة بحيث

---

(١) عوان عندكم: أسيرات عندكم بحكم رباط الزوجية.

(٢) المبرح: الشديد المؤذي.

(٣) أخرجه الترمذي في "سننه" كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، (٥/ ٢٧٣)، برقم (١١٦٣)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن. ينظر: إرواء الغليل، للألباني، (٧/ ٩٦).

(٤) أخرجه الترمذي في "سننه" كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، (٥/ ٧٠٩)، برقم (٣٨٩٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

يعطف الكبير على الصغير، ويقوم الصغير بإجلال الكبير وتوقيره، فقد أثر عن النبي ﷺ أنه قال في جملة وصاياه العامة: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا**»(١).

إن مراعاة هذه الآداب تخلق داخل البيت جواً من الفضيلة والقيم الكريمة، وهي توجب تنمية السلوك الكامل في نفس الطفل، وتبعثه إلى الانطلاق في ميادين التعاون مع أسرته ومجتمعه، وقد ثبت في علم التحليل النفسي بأن قيم الأولاد الدينية والخلقية إنما تنمو في محيط الأسرة.

الأساس السابع.

تقوية أواصر الحب بين الزوجين: لأن تقوية أواصر الحب بين الزوجين يؤدي إلى الألفة والود والاحترام، مما يشيع جواً من الدفء والاستقرار النفسي في الأسرة؛ فالنبي ﷺ كان يباسط زوجته عائشة ﵂ ويقول لها: «**يا عائِشُ**»(٢).

وكان من هدية الحث على ما يقوي أواصر الحب بين الزوجين: فمما يقوي أواصر الحب بين الزوجين المداعبة والابتسامة الحانية، ولا يستطيع أي إنسان أن يعيش بجو متوازن دون أن يتعرض للمداعبة من شريكه، ولو بين حين وآخر، لأن المداعبة والمزاح يكسران رتابة الحياة ومشكلاتها، ويخففان من القلق والتوتر النفسي- وضغط الحياة وصعوباتها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (١١/ ٣٤٥)، برقم (٦٧٣٣)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٥/ ٢٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأدب، باب: من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفا، (٨/ ٥٥)، برقم، (٦٢٠١)، ومسلم في كتاب: الجنائز، باب: فضل عائشة ﵂، (٢/ ٦٧٠)، برقم (٢٣٠١).

وقد كان ﷺ ينشر المزاح، دون كذب فيه، حتى بين أصحابه الذين قالوا له: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: «**إني لا أقول إلا حقاً**»(١).

الأساس الثامن.

التغاضي عن الهفوات والزلات: ومما يقوي أواصر الحب بين الزوجين أيضاً التغاضي عن هفوات وتصرفات الشريك التي لا ترضي الطرف الآخر، لأن كثرة العتاب والتأنيب على الأفعال تنغص سير الحياة الزوجية، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر**»(٢). والله ﷻ يقول: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾(٣).

والأمر يتطلب من كل من الزوجين احتواء الآخر بالصبر عليه، وتحمُّل توتره وغضبه، الناتج غالبا عن ضغوط الحياة اليومية ومشكلاتها.

وكذلك التزين للشريك، وذلك بالنظافة التي تشمل نظافة البدن بما أمر به النبي ﷺ، ونظافة الملابس بارتداء الملابس المناسبة المتوفرة دون تكلف، وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴿٢٢٨﴾﴾(٤)"(٥).

---

(١) تقدم تخريجه، (ص ٣١٠).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء، (٤/ ١٧٨)، برقم (٣٧٢١). عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة النساء الآية: ١٩.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٢٨.

(٥) رواه أبو داود في "سننه" كتاب: النكاح، باب: حق المرأة على زوجها، (٣/ ٦٧-٦٨)، وابن ماجه =

وبناء على ما سبق فقد أهتم المنهج النبوي بالأسرة في مسيرتها، ورعاها منذ لحظة التفكير في إنشائها إلى لحظة إنهائها، مرورا بأحوالها وشؤونها مدة قيامها، مراعيا في ذلك كله قواعد العدالة والأخلاق والمثل الاجتماعية، وآخذًا بعين الاعتبار الخصائص النفسية والحاجات الفطرية، مراعيا خصائص النشأة الروحية مقدرًا لكل منها قدرها، حتى يستقيم أساس الأسرة وتقوم بدورها الاجتماعي والإنساني، وتتمخض عن نسل يقوم بما رسمته له الشريعة الإسلامية من غايات وأهداف يجمعها القيام بواجب الخلافة وعمارة الأرض.

فكلما كان الطابع الغالب على المجتمع طابع هؤلاء الأفراد الأفذاذ، كلما كانت شبكته الاجتماعية شبكة متينة الإحكام، بعيدة كل البعد عن المشكلات الاجتماعية.

❁❁❁❁

في "سننه" كتاب: النكاح باب: في حق المرأة على الزوج، (١/ ٥٩٣)، برقم (١٨٥٠)، والإمام أحمد في "مسنده"، (٤/ ٤٤٦-٤٤٧)، و(٥/ ٣-٥)، جزء من حدث عن معاوية بن حيدة. والمصنف في شرح السنة، (٩/ ١٦٠).

المبحث الثاني

أسباب المشكلات الزوجية

تعتبر الخلافات الزوجية أساس المشكلات الأسرية، "فالمشكلة الزوجية عادة ما تكون مسبوقة بخلاف زوجي، وهذا الخلاف قد يكون عنصرا بناء يثري الحياة الزوجية من خلال التنوع الفكري والمضامين الاجتماعية الجديدة التي تكسر السياج النمطي للحياة الزوجية، فتضفي عليها شيئا من التجديد والنشاط الإنساني، أما إذا جنح هذا الخلاف إلى تكريس أساليب الشقاق والصدام مع الآخر، فإن العكس هو ما يحدث بين الزوجين حيث تتضخم النزعات الانفعالية بين الطرفين شيئا فشيئا يضيق السياج الذي يؤطر الحياة الزوجية، فإما أن تتقرح معيشة كل منهما في داخل هذا السياج الضيق، وإما أن ينثلم هذا السياج وفي كلتا الحالتين فإن الحياة الزوجية سوف تواجه من المشاكل ما يعكر صفوها ويوتر حركتها"[1].

ولما كانت المشكلات الزوجية كثيرة التنوع لإمكان تعلقها بكل جانب بل كل جزئية من جزئيات الحياة، فإنه بات من الصعب حصر أسباب هذه المشكلات، ولذلك سوف يعرض الباحث في هذا المبحث أبرز جوانب المشكلات التي تعرض للحياة الزوجية، والتي تنقسم إلى نوعين من المشكلات، عامة وخاصة:

فأولا: من حيث المشكلات الخاصة: وهي التي تتعلق بالزوج أو الزوجة، ولهذه المشكلات صور وأشكال، وذلك على النحو التالي:

---

(١) المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، أميرة أحمد عبيد باهميم، (ص٨).

أ- مشكلات نفسية:

مثل الكراهية والنفور، وقد قال الله تعالى في مسألة الكره والحب:﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾[1].

ومن أهم هذه المشكلات النفسية أيضا سوء المعاملة للزوجة، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر**»[2].

١- سوء التوافق العاطفي والجنسي والفكري، والغيرة والخيانة الزوجية، والنزاع على السيادة للأسرة.

"فالتباين الفكري والعاطفي يباعد بين طرفي العلاقة الزوجية، ويجعل لكل منهما توجهاته ونظرته الخاصة لمختلف الأمور، واختلاف التوجهات غالبا ما يؤدي إلى اختلاف المواقف، وربما دفع بأحد أطراف العلاقة إلى السعي للسيطرة وفرض الرأي على الطرف الآخر؛ فيدخل الزوجين في سلسلة من الصراعات التي تزيد من شدة الخلاف، وتؤجج نار البغضاء والحقد"[3].

٢- الجهل بالحقوق والواجبات: ويأتي هذا ضمن منظومة الأسباب الدينية للمشكلات الزوجية، "فكثير من الناس يتزوجون وهم لا يعرفون ما ينبغي أن تكون عليه الحياة الزوجية، فهم يجهلون كثيرا من الواجبات التي ينبغي على كل طرف أن يقوم بها"[4].

---

(١) سورة النساء الآية: ١٩.

(٢) تقدم تخريجه، (ص٣٣٦).

(٣) المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، أميرة أحمد عبيد باهميم، (ص١٩)، بتصرف قليل.

(٤) الخلافات الزوجية أسبابها وعلاجها، أحمد ربيع أحمد يوسف، جامعة قطر، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (ص٢٣٠).

فعندما لا تستوفى الحقوق عن رضا ولا تؤدى الواجبات عن طيب نفس يصبح كلا الأمرين في حكم العدم، ويشعر كلا الطرفين أنه مغبون الحق من الآخر.

٣- الضغط النفسي: ولهذا السبب دور كبير في تأجيج المشكلات الزوجية، فالزوج الذي يعاني من ضغط نفسي، يصبح مشحونا بمجموعة من التوترات، فيسعى للخفض من حدتها عن طريق تفريغها، من خلال ردود أفعاله تجاه زوجته وأسرته، والتي تشكل في حد ذاتها عبئا إضافيا عليه، وكذلك الزوجة التي تعاني من ضغط نفسي سيظهر ذلك في ردود أفعالها، وينعكس على علاقتها بزوجها وأطفالها وعلى أدائها لمسئولياتها المختلفة، والمحصلة النهائية هي توتر العلاقات الأسرية وتعرضها لصور مختلفة من المشكلات[1].

ب – مشكلات أخلاقية:

مثل ارتكاب الفحشاء، والقسوة في معاملة الزوجة أو الأبناء والتنكر للقيم الاجتماعية والأخلاقية في معاملتهم والتبرج، وعدم الصدق والصراحة والإخلاص في العلاقات الزوجية، ومن جانب الأبناء عدم الاهتمام بنصائح الوالدين وعدم احترامها والاستماع إلي قرناء السوء والانحراف والتشرد، والتسول والمروق، وارتكاب الجرائم.

ثانيا: من حيث المشكلات العامة:

فهي ترجع إلى المجتمع وما ينتابه من مشاكل اقتصادية سيئة أو موروثات ثقافية خاطئة، أو عادات فاسدة منتشرة في البيئة[2]؛ وهذه المشكلات العامة يمكن تقسيمها إلى الأنواع التالية:

---

(١) نفس المرجع.

(٢) ينظر: المشكلات الاجتماعية منظور الممارسة في الرعاية والخدمة الاجتماعية، سامية محمد فهمي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م، (ص ١١٦).

أ – مشكلات اجتماعية:

بالرغم من أهمية العلاقات الاجتماعية في تقوية البناء العائلي، إلا أن مثل هذه العلاقات قد تشكل عاملا من عوامل بروز المشكلات الزوجية، فقد يلعب الأقارب دورا سلبيا حين يتم تحريض أحد أطراف العلاقة ضد الآخر، أو يتم التدخل بشكل غير واع في الحياة الزوجية.

وأبرز التدخلات في مجتمعاتنا العربية تكون من ناحية الأحماء، لا سيما أم الزوج وأم الزوجة، اللتين تدفعهما إلى التدخل في حياة الزوجين عوامل نفسية أو ثقافية أو فطرية، وقد دلت الإحصائيات على أن هذه التدخلات، وإن كانت في البداية بنوايا خيرة سرعان ما تخلق نتائج غير محمودة العواقب، وتؤدي إلى خلق الحساسية بين الأهل والزوجين وما بين الزوج وزوجته[1].

ب- مشكلات اقتصادية:

يشكل المقوم الاقتصادي عاملا أساسيا في تماسك الأسرة وتحقيق احتياجاتها المختلفة، فوجود مصدر تمويل للأسرة يعني تحقيق الاستقرار المادي، وبالتالي تمكينها من تحقيق أهدافها، أما إذا كانت الظروف الاقتصادية سيئة فإنها تشكل عائقا في طريق توافق الزوجين وتكيف الحياة الأسرية، كما تشكل التطلعات المادية غير المتناسقة مع إمكانات الأسرة والتي قد يحملها أحد أطراف العلاقة الأسرية عامل مهم في إثارة العديد من

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص٢٣٩).

المشكلات[1]، فعلى سبيل المثال تنتج بعض المشكلات بسبب كثرة الطلبات المرهقة التي تطلبها بعض الزوجات من أزواجهن[2].

كما أنه "يعد الفقر والبطالة في كثير من المجتمعات مسئولين عن العديد من المشكلات الأسرية، فالبطالة قد تقلل أو تهمش السلطة الوالدية، وقد تدفع أحد أفراد الأسرة إلى مزاولة أعمال يحرمها القانون"[3].

وفي ذات الوقت قد تشكل الإمكانيات المادية العالية سببًا للمشكلات الأسرية عندما لا يصبح هناك تخطيط سليم للموارد، أو يتم استنزاف طاقة رب الأسرة على حساب وقت وراحة الأبناء والزوجة[4].

ويندرج تحت المشكلات الاقتصادية الفارق بين مستويي الزوج والزوجة في الحياة المادية، إذ يشكل منغصا لهذه الحياة، فإن المرأة الغنية التي ألفت الحياة المترفة يصعب عليها التكيف مع إمكانات الزوج الأقل منها ثراء، فيشكل الفارق في المستوى المادي بينهما فجوة اقتصادية في منزلهما يترتب عليها شكوى متواصلة من ناحية المرأة، وغضب محتدم من ناحية الرجل الذي قد لا يملك حيلة لإرضاء النزعة الاستهلاكية في زوجته، ولا يملك تغيير طباعها المألوفة لديها[5].

---

(١) ينظر: المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، مرجع سابق، (ص٢٩).

(٢) ينظر: الخلافات الزوجية أسبابها وعلاجها، مرجع سابق، (ص٢٣١).

(٣) التفكك الأسري دعوة للمراجعة، شادية التل وشافي بن سفر الهاجري، (ص ٤٩).

(٤) ينظر: المشكلات الأسرية بعض الأسباب: والمعالجة، مرجع سابق، (ص٣٠).

(٥) ينظر: الخلافات الزوجية أسبابها وعلاجها، أحمد ربيع أحمد يوسف، (ص٢٣٨).

فهذه أبرز جوانب المشكلات التي تواجه الزوجين في بيتهما، والتي إن لم تجد عقلا ونفسا تستوعبها وتعمل على تشخيصها وعلاجها أو على الأقل تخفيف حدتها، فإنها تؤدي بسلام الحياة الزوجية، وتأتي على بنيانها من القواعد، أو تأخذ في نحر هذه القواعد فتأتي أدنى مشكلة لتقوم بمهمة الهدم والتخريب.

❁❁❁❁

المبحث الثالث

الحث على ضرورة حسن اختيار الزوجة

إن المرأة تمثل الجزء الأهم في منظومة الأسرة، وعلى عاتقها يقع قدر كبير جدا من مهام التربية وزرع القيم النبيلة في نفوس الأبناء؛ إذ المرأة بما هو مركوز في جبلتها من طول ملازمتها للبيت تكون أكثر التصاقا بالبيت وأكثر اختلاطا وقربا من الأبناء، "فإذا كانت الزوجة صالحة صلح البيت، وإذا كانت فاسدة فسد البيت، ولهذا يجب على الرجل أن يفكر طويلا في اختيار الزوجة، وأن يحكم العقل، لا مجرد العاطفة، بل لا بد من التأني والروية في اختيار الزوجة، ومعلوم أن أكثر المشاكل والخلافات الزوجية تعود إلى سوء اختيار الزوجة وإلى سوء اختيار الزوج"[1].

وكما أن للزوجة تأثير سيئًا على الرجل كذلك لها أيضا تأثيرا حسنا، فقد يكون لها رأي حكيم تفرج به أزمة عن الرجل، ومن أروع الأمثلة في التاريخ الإسلامي مشورة أم المؤمنين أم سلمة على النبي ﷺ بالتحلل من الإحرام في الحديبية، حتى يقتدي به المسلمون الذين رأوا في التحلل صعوبة نفسية.

و"إذا كان الإنسان بطبعه اجتماعيا لا يعيش إلا في مجتمع، فالوحدة الأولى لهذا المجتمع هي الأسرة، فهي الخلية التي تتربى فيها أنواع النزوع الاجتماعي في الإنسان عند أول استقباله للدنيا، ففيها يعرف الإنسان ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، وفيها تتكون مشاعر الألفة والأخوة الإنسانية، وتبذر بذرة الإيثار، فتنمو أو تخبو بما يصادفها من

---

(١) مقدمات النكاح، محمد بن عبد العزيز السديس، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٨- السنة ٣٧- ١٤٢٥هـ (ص ٢١٤).

أجواء في الحياة العامة، وفي الجملة إن المجتمع القوي إنما يتكون من أسر قوية لأنها وحدة البناء فيه"[1].

إذاً فليس أثر الزوجة مقتصرا على الزوج باعتبارها زوجته، وإنما يتعدى هذا الأثر ليصيب الأسرة بأكملها حينما يصل تأثير المرأة إلى الأبناء عن طريق المحاكاة أو عن طريق التربية، والخطورة من هذا التأثير أنه لا يقف عند الأسرة فقط وإنما يتطاول هذا الأثر ويتعاظم عن طريق التفاعلات الاجتماعية المتكررة.

ولهذا حث المنهج النبوي على حسن اختيار الزوجة كحل وقائي لمشكلات البيت والأسرة ولم يقف عند هذا الحد، بل وضع الأسس التي يختار الزوجة على أساسها، فما تلك الأسس التي وضعها النبي ﷺ؟.

أولا: الحث على اختيار الزوجة المتدينة:

جاءت التوجيهات النبوية باختيار الزوجة الصالحة، وتأكد هذا الأمر بكثير من الأحاديث النبوية التي على هذا المعنى، فمن هذه الأحاديث، قول النبي ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»[2]، وقد هذا الحديث وغيره من الأدلة أن لا يمكن أن يقارن بالمال، أو بالحسب والنسب، أو بالجمال إذا كل ذلك مجردًا من الدين.

وقدم المنهج النبوي الدين كأساس للاختيار على ما سواه، لأن "الدين عقيدة تبعث المرأة على الخوف من الله فلا تفرط في واجباتها العامة، ولا في واجباتها نحو زوجها ولا أولادها، تصون عرضها، وتحفظ شرف زوجها وترعى ماله بأمانة وتخلص في كل ما

---

(١) الأحوال الشخصية، الدكتور/ محمد أبو زهرة، الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٥٧م، (ص١٩).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: النكاح، باب: خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، (٤/ ١٧٣)، رقم (٣٧١٦).

تقوم به من أعمال، لأنها أعمال دينية مرجوة الثواب، وهذه العقيدة تلزمها معرفة بالحقوق والواجبات وتنفيذ لها على الوجه المرضي"[1].

وبهذا يتحقق مقصد الشارع في حفظ نظام الأمة وتأسيس الاجتماع الإنساني صالحًا ومتماسكا، بعيدا عن الفساد والانحلال، وذلك عن طريق حفظ نظام الأسرة من خلال الأسس السالفة الذكر.

وقد جاء كثير من الأحاديث النبوية لتوجه الراغبين في الزواج إلى حسن اختيار الزوجة، وتجعل معيار الدين في مقدمة المعايير والأسس التي تنتقى الزوجة من خلالها، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك**»[2].

"فهذا إخبارٌ من النبي ﷺ بما يفعله الناس في العادة فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع، وآخرها عندهم ذات الدين، ولكنه أيضًا وجه المسترشد إلى البدء بذات الدين ....."[3]، لأن للنكاح مقاصد أخرى تتحقق بغير ذات الدين، ومنها كف البصر وحفظ الفرج وتحقيق الأنس الروحي لكلا الزوجين؛ إلا أن هذا التوجيه يدل على أن الأليق بذي الدين أن يبحث عن المرأة الديِّنة.

---

(١) الوقت من ذهب، عطية صقر، (١/ ٢٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: النكاح، باب: الأكفاء في الدين (٧/ ٧) برقم (٥٠٩٠)، ومسلم كتاب: الرضاع، باب: استحباب: نكاح ذات الدين، (٢/ ١٠٨٦) برقم (١٤٦٦).

(٣) شرح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، (١٠/ ٥١).

قال القاضي عياض[1]: "عادة الناس أن يرغبوا في النساء ويختاروها لإحدى أربع خصال عدها، واللائق بذوي المروءآت وأرباب الديانات أن يكون الدين مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون، لا سيما فيما يدوم أمره ويعظم خطره، فلذلك حث المصطفى ﷺ بآكد وجه وأبلغه، فأمر بالظفر بذات الدين الذي هو غاية البغية، ومنتهى الاختيار والطلب، الدال على تضمن المطلوب لنعمة عظيمة وفائدة جليلة"[2].

وهذه النعم العظيمة والفوائد الجليلة التي أشار إليها القاضي قد صرحت بها أحاديث أخرى جاءت مبينة لأهمية الدين كمعيار لاختيار المرأة، فعن أبي أمامة[3] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**»[4].

---

(١) هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي الأندلسي، أبو الفضل، الحافظ المحدث الفقيه، صنف كتبا كثيرة منها: الشفا في شرف المصطفى، توفي سنة ٥٤٤هـ. ينظر: وفيات الأعيان، (٣/ ٤٨٣)، وسير أعلام النبلاء، (٢٠/ ٢١٢).

(٢) فيض القدير المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ، (٣/ ٢٧١).

(٣) أبو أمامة هو: الباهلي والسهمي ، صدى بن عجلان بن وهب بن عمرو بن عامر، توفي سنة ٨٦هـ ، وكان من شيعة علي يوم صفين ، أخرج أحاديثه الأئمة الستة ، وهو آخر من بقي من الصحابة بحمص. يراجع: الثقات، (٣/ ١٩٥)، والطبقات، (١/ ٤١١)، والإصابة، (٢/ ١٨٢).

(٤) رواه ابن ماجه في "سننه" (١/ ٥٩٦)، برقم (١٨٥٧)، والطبراني المعجم الكبير، (٨/ ٢٢٢)، برقم (٧٨٨١) وقال العجلوني في كشف الخفاء، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهر، ١٣٥١ هـ، (٢/ ١٨١): (رواه ابن ماجه والطبراني عن أبي أمامة بسند ضعيف، لكن له شواهد تدل على أن له أصلا).

فالمرأة الصالحة قائمة على طاعة زوجها، دائبة في خدمته والائتمار بأمره والإبرار لقسمه، ولا تلطخ سمعته بإثم تأتيه في عرضها حين يغيب عنها، فتصم شرفه وتخون عشرته، وهي متأهبة بالزينة والتبعل لزوجها، تسره بطلعتها وتفرحه بحسن أخلاقها وطاعتها، ولذلك يصفها النبي ﷺ بخير متاع الدنيا.

وكما أن الجمال من الأمور المعتبرة في المنهج النبوي، وما ذاك إلا موافقة للفطرة الإنسانية، فـ"الإنسان بطبيعته يعشق الجمال ويهواه، ويشعر دائما في قراره نفسه بأنه فاقد لشيء من ذاته إذا كان الشيء الجميل بعيدا عنه؛ فإذا أحرزه واستولى عليه شعر بسكن نفسي، وارتواء عاطفي وسعادة، ولهذا لم يسقط الإسلام الجمال من حسابه عند اختيار الزوجة"[1]، ففي الحديث الصحيح: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[2].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أرسل أم سليم تنظر إلى جارية، فقال: «**شمي عوارضها، وانظري إلى عرقوبيها**»[3].

وقال النبي ﷺ لرجلٍ تزوَّج امرأة من الأنصار: «**هل نظرت إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئًا**»[4].

---

(١) فقه السنة، السيد سابق، (٢/ ٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، (١/ ٩٣) برقم (٩١).

(٣) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٢١/ ١٠٥)، برقم (١٣٤٢٤)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (٢/ ١٨٠)، برقم (٢٦٩٩)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه".

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: النكاح، باب: ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها، (٩/ ١٨٧)، برقم (٣٥٥١).

ومع ذلك فإذا لم يأبه الإنسان للأساس الديني وسعى خلف دواعي الجمال، أو إغراءات المال دون أن يراعي توافر الدين في المنكوحة بوجه من الوجوه فقد ارتكب خطأ كبيرا سوف يعود عليه بجملة من المنغصات والمشكلات الزوجية منها:

- منغصات من جهة الشرف والعفاف، فإن المرأة إذا لم تستشعر الخوف من ربها، وحامت شبهة التهاون في عرضها أزرت بسمعة زوجها، وسودت بين الناس وجهه، وشوشت بالغيرة قلبه، ونغصت عليه عيشه.
- منغصات من جهة تدبير المنزل وسياسته، فإنها إذا كانت غير مبالية بحقه سيئة التصرف في ماله لم يزل في هم وقلق، فإن ناقشها فقد يسلم النقاش إلى عراك وتخاصم ثم استفحال للشر[1].

ثانيا: الحث على توخي كرم الأصل:

تختلف نفوس الناس وصفاتهم الداخلية والخلقية اختلافا عظيما جدا لا يقل في الكثرة والتنوع والحدة عن اختلاف أشكالهم وألسنتهم وألوانهم، وإن أصدق وصف لاختلاف الناس هو قول النبي ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه بحديث يرفعه، قال: «**الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»[2].

---

(١) ينظر: الوقت من ذهب، عطية صقر، (١/ ٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: المناقب، باب: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١٣]، (٤/ ١٧٨)، برقم (٣٤٩٣)، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب باب: الأرواح جنود مجندة (٤/ ٢٠٣١)، برقم (٢٦٣٨).

وفي الحديث فوائد عظيمة جدا أهمها: أن كرم الأصل في الجاهلية يساعد على التحلي الكامل بأخلاق الإسلام والقيام بتعاليمه، فالإنسان خامة منها الجيد الذي يتشكل بسهوله، ومنها الرديء كالفضة المغشوشة، أو المعدن المخلوط الذي لا يصلح مهما حاولت صناعته لشيء.

ولهذا جاءت عناية المنهج النبوي بهذه الصفة، لأن الأصل يتفرع عنه مثله، أما الأصل الكريم فيتفرع عنه الفرع الكريم، والطبع السليم، وأما الأصل اللئيم فيتفرع عنه الفرع اللئيم والطبع الذميم، وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

وهل ينُبت الخَطِّي إلا وشيجه *** وتُغرسُ إلا في منابتها النخل[1]

وحج إسماعيل بن طريح فوقفت عليه أعرابية جميلة، فقال لها: هل لكِ أن تزوجيني نفسك؟ فقالت من غير توقف:

بكى الحسب الزاكي بعين غزيرة *** من الحسب المنقوص أن يجمعا معا[2]

ولهذا يجب على الإنسان أن يختار المرأة التي يعرف أهلها باعتدال المزاج وسلامة الطبع، ويبتعد عن المرأة التي يشيع في أهلها انحراف المزاج وفساد الطبع، لأن ذلك ينتقل

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م، (ص١١٥)، وقال ثعلب في شرحه: "الخطى: الرماح، نسبها إلى الخط، وهى جزيرة ترسى إليها سفن الرماح. يقول: لا تنبت القناة إلا القناة. والوشيج: القنا، واحدها وشيجة، والوشوج: دخول الشئ بعضه في بعض. يعنى أنهم كرام ولا يولد الكرام إلا في موضع كريم".

(٢) المحاسن والأضداد، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، (ص ٢١١).

لولده، فإنه ربما أشبه أهلها، ونزع إليهم، فإنه يقال: "إذا أردت أن تتزوج امرأة فانظر إلى أبيها وأخيها"[1].

ثالثا: الحث على اختيار المرأة الولود:

فلقد شجع النبي ﷺ على الزواج من الولود الودود، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد، أفأتزوج بها؟، فنهاه رسول الله ﷺ، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك، فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال له مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**تزوجوا الوَدُودَ الوَلُودَ فإني مكاثِرٌ بِكُمُ الأمم**»[2].

أودع الله في الجسد الإنساني غريزة حب البقاء، ومن ثم فهو يبحث دائما عن النسل الذي يحقق له هذه الغاية، وهو في عزمه على تخليد سلالته يحقق غرضا مزدوجا:

الأول: يتمثل في تحقيقه الامتداد في الزمان عن طريق شخص الأبناء والأحفاد، "فإذا كان الفرد لا يستطيع مواكبة الزمن والدهور غير فترة قصيرة فإنه يجتهد في استمرار مواكبة الحياة لا بذاته ولكن بواسطة سلالته وذريته لأنهم امتداد طبيعي لخلوده وحفظ

---

(١) المغني لابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، مصر، (٧/ ١٠٩).

(٢) رواه أبو داود في "سننه"، كتاب: النكاح، باب: النهى عن تزويج من لم يلد من النساء، (٢/ ١٧٥)، برقم (٢٠٥٢)، وقال الألباني: حسن صحيح. ينظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، (٦/ ١٩٥).

اسمه ونسبه، ومن ثم أنار الله بصيرة الإنسان ليميل إلى إشباع الغريزة غريزة حب التناسل التي تعد الثمرة الأولى في بناء الأسرة"[1].

والثاني: تحقيق بقاء النوع الإنساني عن طريق التزاوج والتناسل وهو المقصد الإلهي الأعم، فاستمرار النوع هدف وغاية للخالق ﷻ كما قال عن نفسه ﷻ: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾[2].

ولذلك أيضا جعل الله سبحانه وتعالى الإضرار بالنسل من أكبر الفساد في الأرض، كما قال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٠٥ ﴾[3].

فلما كان من مقاصد الزواج الأولى إنجاب الأولاد كان ينبغي على الناكح أن يبحث عن الزوجة الولود المنجبة، ويُعرَفُ ذلك بسلامة بدنها، وبقياسها على مثيلاتها من أخواتها وعماتها وخالاتها[4].

---

(١) الخطبة والزواج، دراسة اكاديمية مدعمة بالأدلة الشرعية، الدكتور/ بلقاسم شتوان، دار الفجر للطباعة والنشر، الجزائر، (د. ت)، (ص٧٦).

(٢) سورة السجدة الآيات: ٧،٨.

(٣) سورة البقرة الآيات: ٢٠٤ ، ٢٠٥.

(٤) ينظر: فقه السنة، السيد سابق، (٢/ ٢٢).

رابعا: الحث على اختيار البكر:

والبكر هي التي لا تعرف الرجال ولا يعرفونها بخلاف الثيب، فالزواج بالأبكار أدعى إلى الاستقرار ودوام الحياة الزوجية، وعلى هذا يستحب أن تكون الزوجة بكرا، فإن البكر لم يسبق لها عهد بالرجال، فيكون التزويج بها أدعى إلى تقوية عقدة النكاح، ويكون حبها لزوجها ألصق بقلبها- فما الحب إلا للحبيب الأول-؛ ولما تزوج جابر بن عبد الله رضي الله عنه ثيبا قال له رسول الله ﷺ: «**هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك؟**»[1].

خامسا: الحث على اختيار المرأة المكافئة للرجل، والرجل المكافئ للمرأة.

التكافؤ من العوامل المعتبرة في إبعاد الحياة الزوجية عن حدوث المشكلات، والمقصود بالتكافؤ هنا ليس التطابق، ولكن مجرد التقارب وعدم وجود ما يسبب الضرر في الزواج، والفقهاء اختلفوا[2] في خصال الكفاءة والتي هي في مجملها: الدين[1]، النسب، والحرية، والحرفة، واليسار بمال[2].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: النكاح، باب: تزويج الثيبات، (٥/ ١٩٥٤) برقم (٤٧٩١)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: االنكاح، باب: استحباب: نكاح البكر، (٩/ ٣٧٥) برقم (٧١٥).

(٢) اختلفت آراء الفقهاء في مدى اشتراط الكفاءة في النكاح، بمعنى: هل اشتراط الكفاءة في عقد النكاح شرط صحة؟ أم شرط نفاذ؟ أم لزوم، ولكن جمهور الفقهاء: من الحنفية في شرح فتح القدير، ابن الهمام، (٣/ ٢٩١)، والمعتمد عند المالكية، في حاشية الدسوقي، الدسوقي، (٣/ ٢٩٤)، ومواهب الخليل، الخطاب، (٣/ ٤٦٠)، والأظهر عند الشافعية في نهاية المحتاج، الرملي- وحلية العلماء، القفال، (٦/ ٣٤٩)، وروضة الطالبين، للنووي، (٥/ ٤٢٤)؛ والراجح عند الحنابلة على أن الكفاءة شرط لزوم في عقد النكاح وليست شرطا في صحة النكاح، وهو أيضا قول أكثر أهل العلم، و قول كل من عمر وابن مسعود، وعمر بن عبد العزيز، وعبيد بن عمير، وحماد بن أبي سليمان، وابن سيرين، وابن عون. في =

والقول الوسط في ذلك هو: أن الكفاءة حق للزوجة والأولياء، فإن رضوا بـه فقـد أسقطوا حق أنفسهم وهم من أهل الإسقاط، والمحل قابل للسقوط فيسقط[٣]؛ فلهم ذلـك والنكاح صحيح، وهذا مذهب جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية والشافعية وهو المعتمـد عنـد الحنابلة.

وبنـاء عـلى ذلـك يكـون التقـارب في المسـتوى الـديني، والمـادي، والاجتماعـي، والفكري، والثقافي، والعلمي، والعمري أيضـا، كـما يكـون التقـارب كـذلك في العـادات والتقاليد؛ وقد جاءت الإشارة إلى هذه المعاني فيما روته عائشة رضي الله عنها عـن النبـي ﷺ أنـه قـال: «**وأنكحوا الأكفاء**»[٤].

المغني، لابن قدامه، (٧/ ٣٧٢).

(١) إن المتفق عليه عند الفقهاء أن المراد بالدين في هذا الخصوص معنى غير الإسلام؛ لقوله تعـالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [سورة الحشر آية ٢٠]، لأن زواج المسلمة من الكافر غير جائز مطلقا، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [سـورة البقـرة آيـة ٢٢١]. وإنما المختلف فيه هو الدين بمعنى: التقوى والزهد والصلاح.

(٢) كشاف القناع، البهوتي، (٥/ ٧٣).

(٣) ينظر: نهاية المحتاج، (٦/ ٢٥٣)، وبدائع الصنائع، الكاساني، (٢/ ٤٧٠).

(٤) رواه ابن ماجة فى " سننه" كتاب: النكاح، باب: الأكفاء، (١/ ٦٣٣)، برقم (١٩٦٨)، والبيهقي في السنن (٧/ ١٣٣)، والدارقطني في السنن، باب: المهر، (٢/ ٢٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٩٢٨). من حديث عائشة رضي الله عنها.

"وخطب أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال: (إنها صغيرة)، فلما خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه زوجها إياه"[1].

فالإحساس بعدم التكافؤ حينما يتملك أحد الزوجين، قد يحدث في صور من التصرفات أو التلميحات أو حتى النظرات، فينتج عن ذلك ردود نفسية تترجم عمليا في سلوكيات، أو أقوال، ربما تصل للسخرية والاستهزاء، أو قد تصل إلى حد الانتقام للكرامة والكبرياء؛ وقد تكون في كثير من الأحيان أمور غير مقصودة، أو أحداث تافهة لا تستحق أن تشغل مساحة من النقاش، ولكن مع الإحساس بعدم التكافؤ تتفجر وتسبب صدامات ومشاكل لا حصر لها، تستجلب الكثير من التبريرات واستحضار كل وسائل الدفاع التي في كثير من الأحيان تفشل في إعادة الوئام والاستقرار، وإن نجحت ما تلبث أن تنهار مرة أخرى بعد فترة وجيزة.

ومن هنا فإن التقارب في هذه النواحي من التكافؤ عند اختيار الزوجة مما يعين على دوام العشرة، وبقاء الإلفة، والخلو من المشكلات، والوقاية خير من العلاج.

❁❁❁❁

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه"، (١٥/ ٣٩٩)، برقم (٦٩٤٨)، وصححه الشيخ الأرناؤوط كما في الحاشية.

المبحث الرابع

تعامل النبي ﷺ مع زوجاته

لقد وضع لنا رسولُ الله ﷺ في تعاملاته مع زوجاته أُمَّهات المؤمنين -رضي الله عنهن- منهجًا نبويًّا فريدًا، وطريقًا للمسلمين يسلكونه في حياتهم الزوجية، مجسِّدًا لهذا الطريق وهذا المنهج من خلال أخلاقه ﷺ وتعاملاته، فكان ذلك منه ﷺ واقعًا ملموسًا يراه الناس ويقتدون به في حياتهم ومع زوجاتهم، وقد نبه القرآن الكريم على العشرة بالمعروف؛ فقال الله ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

وقد طبق النبي ﷺ ذلك بسلوكه ليكون النموذج الذي يحتذى به في حسن معاملة المرأة، فمن الصور الحية لتعامل النبي ﷺ مع زوجاته:

أولا: عدله ﷺ بين أزواجه:

لقد استطاع النبي ﷺ أن يجنب حياته الزوجية المشكلات التي غالبا ما تحدث عند المعددين، فلقد ألتزم العدل في القسم بين نسائه، ويتحرى التسوية بينهن في "المبيت والإيواء والنفقة"[2]، "ولم يكن يفضل بعضهن على بعض في مكثه، حتى أنه كان يحمل في ثوب فيطاف به عليهن فيقسم بينهن وهو مريض"[3]، "فلم يفرق ﷺ في حسن معاملته بين

---

(١) سورة النساء الآية: ١٩.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، (١/ ١٤٥).

(٣) الشمائل الشريفة، السيوطي، تحقيق حسن بن عبيد باحبيشي، دار طائر العلم للنشر والتوزيع - (ص٣٤٨).

زوجاته أبدا، بالرغم من تفاوتهن في جوانب عديدة، في الجمال، وفي السن، فما كان يبعده عن العدل شيء ما، فجعل لكل واحدة منهن ليلة، وإذا زار واحدة في غير ليلتها زارهن جميعا، ومع مراعاته للعدل الدقيق، كان يستغفر الله في ميله القلبي لبعضهن ويقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك**»[1]"[2].

فكان النبي ﷺ يراعي الحاجات الإنسانية ويقدر لزوجاته حقوقهن الأساسية، ويصونها لهن، فلم يتزوج واحدة إلا برضاها[3].

ومن عدله ﷺ أنه كان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها وهبت يومها وليلتها لعائشة، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ"[4].

---

(١) رواه أبو داود في "سننه"، (٢/ ٢٤٢)، برقم (٢١٣٤)، وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٢٠٤)، برقم (٢٧٦١) وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه).

(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد أحمد غلوش، (ص١٥٥).

(٣) ينظر: نفس المرجع، (ص ١٥٧).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الشهادات، باب: القرعة في المشكلات، (٣/ ٢٣٨)، برقم (٢٦٨٨).

وعن عائشة ﵂ أيضا، قالت: "كان النبي ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسمة من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها"(١).

بل وفي مرض موته ﷺ حرص على العدل بين أزواجه؛ فاستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة ﵂؛ تقول عائشة: "لما ثقل النبي ﷺ فاشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذن له"(٢).

ثانيا: صبره ﷺ على زوجاته:

وهنا يأتي أيضا صبر النبي ﷺ على زوجاته في مقدمة منهجه في الوقاية من حدوث المشكلات الزوجية؛ فقد قال عمر ﵁: "كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، قال: فصخبت على امرأتي فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني، قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم إلى الليل، قال: فأفزعني ذلك وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن، قال: ثم جمعت عليَّ ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أي حفصة، أتُغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟، قالت:

---

(١) رواه أبو داود في "سننه"، في كتاب: النكاح، باب: فى القسم بين النساء، (٢/ ٢٠٨)، برقم (٢١٣٧)، قال الألباني: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: هبة الرجل والمرأة لزوجها، (٣/ ٢٠٧)، برقم (٢٥٨٨).

نعم، قال، فقلت: قد خبت وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي؟"[1].

ومن الأمثلة على صبره في هذا الجانب: أنه لما كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت: عائشة ﵂ فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيثما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليّ ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له ذلك فقال: «**يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها**»[2].

فتبين من الحديث أن سكوته ﷺ عن المبادرة في الرد على أم سلمه يدل على عدم رضاه عما يراد منه، وعند تكرار تلك القضية وكونها أصبحت مشكلة أشغلت فكر أم سلمه ﵂ ومن وافقها، نهى النبي ﷺ أم سلمه ﵂ عن إيذائه بهذا الأمر وبين لها السبب في ذلك.

ثالثا: ملاطفته ﷺ لزوجاته:

فهي من أهم الأسباب المؤدية إلى إشاعة أجواء السعادة والألفة في الحياة الزوجية وبعدها عن الوحشة والكآبة والملل؛ وقد ظهر ذلك جليا في صنيعه النبي مع عائشة ﵂

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المظالم، باب: الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها، (٣/ ١٧٥)، برقم (٢٣٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الهدية وفضلها والتحريض عليها، باب: من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه، (٥/ ٣٧)، برقم(٢٥٨١).

وقد كانت صغيرة، فيمكنها من اللعب، ويريها الحبشة وهم يلعبون في مسجده وهي متكئة على منكبيه تنظر؛ تقول عائشة رضي الله عنها: «**فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف**»(١).

ثم تقول رضي الله عنها أيضا -في دعوة للتأسي بهذا الخلق العالي-: «**فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن**»(٢)؛ وأنه كان يسابق عائشة رضي الله عنها وتسابقه في سفر؛ فتقول رضي الله عنها: أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: «**هذه بتلك السبقة**»(٣).

وأنه كان ﷺ يسامرها إذا كانت مستيقظة، فعنها رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ «كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة»(٤).

فهو ﷺ يضرب أروع الأمثلة في تودد الرجل لزوجته، وتجديد العلاقات الروحية بينهما؛ حتى تسير عجلة الحياة؛ وليس من شك في أن هذه الأمور كانت تشيع الفرح والسرور في نفوس أزواجه ﷺ، وتزيد من إقبالهن عليه.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: النكاح، باب: حسن العشرة، (٧/ ٢٨)، برقم (٥١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: النكاح، باب: حسن المعاشرة مع الأهل، (٥/ ١٩٩١)، برقم (٤٨٩٤)، ومسلم كتاب: صلاة العيدين، باب: الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، (٥/ ٤٧٢)، برقم (٢١٠٠).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب: الجهاد، باب: في السبق على الرجل، (٢/ ٣٤)، برقم (٢٥٧٨). وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: التهجد، باب: من تحدث بعد الركعتين ولم يضطجع، (٢/ ٧٠)، برقم، (١١٦١)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة، (٢/ ١٦٨)، برقم، (١٧٦٦).

رابعا: مراعاته ﷺ لغيرة زوجاته من بعضهن:

فالغيرة هي واحدة من أهم المفردات التي يمكن أن تُسبّب مشاكل كثيرة في الحياة الزوجيَّة إذا خرجت عن حدّها المعتدل والطبيعي المقبول، فهي تحمل صاحبها على ما لا يليق من الأقوال والأعمال، وهي مركوزة في طبع النساء لا تستطيع المرأة أن تقاومها وإن كانت صالحة.

فبسبب الغيرة يحدث بين نساء النبي ﷺ ما يكون بين سائر النساء من مشاحنات حادة جافة، لكن الهدي النبوي أسهل ما يكون بعيدًا عن التعقيد، وأجمل ما يكون في كلمة طيبة لا يخرج بها عن حد الفطرة البشرية، ولا عن حد الاعتدال.

وقد جاءت في السنة النبوية عدة مشاهد تدل على غيرة أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- يمكن من خلال عرض واستقراء تلك المشاهد تبيين منهجه ﷺ في تعامله معهن، وتقبله منهن، فمن هذه المواقف ما يلي:

الأول: عن أنس ابن مالك ﷺ قال: «كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «**غارت أمكم**»، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت»[1]؛ وفي هذا الحديث عدد من الفوائد منها:

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: النكاح، باب: الغيرة، (٥/ ٢٠٠٣)، رقم (٤٩٢٧).

الأولى: "أنَّ فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغَيراء بما يصدر منها؛ لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبًا بشدَّة الغضب الذي أثارته الغَيرة"[1].

الثانية: إن من غيرة نساء النبي ﷺ لما رأين أن الهدايا المرسلة له لا تأتي إليه إلا إذا كان في بيت عائشة، أرسلن زينب بنت جحش رضي الله عنها إلى النبي ﷺ فأتته فأغلظت -يعني في الكلام- وقالت: "إن نساءك ينشدنك الله العدل في ابنة أبي قحافة؛ يقول فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة عند النبي ﷺ فسبتها حتى إن النبي ﷺ لينظر إلى عائشة هل تتكلم أو لا، فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها؛ فنظر النبي ﷺ إلى عائشة وقال: «**إنها بنت أبي بكر**»[2].

والشاهد من هذا الحديث أنه في ظل تنافس الضرائر وتغايرهن على رسول الله إلا أنه عالج تلك المشكلة بالسكوت عندما تقاولن عنده ولم يمل لبعضهن على بعض.

الثالثة: دخل النبي ﷺ ذات يوم على صفية رضي الله عنها وهي تبكي فقال لها: «**ما يبكيك؟**» فقالت: حفصة قالت: إني ابنة يهودي، فقال النبي ﷺ: «**إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟**»[3].

---

(١) فتح الباري، (٩/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الهبة، باب: من أهدى إلى صاحبه، (٥/ ١٥١)، برقم (٢٥٨١)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: في فضائل عائشة رضي الله عنها، (٤/ ١٨٩١)، برقم (٢٤٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، رقم (٣٨٩٢)، وصححه الألباني في سنن الترمذي، ورواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٣/ ١٣٦)، برقم، (١٢٤١٥).

وهكذا عالج النبي صلوات الله وسلامه عليه هذه المشكلة في بيان مكانة صفية رضي الله عنها وجبر خاطرها.

وبهذه الصور المشرقة من معاملة النبي ﷺ لزوجاته يتبين مدى وضوح المنهج النبوي وقدرته على معالجة ما يحدث في حياة النبوة الزوجية من مشكلات، ليكون ذلك نبراسا وقواعد يسير عليها الأزواج في تعاملاتهم مع زوجاتهم.

❁❁❁❁

المبحث الخامس

أساليب النبي ﷺ في معالجة المشكلات الزوجية

لقد تنوعت أساليب النبي ﷺ في علاج المشكلات الاجتماعية، نظرًا لتنوع المشكلة وطبيعة الحل المناسب لها، وقد تضمن المنهج النبوي رؤية شاملة لعلاج مشكلات الحياة الزوجية، فتتميز هذه الرؤية بأنها لا تقصر الاهتمام على الحلول الجزئية لبعض المشكلات الواقعة، بل تتضمن أساليب ووسائل تضمن عدم وقوع هذه المشكلات من الأساس، فالمنهج النبوي بهذا منهج وقائي قبل أن يكون منهجًا علاجيًا، فهو الرؤية الشاملة الكاملة للحياة السليمة التي توفر الراحة لكلا الزوجين وتضمن لنسلهما الصحة الكاملة على مستوى الروح والجسد، وفيما يلي عرض لأهم أساليب النبي ﷺ في معالجة المشكلات الزوجية:

أولا: حسن العشرة.

إن أساس المشكلة الزوجية هو ما يقع بين الزوجين من خلاف، يكون سببه في أغلب الأحوال سوء المعاملة من أحد الزوجين أو كليهما للآخر، ولا شك أن سوء المعاملة يميل بالزوجين إلى الصدام ويهدم السلام الزوجي، في حين أن حسن العشرة والاحتفاظ بالمودة ينشأ عنه التقدير المتبادل الذي لا يقف عند حد الامتنان، وإنما يتجاوزه إلى الإعذار عند وقوع الخطأ، والتغاضي عند حدوث الهفوات، وبذلك تمضي وتيرة الحياة الزوجية في هدوء وسلام لا يقف في طريقهما أي منغصات.

ولهذه المصالح الجسيمة اهتم المنهج النبوي بالتأكيد على ضرورة إحسان العشرة بين الزوجين، فجاءت التوجيهات النبوية لتحث على حسن العشرة للزوجة، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ:«**استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من**

ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا»[1].

ومن اهتمام النبي ﷺ بحسن عشرة الزوجات حثه للأزواج على حسن العشرة، وعلى الإحسان إليهن وعلى العطاء اللا محدود، وذلك في قول النبي ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[2].

وكما حرص النبي ﷺ على توجيه رجال أمته كذلك حرض على توجيه النساء؛ ولا يقال إن هذه الأوامر خاصة بإحسان العشرة من قبل الرجال فقط لزوجاتهم، لأنه لا فرق بين الرجل والمرأة في الأحكام الشرعية إلا فيما يختص به أحدهما، بل قد أمر النبي ﷺ النساء بحسن العشرة، فحذر النساء اللاتي يكفرن العشير سوء المصير فقال ﷺ: «**تصدقن، فإن أكثركن حطب جهنم**»، فقامت امرأة من وسطة النساء سفعاء الخدين، فقالت: لم يا رسول الله؟، قال: «**لأنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير**»[3].

إلا أن التأكيد جاء في جانب الرجل أكثر من المرأة ولعل ذلك لسببين:

الأول: إن الرجل أُعطِيَ حق القوامة والرعاية والزوجة أمانة بين يديه، فكان لابد من التأكيد على اتصاف هذه القوامة بحسن العشرة والتصرف وفق المنهج الإسلامي القويم.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: النكاح، باب: الوصاية بالنساء، (٧/ ٢٦)، برقم (٥١٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، (٥/ ٧٠٩)، برقم (٣٨٩٥). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، وكذا صححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الإيمان، باب: كفر العشير، (٣/ ١٩)، برقم (٢٠٨٥).

والثاني: إن الطبيعة التي جبلت عليها المرأة من ضعف وتقلب، وحاجة للرعاية والحماية، وحب للدلال والحنان، فواجب الزوج أن يعفو ويتجاوز عن التقصير، ويغض الطرف عن الهفوات البسيطة، "ويتذكر أن التكوين النفسي للمرأة يتميز بالعاطفة المندفعة، والرغبة في المعاملة الرقيقة، فأسلوب الشدة قد لا يأتي بفوائد في مواقف كثير"[1].

"وأن المرأة لا تصلح لها المحاكمة المستقصية والمناقشة العسيرة، والرجل يحس بردا وروحا حين يعلم أن هذه طبيعة المرأة، فيتقبلها كما هي، ويأخذ نفسه بالحكمة معها والصبر عليها، ولا يجنح إلى الخيال، ولا يتطلب الكمال"[2].

واهتمام النبي ﷺ بأسلوب حسن العشرة لم يقف عند حد الطلب النظري، بل شمل التطبيق العملي فكانت حياته ﷺ خير تطبيق لحسن العشرة، ودوام الألفة بكل مظاهرها، وسائر تجلياتها.

وبإتباع المنهج النبوي في حسن العشرة يمكن التغلب على كثير من المشكلات الاجتماعية المتعلقة بالأسرة المسلمة، إذ إن حسن العشرة يجعل بين الزوجين رصيدًا عاطفيًا يمكن من خلاله التغلب على كثير من الاحتقانات الأسرية التي لا يخلوها منها بيت مسلم في المجتمع الإسلامي كله.

ثانيا: إشباع الاحتياجات النفسية المختلفة للزوجين:

يعتبر إشباع الاحتياجات النفسية المختلفة للزوجين من أهم الأساليب الناجعة في درء وعلاج المشكلات الزوجية، ولذلك فالمنهج النبوي يهتم بالجانب الإنساني الداخلي

---

(١) المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، أميرة أحمد عبيد باهميم، (ص٤٣).

(٢) الأسرة في الإسلام، مصطفى عبد الواحد، دار البيان العربي، جده، ط٤، ١٤٠٤هـ، (ص٤٩).

ويحرص كل الحرص على مراعاته في مجال العلاقات الزوجية، فيؤكد على ضرورة تلبية وإشباع الحاجات النفسية الداخلية من أجل أن تنال العلاقة الزوجية الحد المناسب من الاستقرار والتفاهم، فلذلك لابد أن يسعى الزوج لإشباع عدة احتياجات، منها:

١- الحاجة إلى الحب:

تشكل الحاجة إلى الحب عند افتقادها مشكلة تهدد الحياة الزوجية، تلك الحاجة التي نص عليها القرآن الكريم، وحافظت السنة النبوية على مكانتها؛ فقد قال الله ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

ولهذا نجد أن النبي ﷺ قد أدرك أهمية إشباع الحاجات النفسية في اطراد الحياة الزوجية على وتيرة الهدوء النفسي، والسلام العائلي، فنجده يعبر لعائشة رضي الله عنها عن حبه بعبارات جميلة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت، قلتُ: يا رسول الله ادع اللهَ لي، قال: «**اللهم اغفر لعائشة ما تَقدم من ذنبها وما تأخَّر وما أَسرت وما أعلنت**»، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك، ثم قال: «**إنه لدعائي لأمتي في كل صلاة**»[2]،[3].

---

(١) سورة الروم الآية: ٢١.

(٢) أخرجه الطبراني في كتاب: الدعاء، باب: ما كان النبي يدعو به سائر نهاره، برقم (١٤٥٨)، وأخرجه ابن حبان في "صحيحه"، (٩/ ١٢٢)، برقم (٧١١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، (٤/ ١١-١٢)، وحسن إسناده أيضا شعيب الأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان، وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ٣٢٤).

(٣) ينظر: المشكلات الأسرية بعض الأسباب: والمعالجة، أميرة أحمد عبيد باهميم، (ص٤٦).

٢- الحاجة إلى الأمن:

ترتبط الحاجة للحب برباط وثيق بالحاجة للأمن، وفي مجال السعي لترسيخ هذه السبل الميسرة لتحقيق الأمن النفسي لكلا الزوجين يدعو النبي ﷺ إلى كل ما من شأنه أن يكفل دوام الطمأنينة والسكينة والراحة النفسية في محيط الأسرة، فعن عروة بن الزبير ﷺ، أن عائشة، ﷺ زوج النبي ﷺ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله**» فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟، قال رسول الله ﷺ: «**قد قلت: وعليكم**»(١).

ويظهر الحديث السابق مدى رفق رسول الله ﷺ بأم المؤمنين عائشة ﷺ في رده اللطيف على تصرفها، وهو مبدأ أساسي في تحقيق الحاجة للطمأنينة النفسية للزوجة(٢).

٣- الحاجة إلى التقدير والاحترام:

تمثل حاجة الفرد في الحصول على التقدير والاحترام دعامة أساسية لنجاح العلاقة الزوجية واستمرارها، وخلوها من المشكلات، وكلا الزوجين بحاجة إلى تقدير الآخر، فهذا التقدير يخلق لدى كل منهما إحساسا بأنه مقبول داخل إطار العلاقة الزوجية، وأنه ذو فاعلية وذو مكانة، فيزيد ذلك من تقديره لذاته، ومن شأن ذلك أن يولد لديه مشاعر الكفاءة والثقة والسداد، أما إذا لم تشبع الحاجة للتقدير فيكون هناك

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، (٨/ ١٢) برقم (٦٠٢٤)، ومسلم في كتاب: السلم، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب: بالسلام وكيف يرد عليهم(٤/ ١٧٠٦)، برقم (٢١٦٥).

(٢) ينظر: المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، أميرة أحمد عبيد باهميم، (ص٤٧).

مشاعر مختلطة من الإحباط والشعور بالتقصير وتثبيط الهمم ومن شأن ذلك أن يعزز المواقف التصادمية المختلفة[1].

ولذلك حرص المنهج النبوي على تحقيق الإشباع بين الزوجين من التقدير والاحترام، وقد رأينا في المبحث الثالث كيف كان حرص النبي ﷺ على تقدير زوجاته واحترامهن وتوقيرهن، وأن هذا الحرص قد تأكد بالكثير من الوقائع والمواقف، ولعل أبرزها قوله لصفية رضي الله عنها عندما قالت لها حفصة (إنك بنت يهودي): «**إنك لابنة نبي، وإن عمك نبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك**»، ثم قال لحفصة: «**اتقي الله يا حفصة**»[2].

وهذا التقدير الذي يدلنا عليه المنهج النبوي في تعامل النبي ﷺ مع زوجاته يكون سببا مهمًا ودرعًا واقيًا لكثير من ردود الأفعال التي تزيد الأمر سوءًا، وتعمل على زيادة الاحتقان الأسري عند نزول المشكلة بها؛ لذا فإن لهذا التقدير أثره الفعل في كونه علاجًا نافعًا لكثير من المشكلات الاجتماعية الأسرية.

ثالثا: السمو بالطباع وضبط الانفعالات وتهذيبها.

لقد تضافرت نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة على مدح الكاظمين الغيظ، والقادرين على ضبط انفعالاتهم، فإن الحياة الزوجية لا تخلو من إثارة للغضب والانفعال من بعض التصرفات التي قد تتسبب في زعزعت كيان الحياة الزوجية إذا ما تمكن الزوج من ضبط انفعالاته، واستطاع التغلب على كظم غيضه، فالله تعالى يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[3].

---

(١) ينظر: سيكلوجية الأسرة والوالدية، بشير صالح الرشيدي، إبراهيم محمد الخليفي، (ص ٢٩).

(٢) تقدم تخريجه، (ص٣٦٤).

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٣٤.

"ويتدرج المنهج النبوي بالنفس الإنسانية في تهذيب انفعالاتها بداية بكف الفعل المبني على الانفعال الشديد، ثم يحاول أن يسمو بالانفعال ذاته من خلال تكريس قيمة العفو والتسامح عن فاعله، ثم يبلغ بالنفس الإنسانية مرحلة عليا أخرى من السمو هي الإحسان لمن أساء، حتى يتم تفريغ الانفعال في مجال إيجابي بنَّاء، ووفق ذلك يجب أن تقوم العلاقة بين الزوجين، وقد بينت السنة النبوية أن أسلوب ضبط الانفعال هو مصدر قوة الإنسان، وليس مصدر قوته التصرف بانفعال شديد أو الاعتداء"[1].

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[2].

ولهذا يجب ضبط النفس عند وقوع الخلافات بين الزوجين والبعد عن العبارات الجارحة أو انتهاج السلوك المؤذي بين الزوجين، كأن يعير الزوج زوجته بنقص فيها أو أن تخدش الزوجة زوجها بنقائصه، خاصة إذا كانت تلك النقائص مما لا يؤثر في الدين والخلق أو يجرح الاستقامة والسلوك، وفي ذلك يجب أن يكون النقد بأسلوب رقيق تلميحا لا تصريحا، ثم تكون المصارحة بأسلوب المشفق الودود.

"فرسول الله ﷺ كثيرا ما كان يصحح الأخطاء تلميحا لا تصريحا فكان يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا»"[3].

---

(١) المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، أميرة أحمد عبيد باهميم، (ص٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، (٨/ ٢٨)، برقم (٦١١٤)، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، (٤/ ٢٠١٤)، برقم (٢٦٠٩).

(٣) الخلافات الزوجية أسبابها وعلاجها، أحمد ربيع أحمد يوسف، (ص٢٦٥).

وبذلك يتم تهذيب الانفعال والسمو به، وتعويد أفراد الأسرة على التحكم الإيجابي في الانفعالات السلبية، والصبر على الضغوط والأزمات، والاستجابة السوية نحو مثيراتها، والبعد عن أسلوب الهرب أو الحيل النفسية، وتجاوز تأثير الإحباط بشكل عملي، والاتصاف بالمرونة في معالجة المواقف المتأزمة، والاتزان والموازنة في تقدير الأمور، ضمن العلاقات الاجتماعية عامة والعلاقات الأسرية على وجه الخصوص[1].

رابعا: غض الطرف عن بعض الهفوات.

من الأسس التي وضعها المنهج النبوي في علاج المشكلات الزوجية غض الطرف عن بعض الهفوات، فإن الكمال ليس من سمة البشر، بل الأصل في البشر الخطأ والزلل، ولذلك فمن الحق والعدل أن يغض الزوج والزوجة طرفهما عن الأخطاء الصغيرة والهفوات العابرة الصادرة عن كل منهما.

فالتجاوز عن الأخطاء، وغض الطرف عن الهفوات الصغيرة والتماس الأعذار، والنوايا الحسنة، والمداراة التي تحفظ الودّ والعلاقات، خلق عظيم ينتج عن غيابه تصدع العلاقة بين الزوجين وخراب البيوت، ولذا كان غض الطرف عن الهفوات من أهم الأساليب الذي اتخذها النبي ﷺ في تعامله مع زوجاته أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- تعليما ومحبة ومداراة، تنم عن رجاحة عقل وعظيم خلق، وكمال دين؛ قال رسول الله ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر**»[2].

---

(١) ينظر: المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، أميرة أحمد عبيد باهميم، (ص٥١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: النكاح، باب: لا يبغض مؤمن مؤمنة، (٤/ ١٧٨)، برقم (٣٦٣٩).

والمعنى: "ينبغي أن لا يبغضها؛ لأنه إن وجد فيها خُلُقاً يكره وجد فيها خُلُقا مرضيا، بأن تكون شرسة الخلق لكنها ديِّنة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به، أو نحو ذلك"[1].

وقد استودع النبي ﷺ بعض أزواجه سرًا من أسراره، فما مكثت حتى أذاعته لبعض صويحباتها، فنزل عليه وحي السماء وأخبره جبريل عليه السلام، فما عنف ولا أساء، ولكن عرفها ببعضه وأغضى عن بعضه كأنه لا يدري قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[2].

وتأتي أيضا أهمية أسلوب التغاضي في حيلولته دون تفاقم المشكلة وتطورها، ففيما رواه أنس رضي الله عنه أنه قال: "كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فكان إذا قسم بينهم لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها، فكان في بيت عائشة رضي الله عنها، فجاءت زينب رضي الله عنها فمد يده إليها؛ فقالت: هذه زينب، فكف النبي ﷺ يده، فتقاولتا حتى استخبتا[3]، وحتى أقيمت الصلاة؛ فمر أبوبكر على ذلك فسمع أصواتهما، فقال: اخرج يا رسول الله إلى الصلاة، واحثِ في أفواههن التراب!، فخرج النبي ﷺ"[4].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٠/ ٥٨).

(٢) سورة التحريم الآية: ٣.

(٣) استخبتا: من السخب وهو اختلاط الأصوات وارتفاعها، كما في شرح صحيح مسلم للنووي، (١٠/ ٤٧).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: النكاح، باب: القسم بين الزوجات وبيان أن السنة أن تكون لكل واحدة ليلة مع يومها، (٤/ ١٧٣)، برقم (٣٧٠١).

فرسول الله ﷺ "من يُباشِر معالجة الموقف في قمة ثورته؛ بل تغاضى عنه، وانصرف إلى الصلاة، والإغضاء الرحيم هو أفضل حلّ لهذه المشكلة، لا سيَّما وأنَّ الدافع لكل واحدة من المتخاصمتَين هنا هو حب رسول الله ﷺ، ولا يجوز أن يكون الحب سببًا لإساءة محبوبها إليها؛ فلا يُجزَى الإحسان بالإساءة عند سيِّد الأنبياء -عليه الصلاة والسلام-"[1].

فمتى شاع التغافل عن الزلات وظهر التغاضي عن الهفوات في الحياة الزوجية، قلّت ولابد مشكلاتها، فلا بد من غض الطرف عن الزلات، والتجاوز عن الهفوات بقدر ما يحفظُ الود، وتدوم معه العشرة، فإن من رام بريئًا من الهفوات، سليمًا من الزلات، فقد رام مستحيلًا، واستحالت معه العشرة التي لابد له منها.

ويعد هذا الأمر من أهم الأمور في علاج المشكلات الاجتماعية في الجانب الأسري؛ إذ إن كثيرًا من هذه المشكلات تنجم عن أسباب تافهة، إلا أن التعامل الخطأ معها يعمل على تضخيمها، فتكون العواقب الوخيمة لا بسبب المشكلة بل بسبب منهج تتبع الزلات وتصيد الأخطاء في التعامل معها.

خامسا: التواصل البناء.

حرص النبي ﷺ على تكريس أسلوب التواصل في حل المشكلات الزوجية، ولم يأخذ التواصل في المنهج النبوي شكلا واحدا أو نمطا ثابتا، وإنما كان حرص النبي ﷺ كبيرا على أن تزخر الحياة الزوجية بالنشاط والتفاعل، فاتخذ هذا التواصل طرقا كثيرة، على النحو التالي:

أ- **التواصل الوجداني**: فيشمل هذا النوع كل ما يمكن أن يعبر عن مكانة الزوج في نفس زوجه، وكل ما يمكن أن يعرب عن تقديره والاعتزاز به وبحبه "فالتقارب بين

(١) دراسة تحليلية لشخصية الرسول، الدكتور/ محمد رواس قلعي، (ص ١٨٥).

الزوجين يضفي على العلاقة روح المشاركة والتعاون، بما يزيد من فرص الاستقرار والأمن النفسي والشعور بالراحة، ويخفف من ضغوط العمل ومسؤوليات الحياة، كما أنه يمد الزوجين بإشباع الشعور بالذات والانتماء والعطف والمودة؛ لذلك لا يعاني الزوجان القادران على التواصل الوجداني الجيد من صعوبة فهم الرسائل الانفعالية لبعضهما البعض، والعكس صحيح، فانعدام التفاهم يدفع الزوجين إلى تشويه تلك الرسائل بطريقة سلبية، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في التواصل الوجداني مع أمهات المؤمنين"[1].

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى**» قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟، فقال: «**أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت عليَّ غضبى، قلتِ لا ورب إبراهيم**»، قالت، قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك"[2].

ب- **التواصل العقلي**: وذلك يكون بين أفراد الأسرة فيتمثل في التحدث والتفاهم حول أمورهم المشتركة والتعبير عن المشكلات اليومية المعتادة في الحياة، والحديث المشترك حول الاهتمامات والطموحات ورسم الأهداف المستقبلية، ويشتمل على سائر مظاهر الاشتراك العقلي والفكري بين اثنين، ويضمن التواصل العقلي – غالبا- استمرارية

---

(١) الأسرة والعلاج الأسري، داليا مؤمن، دار السحاب القاهرة، ١٤٢٤ هـ، ص (٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: النكاح، باب: غيرة النساء ووجدهن، (٧/ ٣٦)، برقم (٥٢٢٨)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة -رضي الله عنها-، (٤/ ١٨٩٠)، برقم (٢٤٣٩).

العلاقة الزوجية بصورة أكثر هدوءا، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الانسجام الذي يقلل من فرص التصادم بأشكاله المختلفة[1].

وقد اهتم النبي ﷺ بهذا النوع من التواصل إدراكا منه ﷺ لما له من دور قوي في إشعار الغير بوجوده، ولما له من تحقيق الانصهار البناء بين الزوجين في التعاون على إنجاز المصالح المشتركة، وأنسب مثال لذلك ما سبق أن ذكرناه من استعانة النبي ﷺ برأي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية.

فبهذا النوع من التواصل يمكن التعامل مع كثير من المشكلات الاجتماعية في الحياة الأسرية، ومتى وجد التواصل والحوار بين الزوجين أمكن إيجاد الحلول بينهما لكل ما يطرأ عليهما من مشكلات مستجدة في الحياة الزوجية.

ج- **التواصل المادي**: ويشمل هذا النوع من التواصل كل أنماط التواصل المادي بين الزوجين وسائر مظاهر التعاون البناء والاشتراك في تحصيل الأهداف المشتركة، على أن ما نريد أن نؤكد على أهميته وشدة فعاليته من هذا النوع هو التواصل عن طريق الهدية، وهو أسلوب اهتم به المنهج النبوي كثيرا، وحث على استخدامه، ونبه على كفاءته في تعزيز قيم الحب والتواصل الروحاني داخل الأسرة.

وقد تأكد ذلك بقوله ﷺ «**تهادوا تحابوا**»[2]، فالهدية تعبر عن المودة وتكسر جمود ورتابة العلاقات الإنسانية، فإن كانت مثل هذه الهدايا تفعل فعلها وسط الأصدقاء والمعارف فإن تأثيرها وسط الأزواج أكثر فاعلية، وأعظم أثرا، ولا يشترط أن تكون الهدايا

---

(١) ينظر: المشكلات الأسرية بعض الأسباب والمعالجة، أميرة أحمد عبيد باهميم، (ص٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، (ص٢٠٨)، برقم (٥٩٤)، وحسنه الألباني كما في التعليق عليه.

من تلك المقتنيات الثمينة الفاخرة، لأن الغرض من الهدية هو إظهار مشاعر الود والألفة في المقام الأول، وذلك يتحقق بأي مستوى من القيمة المادية للهدية ولكن إن كانت الهدية من النوع الثمين فإن ذلك من أسباب مضاعفة السعادة وزيادة المودة[1].

وبهذا يظهر أن التواصل وفق المنهج النبوي أسلوب فاعل في إيجاد فرص للحوار والإنصات والتجاوب بين الزوجين، والتعاون الجاد على إنجاز المهام والأهداف المشتركة.

وهكذا تنوَّعت وسائل النبي ﷺ وأساليبه في علاج المشكلات الزوجيَّة ممَّا يوسِّع المجال للدَّاعية وللمسلم عمومًا في اختيار الوسيلة المناسبة لعلاج مشكلاته أو مشكلات مجتمعه، والقيام بدوره البناء كداعية إلى الله في توجيه الأسر المسلمة، خاصة مع تلك المشكلات التي تعرض على الداعية كثيرا في هذا الشأن.

❁❁❁❁

(١) ينظر: الخلافات الزوجية أسبابها وعلاجها، أحمد ربيع أحمد يوسف، (ص٢٦٣).

المبحث السادس

الآثار المترتبة على حدوث المشاكل الزوجية

إن المشكلات الزوجية إذا لم تجد من يعطل نموها ويجهز عليها في مهدها، فإنها تتضخم وتتشعب إلى أن تخرج عن السيطرة والتحكم، وفي هذه الحالة يزداد خطرها وتصبح آثارها من السوء الذي يمكنها من تدمير المجتمع بأسره، فإن المشكلات الزوجية حين تتفاقم، تتشعب مسالكها، وتفرز آثارا سيئة على الزوجين ثم الأبناء، ولا تقف عند هذا الحد، بل إنها تطال أسر الزوجين باعتبارهما الأصل الذي يرجع إليه كل من الزوجين، ومن البديهي أن المجتمع سوف يأخذ حظه من هذه الآثار المدمرة، حيث تعتبر الأسرة وحدة بنائه وخليته الأساسية.

وسوف يعرض الباحث هنا لهذه الآثار السيئة التي تحدثها المشكلات الزوجية على كل محاور وجوانب الحياة الاجتماعية بداية من البسيط إلى المركب.

أولا: أثر المشكلات الزوجية على الزوجين:

شرع الله –تعالى– الزواج وجعل أساسه المودة والرحمة، وطمأنينة كل من الزوجين عند سكنه للآخر، فالحياة الزوجية السليمة تملؤها علائق المودة والقربى، وترفرف عليها المودة والرحمة، وإذا حدث التباغض بين الزوجين تبدلت السكينة وافتقد الأمان، ونشأت الأمراض النفسية، وتحولت الحياة بذلك إلى جحيم تسيطر عليه الصراعات والأهواء

العدائية، وبذلك تخرج الحياة عن كونها سكنا وطمأنينة ومودة ورحمة، والتي هي ثمار هذه العلاقة الكريمة[1].

وهذا القدر يكفي لمعرفة خطر الخلاف والشقاق بين الزوجين، على الرغم من أن الخلاف في بدايته قد يمكن احتواؤه وعلاجه، لكن بعض المشكلات الزوجية قد تكون من الصعوبة والتركيب والتشابك ما يجعلها عصية على المعالجة ويصعب حلها.

إن المشكلات الزوجية قد لا تقف عند حد الخلاف في وجهات النظر أو الميل النفسي الوقتي، بل إن تنافر الطباع وتناكر القلوب قد يؤدي إلى عدم طاعة الزوجة لزوجها، وهو ما يسمى بالنشوز عند الفقهاء، الذي قد يكون من الزوجة، وقد يكون من الزوج، والأصل في النشوز وكيفية علاجه قول الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ ﴾[2]، وهو يكون من الزوج كما يكون من الزوجة، ولكنه باعتبار كثرة حدوثه من الزوجة نبه الشارع عليه من ناحيتها[3].

وقد لا تصادف المشكلة عزيمة على الحل لدى كل من الزوجين فتتطور المشكلة بينهما إلى مدى لا يمكن اللحاق به، لا سيما إذا لم يتدخل الأهل لاحتواء المشكلة في مراحلها الأولى، وبذلك أمر الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ

---

(١) ينظر: الوسائل القرآنية في علاج نشوز الزوجين وأقوال الفقهاء فيها، عماد أموري جليل الزاهدي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الثامن العدد (٢)، ٢٠١٤ م، جامعة ديالي، (ص٣).

(٢) سورة النساء الآيات: ٣٤ ، ٣٥.

(٣) ينظر: فقه الأسرة، أحمد علي طه ريان، بدون بيانات، (ص٢٢٠).

أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]، أو كان تدخلهم غير قائم على أساس الإصلاح، سواء لافتقاد الخبرة اللازمة، أو لتأثير العصبية العائلية واعتبار كل طرف هذه الخصومة معركة يجب له الانتصار فيها، وقد نبه القرآن الكريم على أثر النية في حصول الإصلاح، فقال ﷻ: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

فحينئذ لا يكون أمام الزوجين سوى الطلاق، والطلاق وإن كان حلا لمشكلة لا يمكن تداركها إلا أنه في الأغلب أثر سيء، فإن تهدم أسرة وتفككها ليس بالأمر الهين السهل خاصة إذا كانت الأسباب التي وقع من أجلها الطلاق أسبابا واهنة لا تستحق هذه النتيجة، وغالبا ما يجد الزوج أو الزوجة الذين وقعا تحت تأثير العصبية والضغط النفسي – بعدما تهدأ ثائرتهما – أنفسهما مغبونين في اختيار أحدهما لهذا الطلاق، ولا غرابة حيال ذلك إذ إن حياة مبنية على السكن والرحمة والحنو على الآخر والتعاون معه لا يمكن أن تتساوى بحياة قوامها الوحدة وشيوع الوحشة وافتقاد النفس الحانية التي تعصف بآلام الحياة لمجرد لمسة أو كلمة ود.

ثانيا: أثر المشكلات الزوجية على الأبناء:

يمتد أثر المشكلات والخلافات الزوجية إلى الأولاد فينشأ عند الطفل خلل في التوزان العاطفي والنفسي، مما يكون له أكبر الأثر على الطفل في جميع مراحل حياته، فالأطفال الذين ينشئون بين أحضان أبوين متفاهمين تستقر نفسياتهم، وبالتالي يعود هذا بالأثر الطيب عليهم، وذلك ما أكدته دراسة أجرتها الدكتورة/ سناء سالم، من مدينة جدة،

---

(١) سورة النساء الآية: ٣٥.

(٢) سورة النساء الآية: ٣٥.

على مجموعة من طلاب وطالبات المرحلة الابتدائية، تبين من خلالها أن الترابط الأسري هو السبب الرئيس وراء تفوق أكثر من ٧٥٪ من هؤلاء الطلاب والطالبات في دراستهم، كما أثبتت الدراسة أن المشكلات الأسرية والتفكك الأسري يؤديان إلى تشتت التفكير، والإقلال من القدرة الذهنية، والتقليل من التركيز والتحصيل الدراسي(١).

وإن البيئة الأسرية المضطربة هي مرتع خصب لنمو كثير من المشاكل النفسية والتربوية لدى الأطفال، والعيادات النفسية تشهد آلاف الحالات من الذين نشأوا وسط ظروف عائلية مليئة بالخلاف الشديد، إن هؤلاء الأبناء يشعرون عند الكبر بأنهم ليسوا كبقية البشر وتنعدم فيهم الثقة بالنفس فيخافون من إقامة علاقات عاطفية سليمة، ويتذكرون أن معنى تكوين أسرة هو الوجود في بيت يختلفون فيه مع طرف آخر ويتبادلون معه الإهانات(٢).

فلا شكَّ أنَّ "الوسط الأسري الذي يعيش فيه الطفل له أثر بالغ على شخصيَّته وقِيَمه وأفكاره، وسلوكه، إذا كان الجو الأسري سيوجه الاضطراب والارتباك الأسري نتيجة تفكُّك العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وغياب السلطة الضابطة التي توجِّه وتَحْكُم سلوك الطفل في مختلف مراحل حياته، خاصة مرحلتي الطفولة والمراهقة، باعتبارهما الأساس الذي تتكون من خلاله شخصية الطفل مستقبلا"(٣).

---

(١) ينظر: الخلافات الزوجية أسبابها وعلاجها، أحمد ربيع أحمد يوسف، (ص ٢٥٦).

(٢) ينظر: مشاكل الآباء في تربية الأبناء، الدكتور/ سيوك، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٠م، (ص٤٥).

(٣) التفكك الأسري وأثره على انحراف الأطفال، مجلة العلوم الاجتماعية. مقال للكاتب جلال. http: //www. swmsa. net/articles. php?action=show&id=2160

"وقد دلت الدراسات أن معظم الجانحين الذين ينحدرون من أسر متصدعة لا يحبون آباءهم ولا يثقون بهم، ولا يشعرون بالارتياح معهم ويتمنون لو كانوا أبناء لأسر أخرى، كما أنهم يشعرون بعدم الرضا عن أنفسهم وبالفشل والإحباط واليأس والضياع والعصبية"[1].

ويصعب على الابن أن يتخذ موقفا نفسيا سواء بالإيجاب أو السلب في المشاكل بين الوالدين، مما يجعله في حالة عدم استقرار نفسي- تؤدي به إلى العناد والكذب كموقف احتجاجي ضد ما يحدث أمامه في البيت من خلافات أو ما يشعر به من عدم عدلٍ في المعاملة.

إن صورة الاحتجاج تأخذ الصورة السلبية بالعناد والكذب وهي السلوكيات التي يعلم أنها تغيظ الوالدين ولكنها سلاحه الذي يملكه في عقابهما نتيجة شعوره الدائم بعدم الأمان نتيجة للخلافات المستمرة بينهما، والتي لا يملك لها إيقافًا ولا يستطيع أن يحدد منها موقفا، ويرغب في عقاب طرفيها فلا يرى وسيلة لذلك إلا بإغاظتهما، وعمل ما يستفزهما، ورفض أوامرهما، ويتصاعد هذا الاحتجاج في الصورة المباشرة وهي الاعتداء اللفظي على الأم في صورة السب[2].

كما أن تكرار النزاع بين الوالدين على مرأى من الأبناء ينعكس على نموهم النفسي، وقد يكون سببا في حالات التمرد والعصيان على الوالدين أو على أحدهما الذي يكون أشد ظلما، وأكثر قسوة من وجهة نظرهم، الأمر الذي يؤدي إلى إحداث شرخ بين الآباء

---

(١) العوامل المسئولة عن جنوح الأطفال في الأردن، هيثم بيبرس، كتاب: الأمة العدد، (٨٥)، (ص٤٦).

(٢) ينظر: الخلافات الزوجية أسبابها وعلاجها، أحمد ربيع أحمد يوسف، (ص٢٥٧).

والأبناء، وشيوع الفوضى داخل الأسرة الواحدة قد تنتهي بتفريق شمل الأسرة، وتشرد الأبناء، وضياعهم، والشعور بالكراهية والحقد، والرغبة في الانتقام من الوالدين، والمجتمع بشكل عام؛ وتشير الدراسات إلى أن أبناء الأسر المفككة الذين يعيشون في نظام أسري مضطرب يسوده الشقاق وعدم الترابط كانوا أقل ثقة بأنفسهم وأكثر قلقا وتوترا، وأقل توافقا في علاقاتهم الاجتماعية مع الآخرين، وأكثر رفضا للحياة الأسرية التقليدية من نظرائهم الذين يعيشون في أسر مترابطة متحابَّة يسودها الأمن والتضحية والتعاون ووضوح الأدوار(١).

وللمشكلات الزوجية أثرٌ كبيرٌ في نمو الطفل، حيث تؤثر بالسلب على صحته مما قد يؤدي إلى تأخر المشي(٢).

ثالثا: أثر المشكلات الزوجية على الأهل:

تتطور الحياة الاجتماعية وتتماسك بالمصاهرة والزواج، يقول الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ﴿٥٤﴾ ﴾(٣). وتنعكس مشكلات الزوجين على أهلهما، فبدلا من الصلة والتماسك يكون التدابر والتقاطع، وأحيانا ينتقل الخلاف بين الزوجين إلى خلاف بين الأسرتين، فإذا كانت هناك علاقة قرابة بين الأسرتين فإنها بلا شك ستتأثر سلبا بهذه الخلافات.

---

(١) ينظر: التفكك الأسري دعوة للمراجعة، شاديه التل وآخرون، (ص٣٩).

(٢) ينظر: الخلافات الزوجية أسبابها وعلاجها، أحمد ربيع أحمد يوسف، (ص٢٥٨).

(٣) سورة الفرقان الآية: ٥٤.

ولعل هذا من الأسباب التي جعلت الشرع الحنيف يحرم زواج المرأة على عمتها، أو خالتها، فعن جابر بن عبدالله[1] ﷺ أنه قال: «**نهى رسول الله أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها**»[2]، وذلك حتى لا تحدث القطيعة بين الأرحام، لأن كل واحد من أهلهما سينتصر للأقرب له[3].

رابعا: أثر المشكلات الزوجية على المجتمع:

مما لاشك فيه أنه إذا حدث تفكُّك للأسرة تشتَّت أفرادها، وانشغل كلٌّ منهم بمشكلاته الشخصيَّة عن مسئوليَّاته الاجتماعية، وبرزت آثار تلك المشكلات في محيط المجتمع الذي يعيش فيه الزوجين، لأن المجتمع يتكون من أسر مترابطة تكوّن نسيجه، فانحلال وتفكك هذه الأسر يسبب العديد من الآثار السلبية، ولعل من أهمها:

١- خروج المشكلة الزوجية من المحيط العائلي لتصل إلى أقرباء كلٍّ من الزوجين؛ فتكون بذلك أرضية خصبة لتدخّلات الأهل والأقارب والقريبين والبعيدين، وهذا ما يؤدّي إلى تعقيد الأمور، وتوترها، وظهور التنافر بين أهالي الزوج، وأهالي الزوجة.

---

(١) هو: جابر بن عبدالله الأنصاري ثم السَّلَميّ، صحابي ابن صحابي، أحد الستة الذين شهدوا العقبة الأولى، غزا تسع عشرة غزوةً، وشهد صفين مع علي - رضي الله عنهم -، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن ٩٤ سنة، ينظر: طبقات ابن سعد، (٣/ ٥٧٤)؛ الاستيعاب، (٢/ ١٠٩-١١١)؛ والإصابة، (٢/ ٤٤-٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: النكاح، باب: لا تنكح المرأة على عمتها، (٧/ ١٥)، برقم (٥١٠٨)، ومسلم في كتاب: النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، (٢/ ١٠٢٨)، برقم (١٤٠٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) المرجع السابق، (ص ٢٥٩).

٢- إن قوة المجتمع ونهضته من قوة الأسرة ومتانة العلاقة بين أفرادها، فإذا ساد التفكك الأسري بين أفراده فإن المجتمع يفقد أهم رافد من روافد قوته واستقراره ويعاني من الضعف والاضطراب، لأن التفكك الأسري يعطل الطاقات البشرية عن الإنتاج، فالإنسان إذا لم يكن مستقرا اسريا أسريًا فإن ذلك يؤثر على نفسيته وتفكيره، وبالتالي يظهر أثر ذلك على أدائه العملي والمهني.

وبهذا يتضح لنا مدى خطر وفداحة المشكلات الزوجية والتي لا تقتصر على الزوجين باعتبارهما الأفراد الفاعلين في المشكلة فحسب، ولكن المشكلة تتمدد وتتصاعد وتيرتها فتعصف بالأمن النفسي للأبناء وتعوق نموهم البيولوجي، وتأخذ عاصفتها طريقها فتؤثر على عائلتي الزوجين فتبذر الشقاق بينهما، وتقطع أواصر المحبة، وروابط الإنسانية، ثم تحط بنارها في المجتمع بأسره حين تشل طاقات أبنائه المفتقدين للاستقرار والسلام النفسي.

وبناء على ما سبق، فإن للمشكلات الاجتماعية الأسرية آثارًا سلبية على كل من الزوجين والأولاد والأهل والمجتمع بأسره، فكان لزامًا على الداعية أن يعمل على وقاية المجتمع من تلك المشكلات؛ والعمل على علاج ما وقع منها بكل عزم وحزم، وذلك كله وفق منهج النبي ﷺ، حتى لا يصل تأثيرها على الفرد والمجتمع.

❁❁❁❁

الفصل الثاني

منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة الفقر والبطالة

وفية ثمانية مباحث:

- **المبحث الأول: النبي ﷺ القدوة والمثل الذي يحتذى به في هذا المجال.**
- **المبحث الثاني: نظرة النبي ﷺ للعمل.**
- **المبحث الثالث: تشجيع الناس على مزاولة الأعمال، وبعض المهن والصناعات.**
- **المبحث الرابع: الحث على المزارعة وتشجيع المشاريع الاقتصادية بين المسلمين.**
- **المبحث الخامس: تحريم الربا لما له من مضار على فقراء المجتمع.**
- **المبحث السادس: تحريم الرشوة.**
- **المبحث السابع: تحريم الاحتكار.**
- **المبحث الثامن: الآثار المترتبة على حدوث مشكلة الفقر والبطالة.**

تمهيد:

يعد الفقر هو المشكلة الاجتماعية الأولى التي يواجهها الإنسان منذ القدم، والسبب الرئيس لهذه المشكلة هو غياب العمل الذي تسلكه اليد المنتجة، ويعود عليها بالكسب الذي يمكنها من القيام بمتطلبات حياتها، ويقيها غائلة المشكلات الناشئة عن الفقر والبطالة بما في ذلك من مشكلات اجتماعية أو اقتصادية أو نفسية.

"ويعرف العمل بأنه هو الجهد البدني، أو العقلي الذي يبذله الإنسان في مجال سعيه الدنيوي من أجل الارتزاق والاكتساب، والعمل هو أساس العيش والحياة والحضارة والمدنية، ويعني ذلك أن العمل من ناحية حق من أهم حقوق الإنسان لكونه الركن الأساسي في حق العيش والحياة، ومن ناحية أخرى فهو من أهم واجبات القادرين على ممارسته، لكونه الأساس في ضمان حق الحياة لجميع الناس عموما"[1].

"والعمل في الحقيقة يساهم في تنمية شخصية الفرد وفى تفتق مواهبه وبلورة أفكاره، أما بالنسبة للمجتمع فهو يعتبر الوسيلة الوحيدة للخروج من التخلف بصورة سريعة وجذرية، فعن طريقه تزدهر الصناعات، والفنون، والمرافق المادية، ولكي تتحقق هذه الفوائد العديدة وجب تنظيم العمل، والقيام به على أحسن وجه، فإذا ما أخل الفرد به فسد النظام، وتراكمت الأعمال، وتعددت العقبات، وأخذت الجماعة البشرية تتقهقر، ثم لا تلبث أن تنهزم، ومن ثم يعتبر الفرد المتقاعس عن العمل خطرا على المجتمع، وعنصرا زائدا وفاسدا ليس جديرا بالحياة إذ لم يقم بشكر نعمتها، وباستثمارها لنفسه، وعائلته، ووطنه، وللبشرية جمعاء، والمتقاعس عن العمل ساقط لا محالة في هوة الشقاء، إذ

---

(١) مفهوم العمل وأحكامه، صادق مهدي السعيد، مؤسسة الثقافة العمالية، بغداد، ١٩٨٣م، (ص١١). بتصرف قليل.

إنه مهما كان مجده وماله، فهو لا يعرف طعم ذلك الشعور الذي يغمر العامل، عندما يفرغ بنجاح من أداء وظيفته في الحياة فيرى فكرته التي هي جزء من روحه تتجسم في نوع من المنتجات المفيدة، فقيمة المرء الحقيقية لا تقدر بما يملك من مال ومتاع، ولكن بما أنتجته قريحته وصنعت يداه"[1].

ومن غير الممكن أن تقوم نهضة أمة من الأمم والعمل معطل فيها، فالبطالة والكسل والتواكل أمراض تصيب المجتمعات وتؤدي إلى تخلفها بالقياس لغيرها، ولقد دأبت وتيرة الحياة على التطور المستمر والجنوح نحو التعقد في سبل المعيشة وتعدد الحاجات الإنسانية، ولذلك يستهدف النمو الاقتصادي عموما والمنهج الإسلامي خصوصا تحقيق النمو الاقتصادي، وتعظيم الإنتاج بهدف تعميم التنمية عن طريق توزيع عوائد هذا النمو وذلك الإنتاج.

ومن هنا جاء اهتمام المنهج النبوي بالعمل الإنساني إدراكا لأثره الكبير على الفرد والمجتمع، وتنبيها على دوره في علاج مشكلتين شديدتين الخطورة هما الفقر والبطالة، وقد وضع النبي ﷺ منهج متكامل لتعظيم جانب العمل في المجتمع الإنساني حفظا لحياة الأمة من جانب الوجود، ثم تناول المشكلات التي تعترض هذا النشاط بالخلل فوصف لها السبل العلاجية النافعة.

---

(١) ثورة ٢٥ يناير والطريق إلى العمل الجاد، الدكتور/ جمال نصار، مقال بجريدة اليوم السابع: بتصرف قليل. http: //www. youm7. com/story/2011/2/23

وقبل الشروع في تلك الأساليب التي وضعها المنهج النبوي لحل مشكلة الفقر والبطالة لزم على الباحث تبيين معنى الفقر والبطالة على ضوء السنة النبوية:

فالفقر في اللغة: الأصل اللغوي للكلمة من مادة (فقر)، فـ"الفاء والقاف والراء أَصل صحيح يدُلُّ عَلَى انفراج في شيء، من عضو أو غير ذلك، من ذلك: الفقارُ للظهر، الواحدة فقارةٌ، سُميت للحزُوزِ والفصول التي بينها.

والفقير: المكسورُ فَقَارِ الظهر؛ وقال أهل اللغة: منه اشتق اسمُ الفقير، وكأنه مكسورُ فقارِ الظهرِ، من ذلتهِ ومسكنته"[1].

والفقر هو: "العوز والحاجة، وهو ضد الغنى"[2].

وأما في اصطلاح الفقهاء: فجاء تعريفهم للفقير بحسب مدى استحقاقه للزكاة وبالتالي اختلفت تعريفاتهم من حيث حد الفقر الموجب لأخذ الزكاة، فلدى الحنفية: الفقير من له أدنى شيء في مقابل المسكين الذي لا شيء له، وقدروا الأدنى بنصاب الزكاة وبشرط أن لا يكون مستغرقا في الحاجات الأصلية مثل السكن وآلة العمل، وقريبا من ذلك قال المالكية[3].

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤/ ٤٤٣).

(٢) ينظر: معجم مصطلحات القرآن الكريم -مجمع اللغة العربية- القاهرة- مادة (فقر)، ولسان العرب لابن منظور، (٣٨/ ٣٤٤٤).

(٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، (١/ ٤٩٢).

أما الشافعية والحنابلة فيقولون الفقير هو: من لا مال له ولا كسب يقع موقع حاجته، ومما يظهر أن هناك مستويات أو درجات للفقر، هذا مع مراعاة أن تقدير هذه الحاجة لدى الفقهاء يختلف من زمن لآخر وبحسب أعبائه[1].

ويعترف الكتاب المعاصرون بأن تعريف الفقر والتعرف على الفقراء أمران محفوفان بالصعوبات، فليس هناك اتفاق عام على المفاهيم والمصطلحات والتعريفات الخاصة بالفقر[2].

ومما يظهر للباحث أن تحديد مستوى معين للفقر هو أمر نسبي، يختلف من زمن لآخر، ومن مجتمع لمجتمع، والذي يقول بأن الفقر هو: عدم القدرة على الوصول إلى حد أدنى من مستوى المعيشة، عليه أولاً أن يحدد المستوى المعيشي للمجتمع الذي يعيش فيه الفقير، وذلك نظرا لتفاوت مقاييس المعيشة باختلاف الأزمنة والمجتمعات.

وأما البطالة عند أهل اللغة فقد ورد فيها عدة تعريفات، منها ما يلي:

١) العطل والتعطل: قال ابن منظور: "بطل الأجير-بالفتح- يبطل بَطالة وبِطالة-بفتح الباء وبكسرها- أي: تعطل فهو بطال"[3].

٢) الكسل والإهمال: قال أبو البقاء الكَفَوي: "البِطالة-بالكسر-: الكُسالة المؤدية إلى إهمال المهمات، فجاء على هذا الوزن المختص بما يحتاج إلى المعالجة من الأفعال بحمل النقيض على نقيضة"[1].

---

(١) ينظر: معنى المحتاج للشربيني، (٣/ ١٠٦)، وكشاف القناع للبهوتي، (٢/ ٢٧٢).

(٢) ينظر: تقرير التنمية البشرية، مصر ١٩٦٦م، من معهد التخطيط القومى، (ص ١٣).

(٣) لسان العرب، (١١/ ٥٦)، والصحاح، (٥/ ٣٢١)، وتاج العروس، (٢٨/ ٨٩)، مادة: بطل.

٣) الضياع والخسران، قال الزبيدي: "بطل الشيء، بُطلا وبُطولاً وبُطلاناً- بضمهن-ذهب ضَياعاً خُسراً، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾[٢].

وقولهم: (ذهب دمه بطلاً، أي هدراً)، قال: وقال الراغب: وبطل دمه: إذ قتل، ولم يحصل له ثأر، ولا دية، وأبطله غيره"[٣].

وأما البطالة في الاصطلاح الشرعي فهي: "العجز عن الكسب في أي صورة من صور العجز، ذاتياً: كالصغر، والأنوثة، والعته، والشيخوخة، والمرض؛ أو غير ذاتي: كالاشتغال بتحصيل علم.

وليس من العجز غير الذاتي التفرغ للعبادة مع القدرة على العمل، وحاجته إلى الكسب لقوته وقوت من يعول، حيث يرى الفقهاء أن مثل هذا التفرغ حرام، أو مكروه"[٤].

وبعد هذه التقدمة في التعريف بمصطلحي (الفقر)، و(البطالة) عند أهل اللغة وأهل الاصطلاح، فإن المنهج النبوي يعتبر أن الفقر مصيبة وآفة خطيرة توجب التعوذ منها

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص٢٤٧).

(٢) سورة الأعراف الآية: ١١٨.

(٣) تاج العروس، (٢٨/ ٨٩)، والمفردات في غريب القرآن، (١/ ١٢٩)، مادة: بطل.

(٤) الموسوعة الفقهية "الكويتية"، (٨/ ١٠٠-١٠١).

ومحاربتها، وأنه سبب لمصائب أخرى أشد وأنكى؛ فكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[1].

ولا يمكن حصر المنهج الذي يقضي به الإسلام على الفقر في العنصر الاقتصادي وحده، وإنما الإسلام ككل فاعلٌ في ذلك بعقائده وعباداته وأخلاقه؛ وبنظامه السياسي، ونظامه الاجتماعي، ونظامه الاقتصادي؛ وما جاء به الإسلام كله يمثل المنهج الذي يقضي به على الفقر، فإنه لم يعرف أي نظام رعاية اجتماعية في العالم قديما وحديثا مثل تعدد طرق النظام الإسلامي وتنوعها؛ فالإسلام له نظامان في التكافل الاجتماعي:

نظام إلزامي مثل: الزكاة، ومثل: النذور، والكفارات، والوقف، ونفقة الأقارب، إن وجد موجبها.

ونظام اختياري مثل: الصدقات التطوعية - وحقوق الجيران - وحق الضيافة - وحق المغتربين (ابن السبيل) - ورعاية الأيتام - وحق السائلين، والحقوق المقررة للفقراء والمحتاجين من الموارد المالية العامة للدولة.

والمنهج النبوي في معالجته لمشكلة الفقر لم يقتصر على الأمور المادية فقط كما في كل النظم الوضعية، وإنما تميز بالرعاية النفسية والاجتماعية، إضافة إلى الرعاية المادية، حيث يقول النبي ﷺ: «**رُبّ أشعث، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره**»[2]، فكل هذه

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الدعوات، باب: من دعاء النبي ﷺ، (٨/ ٨١)، برقم (٧٠٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الضعفاء والخاملين، (٨/ ٣٦)، برقم (٢٦٢٢)، و(٨/ ١٥٤)، برقم (٢٨٥٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأدوات مما يدخل البهجة على الناس، ويعد من الأساليب النبوية لرعاية الفقراء والفئات الضعيفة أو الهشة في المجتمع.

ولم يكتف المنهج النبوي بصياغة النظرة المتفردة لأتباعه تجاه الفقر، بل حدد مجالات السلوك والتصرفات التي يستوجبها ذلك التصور، وقدّم حلولاً عملية واقعية يأخذ بها الناس ليدرؤوا عن أنفسهم مشكلة شبح الفقر والحرمان وما ينجم عنه من مشكلات اجتماعية عظيمة الأثر، تكون سببا في ضعف وهوان المجتمعات، وهذا ما سوف يبينه الباحث من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول

النبي ﷺ القدوة والمثل الذي يحتذى به في هذا المجال

لم يكن النبي ﷺ بدعا من الطباع السليمة ولا استثناء من البشر السوي الذي يحرص على أن تكون له قيمة إنسانية من خلال ما يقدمه من أدوار في الحياة الإنسانية، ولم يسوغ له كونه نبياً مرسلا أن يكون عالة على المجتمع يتحمل المجتمع أعباءه ويحمل عنه تكاليف الحياة، بل إن الحرص على العمل الشريف وكسب الرزق الحلال كان في حقه ﷺ آكد لما تقدم ذكره من أن سنة الأنبياء من قبله هي السعي في طلب الرزق، والعمل على إنجاز الأعمال، والخدمات التي تضيف لبنة في صرح المدنية والحضارة، وتسهم بشيء في تقدم المجتمع، اعتبارا بأن قيمة كل امرئ ما يحسنه، و«**أن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس**»[1].

ولما كان الأنبياء أولى الناس بهذه المحبة، إذ هم الأصفياء والخلصاء، والذي بهم يُتَوصلُ إلى معرفة شرع الله، فقد زاول كل منهم مهنة يقيم بها أوده، ويستعفّ بها عن مسألة الناس، وعن الظهور بينهم بمظهر الخامل الكسول الذي يريد بدعوته نفعا عاجلا من الناس.

---

(١) جزء من حديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (١٢/ ٤٥٣)، وفي المعجم الأوسط، (٦/ ١٣٩)، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، (٢٦٢٣).

وقد أمر الله كُلاً من أنبياءه أن يقول لقومه: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ ﴿٧٢﴾﴾[1]، ويقول الله مخبرا عنهم أنهم قالوا: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ ﴿٥١﴾﴾[2].

ويقول ﷻ: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ ﴿٥١﴾﴾[3].

وقد أمر الله -عز وجل- النبي ﷺ أن يقتدي بهم في كل شيء ونص على عدم طلب الأجر من الخلق، فقال ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[4].

"إن صاحب أي دعوة لن تقوم لدعوته أي قيمة في الناس إذا ما كان كسبه ورزقه من وراء دعوته، أو على أساس من عطايا الناس وصدقاتهم؛ ولذا فقد كان صاحب الدعوة الإسلامية أحرى الناس كلهم بأن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي، أو مورد شريف لا استجداء فيه، حتى لا تكون عليه لأحد من الناس منة أو فضل في دنياه، فيعوقه ذلك عن أن يصدع بكلمة الحق في وجهه غير مبال بالموقع الذي قد تقع من نفسه"[5].

---

(١) سورة يونس الآية: ٧٢.

(٢) سورة هود الآية: ٢٩.

(٣) سورة هود الآية: ٥١.

(٤) سورة الأنعام الآية: ٩٠.

(٥) ينظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي، (ص٥٠).

والنبي ﷺ قبل البعثة كان يرعى الغنم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم**»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[1].

وفي مجال التجارة كان النبي ﷺ يتاجر بالمال مضاربة مع غيره من الناس، فيتحصل بذلك على نفع لنفسه، والنفع لغيره ممن لا يقدر على التجارة بماله، وكان من تجارته ﷺ لغيره تجارته للسيدة خديجة رضي الله عنها قبل البعثة؛ وقام النبي ﷺ بالتجارة عن طريق المشاركة، "فشارك السائب في الجاهلية في تجارة بينهما ويبدو أن هذه التجارة كانت نافعة للسائب لما تميز به النبي ﷺ من دماثة الخلق ولين الطبع وقد شهد السائب نفسه بذلك:

فعن السائب[2]، قال: أتيت النبي ﷺ فجعلوا يثنون علي ويذكروني، فقال رسول الله ﷺ «**أنا أعلمكم**» يعني به، قلت: صدقت بأبي أنت وأمي: كنت شريكي فنعم الشريك، كنت لا تداري، ولا تماري"[3].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "إن النبي ﷺ باع واشترى، وشراؤه أكثر، وآجر وستأجر، وإيجاره أكثر، وضارب وشارك وتوكل، وتوكيله أكثر، .. وهو ﷺ الأسوة والقدوة"[1].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط، (٣/ ٨٨) برقم (٢٢٦٢).

(٢) هو: هو السائب بن أبي السائب -واسم أبي السائب صيفي - بن عابد بن عبد الله المخزومي القرشي، كان شريك النبي ﷺ قبل البعثة، ثم كان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه. ينظر: الإصابة، (٢/ ١٠)، وأسد الغابة، (٢/ ٣١٥).

(٣) رواه أبو داود في "سننه"، (٤/ ٢٦٠)، برقم (٤٨٣٦)، وصححه الألباني كما في الحاشية.

وحتى بعد البعثة لم يستنكف النبي ﷺ عن العمل بيده، فلم يكن بالملك الذي يخدمه الآخرون من رعيته، بل كان يشارك في العمل قدر طاقته، فلم يرتضي أن يضيع على الأمة قيمة يد واحدة، حتى لو كانت يد رئيس هذه الأمة، فعمل ﷺ في بيته بيده، فكان يعمل في خدمة أهله، فيطحن مع الجارية، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويكنس بيته، وقد تقدم ذلك في مبحث معاملة النبي ﷺ لزوجاته، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «**كان النبي ﷺ في مهنة أهله**»(٢).

وفي أشد المواقف -موقف الجهاد- ضرب النبي المثل الرائع بنفسه عندما شارك ﷺ أصحابه في حفر الخندق في غزوة الأحزاب، لتحصين المدينة ضد غزو تهددها، فراح يعمل في الحفر مع سائر الجماعة، ولا يزال المسلمون يذكرون موقف نبيهم في بناء مسجد المدينة، وكيف كان يعمل بنفسه، ويحمل الأحجار بيديه، وكيف أن هذا العمل الكريم كان يحفّز المسلمين، ويقوي من عزائمهم، حتى ليقول بعضهم لبعض:

لئن قعدنا والنبي يعمل *** لذاك منا العمل المضلل(٣).

وهكذا أقام النبي ﷺ البرهان من خلال القدوة والمثل الذي كان يضربه بنفسه في المواقف المختلفة قبل بعثته وبعدها، في بيته ومع الناس وفي الجهاد، على أن مهنة المرء رفيعة

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، (١/ ١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأذان، باب: من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، (٥/ ٢٠٥٢)، برقم (٥٠٤٨). من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) ينظر: السيرة، لابن هشام، (١/ ٤٩٦)، والقول المبين في سيرة سيد المرسلين، ومحمد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة بيروت، لبنان، د. ت، (ص٢٦٧).

كانت أو وضيعة ليست هي المحك الذي تتقرر به مكانته الاجتماعية، فإن استقامته ومعاملته للناس هما الخصلتان اللتان تقرران ما إذا كان نبيلا أو وضيعا[1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) ينظر: حياة محمد ورسالته، محمد علي اللاهوري، ترجمه إلى العربية: منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ، (ص ٢٦٥).

المبحث الثاني

نظرة النبي ﷺ للعمل

من خلال ما تقدم من اهتمام النبي ﷺ بقضية العمل، وما لمسناه من حرصه ﷺ على أن يعمل هو بنفسه، وأن يكسب من كده، ويأكل من عمل يديه، مع أنه هو رأس الدولة وفي منزلة الملك، وأنه ﷺ القدوة والمثل الذي يحتذى به في هذا المجال، فمن خلال ذلك نستطيع أن نتبيّن نظرته ﷺ للعمل، ونقرر أنه كان يعرف للعمل قيمته، ويقدره أيما تقدير، وما ذلك إلا لأنه بالعمل تقوم الدنيا، وحياة الأمة وسائر المجتمعات.

ولذلك استنبط الإمام محمد بن الحسن الشيباني[1] -رحمه الله- أن طلب الكسب في الشريعة الإسلامية فرضا على كل مسلم ومسلمة، وعلل ذلك بأدلة كثيرة[2].

وإذا أردنا أن نبين نظرة النبي ﷺ للعمل بناء على ما تقدم فإنه يتبيّن ذلك من خلال ثلاثة محاور رئيسة:

المحور الأول: مكانة العمل في الإسلام.

المحور الثاني: الأنبياء ومزاولتهم المهن.

المحور الثالث: تأكيد المنهج النبوي على أهمية العمل.

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد، الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي، ولد سنة ١٣٥هـ، ونشأ بالكوفة، وحضر مجلس أبي حنيفة سنتين، ثم تفقه على أبي يوسف، وصنف، الجامع الكبير والجامع الصغير، ومات برنبويه قرية من قرى الري في سنة ١٨٩هـ. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٤/ ١٨٥).

(٢) ينظر: الكسب، محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: الدكتور/ سهيل زكار، عبد الهادي حرصوني، دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ، (ص ٣٢).

المحور الأول: مكانة العمل في الإسلام.

العمل هو السلاح الحقيقي لمحاربة الفقر والبطالة، وهو السبب بعد توفيق الله -عز وجل- في جلب الثروة، وهو العنصر الأوَّل في عمارة الأرض التي استخلف الله فيها الإنسان، لذا كان للعمل في الإسلام وطلب الرزق مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة، ورتب على القيام بهما حصول الأجر والمثوبة إذا نصح وأخلص، وجعلهما عبادة لله وامتثال لأمره سبحانه، فقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

وجاء الإشادة في القرآن الكريم باللذين يبحثون عن العمل لطلب الرزق الحلال فقال ﷻ: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴿٢٠﴾ ﴾[3].

قال القرطبي: "سوَّى الله -تعالى- في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والإحسان والأفضال، فكان هذا دليلاً على أن كسب المال بمنزلة الجهاد؛ لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله"[4].

---

(١) سورة الجمعة الآية: ١٠.

(٢) سورة الملك الآية: ١٥.

(٣) سورة المزمل الآية: ٢٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، (١٩/ ٥٥).

المحور الثاني: الأنبياء ومزاولتهم المهن.

بيّن الله -تعالى- في كتابه الكريم أن العمل لكسب العيش وتحصيل ما لا بد منه كان دأب أنبياء الله -عليهم الصلاة والسلام-؛ فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾[1].

قال القرطبي -رحمه الله-: "هذه الآية أصل في تناول الأسباب وطلب المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك"[2].

وقال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى مخبرًا عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين إنهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون إلى التغذي به، ويمشون في الأسواق للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمنافٍ لحالهم ومنصبهم"[3].

وعن المقدام[4] رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «**ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود** عليه السلام، **كان يأكل من عمل يده**»[5].

---

(١) سورة الفرقان الآية: ٢٠.

(٢) نفس المرجع، (١٣/ ١٤).

(٣) تفسير ابن كثير، (٦/ ١٠٠).

(٤) هو: ابن معدي كرب الكندي من صغار الصحابة، مات سنة بضع وثمانين بحمص، وليس له في البخاري سوى هذا الحديث وآخر في الأطعمة. ينظر: فتح الباري لأبن حجر، (٦/ ٣٨١).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، (٣/ ٥٧)، برقم (٢٠٧٢).

ولعل ذكر النبي ﷺ نبي الله داود عليه السلام في موضع القدوة لأنه كان ملكا، ومع كونه ملكا له من الجاه والمال الكثير، إلا أنه كان يعمل ويأكل من عمل يده؛ فقد كان يشتغل بالحدادة، ويصنع الدروع الحديدية وآلات الحرب بإتقان وإحكام، ومعظم الأنبياء كانت لهم أعمال يأكلون منها، وهو الأمر الذي أكده القرآن الكريم، فلما ذكر الله حال الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بين سعيهم في المكاسب في قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾[1].

المحور الثالث: تأكيد المنهج النبوي على أهمية العمل، وذلك من خلال الأمر بالعمل، وبيان قدره وتعظيم شأنهن.

أ- عظم النبي ﷺ من أهمية وقيمة العمل ورفع شأنه وبالغ في تقديره حين نوه بأجر العمل الذي يعود السعي فيه على أولاد صغار أو آباء كبار أو على نفس تمتنع به عن معاقرة الحرام، فجعل أجره مساويا للمجاهد في سبيل الله.

فعن كعب بن عجرة[2]، قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله؟، فقال رسول الله ﷺ: «**إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين**

---

(١) سورة الفرقان الآية: ٢٠.

(٢) هو: كعب بن عجرة الأنصاري المدني، صحابي مشهور، كنيته أبو محمد من بني سالم بن عوف، وهو من أهل بيعة الرضوان، وهو الذي نزلت فيه بالحديبية الرخصة في حلق رأس المحرم والفدية، مات سنة ست وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة. تهذيب التهذيب، (٨/ ٣٩٠)؛ مشاهير علماء الأمصار (١/ ٢٠)؛ سير أعلام النبلاء، (٣/ ٥٢).

شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[1].

وأي شرف للعمل بأن يجعله النبي ﷺ كالجهاد في سبيل الله، وفي ضوء هذا يظهر لنا كيف جمع الله في القرآن بينهما بقوله ﷻ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٢٠﴾﴾[2].

ب: ونجد أن المنهج النبوي على المستوى النظري قد اعتبر العمل قيمه إيجابيه، فقال ﷺ: «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده**»[3].

ولهذا كان للصحابة ﷺ الدور الفعال في ترجمة التوجيهات النبوية بمواقف عملية عندما عرض أحدهم وهو من الأنصار على أخيه المهاجر أن يشاطره نصف ماله.

فعن أنس ﷺ قال: قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال: عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق، فربح شيئا من أقط وسمن، فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة، فقال النبي ﷺ «**مهيم يا عبد الرحمن؟**» قال: يا رسول الله، تزوجت

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، (١٩/ ١٢٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (٤/ ٣٢٥): (رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال الكبير رجال الأخرجه).

(٢) سورة المزمل الآية: ٢٠.

(٣) تقدم تخريجه، (ص٤٠٧).

امرأة من الأنصار قال: «**فما سقت فيها؟**» فقال: وزن نواة من ذهب، فقال النبي ﷺ: «**أولم ولو بشاة**»[1].

فهكذا نرى الجيل الأول من الصحابة الكرام ﷺ قد تربوا على المنهج النبوي وتوجيهاته، فهاهو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ﷺ الذي رباه النبي ﷺ يأبى إلا أن يقدم على العمل الجاد المشرف، ويجعله هو المقابل للإيثار العظيم الذي بادر به أخوه، ليوفر على المجتمع ثروته، بل ويضيف إليه من الثروات التي ينتفع بها.

ج: يرجع الاهتمام بالعمل في المنهج النبوي إلى ما للعمل من دور كبير في تجنيب المجتمع مشكلة الفقر والبطالة، والنهوض به والقيام بأعبائه الاقتصادية على مستوى الفرد والأسرة والأمة بأسرها، وبالرجوع لإحدى مقاصد الله -تعالى- في الخلق والتي هي تطبيق مقتضى الاستخلاف في الأرض والذي هو القيام بعمارتها إذ يقول ﷻ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿٦١﴾﴾[2].

والاستعمار أن جعل الله -تعالى- الأرض عامرة بالبناء، والغرس، ولا يكون ذلك إلا بالعمل، فعندما يفقد المجتمع اليد العاملة التي توفر احتياجاته من مسكن وملبس وغذاء ولباس وسائر ضرورات الحياة وكمالياتها، حينها يفقد المجتمع توازنه ويختل نظامه ويرجع الاجتماع البشري إلى حالة أقرب إلى البهيمية، ويصبح المجتمع أشبه بغابة يحصل كل عضو منها قوام حياته بالاعتداء على الآخر، وذلك فساد في الأرض، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: مناقب الأنصار، باب: كيف آخى النبي بين أصحابه، (٥/ ٦٩)، برقم (٣٩٣٧).

(٢) سورة هود الآية: ٦١.

ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾، فالانقطاع الكلي عن العمل يؤدي إلى خراب الدنيا بأسرها، ففي العلم والكسب بقاء نظام العالم، "والله تعالى حكم ببقاء العالم إلى حين فنائه وجعل سبب البقاء والنظام في كسب العباد، وفي تركه تخريب نظامه، وذلك ممنوع منه"[1].

ولذلك فقد حرص المنهج النبوي على محاصرة جميع الظواهر السلبية التي تعوق سير العمل وفق نظرته للعمل كمقوم أساسي من مقومات المضي بالمجتمع نحو الأمن الاقتصادي، والسلام النفسي.

وإذا ما تمت نظرة العالم الإسلامي للعمل على هذا النحو وعمل كل فرد على ممارسة مهنة من المهن، أمكن الوفاء باحتياجات المجتمع الضرورية، والتي حين تُلبىَ يستطيع المجتمع أن يتقدم بخطى ثابتة إلى الأمام، ويقيم نهضته على جميع المستويات، إذا تم استغلال المورد البشري الاستغلال الأمثل، وتم تقسيم العمل، وتوزيع الأدوار فيه حسب الاحتياجات المجتمعية، ليحقق بذلك فائضا في جميع المجالات الإنتاجية، وعندما يحقق المجتمع التنمية تصبح الحياة ميسورة أمام الجميع وتتلاشى المشكلات الاجتماعية.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) الكسب، محمد بن الحسن الشيباني، (ص ٤٧).

المبحث الثالث

تشجيع الناس على مزاولة الأعمال، وبعض المهن والصناعات

إن المال من الضرورات التي تقوم بـه الحيـاة البشـرية، ولا يـأتي المـال إلا بالعمـل، ولذلك جاء المنهج النبوي مشجعا المجتمع على تحصيل المال عن طريق العمل الحلال تلبية لتلك الحاجات التي فطر الله الناس عليها، ووقاية للمجتمع من نـاقوس الفقـر والبطالـة، فجاءت نصوصه بالتشجيع والحث على التكسب وطلـب الـرزق، وجعـل مـن التكـاليف الواجبة على المكلف إجمالاً أن يسعى في تحصيل كفاية نفسه ومن يعول.

وقد نقل ابن حزم -رحمه الله- اتفاق الفقهاء على مشروعية طلـب الـرزق، وكونـه واجباً في بعض الأحيان، فقال: "وأجمعـوا أن اكتسـاب المـرء مـن الوجـوه المباحـة مبـاح، واتفقوا أن المسألة حرام على كل قوي على الكسب، أو غني، إلا من تحمل حمالـة، أو سـأل سلطانا ما لا بد منه، واتفقوا أن كسب القوت من الوجوه المباحة له ولعياله فرض إذا قـدر على ذلك"[1].

ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة، ووقائع السيرة العطـرة عـلى تأكيـد هـذا المعنى، ولنشرح هذا الجزء من منظومة المنهج النبـوي، **وكيـف أنـه كـان سـببا عظـيما مـن أسباب القضاء على ظاهرة الفقر والبطالة؟**، وذلك على النحو التالي:

أ- من المظاهر القوية لتأكيد العمل في المنهج النبوي أنه لم يخصص يوما في الأسبوع للعبادة والانقطاع عن العمل، كما تفعله بقية الأديان، فالأيام كلها في الإسلام أيام عمل

---

(١) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ص ١٥٥).

وكفاح، فحتى في يوم الجمعة الذي هو عيد المسلمين نجد المولى ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[1].

فحياة المسلم حتى في يوم الجمعة عمل وبيع، وتجارة قبل الصلاة، ثم سعيٌ إلى ذكر الله والصلاة، ثم انتشارٌ في الأرض، وابتغاء من فضل الله بعد انقضاء الصلاة.

ب- وتشجيعا وتأكيدا لأهمية العمل النافع الذي تعم عوائده الأمة بالخير والنفع، نجد النبي ﷺ يتحرى تنقية طريق العمل من العقبات التي تواجهه، والمتمثلة في اعتياد الكسل والركون إلى التواكل، واستمراء البطالة بحجج ضعيفة واهية، فيقرر أن مثل هذا العمل الطيب لا ينقطع أجره إلى أن ينفخ في الصور، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل**»[2].

ج- وحرصًا من المنهج النبوي على تشجيع الكسب والعمل فإنه يحارب ظاهرة التسول والبطالة، فحرص على القضاء عليهما في المجتمع المسلم، بل وفتح السبل أمام المدعوين للكسب الحلال المشروع مهما كانت طريقته متواضعه بسيطة؛ فيرشد إلى طريق العمل لحل هذه المشكلة، من خلال تهيئته ﷺ سبل العمل للعاطلين، وتعليمهم طريقة

---

(١) سورة الجمعة الآيات: ٩ ، ١٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٢٠/ ٢٩٦)، برقم (١٢٩٨١)، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

العمل؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه، أو يمنعه**»(١).

د- شجع النبي ﷺ على القيام بمهنٍ بعينها، فالمنهج النبوي لا يفرق بين عمل وعمل ما دام هذا العمل يؤدي غرضه من إعفاف المرء لنفسه، والقيام بشأن من يعول، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الأعمال والصناعات المفيدة بدون أن يقصرها على فئة محددة، وقد نوه القرآن الكريم بمادة الحديد التي لها دورها اليوم في مجال الصناعة، فقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴿٢٥﴾﴾(٢).

كما أشار إلى صناعة اللباس في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾(٣).

وبصناعة السفن، في قوله ﷻ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴿٣٧﴾﴾(٤).

كما أشار إلى الزراعة في قوله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، (٣/ ٧٥)، برقم (٢٠٧٤).

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٥.

(٣) سورة النحل الآية: ٨٠.

(٤) سورة هود الآية: ٣٧.

(٥) سورة الواقعة الآيات: ٦٣ ، ٦٤.

وقد كان هذا شأن المنهج النبوي حين بين بعض الحرف تنبيها على أهميتها من ناحية، وعلى استواء سائر الأعمال في القيمة الاجتماعية من ناحية أخرى، وذلك في ضوء المقصد السابق، وفي الأثر: «**الزارع يتاجر ربه**»[1]، ففيه الإشارة إلى مهنة الزراعة.

وفي قوله ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا**، -أو قال: حتى يتفرقا- **فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**»[2]، فيه الإشارة إلى التجارة.

ويشير النبي ﷺ إلى جملة من الصنائع بقوله: «**خير الكسب، كسب يد العامل إذا نصح**»[3].

هـ- والحث على العمل والكسب في المنهج النبوي لا يأتي فقط من ناحية الترغيب في ثوابه، وإنما يأتي أيضا عن طريق الترهيب من عواقب ترك العمل اعتمادا على المسألة والتسول فيقرر النبي ﷺ المصير السيئ الذي ينتظر الذي يمد يده إلى الناس يتكففهم ويتسول رزقه منهم، فعن حمزة بن عبد الله، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله، وليس في وجهه مزعة لحم**»[4].

---

(١) نصب الراية، الزيلعي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، (٤/ ١٦٦)، وقال: (غريب جدا).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: البيوع، باب: إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، (٣/ ٥٨)، برقم (٢٠٧٩)، ومسلم في كتاب: البيوع، باب: الصدق في البيع والبيان، (٣/ ١١٦٤) برقم (١٥٣٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (١٤/ ١٣٦)، برقم (٨٤١٢)، وقال الشيخ الأرناؤوط في تعليقه على "المسند": إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عمار كشاكش، فقد روى له الترمذي، وهو صدوق.

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس، (٢/ ٧٢٠)، برقم (١٠٤٠).

وهكذا فإن المنهج النبوي قد شجع على العمل مهما كان هذا العمل، ومهما كانت مكانته بين الناس، ما دام الكسب حلالًا، والطريق مشروعًا، وشجع على تحصيل الكسب والرزق، حتى يمكن مواجهة المشكلات الاجتماعية المتعلقة بالجوانب الاقتصادية في المجتمع الإسلامي، كمشكلة الفقر والبطالة وغيرها من المشكلات الناتجة عن ضيق ذات اليد.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

الحث على المزارعة[1] وتشجيع المشاريع الاقتصادية بين المسلمين

إلى جانب اهتمام المنهج النبوي بالعمل ونظرته الثاقبة لهذا الشأن، فقد صاحب ذلك الحث على الاستغلال الأمثل لليد العاملة أو ما يسمى (بالموارد البشرية)، باعتبارها الركيزة الأم في منظومة الاقتصاد، والتي تؤثر بشكل كبير في علاج المشكلات الاقتصادية.

ولذلك عمل المنهج النبوي على تشجيع المشاريع الاقتصادية التي تعظم فائدتها بين الشركاء، وعلى رأس هذه المشاريع الاقتصادية التي شجعها النبي ﷺ المزارعة، وقبل الشروع في الحديث عنها ينبغي التعريف بها لغة، واصطلاحًا.

والمزارعة لغة هي: مفاعلة من الزرع، فالزاءُ والراءُ والعين أَصلٌ يدُلُّ على تنمية الشيءِ؛ فالزرع معروف، ومكانه المُزدرع.

وقال الخليل: أَصل الزرع التنمية.

وكان بعضهم يقول: الزرع طرح البذر في الأَرض؛ والزرع اسمٌ لما نبت؛ والأَصل في ذلك كله واحد[2].

وفي الاصطلاح هي: دفع الأرض إلى من يزرعها أو يعمل عليها والزرع بينهما؛ وقيل: عقد على الزرع ببعض الخارج، فالمزارعة عقد استثمار أرض زراعية بين صاحب الأرض وآخر يعمل في استثمارها، على أن يكون المحصول مشتركا بينهما بالحصص التي

---

(١) هي: المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها من الزرع كالثلث والربع وغير ذلك من الأجزاء المعلومة.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٣/ ٥٠)، مادة: زرع.

يتفقان عليها[1]؛ وقد جاء تشجيع المنهج النبوي للمشاريع الاقتصادية التي تعظم فائدتها، وذلك من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: الحث على المزارعة:

قد جاء التوجيه النبوي إلى زراعة الأرض لمن قدر أن يزرعها بنفسه، أو بإعارتها لمسلم آخر يستطيع أن يزرعها، "فمن الناس من يملك الأرض والشجر ولكن لا يستطيع سقيها والعناية بها، إما لعدم معرفته أو لانشغاله أو لعجزه، ومن الناس من يملك القدرة على العمل لكن ليس عنده شجر ولا أرض، فلمصلحة الطرفين أباح الإسلام المزارعة عمارة للأرض وتنمية للثروة، وتشغيلا للأيدي العاملة، التي لا تملك القدرة على العمل ولا تملك المال والأرض والشجر"[2].

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في الحث على المزارعة منها:

ما جاء عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها، فليمنحها أخاه المسلم**، .. » الحديث[3].

---

(١) ينظر: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي، دار الفكر، بيروت ط١، ١٤٠٥هـ، (٥/ ٣٨٢)؛ وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، (٣/ ٥٢٣)؛ والفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر سورية دمشق، ط٤، (٦/ ٤٦٨٣).

(٢) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء الكتاب: والسنة، محمد بن إبراهيم التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣م، (ص٧٢٨).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: البيوع، باب: كراء الأرض، (٣/ ١١٧٦)، برقم (١٥٣٦).

وعن جابر ﷺ أيضا قال: كانوا يزرعونها بالثلث والربع والنصف، فقال النبي ﷺ: «**من كانت له أرض، فليزرعها أو ليمنحها، فإن لم يفعل، فليمسك أرضه**»[1].

والعمل على المزارعة هو نفسه المعلوم من أمر رسول الله ﷺ فقد روي عن ابن عمر ﷺ، أنه قال: «**عامل النبي ﷺ خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع**»[2].

وتأكد حرص المنهج النبوي على زراعة الأرض، والحث على الغرس والإنبات، فيما رواه أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة**»[3].

وهكذا فقد عمل المنهج النبوي على تزكية الجانب الاقتصادي في حياة المسلم، والدعوة إلى الأسباب المؤدية إلى إثرائه، "فالزراعة من أعظم الأسباب وأكثرها أجرا، إذ إن خيرها متعد للزارع، ولإخوانه المسلمين وغيرهم، والطير والبهائم والحشرات، كل ذلك ينتفع، حتى إنه ليقال إن الزارع لو سمع من يقول نأكل منه حين زراعته لم يزرع شيئا، لكثرة من يقول نأكل منه، فما في الصنائع كلها أبرك منها، ولا أنجح إذا كانت على وجهها الشرعي، وهي من أكبر الكنوز المخبأة في الأرض، لكنها تحتاج إلى معرفة بالفقه، وحسن

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: المزارعة، باب: ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة، (٣/ ١٠٧)، برقم (٢٣٤٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: المزارعة، باب: إذا لم يشترط السنين في المزارعة، (٣/ ١٠٥)، برقم (٢٣٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (٣/ ١٠٣)، برقم (٢٣٢٠)، ومسلم في كتاب: المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، (٣/ ١١٨٩)، برقم (١٥٥٣).

محاولة في الصناعة، مع النصح التام والإخلاص فيها، فحينئذ تحصل البركات وتأتي الخيرات"[1].

المحور الثاني: تشجيع الاستصلاح الزراعي:

شجع المنهج النبوي على إحياء موات الأرض، بأن جعل إحياء الأرض الميتة سببا في تملكها، وإحياء الموات الذي جاءت به الأحاديث يعني في الغالب أن "استصلاح الأراضي الزراعية أو جعلها صالحة للزراعة برفع عوائق الزراعة من أحجار وأعشاب منها، واستخراج الماء، وتوفير التربة الصالحة للزراعة، وإقامة الأسوار عليها أو تشييد البناء فيها"[2].

والأحاديث التالية تدل على أن المنهج النبوي رغب في الإحياء، لحاجة الناس إلى موارد الزراعة، وتعمير الكون، مما يحقق لهم رفاها اقتصاديا، ويوفر ثروة عامة كبرى.

فعن سعيد بن زيد[3] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**من أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق**»[1].

---

(١) المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير باب: ن الحاج، دار الفكر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، (٤/ ٣).

(٢) سبل السلام، الصنعاني، دار الحديث، (٢/ ١١٩)، والفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، (٦/ ٤٦١٥).

(٣) هو: سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل العدوي القرشي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن السابقين الأولين، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد حصار دمشق وفتحها، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، توفي بالعقيق سنة ٥٠ هـ وقيل: ٥١ هـ وحمل إلى المدنية. ينظر: الاستيعاب، (٢/ ٦١٤)، وسير أعلام النبلاء، (١/ ١٢٤)، والإصابة، (٢/ ٤٤).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق**»[٢].

وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «**من أحيا أرضا ميتة فهي له**»[٣].

وبهذه الأحاديث الشريفة نستنتج أن المنهج النبوي في حثه على المزارعة واستصلاح الأرض وتوسيع الأراضي المزروعة، وإصلاح الري بمد شبكاته عبر خريطة زراعية واسعة المدى فإنه ينتج عن ذلك علاجًا واسع النطاق لمشكلة الاختناقات الناشئة عن اكتظاظ المدينة بالسكان، لأنه إذا انفتح مجال للزرق في الأرياف، وتوفرت أسباب الحياة السليمة، واجتمعت الخدمات المجتمعية في مواطن الريف أمكن النزوح إليه، فانحلت مشكلة الاختناق السكاني، فهو حل سريع لعلاج مشكلة الفجوة بين تزايد عدد السكان، لأنه يوفر فرصا جديدة لإقامة مشروعات سكنية بجوار الأراضي المستصلحة وبذلك تفي مشاريع الاستصلاح الزراعي بحاجات المجتمع على مختلف الجوانب، وبهذا يظهر أثر المنهج النبوي في علاج مشكلة الفقر، ومشكلة البطالة.

المحور الثالث: تشجيع التبادل التجاري:

وكما عمل المنهج النبوي على تشجيع المزارعة، فقد عمل أيضا على تشجيع وإثراء النشاط التجاري، فـ"عندما استقر المسلمون في المدينة المنورة وتوطدت دعائم المدنية فيها

---

(١) رواه أبو داود في "سننه"، (٣/ ١٧٨)، برقم (٣٠٧٣)، وسنن الترمذي، (٣/ ٦٥٤) برقم (١٣٧٨)، وصححه الألباني كما في الحاشية.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، (٣/ ١٤٠)، رقم (٢٣٣٥).

(٣) هذا الأثر أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، (٣/ ١٣٩).

دعت الحاجة إلى سوق مستقرة تواكب استقرار المجتمع وتساير متطلباته، عندئذ كان لابد من البحث عن سوق تتوافق في ضوابطها وتعاملاتها مع أسس ومبادئ الدين الجديد وحضارة التعاليم النبوية التي لا غش فيها ولا خداع"[1].

وكان أهل المدينة قبل قدوم النبي ﷺ يقيمون أنشطتهم التجارية في "سوق بني قينقاع التي كانت موجودة في حي من أحياء اليهود، وهي سوق كانت قائمة على مبادئ اليهود الظالمة، ويشيع فيها التعامل بالربا، والمقامرة، والتدليس، والغش، والغرر، والاحتكار، ويفرض على المتعاملين فيها الإتاوات"[2].

وكانت بداية تشجيع النبي ﷺ للمشاريع التجارية أنه ذهب "إلى مكان قريب من سوق بني قينقاع، وضرب قبة (خيمة) كبيرة لتكون رمزا وعلامة يتجمع حولها المسلمون للبيع والشراء، فاغتاظ اليهود من ذلك وقام كعب بن الأشرف زعيم اليهود وعدو المسلمين وهدم الخيمة، وقوضها وقطع أطنابها، ولكن قرر النبي ﷺ أن ينقل سوق المسلمين إلى مكان أرحب وأوسع، وفي ذلك الحين جاءه رجل من أصحابه فقال: بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، إني قد رأيت موضعا للسوق، أولا تنظر إليه؟، قال: بلى، فقام معه حين جاء موضع السوق فلما جاءه أعجبه، وركضه برجله، واشتراه من صاحبه وقال: نعم سوقكم، فلا ينقض ولا يضربن عليكم خراج، ويقصد بذلك أنه لابد أن تكون السوق

---

(١) السوق الإسلامية في المدينة المنورة، حسام علي عبد الله، مقال منشور بمركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية: http: //www. kantakji. com/hanafi

(٢) من معالم الهجرة النبوية إنشاء السوق الإسلامية، حسين حسين شحاتة، سلسلة بحوث ودراسات في الفكر الاقتصادي الإسلامي، (ص١).

واسعة ولا يضيق التجار بعضهم على بعض في الأماكن، كما لا يجوز لولي الأمر أن يفرض على المتعاملين فيها إتاوات أو رسوم أو ضرائب، خلاف زكاة المال المقررة شرعا"[1].

وهكذا فقد عمل المنهج النبوي على إقامة السوق التجارية وفق الأحكام الشرعية لتعاملات المسلمين التجارية، وفي ذلك إشارة من النبي ﷺ إلى أهمية الدور التجاري للمسلم، وألا يترك الأمور لغير المسلمين يسيرونها وفق أغراضهم وأهوائهم التي قد تبعد كل البعد عن شريعة الله -عز وجل-، وهكذا يكون الدور الإيجابي للمسلم في هذا الشأن.

المحور الرابع: تشجيع المشاريع الاقتصادية بين المسلمين:

لقد كان للعرب مواقف سلبية تجاه بعض الحرف، كالحدادة، والنجارة، والخياطة، ونحوها، وهذه المواقف كانت تصب في صالح غير العرب، كاليهود والموالي، حيث سنح لهم استغلال هذا الجانب، وبالتالي أجادوا هذه الحرف وحدهم، مما جعلها تدر عليهم الأموال الطائلة.

ولذلك كان النبي ﷺ يحاول جاهدا إزالة هذه الأوهام من عقول الناس، فلقد حظى أصحاب تلك المهن والحرف اليدوية بعناية النبي ﷺ، وكان ذلك من خلال الألتقى بأربابها، والدعاء لهم وأرشادهم، وإجابة دعوتهم، إقرارا لهم على مهنتهم، ورفعا لشأنهم؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «**إن خياطا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إليه خبزا من شعير ومرقا فيه دُبَّاء، قال أنس:**

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، (٩/ ٨).

فرأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدُّبَّاء من حول القصعة، فلم أزل أحب الدُّبَّاء بعد ذلك اليوم»[1].

وتعليقا على هذا الحديث، قال النووي -رحمه الله-: "فيه فوائد؛ منها: إباحة كسب الخياط"[2].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: "فيه دليل أن الخياطة لا تنافي المروءة"[3].

وقال المهلب[4]: "وفيه جواز أكل الشريف طعام الخياط والصائغ، وإجابته إلى دعوته"[5].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: البيوع باب: ذكر الخياط، (٩/ ٤٥٩)، برقم (١٩٥٠)، ومسلم في كتاب: الأشربة، باب: جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين، برقم (٣٨٠٣).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، (١٣/ ٢٢٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، (٤/ ٣١٨).

(٤) هو: المهلب بن أبي صفرة، كان والي خراسان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي، وأولاده يقال لهم المهالبة، وله يد طولى في قتال الخوارج، توفي سنة ٨٣ هجري. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودى، دار العلم الدار الشامية، دمشق بيروت، ١٤١٢هـ، (١/ ٣٥٣).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (٦/ ٢٢٤).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: جاء رجل من الأنصار يكنى أبا شعيب، فقال لغلام له قصاب (لحام): اجعل لي طعاما يكفي خمسة، فإني أريد أن أدعو النبي ﷺ خامس خمسة، فإني قد عرفت في وجهه الجوع، فدعاهم، فجاء معهم رجل، فقال النبي ﷺ: «**إن هذا قد تبعنا، فإن شئت أن تأذن له فأذن له، وإن شئت أن يرجع رجع**»، فقال: لا بل قد أذنت له[1].

وعلى ما سبق، فقد تعامل المنهج النبوي تجاه الأنشطة الاقتصادية المختلفة، والحرف المتغايرة شرفًا ووضاعة بصورة تشجيعية حتى يدفع المدعويين إلى إتباع طرق الكسب الحلال المشروع، فيكون ذلك عاملًا وقائيًا، وحلًا نافعًا لكثير من المشكلات الاقتصادية التي قد تعتري المجتمع المسلم.

من هنا يفهم دور الداعية إلى الله نحو المجتمع كله بصورة عامة والمدعويين بصورة خاصة من ترسيخ هذه المبادئ التي أصَّلها المنهج النبوي، وتشجيع اليد المنتجة العاملة، والتحذير من كل يد معطلة تؤدي إلى البطالة والكسل.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: البيوع، باب: ما قيل في اللحام والجزار، (٣/ ٧٦)، برقم (٢٠٨١).

المبحث الخامس

تحريم الربا لما له من مضار على فقراء المجتمع

مشكلة الربا من أعظم الأسباب الجالبة للفقر والبطالة، ومحق البركة، كما قال الله ﷻ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[1]، فهو يعوق التنمية، ويسبب التخلف، ويزيد الفقير فقرا؛ مما يؤدي إلى الهلاك، ولذا جاء تحريمه واضحا وصريحا بالكتاب والسنة، وقبل البدء في بيان أدلة التحريم وعلاقته بجلب مشكلة الفقر والبطالة، يحسن الوقوف على تعريف الربا في اللغة والاصطلاح.

فالربا في اللغة: رَبا الشيءُ يربو رُبُوّاً ورِباءً: زاد ونما؛ وأربيتُه: نَمَّيته[2].

وهو: مقصورٌ على الأَشهرِ، ... وينسب إليه على لفظه، فيقال: رِبَوِيٌّ[3]؛ قال الله ﷻ: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾[4].

أي: أكثر عددًا، يقال: (أربى فلان على فلان): إذا زاد عليه[5].

ومنه أيضًا قول الله ﷻ: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[6]؛ وهو الزيادة على رأس المال[7].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧٦.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (١٤/ ٣٠٤). وينظر: تهذيب اللغة، لأبي منصور، (١٥/ ١٩٥)، (مادة: ربو).

(٣) المصباح المنير، للفيومي، (١/ ٢١٧)، وينظر: تاج العروس، للزبيدي، (٣٨/ ١١٧).

(٤) سورة النحل الآية: ٩٢.

(٥) لسان العرب، لابن منظور، (١٤/ ٣٠٤).

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٧٦.

(٧) تاج العروس، الزبيدي، (٣٨/ ١١٧).

وأصل الرِّبا الزيادة، إما في نفس الشيء، وإما مقابله كدرهم بدرهمين.

ويطلق الربا على كل بيعٍ محرم أيضًا[1].

وأما الربا في الاصطلاح الشرعي فهو: الزيادة في أشياء مخصوصة، ويطلق على شيئين: على ربا الفضل وربا النسيء[2].

فربا الفضل هو: "يكون في الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح فإذا بيع الجنس بمثله يحرم الفضل أي الزيادة ويحرم التأخير.

وربا النسيئة: هو أن يكون على المرء دين إلى أجل فيحل الأجل ولم يجد سداداً لدينه فيقول له أخرني وزد في الدين"[3].

لقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة والإجماع على تحريم الربا تحريما قطعيًا، وذلك على النحو التالي:

أولًا: التحريم من القرآن:

لقد راعى المنهج الرباني التدرج الزماني في تحريم الربا، فلقد نزل القرآن الكريم والعرب قد أَلِفتْ التعامل بالربا قبل الإسلام، واعتادت على التعامل بالتفاضل في العقود والمطعومات؛ فأتت آيات القرآن الكريم لتستلَّ هذا المحرَّم من النفوس شيئًا فشيئًا على طريقة التدرج التشريعي الذي كان منهجًا أصيلًا للقرآن الكريم في مثل هذه الأمور؛ فمر

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (١١/ ٨)، وفتح الباري لابن حجر، (٤/ ٣١٢).

(٢) ينظر: المغني لابن قدامة، (٦/ ٥٢)، وفتح القدير للشوكاني، (١/ ٢٩٤).

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، (١/ ٣٧٤).

تحريم الربا في القرآن الكريم بمراحل أربع، كان المتأخر منها أشد تحريمًا وزجرًا وتنفيرًا عن المتقدم؛ ويمكن بيانها على النحو التالي:

المرحلة الأولى:

كانت هذه المرحلة بمكة وقبل الهجرة لما نزل قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾[1].

وهذه الآية كما قال جمهور أهل التفسير لم تكن في الربا الصريح الذي هو ربا الفضل أو النسيئة، إنما مراد الآية كما قال ابن كثير وغيره: "من أعطى عطيَّة يريد أن يَرُدَّ الناس عليه أكثر مما أَهدى لهم، فهذا لا ثواب له عند الله -بهذا فسره ابن عباس، والضحاكُ، وقتادةُ، وعِكرمةُ، ومحمد بن كعب، والشعبيّ- وهذا الصنيع مباحٌ وإن كان لا ثواب فيه"[2].

ووجه الشبه بين هذا النوع المباح وبين غيره مما حرم الله هو إرادة الفضل والزيادة في كلٍ منهما؛ أما وجه الاختلاف فهو اشتراط العطاء في النوع الثاني المحرم دون النوع الأول المباح؛ أما لو كان الفضل أو الزيادة من المقترض عند السداد دون استشراف نفس أو اشتراط من المقرض، فهذا لا بأس به أيضًا اتفاقًا عند الفقهاء.

---

(١) سورة الروم الآية: ٣٩.

(٢) تفسير ابن كثير، (٦/ ٣١٨)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٤/ ٣٦)؛ وأحكام القرآن، للجصاص، (٥/ ٢١٧)؛ وأحكام القرآن، للكيا الهراسي، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٥ هـ، (٤/ ٣٣٩).

المرحلة الثانية:

وهي ما جاء في قوله ﷻ: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[1].

ومراد الآية كما قال أهل التفسير: "أَي: إن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه، واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنُوفٍ من الشبه، وأكلوا أموال الناس بالباطل"[2].

ففي الآية: حكاية لما كان عليه بنو إسرائيل من تحريم الربا واجترائهم عليه واحتيالهم على أكل أموال الناس بالباطل.

فهذا تمهيد وتلميح لتحريم الربا على أمة الإسلام كما كان محرمًا على بني إسرائيل؛ وفرق بين هذه الآية والتي قبلها أن الربا المذكور في هذه الآية هو الربا الحقيقي المنهي عنه في شريعة الإسلام.

المرحلة الثالثة:

وفي هذه المرحلة جاء التصريح بتحريم الربا، وهو قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة النساء الآيات: ١٦٠ ، ١٦١.

(٢) تفسير ابن كثير، (٢/ ٤٦٧)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٦/ ١٢)، أحكام القرآن، للجصاص، (٣/ ٢٨١).

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٣٠.

ومراد الآية كما ذهب إلى ذلك أهل التفسير: "لا تأكلوا الربا في إسلامكم بعد إذ هداكم له، كما كنتم تأكلونه في جاهليتكم؛ وكان أكلهم ذلك في جاهليتهم: أنّ الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل، فإذا حلّ الأجل طلبه من صاحبه، فيقول له الذي عليه المال: أخِّر عنى ديْنك وأزيدك على مالك، فيفعلان ذلك"[1].

ففي هذه الآية: تصريح بالنهي عن أكل الربا الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، إلا أنها لم تشتمل على الزجر والوعيد لمن خالف الأمر.

المرحلة الرابعة:

وهي المرحلة المشتملة على النهي مع الوعيد المترتب على مخالفة الأمر، وهي قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾[2].

فالآية الكريمة اشتملت على التصريح بالتحريم كما اشتملت على بيان العقوبة الأخروية، قال أهل التفسير: "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يَتَخَبَّطُهُ الشيطان من المَسِّ يوم القيامة"[3].

وهذه الآية قال عنها عبدالله بن عباس ﷺ هي: "آخر آية نزلت على النبي ﷺ: آية الربا"[1].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، (٧/ ٢٠٤). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤/ ٢٠٢).

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير، (١/ ٧٠٨). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٣/ ٣٤٨).

ثانيا: التحريم من السنة:

جاءت الأدلة من السنة النبوية على تحريم الربا بمفهومه العام، والزجر عن ارتكابه، بل واعتبرته من أكبر الكبائر التي حرمها الشارع ونهى عنها، ومن هذه الأدلة ما يلي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلا بمثل، يدا بيد، فمن زاد، أو استزاد، فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء**»(٢).

وعده النبي ﷺ من كبائر الذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، **قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١]، (٦/ ٣٣)، برقم (٤٥٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساقاة باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقدا، (٣/ ١٢١١)، برقم (١٥٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: ١٠]، (٤/ ١٠)، برقم (٢٧٦٦)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، (١/ ٩٢)، برقم (١٤٥).

وعن سمرة بن جندب[1] رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «**رأيت الليلة رجلين، أتياني، فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ فقال الذي رأيته في النهر: آكل الربا**»[2].

ولعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومن عاونه على هذا الباطل، فعن جابر رضي الله عنه قال: «**لعن رسول الله آكل الربا وموكله، وكاتبه وشاهديه**»، وقال: «**هم سواء**»[3].

ولم يقف المنهج النبوي للربا عند حد تحريمه بشكل عام، و"إنما تعدى ذلك إلى تحريم كل أبوابه ومداخله، وألزم المسلمين بكل التدابير والإجراءات المانعة من وجوده، وفرض على المسلمين أن يربطوا الأنشطة المالية والاقتصادية بالأحكام الشرعية، وأوجب عليهم الاهتمام بالأنشطة المالية والاقتصادية الحقيقية، مثل التجارة، والصناعة، والزراعة والإجارة والشركة، ونحو ذلك، وحرم الأنشطة الاقتصادية والمالية الوهمية أو العبثية،

---

(١) هو: سمرة بن جندب بن هلال الفزاري من علماء الصحابة، نزل البصرة، حدث عنه: ابنه؛ سليمان، وأبو رجاء العطاردي، وأبو نضرة العبدي، والحسن البصري، وابن سيرين، وتوفي: ٦٠هـ. سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٣/ ١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: البيوع، باب: آكل الربا وشاهده وكاتبه، (٣/ ٥٩)، برقم (٢٠٨٥).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساقاة، باب: لعن آكل الربا ومؤكله، (٣/ ١٢١٩)، برقم (١٥٩٨).

وحرم الاتجار بالديون ونحو ذلك مما هو سبب رئيس في الأزمات المالية، والاقتصادية المعاصرة"[1].

ثالثا: الإجماع على تحريم الربا:

واستنادًا على كل هذه الأدلة وغيرها من أدلة الكتاب والسنة فقد أجمع أهل العلم على حرمة الربا، وقد ذكر الإجماع في ذلك غير واحد منهم؛ فمِمَّن ذكر الإجماع في ذلك ابن حزم في مراتب الإجماع، فقال: "واتفقوا أن الربا حرام"[2].

وعلى ما سبق، فحرمة الربا بمفهومه العام دل عليها الكتاب، والسنة النبوية، الصحيحة وإجماع أهل العلم.

وعن كيف أن الربا كان سببا عظيما في وقوع العديد من المشكلات الاجتماعية والمضار الاقتصادية على جميع المستويات، فإنه يتبين هذا الخطر مما يلي:

أ) مضار الربا الاقتصادية:

أولا: أنه يلحق الضرر بالاقتصاد، ويعيق الإنتاج النافع، وليس وسيلة كسب مالي، ولا طريقا آمنا لنماء المال، ولا هو محركا للأنشطة الاقتصادية بل إنه سبب رئيسي- في الانكماش الاقتصادي، من جراء حرص المرابين على كنز المال وعدم تشغيله في المشاريع الإنتاجية، تجنبا للمخاطرة، ومن جراء احتكار النقود للاستزادة من سعر الفائدة الربوية، وقد أكدت النصوص الشرعية على أنه مؤد إلى محق المال وتعطيل الإفادة منه، قال

(١) دور النظرة الإسلامية للربا في الوقاية من الأزمات الاقتصادية، إحسان سمارة، (ص٣٥).

(٢) مراتب الإجماع، لابن حزم، (١/ ٨٩).

ﷻ: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[1]، لأن النظام الربوي يقود إلى توجيه المال الوجهة الاستهلاكية وينأى به عن القطاعات الإنتاجية[2].

ثانيا: أن الربا يؤدي إلى أخذ مال الغير بغير حق، لأن من يبيع درهما بدرهمين أو دينارا بدينارين نقدا كان أو نسيئة فقد حقق زيادة نقدية دون عوض فهو حرام، وهذه الزيادة قد تكون مقابل الأجل (الزمن) والأجل ليس مالا يدخل في الذمة المالية للبشر- فهي إذن زيادة بدون مقابل وهي بهذا ظلم[3].

ثالثا: أن الربا يتسبب في زيادة تكلفة إنتاج السلع والخدمات الممولة عن طريق القرض الربوي ذي الفائدة المتنامية، حيث تعتبر تكلفة التمويل عنصرا من عناصر تكلفة الإنتاج فيؤدي ذلك إلى رفع أثمان السلع والخدمات، ويستمر المستوى العام للأسعار في الارتفاع طالما استمر التمويل بفائدة، وذلك كله ينعكس على حالة الأفراد الاجتماعية بما يمكن أن نسميه الفقر السلبي، الذي يلحق بالناس من جراء ارتفاع الأسعار وتضاؤل القيمة الشرائية للنقود[4].

رابعا: يقول الرازي في تفسيره: "إنما حرم الربا من حيث إنه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧٦.

(٢) ينظر: دور النظرة الإسلامية للربا في الوقاية من الأزمات الاقتصادية، إحسان سمارة، كلية الشريعة، جامعة جرش - الأردن، (ص٣١).

(٣) ينظر: نقود العالم متى ظهرت ومتى اختفت، محمد السيد الملط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٣م، (ص٦٨).

(٤) نفس المرجع.

الدرهم الزائد نقداً كان أو نسيئة تغل عليه اكتساب وجه المعيشة فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات"[1].

خامسا: إن الربا يشجع الناس على ترك العمل وعدم الإنتاج، لأن صاحب النقود إذا تمكن من عقد الربا حصل على زيادة في ثروته بدون تعب أو مشقة، فيفضي ذلك إلى تدهور الإنتاج وحدوث الكساد ومن ثم الفقر[2].

وبهذا يصبح الربا سببا رئيسا لحدوث هذه المشكلة والتي بصددها هذا البحث.

ب) مضار الربا الاجتماعية:

لقد حرم المنهج النبوي الربا مراعاة لكثير من الأمور الاجتماعية الإنسانية، ولقد أفاض في الحديث عن هذه الحكم أهل التفسير، فقد ذكروا منها الكثير في أثناء تفسيرهم لآيات الربا في القرآن الكريم، منها ما يلي[3]:

أولا: لو حل الربا لكانت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين، فيفضي ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان.

---

(١) التفسير الكبير، للإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، (٧/ ٩٤).

(٢) نفس المرجع.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (٧/ ٧٤)، وتفسير النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، (٢/ ٦٢)، والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، (٣/ ٨٠).

ثانيا: الغالب أن المقرض يكون غنيا، والمستقرض يكون فقيرا، فالقول بتجويز عقد الربا تمكين للغني من أن يأخذ من الفقير الضعيف مالا زائدا، وذلك غير جائز برحمة الرحيم.

ثالثا: إن العادة الماضية في الأمم، وخاصة العرب، أن المرء لا يتداين إلا لضرورة حياته، فلذلك كان حق الأمة مواساته.

رابعا: إن الربا ينمي الضغائن والأحقاد بين الناس لعدم اقتناع المقترض بما أُخذ منه مهما كانت حاجته ورغبته فيه.

خامسا: أن الربا يتسبب في انقطاع المعروف بين الناس فتزداد العداوة والبغضاء بين الأفراد والأمم بسببه، وتحريم المنهج النبوي للربا يفتح الباب أمام القرض الحسن الذي يؤدي إلى التحاب والتآلف والتآخي على المستوى المحلي والعالمي، والقرض الحسن يسهم كثيرا في تحريك عجلة الاقتصادي وتمويل المشاريع الاستثمارية التي يترتب عليها تشغيل المزيد من الأيدي العاملة وإزالة الفقر من طريق المجتمعات.

وهكذا فقد عمل المنهج النبوي على استئصال هذا الداء الاقتصادي العضال من جسد المجتمع المسلم، فكان تشريعه علاجيا نافعا لهذا الداء الذي يعمل على ظهور مشكلتي الفقر والبطالة في المجتمع المسلم، فبتطبيق هذا المنهج النبوي، يمكن بذلك التوصل إلى مجتمع إسلامي فاضل منزه عن المطامع وما تؤديه من أحقاد، وضغائن بين المدعويين في المجتمع الإسلامي.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث السادس

تحريم الرشوة

تتنامى حالات الفقر والبطالة في ظل انتشار الرشوة، وتراجع العدالة الاجتماعية، وتتفشى بسببها ظاهرة انعدام التكافؤ الاجتماعي والاقتصادي، وتدني المستوى المعيشي لطبقات كثيرة في المجتمع، نتيجة لتركز الثروات والسلطات في أيدي الأقلية التي تملك المال والسلطة على حساب الأكثرية[1].

والرشوة في اللغة: هي الاسم من قولهم (رشاه) يرشوه رشوا: إذا أعطاه الجعل، وهي مأخوذة من مادة (ر ش و) التي تدل على التسبب للشيء برفق وملاينة[2].

و(ارتشى): أخذ الرشوة، و(استرشى في حكمه): طلب الرشوة عليه[3].

---

(١) ويؤكد خطورة مشكلة الرشوة في الوقت الحاضر، ما نشره الكاتب/ حسين خيري، حيث يقول: "ربع مواطني العالم يدفعون الرشوة لإنهاء شئونهم هذا طبقا لتقرير منظمة الشفافية الدولية، الذي أشار إلى أن حوالي ثلثي سكان العالم يفضلون توطيد العلاقات غير المشروعة مع القطاعات الحكومية حتى صارت جزءا من تقاليد حياتهم، ولكن ضاقت فئة كبيرة من الشعوب من توغل هذا الفساد في مفاصل الحكومات والقطاعات العامة، فاضطروا إلى تأسيس جمعيات أهلية لمكافحة جريمة الرشوة ظهرت في الجزائر تحت مسمى «كلنا ضد الرشوة» وفى المغرب وفى دول أخرى، وسجلت إحدى الجمعيات في المغرب خسارة ٢٧ مليار دولار نتيجة الرشوة والفساد الإداري". ينظر: الرشوة تعوق ثراء الفقراء، حسين خيري، نشر في أكتوبر يوم ٢٢-٠٢-٢٠١٥م. http: //www. masress. com/october/208512

(٢) مقاييس اللغة، (٢/ ٣٩٧).

(٣) معجم الصحاح، (٦/ ٢٣٥٧).

وفي الاصطلاح: "ما يعطيه الشخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد"[1].

وقيل: "ما يُعطَى لإبطال حق أو إحقاق باطل"[2]؛ وقيل في حَدِّ الرشوة: "بذل المال فيما هو غير مستحق على الشخص"[3].

ولهذا كان للرشوة تأثير سيئ جدا في حدوث المشكلات الاجتماعية التي لا يقف حدها عند المستوى الفردي، المتمثل في فساد الراشي والمرتشي، ولكنه يعم المجتمع بأسره؛ فهي" إهدارٌ للقيم الإسلامية العليا، كالعدل، فينتشر الظلم؛ وتولية الوظائف العامة والمراكز المهمة في الدولة لغير مستحقيها، وانتشار الحقد بين الناس، واستيلاء الخوف واليأس على قلوب الضعفاء، وأكل المال بالباطل، وانحصار المصالح ورؤوس الأموال لدى فئة معينة من الناس، والإعانة على ضياع حقوق من لا يقدر على الرشوة لصالح الذي تعوَّد أن لا ينجز الحقوق إلا بالرشوة"[4].

ومن أجل ذلك عُنِيَ المنهج النبوي ضمن منظومته العامة لمواجهة مشكلات الفقر والبطالة بمواجهة هذه الظاهرة، فتعددت النصوص التي أكدت على حرمة هذه المعاملة وعدم جواز جريانها في معاملات المسلمين.

---

(١) المصباح المنير، للفيومي، (ص ٢٢٨).

(٢) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، المبارك فوري أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (٤/ ٥٦٥).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، (٣/ ٨٦).

(٤) المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، (ص ٧٨).

فمن هذه النصوص الدالة على هذا المعنى مايلي:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الراشي والمرتشي**»[1]، وزاد في حديث ثوبان في مسند أحمد، والرائش"[2]؛ وفي حديث أبي هريرة في المسند "في الحكم"[3].

وهذا تحذير شديد ووعيد باللعنة التي شملت في الحديث ثلاثة أشخاص: دافعها وآخذها والساعي بينهما بها.

قال ابن قدامة -رحمه الله- قال الحسن وسعيد بن جبير في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾[4]، هو: الرشوة وقال: "إذا قبل القاضي الرشوة بلغت به الكفر"[5]؛ لأنه قد يحكم بغير ما أنزل الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[6].

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب: الأقضية، باب: في كراهية الرشوة، (٥/ ٢٠٧)، والترمذي في كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم، (٤/ ٥٦٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في"سننه"، كتاب: الأحكام، باب: التغليظ في الحيف والرشوة، (٢/ ٧٧٥)، برقم (٢٣١٣)، وصححه الألباني كما في الحاشية، وصححه الحاكم، (٤/ ١٠٢، ١٠٣)، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٣٧/ ٨٥)، برقم (٢٢٣٩٩)، وصححه الشيخ الألباني، مشكاة المصابيح، (٢/ ١١٠٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (١٥/ ٨)، برقم (٩٠٢٣) وقال الشيخ الأرناؤوط: (صحيح لغيره).

(٤) سورة المائدة الآية: ٤٢.

(٥) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، (١١/ ٤٣٧).

(٦) سورة المائدة الآية: ٤٤.

وكما عمل المنهج النبوي على تحريمها وتجريمها، فقد عمل على سد جميع السبل الموصلة إليها، ليقطع على الشيطان حبائله المؤدية إليها، لذا فقد حذر المنهج النبوي العمال مما قد يؤول بهم إلى المحرم الخطير؛ فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، قال: استعمل النبي ﷺ رجلا من الأزد، يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، قال: «**فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر يهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر**» ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه: «**اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت**»[1].

واشتمل هذا الحديث على "درس عملي من الرسول ﷺ لكل من ولي عملا للمسلمين وأخذ فيه الهدية؛ لأنها في واقع الأمر ليست بهدية خالصة وإنما معها مراعاة حالة العامل، ومن ورائها انتظار ما يترجاه المهدي، وكما قال ﷺ: «**هلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا**»، وهو سنة سنها رسول الله ﷺ لولاة الأمور في محاسبة العمال، وهو مبدأ (من أين لك هذا؟)، وقد جاء في بعض رواياته: (فحاسبه ﷺ)[2]، أي: أمر من يحاسبه"[3].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: من لم يقبل الهدية لعلة، (٣/ ١٥٩)، برقم (٢٥٩٧)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال، (٣/ ١٤٦٣)، برقم (١٨٣٢).

(٢) ينظر: شرح مشكل الآثار، الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ، ١٤٩٤ م، (١١/ ٣٢٥).

(٣) الرشوة، عطية محمد سالم، (ص ١٣٧).

وقد اعتبر النبي ﷺ هذه الهدايا من الغلول الذي يأتي به المرء يوم القيامة، حتى إن بعض أصحابه استعظم هذه المسؤولية فطلب من النبي ﷺ إقالته منها؛ وذلك فيما رواه عدي بن عميرة الكندي[1] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «**يا أيها الناس، من عمل منكم لنا على عمل فكتمنا منه مخيطا، فما فوقه فهو غل يأتي به يوم القيامة**»، فقام رجل من الأنصار أسود كأني أنظر إليه، فقال: يا رسول الله، اقبل عني عملك، قال: «**وما ذاك؟**»، قال: سمعتك تقول: كذا وكذا، قال: "**وأنا أقول: ذلك من استعملناه على عمل فليأت بقليله، وكثيرة، فما أوتي منه أخذه وما نهي عنه انتهى**"[2].

ولعل تشديد النبي ﷺ على العمال في الهدايا والحرص على محاسبتهم وتشديد النكير على ذلك واعتباره غلولا يعاقب عليه المرء يوم القيامة، نابع من الحرص على ألا يضعف ولاة الأمر أمام إغراءات المال التي تعرض لهم كثيرا، فهم أكثر الناس عرضة للرشوة لما في يدهم من مقاليد الحكم وصلاحية الحل والربط، ولأن في ارتشائهم ضررا فادحا على قواعد العدالة والثقة في نزاهتها كما تقدم بيانه، ولذلك عمل النبي ﷺ على تحريم المباح سدا

(١) هو: عدي بن عميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم بن النعمان بن عمرو بن وهب بن ربيعة الكندي الحضرمي، سكن الكوفة، ثم انتقل إلى الجزيرة وسكنها، ومات بها، روى عنه قيس بن أبي حازم وأخوه العرس بن عميرة. ينظر: أسد الغابة (٤/ ١٣)، والإصابة (٤/ ٤٧٩)، وطبقات ابن سعد، (٥/ ٣٤١).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب: الأقضية، باب: هدايا العمال، (٣/ ٣٢٧)، برقم (٣٥٨٣)، وصححه الألباني كما في الحاشية.

لذريعة غير المباح، ولهذا قرر بعض العلماء "أن ما يأخذه الحاكم أو الشاهد على الحكم بالحق أو الشهادة به رشوة، وكل رشوة سحت"[1].

ولقد تربى الجيل الأول على هذا المنهج النبوي القويم، ويؤكد هذا المعنى ما روي عن عبد الله بن رواحة ﷺ مع اليهود الذين حاولوا إغواءه بالرشوة ليخفف عنهم شيئا من الخراج، فقد ورد عن سليمان بن يسار: "أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر، قال: فجمعوا له حليا من حلي نسائهم، فقالوا: هذا لك وخفف عنا، وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة: يا معشر يهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت، وإنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض"[2].

وبهذا الإجراء الذي سلكه المنهج النبوي ينسد الطريق أمام الظلم الاجتماعي، وأكل أموال الناس بالباطل، وبهذا يعمل المنهج النبوي من خلال القضاء على هذا الداء الاجتماعي العضال المستشري في كثير من المجتمعات، على معالجة ما يؤديه من الفقر الذي يلحق بالراشين الدافعين للرشوة، والبطالة اللاحقة -غالبًا- بالمرتشين الذي اعتمدوا في كسبهم ومعاشهم على هذا التكسب الوضيع القائم على حساب حقوق الآخرين، والأخذ من أموالهم، وأقواتهم بغير حق.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) شرح الزرقاني على الموطأ، الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (٣/ ٥٤٣).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، (٤/ ١٠١٦)، برقم (٢٥٩٥/ ٥٨٤)، وصححه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، (ص ٢٦٤).

المبحث السابع

تحريم الاحتكار

الاحتكار لغة: أصل المصطلح من مادة (حكر)، فـ"الحاء والكاف والراء أصل واحد، وهو الحبسُ.

والحكرَةُ: حبس الطعام منتظرا لغلائه، وهو الحُكرُ، وأصله في كلام العرب الحكر، وهو الماء المجتمع، كأنه احتُكِرَ لقلَّته"[1].

والاحتكار: "يطلق على جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار وقت الغلاء به"[2].

وأما الاحتكار في الاصطلاح الشرعي فهو: اشتراء القوت[3] وحبسه انتظارًا للغلاء[4]؛ فالمراد منه حجب السلعة عن البيع في وقت ما ومكان ما، حتى يرتفع ثمنها أكثر مما تستحق، وذلك استغلالاً لحاجة الناس إليها.

وقد جاء التأكيد في المنهج النبوي على النهى عن الاحتكار، وخاصة الحاجات والسلع التي تتعلق بحياة الناس وضروريات الحياة؛ إذ احتكارها يؤدي إلى رفع أثمانها

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢/ ٩٢).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (٤/ ٢٠٨).

(٣) الراجح أن الاحتكار يكون في القوت وفي كل ما يحتاجه الناس ويكون في حبسه ضرر عليهم.
ينظر: المدونة لمالك، (١٠/ ١٢٣)، والطرق الحكمية لابن القيم، (ص٢٤٣-٢٤٤).

(٤) حاشية ابن عابدين، (٥/ ٢٠)، والشرح الصغير، (١/ ٦٣٩)، ونهاية المحتاج، (٣/ ٤٥٦)، والمغني، (٤/ ٢٤٤).

أضعافا، وهذا يشق على الناس، وقد لا يستطيع الكثير منهم شراءها فيلحقهم بذلك الضيق والعنت.

وقبل البدء في بيان أدلة المنهج النبوي في تحريم الاحتكار، نبين الأضرار السيئة الناتجة عن عملية الاحتكار، فهناك أضرار اجتماعية واقتصادية وخيمة يتسبب في خلقها احتكار السلع والتحكم فيها، ومن أبرزها مايلي:

أولا: انتشار الفقر بين الطبقات الخاضعة لقيد الاحتكار، فهو يحد من المنافسة المشروعة، والسيطرة على الأنشطة التجارية، والتحكم بالأسعار عبر رفعها أو عدم السماح بخفضها، مما يتضمن تكاليف إضافية على المشتري تظل تأكل من ثروته إلى أن يفتقر، في حين أن المحتكر يزداد غنى على حساب هذا المشتري، فيتحول المجتمع من جراء هذا الداء الاجتماعي إلى فئتين:

الأولى: تزدادُ ثراءً وهم المحتكرون.

والثانية: تزدادُ فقرًا، وهم المتضررون.

ثانيا: زيادة معدل التضخم، وتفشي البطالة، وتبديد موارد المجتمع، "فإن الثمن في سوق الاحتكار يكون أعلى منه في ظل سوق المنافسة، وأن الإنتاج الذي ينتجه المحتكرون يكون أقل من الإنتاج في ظل حالات سوق المنافسة، إن منحنى الطلب الذي يواجه كل منتج في سوق المنافسة يعبر عن طلب كبير المرونة بحيث يستمر في إنتاج وبيع الناتج الإضافي إلى أن تصبح النفقة الحدية مساوية للثمن، بينما يواجه الاحتكاري منحنى طلب غير مرن نسبيا، بحيث إنه كلما أنتج وباع الإنتاج الإضافي فإن الثمن سوف ينخفض في السوق، وعندئذ يكون الدخل الحدي أقل من الثمن، ولكن المحتكر سيقبل على الإنتاج حتى النقطة التي تتساوى فيها النفقة الحدية مع الإيراد الحدي، ومن هنا فإن الإنتاج الاحتكاري سيكون بصفة عامة أقل من الإنتاج التنافسي- ويكون ثمنه أعلى من الثمن التنافسي-، وفي ذلك تبديد موارد المجتمع لصالح

المحتكر"[1]، وهذا بعينه هو التضخم الذي يضر بالاقتصاد ويأكل أموال الناس بالباطل لصالح فئة المحتكرين.

ثالثا: يؤدي الاحتكار إلى الخلل في المساواة وتكافؤ الفرص، فهو يحول دون تبوء أصحاب الكفاءات مجالات العمل، نتيجة سيطرة المحتكرين على هذه الأسواق، الأمر الذي يبلغ بالتدريج حد السيطرة، والتحكم بالشؤون الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، في الدول وفي العالم بأسره.

وبناء على ما سبق فإن الاحتكار يؤدي إلى أضرار شديدة الخطر على المجتمعات البشرية بكل نواحيها الاقتصادية، والنفسية، والاجتماعية، ويتسبب في زيادة معدلات البطالة الناتجة عن تفرد المحتكرين، وارتفاع نسبة الفقر الناتجة عن ضرر المشترين، ولهذا عني المنهج النبوي بمواجهة هذه المشكلة كمنهج وقائي، وعلاجي، لما يؤديه من مشكلات إجتماعية متمثله في الفقر والبطالة، ونبه على عظم هذا الأمر، وقد ورد عن النبي ﷺ عدد من النصوص الصحيحة في التحذير من ذلك منها مايلي:

١. عن معمر بن عبد الله[2] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من احتكر فهو خاطئ**»[1].

---

(١) الإسلام والاقتصاد، عبد الهادي علي النجار، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣م، (ص١٠١).

(٢) هو: معمر بن عبد اللهَّ بن نضلة بن نافع القرشي العدويّ كان قديم الإسلام، وهاجر إِلَى الحبشة الهجرة الثانية، ثم رجع إلى مكة، فأقام بها، ثم قدم المدينة بعد ذلك، روى عن النبي ﷺ، وعن عمر، روى عنه سعيد بن المسيب، وبشر بن سعيد، وعبد الرحمن بن جبير، وعبد الرحمن بن عقبة مولاه، عاش عمرا طويلا الإصابة، (٦/ ١٤٨)، وأسد الغابة، (٤/ ٤٦٠).

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساقاة، باب: تحريم الاحتكار في الأقوات، (٣/ ١٢٢٧) برقم (١٦٠٥).

٢. وعنه أيضا عن رسول الله ﷺ، قال: «**لا يحتكر إلا خاطئ**»[١].

٣. وكما اهتم المنهج النبوي بمنع الاحتكار، كذلك عمل على تنظيم الاستيراد، وحارب الغش، والطمع الذي قد يفعله بعض التجار، فنهى عن بيع حاضر لباد[٢].

وكذلك نهى عن تلقي الركبان[٣]، فقال ﷺ: «**لا تلقوا الركبان، ولا يبيع حاضر لباد**»[٤].

والحكمة في ذلك هو "حماية التجار الجالبين من الغش والظلم، لعدم معرفتهم بأسعار السوق؛ فكان منع الوسطاء بين الجالبين وأهل البلد وسيلة تفادي الاحتكار، وما ينتج عنه من أضرار"[١].

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساقاة، باب: تحريم الاحتكار في الأقوات، (٣/ ١٢٢٨) برقم (١٣٠).

(٢) المراد ببيع الحاضر للباد: هو أن يأتي البدوي البلدة ومعه قوت يبغي التسارع إلى بيعه رخيصا، فيقول له الحضري: اتركه عندي لأغالي في بيعه، فالبيع – على هذا – هو من الحاضر للحاضر نيابة عن البادي، بثمن أغلى. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٤/ ٢٦٦).

(٣) المراد بتلقي الركبان فهو: "هو أن يستقبل الحضري البدوي قبل وصوله إلى البلد، ويخبره بكساد ما معه كذبا؛ ليشتري منه سلعته بالوكس النقصان، وأقل من ثمن المثل، وذلك تغرير محرم". ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (١/ ٣٩٩).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: البيوع، باب: هل يبيع حاضر لباد بغير أجر وهل يعينه، أو ينصحه، (٣/ ٩٤)، (٢١٥٨).

(١) الفساد في النشاط الاقتصادي (صوره وآثاره وعلاجه)، الأستاذ الدكتور/ رشاد حسن خليل، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر بالقاهرة، طبعة تمهيدية، (ص١).

وعلة النهي عن بيع الحاضر للبادي هي "دفع الضرر؛ لأن الحضري يريد البيع بالتدريج لتحقيق أقصى ربح، وهو نوع من الحبس والتخزين للسلع والتحكم في المعروض منها ورفع سعرها، وذلك من باب الاحتكار ولرعاية المصلحة نهى الشرع عن هذا النوع من البيع فهو من باب تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام"[1].

٤. يحذر النبي ﷺ من الاحتكار، وينبه على أنه نقص في إيمان صاحبه، وذلك لما كان الاحتكار ينطوي على عدم حب الخير للغير، الذي يعتبر في الشريعة قدحا في الإيمان.

فعن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[2].

وقد أدى تشديد النبي ﷺ على حرمة الاحتكار وتشنيعه على فاعله بفقهاء الشريعة إلى استلهام المنهج النبوي في علاج المشكلة، فاستنبطوا إجراءات مهمة وفق الاجتهاد في ضوء هذا المنهج الرباني.

فقد نظر فقهاء الإسلام في الأدلة الكثيرة الواردة عن النبي ﷺ وقرروا بناء على ذلك حرمة ادخار أقوات الآدميين والبهائم ليغلو سعرها، وحرمة حبسها في وقت الضرورة والحاجة، وذهب بعضهم إلى أن للحاكم أن يأمر المحتكر ببيع ما فضل عن قوته وقوت أهله وجواز بيعه عليه جبرا إن امتنع على ذلك مع تعزيره، وأجاز بعضهم التسعير في وقت الغلاء إذا كان القصد منه الإضرار بالناس، بأن تعدى أصحاب السلعة عن القيمة

---

(١) الحسبة في الإسلام لابن تيمية، (ص٢٤) وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الإيمان باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (١/ ١٢)، برقم (١٣)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، (١/ ٦٧)، برقم (٤٥).

المعتادة تعديا فاحشا، فلا بأس حينئذ بالتسعير بمشورة أهل الرأي والبصر، رعاية لمصالح الناس والمنع من إغلاء السعر عليهم، والإفساد عليهم[1].

وقد ضمنت هذه الإجراءات حق المستهلك من حيث حصوله على السلعة بالسعر المعقول، وكذلك ضمنت حق البائع من حيث إجباره على البيع بالسعر المعقول أيضا، مما لا يدع مجالا للعطف عليه من قبل بعض المتحايلين على الأنظمة والقوانين بحجة مصادرة أمواله، كما يحصل في الوقت الحاضر.

وبناء على ما سبق فإن المنهج النبوي قد عمل على معالجة مشكلة الاحتكار، التي تتمثل في الجشع والطمع، وأكل أموال الناس بالباطل، عن طريق احتكار أقوات الناس التي بها قيام حياتهم، وبهذا يكون المنهج النبوي قد ساهم في وضع الحلول اللازمة لمشكلتي الفقر والبطالة التي قد تعصف بالمجتمع المسلم في ظل هذا الاحتكار التجاري، ولعل في ذلك تذكيرا ودعوة لجميع التجار والبائعين للعودة حيث الالتزام بضوابط الشرع الحنيف، ليعيش المجتمع جوا من التراحم والتعاون والتكافل.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، (٤/ ٢٦٩٣)، وما بعدها.

المبحث الثامن

الآثار المترتبة على حدوث مشكلة الفقر والبطالة

يعتبر الفقر والبطالة من أكبر التحديات التي تواجه كل المجتمعات نظرا لما يترتب عليهما من آثار اجتماعية، واقتصادية خطيرة، فهاتان المشكلتان تعدان سببا رئيسا لمعظم الأمراض الاجتماعية في أي مجتمع، كما أنهما تمثلان تهديدا للاستقرار الاجتماعي والسياسي، فالفقر والبطالة لا يعنيان فقط حرمان الشخص من مصدر معيشة أو دخل مناسب، وإنما يعنيان أيضا حرمانه من الشعور بأهمية وجوده، فتنشأ إلى جانب المشكلات الاقتصادية والاجتماعية مشكلات نفسية خطيرة، عندما تتفشى مظاهر اليأس، وخيبة الأمل، وعدم الرضا، والإحباط، وضعف الانتماء، وقلة الولاء للوطن، وفيما يلي أهم الآثار السلبية المترتبة على هاتين المشكلتين:

أولا: الآثار المترتبة على مشكلة الفقر:

أ- الآثار الدينية والخلقية:

- لا شك أن الفقر من أخطر الآفات على العقيدة الدينية وبخاصة الفقر المدقع الذي بجانبه ثراء فاحش، وبالأخص إذا كان الفقير هو الساعي الكادح والمترف هو المتبطل القاعد، فالفقر حينئذ مدعاة للشك في حكمة التنظيم للكون، وللارتياب في عدالة التوزيع الإلهي للزرق، وهذا الانحراف العقدي الذي نشأ من الفقر الناشئ عن الشك في عدالة التوزيع -فيما يبدو للناس- هو الذي جعل بعض السلف يقول: إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك، ولذلك فلا عجب أن يستعيذ النبي ﷺ من شر الفقر مقترنا

بالكفر في سياق واحد[1]؛ فقد كان النبي ﷺ دائما ما يدعو ويقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**»[2].

- وإذا كان الفقر خطرا على الدين لكونه مؤثرًا على عقائد الناس وإيمانهم، فليس بأقل خطورة لكونه مؤثرًا على أخلاقهم سلوكهم، فإن الفقير المحروم كثيرا ما يدفعه بؤسه وحرمانه وخاصة إذا كان إلى جواره الطاعمون الناعمون، إلى سلوك لا ترضاه الفضيلة والخلق الكريم، ولهذا قالوا: صوت المعدة أقوى من صوت الضمير، وشر من هذا أن يؤدي ذلك الحرمان إلى التشكيك في القيم الأخلاقية نفسها، وعدالة مقاييسها كما أدى إلى التشكك في القيم الدينية[3].

- كثيرا ما يضطر الفقير للاستدانة لسد بعض الاحتياج الضروري للمعيشة، فيقع في آفةٍ أكبر من آفة الفقر، ألا وهي الدين، وفي هذا السياق يوجه المنهج النبوي مدعويه إلى الاستعاذة منه، وذلك بقول النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين**»[4].

---

(١) ينظر: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ١٩٨٥م، (ص١٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٣٤/ ٩٧)، برقم (٢٠٤٤٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم، وكذا صححه الألباني.

(٣) المرجع السابق، (ص١٥).

(٤) أخرجه النسائي في "سننه"، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من غلبة الدين، (٨/ ٢٦٥)، برقم (٥٤٧٥)، عن عبد الله بن عمر، وفي المستدرك على الصحيحين، (١/ ٧١٣)، رقم (١٩٤٥)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ولا يخفى على أحد أن آفة الدين من أكبر الآفات انتشارا وتنغيصا للحياة الفردية والاجتماعية؛ فهي مصدر الاكتئاب والانهزام، ومصدر الضعف والتخاذل، ومصدر التدهور والانحطاط في المعنويات الخلقية، يوضح ذلك أو بعضه بيان رسول الله ﷺ حين قيل له ما أكثر ما تستعيذ من المغرم، فقال: «**إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف**»[1].

فالمدين الفقير حين يأتي موعد وفائه بدينه لا يقدر بطبيعة الحال على سداد ديونه، ولذلك قد يعمد إلى اختلاق التبريرات الكاذبة، والأعذار الواهية، ليصبر مدينه بعض الوقت، ولذلك علمنا المنهج النبوي الاستعاذة من المغرم وغلبته.

ب- الآثار الاقتصادية السلبية للفقر:

هناك عدة آثار سلبية للفقر على مستوى الحالة الاقتصادية منها:

- إن المجتمع إذا كان فقيرًا فإن الدخل القومي يذهب إلى إطعام الأفواه الجائعة بدل أن تذهب إلى التنمية، والاستثمار، وبالتالي فلن تتحقق التنمية المنشودة في ظل الفقر المدقع.

- زيادة الديون والقروض الفردية لسد الضروريات والحاجيات الاستهلاكية بدلا من العمل على خطط النهضة والبناء والتعمير، وهذا يزيد من المشكلة أكثر، ويعمق جذورها أبعد في المجتمع المسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الآذان، باب: الدعاء قبل السلام، (١/ ١٦٦) برقم (٨٣٢)، ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة، (١/ ٤١٢)، برقم، (٥٨٩).

- تبعية الشعوب الاقتصادية للدول والشعوب المانحة للقروض والديون، وما يترتب عليه من آثار سلبية في جميع الجوانب والجهات.

- زيادة الاستغلال والاحتكار، وبالتالي يزداد الفقراء فقرا، والأغنياء غنى، لأن الفقراء بسبب حاجتهم الشديدة يكونون غير قادرين على المنافسة، فيخضعون لشروط الأغنياء والشركات.

- انخفاض مستوى الإنتاج، وبالتالي انخفاض الدخل والاستثمار، والادخار، لأن قدرات الفقير وبخاصة الفقير المدقع، يكون نصيبه أقل من غيره في الصناعة والزراعة واستغلال الأرض، بسبب عدم قدرته على شراء التقنيات الحديثة المتطورة التي تزيد في الإنتاج، فالفقير في الغالب يعتمد على الوسائل البدائية، وبالتالي فيكون إنتاجه قليلا في مختلف المجالات[1].

ج- الآثار الاجتماعية للفقر:

- شيوع الأمية والجهل والتخلف، وعدم التمكن من التعلم وتمكين الأطفال من التمدرس، أو التمدرس الجيد، فارتفاع عبء الإعالة الذي هو من أسباب الفقر يؤدي بالآباء إلى التخلي عن مسؤولياتهم في تعليم أطفالهم، وتوفير الظروف الملائمة لذلك، مما يؤدي إلى انتشار الأمية عموما وخاصة بين الأطفال[2].

---

(١) آثار الفقر، علي محي الدين القرة داغي، دراسة منشورة بموقعه الإلكتروني:
http: //www. qaradaghi. com/portal/index. php?option=com_content&view

(٢) ينظر: ظاهرة الفقر في العالم العربي والإسلامي، أسباب: ها، وآثارها، بوشامة مصطفى محفوظ مراد، جامعة سعد دحلب البليدة، (ص٧).

- كثرة الأمراض النفسية وذلك "إن السبب الأول للأمراض النفسية، والتي تعتبر أكثر المشاكل الصحية انتشارا بالعالم في القرن الحادي والعشرين، هو الفقر"[1].

- كثرة الأمراض العضوية، حيث "أن معظم الأمراض تعود أسبابها إلى سوء التغذية، ويعود تأثيرها على الإنسان بالموت، أو الإنهاك وإلى عدم وجود الدواء المناسب الصالح، ومن المعلوم أن السبب الأول لسوء التغذية هو الفقر"[2].

- زيادة معدل الوفيات، حيث "ربط جميع الخبراء بين معظم الأمراض بالفقر، وبالتالي موت الكثيرين، وللجوع أثر في موت الأطفال"[3]، "فإن صحة الوليد مرهونة بعوامل عدة منها صحة الوالدين، وبخاصة الأم، ومستوى تغذيتها، والأمراض التي أصابتها، ومنها تغذية الطفل، ومنها بيئة الطفل من حيث النظافة والتهوية، وجود المسكن الصحي المناسب"[4].

- نقص الخدمات الصحية والسكنية ونحوهما، فمما لا شك فيه أن الأمراض يرتبط جميعها ارتباطا مباشرا أو غير مباشر بالفقر وانعدام الإمكانيات المادية، وانخفاض

---

(١) المؤتمر الثاني عشر لاتحاد الأطباء النفسيين العالمي، المنعقد في اليابان والمنبثق عن منظمة الصحة العالمية.

(٢) الحرمان والتخلف في ديار المسلمين، نبيل الطويل، كتاب: الأمة، العدد (٧) قطر، ط١، شوال ١٤٠٤هـ، (ص ٦٢).

(٣) المرجع السابق، (ص(٨) وما بعدها.

(٤) فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، الدكتور/ حمدي عبدالعظيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠ م، (ص١٢٠) وما بعدها.

الخدمات الصحية، كما أن الشعوب الفقيرة تعاني من نقص الخدمات الأساسية من مياه الشرب الصالحة، والمسكن المناسب[1].

- التبعية الاجتماعية، حيث أن معظم الفئات الغنية القادرة تبذل كل جهودها لاستغلال الفقر لصالح مصالحها الاقتصادية، والسياسية، وشراء أصواتهم بأموال لمكاسب سياسية، إضافة إلى التبعية الاجتماعية للدول المانحة، حيث لا تعطي الأموال مجانا وإنما تحاول التغلغل في المجتمع الفقير بالتأثير فيه دينيا واجتماعيا، وجعله تابعا لها[2].

وقد وضع العلامة ابن خلدون -مؤسس علم الاجتماع- قاعدة لذلك، فوضع فصلًا في (تاريخه) بعنوان: "في أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"[3].

- التلازم بين الفقر المدقع والتخلف، فحيثما كان الفقر وبخاصة المدقع يؤثر تأثيرا مباشرا ويؤدي إلى تحقيق التخلف للمجتمع، فالفقير الجائع غير قادر على المساهمة الجادة في تحقيق التنمية إلا إذا أخذ بيده وتمت مساعدته[4].

---

(١) ينظر: الحرمان والتخلف في ديار المسلمين، الدكتور/ الطويل، (ص٨١) وما بعدها.

(٢) ينظر: آثار الفقر، علي القرة داغي، مرجع سبق ذكره.

(٣) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (١/ ١٨٤).

(٤) يراجع: التلازم بين التخلف والفقر والجوع، الدكتور/ إسماعيل حمادي، المنشور ضمن: كتاب: الفقر والغني في الوطن العربي، وقائع الندوة العلمية لقسم الدراسات الاجتماعية ببغداد ٢٢-٢٣تشرين أول ٢٠٠٠م، ط. بيت الحكمة، (ص ٢٢٩).

- هجرة العقول والعمالة إلى الخارج، فقد أشارت التقارير الحديثة في الهند مثلا أن حوالي ٣٠٪ من خريجي معاهد الفضاء وعلوم الكمبيوتر، والكيمياء، والهندسة الميكانيكية في الهند يهاجرون سنويا إلى أمريكا وكندا وغيرها، ونشرت جريدة الحياة دراسة في الإمارات أن ٣٤٪ من الأطباء الأكفاء في بريطانيا هم من العرب، (علما بأن عدد الأطباء العراقيين فقط في بريطانيا وحدها ٢٠٠٠ طبيب) وأن ٧٥٪ من الكفاءات العلمية المهاجرة تتجه نحو أمريكا، وبريطانيا، وكندا، ومن الملاحظ أن هجرة العقول تدخل في الآثار الاجتماعية السلبية لأنها تؤدي إلى خلخلة الوضع الاجتماعي[1].

- وللفقر خطر على الأسرة من نواح عديدة كتكوينها واستمرارها، وتماسكها، ففي تكوين الأسرة نجد الفقر مانعا من أكبر الموانع التي تحول بين الشباب وبين الزواج، وما وراءه من أعباء المهر والنفقة والاستقلال الاقتصادي، ولهذا أوصى القرآن أمثال هؤلاء أن يعتصموا بالعفاف والصبر حتى تواتيهم القدرة الاقتصادية، فقال ﷻ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴿٣٣﴾﴾[2].

كما يوجد بعض من الفتيات وأوليائهن من يعرضون عن راغب الزواج إذا كان فقيرًا.

وفي العلاقات بين أفراد الأسرة نجد الفقر كثيرا ما يكدر صفاؤها بل قد تمزق أواصر المحبة بينها بل نجد القرآن الكريم يسجل حقيقة تاريخية رهيبة، هي أن بعض الآباء قتلوا أولادهم وفلذات أكبادهم تحت وطأة الفقر المدقع أو خشية الفقر المدقع ولذلك أنكر

(١) ينظر: فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، حمدي عبدالعظيم، (ص٢٠٤).

(٢) سورة النور الآية: ٣٣.

القرآن هذا الفعل وحذر منه، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴿١٥١﴾ ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[2]؛ والإملاق هو الفقر[3].

- زيادة الجرائم بين الشباب والنساء والأحداث، فلا شك أن للفقر أثره الكبير في زيادة الجرائم التي تقع من هذه الفئات، حيث ترى المدرسة الاجتماعية في تفسير الإجرام أن الأحوال الاقتصادية السيئة تحتل المرتبة الأولى في مسؤولية الجنوح نحو الإجرام، وأن هناك ارتباطا وثيقا بين الجريمة والفقر، فالبيئة التي فيها الفقر والبطالة هي البيئة التي تكثر فيها جرائم المال والاغتصاب والقتل ونحوها[4].

ثانيا: الآثار المترتبة على مشكلة البطالة.

القعود عن العمل وعن تحصيل الكسب الحلال، له من الأضرار والعواقب الوخيمة على الفرد والمجتمع الشيء الكثير؛ فـ"إن امتهان البطالة والاتكال على الغير في تحصيل الرزق يورث عدد من المشكلات النفسية والخلقية، ولذلك كان النبي ﷺ يتعوذ في دعائه من المعوقات التي تشل طاقة الإنسان الفعالة عن العمل فمن دعائه ﷺ «**اللهم إني**

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥١.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٣١.

(٣) مشكلة الفقر، يوسف القرضاوي، (ص١٦)، بتصرف قليل.

(٤) ينظر: الجريمة والمجتمع، سامية حسن الساعاتي، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٨٣م، (١١٢-١١٨).

أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل»[1]؛ وتعد هذه الكلمات توجيهات نبوية وكلمات رصينة، تحمل معنى خلع ثوبي الكسل والعجز المانعين من العمل، ونزع ثوبي الجبن والبخل المانعين من الدعاء بعد العمل"[2].

والبطالة تؤدي إلى نفس الآثار التي تؤدي إليها مشكلة الفقر، وفيما يلي عرض لأهم الآثار النفسية والاجتماعية التي تترتب على البطالة:

- تفيد الإحصاءات العلمية أن للبطالة آثارها السيئة على الصحة النفسية، كما لها آثارها على الصحة الجسدية، فإن نسبة كبيرة من العاطلين عن العمل يفتقدون تقدير الذات، ويشعرون بالفشل، وأنهم أقل من غيرهم، كما وجد أن نسبة منهم يسيطر عليهم الملل، وأن يقظتهم العقلية والجسمية منخفضة، وأن البطالة تعيق عملية النمو النفسي- بالنسبة للشباب الذين ما زالوا في مرحلة النمو النفسي، كما وجد أن القلق والكآبة وعدم الاستقرار يزداد بين العاطلين، بل ويمتد هذا التأثير النفسي على حالة الزوجات[3].

- إن هذه الحالات النفسية تنعكس سلبيا على العلاقة بالزوجة والأبناء، وتزايد المشاكل العائلية، وعند الأشخاص الذين يفتقدون الوازع الديني، يقدم البعض منهم على

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من فتنة المحيا والممات، (٨/ ٧٩) برقم (٦٣٦٧)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٤/ ٢٠٨٨)، برقم (٢٧٢٢).

(٢) قيمة العمل في الإسلام ودوره في التنمية المستدامة، مصطفى ياحي، الملتقى الدولي حول: مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة، ديسمبر، ٢٠١٢م، (ص٦٩).

(٣) ينظر: الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبطالة في الوطن العربي، أ. بوقرة رابح، وأ. قرين علي، سعيدي يحي، جامعة المسيلة، الجزائر، (ص٥).

شرب الخمور وتعاطي المخدرات، بل ووجد أن ٦٩٪ ممن يقدمون على الانتحار، هم من العاطلين عن العمل، ونتيجة للتوتر النفسي[١].

- زيادة نسبة الجريمة، كالقتل والاعتداء، حيث تشير الدراسات إلى وجود ارتباط بين البطالة والجريمة، فكلما زادت نسبة البطالة ارتفعت نسبة الجريمة بين هؤلاء العاطلين، بالإضافة إلى ضعف الانتماء للوطن، وكراهية المجتمع، وصولا إلى ممارسة العنف والإرهاب ضده[٢].

- إن تدهور مستوى المعيشة الذي يرافق حالة التعطل عادة ما يؤدي إلى سوء الأحوال للعاطل ومن يعولهم، ومن ثم إلى احتمال ارتفاع حالات الوفاة المبكرة[٣].

- إن البطالة تمثل إهدارًا للموارد الكبيرة التي استثمرها المجتمع في تعليم هؤلاء الشباب ورعايتهم صحيًا واجتماعيًا.

- تتسبب البطالة في نشوء الفقر والحاجة والحرمان، وما يتبع ذلك من مشكلات الفقر التي سبق بيانها من تخلف الأوضاع الصحية، وتأخر الشباب عن الزواج، وإنشاء الأسرة، أو عجزهم عن تحمل مسؤولية أسرهم[٤].

---

(١) نفس المرجع.

(٢) ينظر: البطالة ودورها في إحداث الجريمة، عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن حسن، مجلة عرين الأمن، العدد (٥)، كلية الملك فهد الأمنية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٧م، (ص٣).

(٣) الاقتصاد السياسي للبطالة، رمزي زكي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م، (ص٤١٨).

(٤) ينظر: الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبطالة في الوطن العربي، أ. بوقرة رابح، وآخرون، (ص٥).

- إن فقدان القدرة على التكسب من العوامل التي تخلق التوترات في العلاقات الأسرية، وأيضا في المكانة الاجتماعية التي تحتلها الأسرة ككل، والمكانة الاجتماعية التي يحتلها المسئول الأول في الأسرة على توفير الدخل؛ "فغالبا ما يكون الدخل الذي يحصل عليه الزوج جزءًا من الصورة التي تحملها الزوجة عن زوجها، وانعدام القدرة على التكسب نتيجة المرض أو البطالة يحجب جزءا من هذه الصورة ويهزّ ملامحها ويضعف الحب بين الزوجين، وقد أظهرت كثيرا من الدراسات أن الأزمات الاقتصادية العنيفة وبطالة الزوج تؤدي في كثير من الحالات إلى زيادة في مشكلات الأسرة"[1].

- هناك عدة ظواهر سلبية تترتب على مشكلة البطالة منها ظاهرة التسول الذي تمثل النتيجة الحتمية التي يمكن أن يصل إليها الشخص الذي يعاني من البطالة، نتيجة لصعوبة الظروف التي تمر به قهرًا وقسرًا.

- أما عن الخسائر التي يتحملها الاقتصاد الوطني فهي كثيرة ومتعددة يأتي في مقدمتها ما تمثله البطالة من إهدار في قيمة العمل البشري، حيث يخسر الوطن قيمة الناتج الذي كان من الممكن للعاطل إنتاجه في حالة عدم بطالتهم واستخدامهم لطاقاتهم الإنتاجية، ومن ناحية أخرى يلاحظ أن المدفوعات التحويلية التي تضطر الحكومات إلى منحها للعاطل إما في صورة إعانة للبطالة أو مساعدات حكومية، تؤدي إلى زيادة العجز في الموازنة العامة، وما ينجم عن ذلك من نتائج سلبية، كما أن زيادة هذه المدفوعات تؤثر سلبا في قدرة الحكومة للإنفاق على الخدمات العامة الضرورية

(١) الأسرة ومشكلاتها، محمود حسن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٦٧م، (ص ٢٢٥).

كالتعليم والصحة والمرافق العامة[1]، مما يؤثر بدروه على الحالة العامة في المجتمع الإسلامي.

ومن هنا يعلم أهمية الدور الذي قام به المنهج النبوي في علاج هاتين المشكلتين الاجتماعيتين الخطيرتين الفقر والبطالة؛ لما لهما من بالغ التأثير على الحياة العامة على الصعيد النفسي، والسلوكي، والأخلاقي، والاقتصادي، والاجتماعي، بل والسياسي، وهذا ما يبدو بصورة واضحة جلية من خلال التمعن في الآثار المذكورة آنفًا.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) الاقتصاد السياسي للبطالة، رمزي زكي، (ص٤١٨).

الفصل الثالث

منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة المسكرات والمخدرات

وفيه خمسة مباحث:

- **المبحث الأول:** الخمر والمسكرات في القرآن والسنة.
- **المبحث الثاني:** بناء الأساس العقدي النفسي عند الإنسان.
- **المبحث الثالث:** أسباب وعوامل تعاطي الخمر والمسكرات.
- **المبحث الرابع:** موقف الإسلام من الخمر والمسكرات.
- **المبحث الخامس:** الآثار الصحية، والاجتماعية، والاقتصادية، الناتجة عن تعاطي الخمر والمسكرات.

تمهيد:

لا شك أن سلامة الإنسان متوقفة على سلامة عقله بل لا يكون الإنسان إنسانا إلا إذا وصف بالعقل فبقدر ما يكون فيه عقل بقدر ما يكون فيه من إنسانية، وقد وضع القرآن الكريم الفارق المميز بين الإنسان والحيوان؛ فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

فالإنسان بعقله يعرف الخير من الشر والنافع من الضار والهدى من الضلال، وبالعقل رفع الله شأن الإنسان وفضله وكرمه على كثير من خلقه، "فالعقل مناط التكليف وبدونه لا تكليف على الإنسان، فلا تكليف على المجنون ولا على النائم ولا على الناسي لعدم وجود العقل الذي يعي الخطاب ويفهمه، ولأن غياب العقل في هذه الحالة خارج عن قدرة المكلف فعفت عنه الشريعة، في حين أن السكران لما كان يعتدي على نعمة العقل ويضيع الفرض بسكره فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن السكران المعتدي بسكره مكلف مأثوم"[2]؛ وقد دل على ذلك المنهج النبوي، ففيما روته عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل، أو يفيق**»[3]، فإن ذلك يدُلُ على قضية العقل، وكونه محل التكليف، حيث رفع القلم عن النائم والصغير والمجنون.

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٢.

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه، ابن بهادر الزركشي، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، (٢/ ٦٢) وما بعدها.

(٣) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب: الطلاق، باب: طلاق المعتوه والصغير والنائم، (١/ ٦٥٨)، برقم (٢٠٤١)، والحديث صححه الألباني.

وفي سبيل حفظ المنهج النبوي لهذه النعمة الجليلة التي خص الله بها الإنسان، حرم الله عليه أن يستجيب لداعي شهوته الفاسدة، فيتناول ما يفسد عليه تلك النعمة، أو يضعفها، فيحرم من آثارها الطيبة وينزل عن المكانة السامية التي وضعه الله فيها.

ولقد أوجبت الشريعة في مقاصدها الكلية، وضرورياتها العضمى، ضرورة "حفظ عقول الناس من أن يدخل عليها خلل، لأن دخول الخلل مؤد إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف، فدخول الخلل على عقل الفرد مفض إلى فساد جزئي، ودخوله على عقل الجماعات وعموم الأمة أعظم، ولذلك يجب منع الشخص من السكر، ومنع الأمة من تفشي المسكرات بين أفرادها"[1].

فالخمر وكل مسكر من أخطر ما يعترض لسلامة عقل الإنسان، ويترتب على شربه العديد من المشكلات الاجتماعية، والصحية، والاقتصادية، ولما كان تحريم الخمر ووضعها ضمن القواعد الكلية للمصالح الشرعية وسيلة من وسائل المنهج النبوي في علاج هذه المشكلة، كان من المناسب أن نعرض لتفاصيل هذه المعالجة الرشيدة وذلك في المباحث التالية:

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٢ م، (ص٨٩).

المبحث الأول

الخمر والمسكرات في القرآن والسنة

جاء هذا المبحث في مقدمة هذا الفصل لبيان ما ورد بشأن الخمر والمسكر في القرآن الكريم، والسنة النبوية، لكونه من أخطر المشكلات الاجتماعية التي تهدد حياة المجتمع وأمنه واستقراره، فجاء ذكر هذا الخطر الفتاك في القرآن ضمن سلسلة التوجيهات الربانية العلاجية عن طريق التدرج في علاج بعض المشكلات الاجتماعية المتغلغلة في نفوس العرب والمجتمعات الجاهلية، والتي منها هذه المشكلة موضع البحث.

وقبل الشروع في موضوع هذا المبحث يستحسن التعريف بمعنى الخمر، في اللغة والاصطلاح:

فالخمر لغة هي: مأخوذ من الفِعل (خمر) الذي يدلُّ على التغطية، والمخالطة في ستر[1].

وفي الاصطلاح الشرعي: قال ابن قدامه -رحمه الله-: "كل مسكر حرام قليله وكثيرة، وهو خمر، حكمه حكم عصير العنب في تحريمه، ووجوب الحد على شاربه"[2].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (٢/ ١٧٤)، ولسان العرب لابن منظور، مادة: خمر، (٥/ ٣٣٩).

(٢) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، (٨/ ١١).

أولا: الخمر والمسكرات في القرآن الكريم.

إذا ما عُلِم أن مقاصد الشريعة الإسلامية قد جاءت لحفظ ما يسمى بالضرورات، أو الكليات الخمس وهي: (حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)، وأن الخمر وما يلحق بها من مسكرات ومخدرات تؤثر على تلك الضرورات أو الكليات الخمس في آن واحد؛ وذلك لأن الإنسان إذا خرج عن طوره وسمته، فاقداً لعقله، هدم بقية الكليات.

ولأن آفة الخمر والمسكرات تذهب العقل -مناط التكليف- لذلك فقد جاء الحلُّ الرباني لهذه المشكلة حلاً حاسمًا ومرسوما بخطة زمنية تدريجية للقضاء عليها واجتثاثها من الجذور.

فتحريم الخمر في القرآن الكريم جاء على أربعة مراحل[1] نذكرها على النحو التالي:

المرحلة الأول: الإشارة إلى حرمة الخمر، وفرق بينه وبين الرزق الحسن، ويتضح ذلك من قوله ﷻ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

فقد قيل إن "السكر: ما حرم من شرابه، والرزق الحسن: ما أحل من ثمرته"[3].

---

(١) قال القفال -رحمه الله-: الحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن القوم كانوا ألفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم به كثيرا، فعلم أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم، فاستعمل في التحريم هذا التدريج والرفق. ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (٦/ ٣٩٦).

(٢) سورة النحل الآية: ٦٧.

(٣) جامع البيان، تفسير الطبري، (١٤/ ٢٧٥).

وقيل: السكر حرامه، والرزق الحسن حلاله؛ يعني: ما يبس منهما من تمر وزبيب، وما عمل منهما من طلاء[1] -وهو الدبس[2]- وخل ونبيذ، حلال يشرب قبل أن يشتد، كما وردت السنة بذلك[3].

قال ابن القيم -رحمه الله-: ويدخل في الخمر كل مسكر مائعا كان أو جامدا، عصيرًا أو مطبوخا، واللقمة الملعونة لقمة الفسق والفجور التي تحرك القلب الساكن إلى أخبث الأماكن[4].

المرحلة الثانية: الإشارة إلى ضرر الخمر، في قوله ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[5].

أي: يسألك -يا أيها الرسول- المؤمنون عن أحكام الخمر والميسر، وقد كانا مستعْمَلَين في الجاهلية وأول الإسلام، فكأنه وقع فيهما إشكال، فلهذا سألوا عن حكمهما، فأمر الله -عز وجل- نبيه أن يبين لهم منافعهما ومضارهما ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما وتحتيم تركهما[6].

المرحلة الثالثة: رَبطُ الصحو والسكر بأوقات الصلاة، فجاء الأمر بعدم إقامة الصلاة إلا والشخص في حالة صحو وإدراك، مما يصرف المسلم عن تناول الخمر في معظم

---

(١) الطلاء: الشراب المطبوخ من عصير العنب.

(٢) الدبس: فهو عسل التمر وعصارته.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، (٤/ ٥٨١).

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، (٥/ ٦٦٠).

(٥) سورة البقرة الآية: ٢١٩.

(٦) ينظر: تفسير السعدي، (ص ٩٨).

أوقات اليوم، وذلك في قوله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾[1]؛ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى: ﴿ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾، فدعي عمر بن الخطاب ﷺ فقرئت عليه فقال: «**اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا**».

فهذه الآية وما قبلها من آيات نزلت قبل آية تحريم الخمر، فإلى ذلك الوقت لم يكن قد نزل تحريم الخمر والميسر، إنما أراد الله أن يأخذ بيد هذه الجماعة الناشئة خطوة خطوة في الطريق الذي أراده لها، فهذه النصوص المتتالية تبين أن الأشياء والأعمال قد لا تكون شرا خالصا، فالخير قد يتلبس بالشر، والشر قد يتلبس بالخير في هذه الأرض، ولكن مدار الحل والحرمة هو غلبة الخير أو غلبة الشر، فإذا كان الإثم في الخمر والميسر أكبر من النفع، فتلك علة تحريم ومنع، وإن لم يصرح هنا بالتحريم والمنع[2].

المرحلة الرابعة: وفي هذه المرحلة عمل الشارع ﷻ على اجتثاث وإنهاء المشكلة قطعيا بالتحريم الأبدي، وذلك في قوله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة النساء الآية: ٤٣.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (١/ ٢٢٩)، بتصرف.

(٣) سورة المائدة الآيات: ٩٠ ، ٩١.

فَدُعِيَ عمرَ ﷺ فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، علم عمر أن هذا وعيد شديد زائد على معنى انتهوا فقال: «**انتهينا انتهينا**»[1]؛ وأمر النبي ﷺ مناديه أن ينادي في سكك المدينة، ألا إن الخمر قد حرمت، فكسرت الدنان، وأريقت الخمر حتى جرت في سكك المدينة[2].

وهذا المنهج هو منهج التدرج في التحريم مراعاة لطبيعة النفس الإنسانية، التي يصعب عليها الانقطاع عما اعتادته مرة واحدة، وقد يؤدي بها ذلك إلى رفض المنهج الذي يحمل الإلزام بالقطعية الجبرية دفعة واحدة، وإلى الوقوف في وجهه ومعاداته لأنه يتنافر مع شيء في داخلها لا تستطيع العدول عنه دفعة واحدة.

وقبل الانتقال إلى بيان حقيقة الخمر وحكمه في المنهج النبوي، نورد ما قيل في بصدد الآيات القرآنية المذكورة آنفا، فـ"المتأمل في الآيات الكريمة التي نزلت في تحريم الخمر يرى أنها أشارت في إيجاز محكم إلى المفاسد الرئيسية للخمر، فآية النساء التي منعت من اقتراب الصلاة في حالة السكر بينت علة المنع، وهي ألا يعلم المصلي ما يقول، وفي هذا إشارة إلى أن الخمر تخرج الإنسان عن وعيه، وتفقده إدراكه، حتى يبلغ مرتبة الهذيان، وفي ذلك امتهان للعقل الذي كرم الله به الإنسان وفضله على سائر المخلوقات، فالخمر مفسدة للفرد في عقله وآدميته، كما أوضحت آية المائدة التي جاء فيها التحريم النهائي للخمر

---

(١) أخرجه النسائي في "سننه"، كتاب: الأشربة، باب: تحريم الخمر، (٨/ ٢٨٦)، برقم (٥٥٤٠) وصححه الألباني كما في حاشيته؛ وعقب عليه شعيب الأرنؤوط كما في تعليقه على المسند (١/ ٤٤٣)، برقم (٤٤٣)، وقال: "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غيرَ خلف بن الوليد، وهو ثقة، وثَّقه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم".

(٢) ينظر: تفسير القرطبي، (٦/ ٢٩٢).

سبب هذا التحريم، وهو أن الخمر والميسر- رجس من عمل الشيطان، توقع العداوة والبغضاء بين المسلمين، وتصرفهم عن ذكر الله وعن الصلاة، أي أنها مفسدة خلقية، واجتماعية، ودينية، وأقل ما تحدثه الخمر بالإنسان هو أنها تشيع في نفسه روح الاستهتار وعدم المبالاة بالقيم، وأنها تبعد شاربها عن دينه وإيمانه"[1].

ثانيا: الخمر والمسكرات في السنة النبوية.

سوف يحاول الباحث فيما يلي الوقوف على حقيقة وأحكام الخمر والمسكرات من خلال السنة النبوية:

أ- جاءت بعض الأحاديث النبوية الصحيحة لتؤكد تحريم الخمر الذي جاء به القرآن الكريم، وتبين أن كل مسكر خمر يحظر تناوله، وأن من تناول الخمر في الدنيا لا يذوق طعمها في الآخرة عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام**»[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها، حرمها في الآخرة**»[3].

---

(١) المسكرات والمخدرات، أحمد حاج علي الأزرق، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الرابعة عشر - العدد الرابع والخمسون، (ص: ٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام (٣/ ١٥٨٧) برقم (٢٠٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأشربة، باب: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، (٧/ ١٣٥)، رقم (٥٥٧٥).

ب- جاء في بعض الأحاديث النبوية بيان الأنواع التي تصنع منها الخمر على ما كان معروفا في بلاد العرب، فعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من الحنطة خمرا، ومن الشعير خمرا، ومن التمر خمرا، ومن الزبيب خمرا، ومن العسل خمرا**» وزاد الحاكم: (وأنا أنهاكم عن كل مسكر)[1].

ومن ذلك ما جاء عن جابر، أن رجلا قدم من جيشان، وجيشان من اليمن، فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة، يقال له: المزر، فقال النبي ﷺ: «**أو مسكر هو؟** » قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «**كل مسكر حرام، إن على الله عز وجل عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**» قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**عرق أهل النار**» أو «**عصارة أهل النار**»[2].

فالحديث يدل على أن المسكرات كلها محرمة وأنها داخلة في معنى الخمر الذي جاء به القرآن الكريم، وفي الحديث أيضا بيان لجزاء الذي يشرب الخمر في الدنيا وهو أنه يشرب في الآخرة من طينة الخبال، التي هي عصارة أهل النار المتجمعة من صديدهم وقيحهم.

---

(١) أخرجه الترمذي في "سننه"، (٤/ ٢٩٧)، برقم (١٨٧٢)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، (٤/ ١٦٤)، برقم (٧٢٣٩) وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام (٣/ ١٥٨٧)، برقم (٥٣٣٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله ﷺ عن البتع -وهو نبيذ العسل- وكان أهل اليمن يشربونه، فقال رسول الله ﷺ: «**كل شراب أسكر فهو حرام**»(١).

ج- بينت السنة أن الخمر ليست بدواء كما كان يظن بعض الناس وإنما هي داء، وأن الله عز وجل لم يجعل شفاء الناس في شيء حرمه عليهم فمن ذلك ما ورد في صحيح مسلم أن طارق بن سويد الجعفي، سأل النبي ﷺ عن الخمر، فنهاه -أو كره- أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «**إنه ليس بدواء، ولكنه داء**»(٢).

ومثله ما جاء في (صحيح) ابن حبان من حديث أم سلمه رضي الله عنها قالت: اشتكت ابنة لي، فنبذت لها في كوز، فدخل النبي ﷺ، وهو يغلي، فقال «**ما هذا؟**» فقلت: إن ابنتي اشتكت فنبذنا لها هذا، فقال ﷺ: «**إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام**»(٣).

ومن خلال ما سبق، يتبين لنا أمران مهمان:

أولهما: إن السنة النبوية فصلت الأحكام الضرورية المتعلقة بالخمر وهي أنها (أي الخمر) ثابتة في كل مسكر، فكل مسكر خمر وكل خمر حرام، وأن الخمر لا يجوز التداوي بها لأنها داء يضر أكثر ما ينفع، مع تأكيد السنة على الجزاء الوبيل الذي ينتظر شاربها في الآخرة

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأشربة، باب: الخمر من العسل، وهو البتع، برقم (٥٥٧٥).

(٢) أخرجه مسلم، في "صحيحه" كتاب: الأشربة، باب: تحريم التداوي بالخمر، (٣/ ١٥٧٣)، برقم (١٩٨٤).

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه"، (٤/ ٢٣٣)، برقم (١٣٩١)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، (٣/ ٧٤).

وهو عدم شرب الخمر التي أعدها الله للمتقين كما جاء في آية سورة محمد، وزيادة على ذلك أن شارب الخمر في الدنيا يشرب من طينة الخبال في الآخرة.

ثانيهما: إن الأحاديث النبوية قد فصلت في معنى الخمر الذي جاء به القرآن الكريم، وبيَّنت أنه ثابت ومتحقق في كل مسكر من المسكرات وتضافرت الأحاديث على ذلك.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

بناء الأساس العقدي النفسي عند الإنسان

يعتبر الأساس العقدي، هو الأصل في الإصلاح والصلاح، فإذا ما ترسخت العقيدة في النفوس أصبحت مستعدة لتلقى التوجيهات الربانية أمرًا أو نهيًا، وسارع إلى تنفيذها دون ضجر أو حرج، ولذلك نجد المنهج النبوي يربط بين شرب المسلم للخمر وأثر ذلك على عقيدته، ولقد شبه النبي ﷺ المدمن على الخمر الذي لم يتب بعابد الأصنام فقال: «**مُدمِنُ الخمرِ كعابدِ وثَن**»[1].

فالعقيدة الإسلامية هي التي تحكم علاقة المسلم بربه -تبارك وتعالى- وهي التي تبنى عليها علاقته بمن حوله في المجتمع، ومن هنا فإن الاهتمام بالأساس العقدي في القلوب هو أول ما قام به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولاشك أن "طبيعة الدين الإسلامي هي التي قضت بهذا، فإنه لما كان نظامه يتناول الحياة كلها ويتولى شؤون البشرية كبيرها وصغيرها وينظم حياة الإنسان لا في هذه الحياة الدنيا وحدها، ولكن كذلك في الدار الآخرة، ولا في عالم الشهادة وحده ولكن كذلك في عالم الغيب المكنون عنها، ولا في المعاملات الظاهرة المادية ولكن في أعماق الضمير ودنيا السرائر والنوايا، فهو مؤسسة ضخمة هائلة شاسعة مترامية، كان لا بد له إذن من جذور وأعماق بهذه السعة والضخامة والعمق والانتشار أيضا"[2].

---

(١) خرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب: الأشربة، باب: مدمن الخمر، (٢/ ١١٢٠)، برقم (٣٣٧٥) وحسنه الألباني كما في الحاشية. وينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (٢/ ١٠٢٠)، برقم (٥٨٥٨).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢/ ١٠٠٩).

ولذلك يصبح بناء الأساس العقدي وشموله واستغراقه لشعاب النفس كلها وفق ضرورة من ضرورات النشأة الصحيحة، وضمانا من ضمانات الاحتمال والتناسق بين الظاهر والباطن، فمتى استقرت عقيدة: «لا إله إلا الله» في أعماق النفس الغائرة البعيدة استسلمت هذه النفوس لهذه التشريعات، حتى قبل أن تعرض عليها تفصيلاتها، لأن الاستسلام هو مقتضى الإيمان، وبمثل هذا الاستسلام تلقت النفوس تنظيمات الإسلام وتشريعاته بالرضى والقبول، لا تعترض على شيء منه فور صدوره إليها، ولا تتلكأ في تنفيذه بمجرد تلقيها له.

فالإنسان إذا اعتقد بكمال رحمة الله، وحكمته فيما خلق وقدَّر، وفيما أمر ونهى رضي بكل تعاليمه وأحكامه -جلا وعلا-، وتقبلها بقبول حسن، وسارع إلى تنفيذها دون تردد، ودون تحايل على الشرع أو هرباً منه، لأنه يدرك تماماً أن الله حكيم خبير، رحمن رحيم، وأنه أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأن رحمته سبقت غضبه، وأن دينه هو الدين الذي قال فيه: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾[1]، وأن أحكامه: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾[2]، وفيها: ﴿ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

(١) سورة البقرة الآية: ١٣٨.

(٢) سورة النمل الآية: ٨٨.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٨٢.

فإذا اعتقد الإنسان بكل ذلك، سارع إلى مرضاة الله بكل قناعة ورضا، وأقبل على ربه بكل وجدانه وجوارحه، تماما كما جاء في وصف المؤمنين، بقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1].

وبذلك يكتمل إيمانه ويستسلم لدينه، امتثالًا لقوله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2]،[3].

وعلى هذا الأساس العقدي، والتشريع الرباني، فقد نولت الأحكام الشرعية؛ "وهكذا أُبطِلْت الخمر، وأُبطِل الربا، وأُبطِل الميسر، وأُبطِلْت العادات الجاهلية كلها، أُبطِلْت بآيات من القرآن، أو كلمات من رسول الله ﷺ، بينما الحكومات الأرضية تجهد في شيء من هذا كله بقوانينها وتشريعاتها، ونظمها، وأوضاعها، وجندها وسلطانها، ودعايتها وإعلامها، فلا تبلغ إلا أن تضبط الظاهر من المخالفات ولو مع القدرة على المخالفة"[4].

وقد تكررت العديد من الأمثلة التي تبين أثر بناء الأساس العقدي النفسي- في تحقيق الأمر الإلهي، وإيجاد التناسق بين الباطن المبني على الإيمان بالأمر والنهي والظاهر المؤسس على الاستسلام لمقتضاهما.

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٦.

(٢) سورة النساء الآية: ٦٥.

(٣) ينظر: سبيل الدعوة الإسلامية للوقاية من المسكرات والمخدرات، جمعة علي الخولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: (السنة السابعة عشر - العدد الرابع والخمسون)، ربيع الثاني - جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ. (ص ٩٤).

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢/ ١٠٠٩).

ولنذكر هنا مثالا يوضح به الغرض: فعندما نزل قوله ﷻ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1]؛ سارعت المؤمنات لتنفيذ أمر الله تعالى دون تلكؤ ولا تلجلج، مع ما في المرأة من شغف بحب الزينة، والانشغال بها، والتفنن في الظهور بالمظهر الجميل، ولكن الإيمان بالله وبحسن ما يأمر به، وقبح ما ينهى عنه، جعل نساء المؤمنين يسارعن إلى تحقيق مراد الله تعالى، وتنفيذ أمره، إيمانا بأن لا خير في فعل شيء ينهى عنه، أو في مخالفة أمر يأمر به.

فعن صفية بنت شيبة[2] قالت: "بينا نحن عند عائشة، قالت: فذكرنا نساء قريش وفضلهن؛ فقالت عائشة، ﵂: إن لنساء قريش لفضلا وإني -والله- وما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا بكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، انقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابة، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به، تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ الصبح معتجرات، كأن على رؤوسهن الغربان"[3].

---

(١) سورة النور الآية: ٣١.

(٢) هي: صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدرية، لها رؤية وحدثت عن عائشة وغيرها من الصحابة، وفي البخاري التصريح بسماعها من النبي ﷺ، أخرج لها الجماعة. ينظر: ترجمتها في أسد الغابة، (٧/ ١٧٠)، برقم (٧٠٦٦)، والإصابة، (٨/ ٢١٣)، برقم (١١٤١٠)، والتقريب، (٢/ ٦٠٣).

(٣) عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم، تفسير ابن كثير، (٦/ ٤٦)، وله أصل في صحيح البخاري كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، (٦/ ١٠٩) برقم (٤٧٥٩) ولفظه: عن صفية بنت شيبة: أن عائشة ﵂ كانت تقول لما نزلت هذه: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ "أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها".

إن صلابة الأساس العقدي الإيماني في نفوس هذه الصفوة جعلهن يعجلن بتنفيذ الأمر، ولو كان بوجه يخالف الأوضاع الجمالية عندهن، أو يتعارض مع هوى الزينة والتأنق الذي تراعيه المرأة نصب عينها، وفي دائرة اهتمامها، فلم تنتظر الواحدة منهن أن تشتري خمارا جميل الصنع، أو تحوك واحدا بديع النسج، وإنما الذي كان يشغلها هو تنفيذ الأمر كيفما اتفق، حتى لو كان ذلك مخالفا لدواعي الزينة، ولذلك عمدت إلى مرطها وشقته واختمرت به، وهمها الأول هو طاعة الله ورسوله، حتى لو ظهرت في هيئة غير مقبولة (كالغربان) كما تقول الرواية.

ولقد جاء الهدي النبوي مرسخًا للأساس العقدي السليم، إذ رسخ النبي ﷺ في قلوب أصحابه معنى الاعتقاد السليم وأثره على أعمالهم، بل على ذروة سنامها وهو الجهاد في سبيل الله تعالى، فلما سئل النبي ﷺ عن صورٍ وأشكالٍ للمجاهدين باعتبار أهدافهم وأغراضهم، حيث أراد ﷺ أن يرسخ هذا المعنى في قلوب أصحابه؛ فعن أبي موسى، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»(١).

فمن خلال الهدي النبوي السابق نلاحظ أن النبي ﷺ قد أعرض عن كل أشكال الجهاد المذكورة؛ فلم يبد جوابًا ولا تعليقًا عليها، بل وضع الضابط الشرعي، ورسخ الأساس العقدي في قلوب أصحابه ﷺ بقوله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فهو في سبيل الله**».

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الجهاد والسير، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (٤/ ٢٠)، برقم (٢٨١٠)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: الإمارة، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، (٣/ ١٥١٣)، برقم (١٩٠٤).

وهنا قد عالج النبي ﷺ مشكلة قلبية لدى المدعويين وهي مشكلة حب الرياء والسمعة من خلال هذا الأساس العقدي السليم الذي بناه النبي ﷺ ورسخه في قلوبهم أشد ترسيخ.

ولا شك أن كل مشكلة اجتماعية ظاهرة إنما أصلها وأساسها راجع إلى القلوب وما تعانيه من أمراض وأدران، فإذا ما عولجت هذه القلوب المريضة سهل بعد ذلك معالجة تلك المشكلات.

وبهذا يتضح أن تعميق الأساس العقدي في النفوس سببا قويا في علاج المشكلات الاجتماعية، ولا سيما المتغلغلة منها في النفوس دون وجود معارضة ظاهرة لمقتضى تفاصيل نظامها وتشريعاته المختلفة، لأن العقيدة الصحيحة لا تدع فرصة لدواعي الهوى، أو لوساوس الشيطان ليعطل ازدهارها، ودورها الإيجابي في النفوس، وحتى لو وجد مثل ذلك في النفس مكانا لها، فإن هذا المكان لا يعدو أن يكون فراغا ضئيلا في حجم الثغرة سرعان ما تملؤه اليقظة وتنقيه الإنابة، لينتفض الإيمان في نفس صاحبه مرة أخرى فيدعوه للتوبة والعزم على التوفيق بين الظاهر والباطن، وقد رأينا أثر هذا الأساس العقدي النفسي على المؤمنين في الانتهاء عن عادة شرب الخمر، التي كانت قد ترسخت في نفوسهم، وارتبطت ارتباطا وثيقا بحياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وكيف أن مجرد ورود الأمر كان سببا كافيا في العزوف عنها وهجرها وإلقائها في طرقات المدينة؛ وهكذا يفعل بناء الأساس العقدي بأهله.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

أسباب وعوامل تعاطي الخمر والمسكرات

تعد معرفة الأسباب مفتاح الحل والعلاج لأي مشكلة تواجه المجتمع، مهما كان نوعها، وشدة خطرها، فالحل مشروط بفقه هذه المشكلة في تركيبها الواقعي، وتشكيلها الاجتماعي؛ لذا فإن المنهج النبوي لا يغفل هذا الجانب عند إيجاد الحلول السليمة والواقعية للمشكلات الاجتماعية.

أما عن الأسباب والعوامل الداعية لتعاطي الخمر والمسكرات، فهي متعدد، فقد يرجع بعضها لعوامل نفسية، أو شخصية أو اجتماعية، أو يرجع إلى التربية الخطأ التي لا تزود الأبناء بالإيمان اللازم لتحدي إغراءات النفس وتزيينات الشيطان.

وهذه العوامل -في نظر الباحث- ترجع إلى ثلاثة أسباب رئيسة، هي:

الأول: ضعف الوازع الديني لدى الفرد المتعاطي: ويعتبر هذا السبب أهم وأعظم الأسباب التي تدعوا للتفكير في أمر المسكرات ومن ثم الحصول عليها وتعاطيها.

ولذا جاء المنهج النبوي في مقدمة معالجته لهذه المشكلة بالتركيز على ترسيخ الجانب الإيماني لدى الفرد؛ فحذر من انتهاك حرمات الله وارتكاب الكبائر منذرا فاعلها بانسلاخه عن وصف المدح الذي يسمي به الله أولياءه المؤمنون فيقول ﷺ: «**ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المظالم، باب: النهبى بغير إذن صاحبه، (٣/ ١٤٦)، برقم (٢٤٧٥)، ومسلم واللفظ له، كتاب: الإيمان، باب: نقصان الإيمان بالمعاصي، (١/ ٧٦)، برقم (٥٧).

فالإيمان هو الأساس والأصل في التربية الإسلامية، وسائر الأمور إنما هي فروع وثمرات لهذا الأصل العظيم، فالسلوك والعلم الشرعي والجهاد والدعوة والكف عن الحرمات إنما هو ثمرة ونتيجة من نتائج تحقق الإيمان.

إذًا فالإيمان هو الأساس والأصل، وهو الزاد للمرء في مواجهة الشهوات التي تعصف بالفرد، وقوة الإيمان هي العلاج الأنجع لكثير من المشكلات التي يشتكي منها الأفراد والمجتمعات على جميع الأصعدة، والاعتناء بتقوية الإيمان والتقوى في النفوس وقاية لهذه الأمراض قبل وقوعها.

فمن آثار ضعف الوازع الديني، العمل على الهروب من الواقع بسبب العجز عن حل المشاكل التي تواجه الإنسان ونسيانه، فيرى الإنسان الحل في كأس الخمر، لأن الكحول يزيل تأثير مراكز المخ العليا المسئولة عن تشذيب السلوك والسيطرة على الانفعالات، فيشعر الإنسان بالراحة للواقع الذي يعيشه، وتظهر الانفعالات بلا ضابط في صورة سلوك لا يليق أو ألفاظ بذيئة.

ويذكر ابن القيم -رحمه الله- في العقوبات التي رتبها الله ﷻ على الذنوب، أنه تعالى "رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره، فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب، والأماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه، وإنما يواريه عنه سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة، وإن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر"[1].

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، دار المعرفة، المغرب، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، (ص ١٢٠).

ثانيا: مجالسة أو مصاحبة رفاق السوء:

تكاد تجمع جميع الدراسات النفسية والاجتماعية التي أجريت على أسباب تعاطي المخدرات وبصفة خاصة بالنسبة للمتعاطي لأول مرة، على أن عامل الفضول وإلحاح الأصدقاء أهم حافز على التجربة كأسلوب من أساليب المشاركة الوجدانية مع هؤلاء الأصدقاء.

ولذا حذر النبي ﷺ من مخالطة من لا تحمد مخالطتهم من الرّفقاء والأصحاب؛ وقاية لحدوث مشكلة تعاطي الخمور والمسكرات، فإنّ الصاحب مؤثِّر في صاحبه ولابد، فالرفيق الصالح يؤثر في رفيقه صلاحاً، والرفيق الفاسد يؤثر في رفيقه فساداً، ففي هذا الجانب قال ﷺ: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة**»[1].

والمتأمل في هذا الحديث يجد في قوله (إمّا، وإمّا) تنبيهاً منه -عليه الصلاة والسلام- إلى أن الجليس مؤثّر في جليسه ولابد.

وفي سياق آخر يوضح لنا الهدي النبوي مدى الاتساق بيت الإنسان وصاحبه، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من**

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الذبائح والصيد، باب: السمك، (٦/ ٢٨٧)، برقم (٥٥٣٤)، ومسلم، في كتاب: البر والصلة، باب: استحباب: مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، (٤/ ٢٠٢٦)، برقم (٢٦٢٨). من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

يُخَالِل»[1]؛ أي: أنّ خليله مؤثّر فيه ولا بد؛ فمن صحب الأخيار ساقوه إلى دروب الخير، ومن صحب الفسّاق جرَّوه إلى الفسوق.

ومن أسباب الوقوع في رفقة السوء، الجهل وانخفاض مستوى التعليم: فلا شك في أن الأشخاص الذين لم ينالوا قسطاً وافراً من التعليم لا يدركون الأضرار الناتجة عن تعاطي المخدرات والمسكرات، ولا يميزون بين مجالسة من هو صالحا أو طالحا، فينساقون وراء جلساء السوء من شياطين الإنس، ومن المروجين والمهربين للحصول على هذه السموم، وإن كان ذلك لا ينفي وجود بعض المتعلمين الذين وقعوا فريسة لهذه السموم.

ثالثا: أسباب اجتماعية وتربوية:

قد يكون وراء اللجوء للخمر أسباب اجتماعية ممثلة في أوضاع معيشية صعبة أو في بنية أسرية مفككة، فالتفكك الأسري قد يكون سببا كافيا لانحراف الأبناء عموما وتناولهم لهذه المحظروات خصوصا، فحين يكون كل من الأب والأم في عالمه الخاص، وحين تكثر المشاكل بينهما يوميا أو بشكل شبه يومي، يضعف الاهتمام بالأبناء وتتهاوى قبضة الرقابة، فيؤدي الإهمال وانعدام الرقابة وغياب التقويم والمساءلة إلى أمرين خطيرين.

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، برقم (٤٨٣٣)، ورواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٢/ ٣٠٣)، والترمذي: كتاب: الزهد، باب: الرجل على دين خليله)، وقال: حسن غريب، برقم (٢٣٧٨)، والحاكم (٤/ ١٨٨)، وقال: صحيح ووافقه الذهبي، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، (٣٥٤٥).

الأمر الأول: اللامبالاة الناشئة عن عدم الشعور بالمسؤولية أمام الأبوين فيكون الأبن في هذه الحالة مهيئا كل التهيؤ لتقبل الوساوس الشيطانية والأفكار الإنسانية التي يأتيه من الخارج.

والأمر الثاني: هو الخلل الوجداني، والاحتياج الناشئ عن تقصير الأبوين في غمرة انشغالهما بمشكلاتهما، وهنا يلجأ الأبن لتعويض ذلك بإشباعات من الخارج.

وقد تكون المشكلات الزوجية سببا في ميل الزوجين أنفسهما لشرب الخمر والمسكرات، لا سيما إن وصل الأمر للطلاق فأصبح بمثابة صدمة نفسية تثير القلق والاضطراب في نفوس أحد الزوجين أو كليهما، "ولقد أكدت الدراسات على أن حوالي ٥٠٪ من حالات مدمني الخمور الذين يقدمون على العلاج، هم من الرجال أو السيدات المطلقين أو المطلقات أو ممن انفصلوا عن بعضهم البعض في حياتهم الزوجية، وغالبا ما يقدم هؤلاء على تعاطي الخمر كنتيجة مباشرة لعملية الطلاق أو الانفصال"[١].

و"قد تكون نوعية الوظيفة أو العمل سببا في الإقبال على شرب المسكرات، فغالبا ما يزداد تناول المشروبات الكحولية لدى أناس يعملون في أماكن معينة أو يشغلون وظائف محددة، فعلى سبيل المثال ينتشر تعاطي الكحول بين صانعي البيرة أو الخمور، أو بين الجرسونات في الفنادق كما ينتشر تناول الكحوليات بين رجال الأعمال والحرفيين"[٢].

"وقد يأتي التأثير من ناحية وسائل الأعلام من خلال الأعمال والإعلانات وأنماط الموسيقي التي تحيي في النفوس ميلا نحو تناول الخمور والمسكرات"[٣]، كسرا

---

(١) إدمان الكحول والمشروبات الكحولية، محمود محمد عبد الرحمن، إيمان مصطفى سامي، (ص٥٠).

(٢) نفس المرجع، (ص٥٠).

(٣) المرجع السابق، (ص٥٣).

للتقاليد وتمردا على الواقع، وإلى جانب ذلك نجد بعض الكتاب يشجعون على ذلك في كتاباتهم ولو بطريق غير مباشر، فصورة البطل الذي يشرب الخمر وينال إعجاب أفراد المجتمع، قد ترسم لدى القارئ علاقة وثيقة بين تناول المسكر وتحقيق البطولة، وإن كان هذا التأثير من ناحية الكتاب أقل منه من ناحية وسائل الإعلام المرئية، والتي تحظى بقدر كبير من المتابعة والمشاهدة على عكس وسائل الإعلام المقروءة، مما يتحتم معه تعزيز الرقابة الجادة على هذه الأعمال ومنع سائر مظاهر الانحراف ما يتعلق بتناول الخمر منها أو بغيرها.

وهناك عدد كبيرا من الأسباب المؤدية لتعاطي الخمر والمسكرات، اكتفى الباحث بما أشار إليه منها، مبينا أن الغرض من معرفتها هو إيجاد الحل والعلاج المناسب لها، وهذا منظور المنهج النبوي في علاجه للمشكلات الاجتماعية، على وجه الخصوص منها، أو على وجه العموم.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

موقف الإسلام من الخمر والمسكرات

لم يكتف المنهج الرباني في علاجه لمشكلة الخمر والمسكرات بتحريمها، والتنفير منها وبيان الأضرار الناجمة عنها، إنما جاء موقف الإسلام صريحا واضحا صارما من الخمر والمسكرات، وكل ما يعين على شربها، فوقف منها موقف الشدة والقوة، وذلك بفرض العقوبة الرادعة والزاجرة في الدنيا، والعقوبة المخزية في الآخرة.

لذا فقد تمثل موقف الإسلام من شرب الخمر والمسكرات في ثلاثة جوانب: -

الجانب الأول: التحريم وقد تدرجا على أربعة مراحل حتى الوصول إلى التحريم الأبدي وجعل الخمر من كبائر الذنوب.

الجانب الثاني: التنفير من الخمر ووصفها بالقبح، وبأنها رجس من عمل الشيطان، وأنها مثارا للعداوة والبغضاء، ولعن عشرة ممن لهم صلة بالخمر.

الجانب الثالث: رتب على من شرب الخمر وجوب العقوبة في الدنيا، والعقوبة لمن مات مصرا على شربها في الآخرة.

أولا: التدرج في تحريم الخمر: فقد تدرج أمر التحريم على أربعة مراحل، وذلك مراعاة للأحوال والظروف النفسية والاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع آنذاك؛ وتقدم ذكر هذه المراحل مفصلة في المبحث الأول من هذا الفصل.

وجاءت أحاديث نبوية عدة تؤكد هذا التحريم القاطع؛ منها نهيُه ﷺ عن التداوي بالخمر لما سئل عن استعمالها في الدواء، فقال ﷺ: «**إنه ليس بدواء ولكنه داء**»[1]،وقوله ﷺ: «**إنَّ الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**»[2].

ثانيا: التنفير من الخمر ووصفها بالقبح: وبأنها رجس من عمل الشيطان، وأنها مثارا للعداوة والبغضاء، وإطلاق لفظ الرجس عليها، وهو: لفظ يحمل دلالات متعددة، منها مادية ومنها معنوية، وفي اللغة: المستقذر حسا أو معنى[3]، وفي الشرع هو: الشيء المحرم؛ وهذا الوصف يشعر العاقل بأن الخمر شيء قبيح فيجب عليه تركه والابتعاد عنه.

ثالثا: رتب على من شرب الخمر وجوب العقوبة: في الدنيا، والعقوبة لمن مات مصرا على شربها في الآخرة.

١ - وجوب العقوبة في الدنيا:

أ) الجلد والإهانة في الدنيا: فقد جعل لشرب الخمر عقوبة تعزيرية في الدنيا، كانت في عهد النبي ﷺ جلدا وإهانة، وحدّها أبو بكر بأربعين جلدة، فعن عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الأشربة، باب: تحريم التداوى بالخمر، (٣/ ١٥٧٣)، برقم (١٩٨٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه، برقم (١٧٠٩٧)، (٩/ ٢٥٠)، وقال الألباني: إسناده صحيح، وعلقه البخاري بصيغة الجزم، وصححه الحافظ ابن حجر. ينظر: السلسلة الصحيحة، للألباني، (٤/ ١٧٥).

(٣) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٦/ ٩٤). مادة: رجس.

أن النبي ﷺ «جلد في الخمر بالجريد والنعال، ثم جلد أبو بكر أربعين»[1]، ولما زاد شُرِب الخمر في عهد عمر رضي الله عنه جلد عليه ثمانين جلدة.

ولقد اتفق العلماء على وجوب إقامة الحد على شارب الخمر، واختلفوا في مقدار حد شارب الخمر، فمذهب جماعة من العلماء، أن حد شارب الخمر أربعون جلدة[2]، وذهب آخرون إلى أن حد شارب الخمر ثمانون جلدة[3].

قال الشوكاني -رحمه الله-: "من شرب مسكرا مكلفا مختارا جلد على ما يراه الإمام إما أربعين جلدة، أو أقل، أو أكثر، ولو بالنعال"[4].

و"اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على حد شارب الخمر ثمانين، وإنما مستندهم فيه الرجوع إلى المصالح والتمسك بالاستدلال المرسل"[1].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الحدود، باب: ما جاء في ضرب شارب الخمر، (٨/ ١٥٧)، برقم (٦٧٧٣)، ومسلم، كتاب: الحدود، باب: حد الخمر، (٥/ ١٢٥)، برقم (٤٤٧٤).

(٢) قال الشيرازي وقال الشافعي وأبو ثور وداود: الحد في ذلك أربعون، ومضى إلى أن قال: فإن رأى الإمام أن يبلغ بحد الحر ثمانين وبحد العبد أربعين جاز. ينظر: المهذب، (١٤/ ٤٤٨)، وقال ابن قدامة: والرواية الثانية أن الحد أربعون، وهو اختيار أبي بكر ومذهب الشافعي، المغني (٩/ ١٤٢). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا أوجه القولين. ينظر: السياسة الشرعية، (ص٥٠).

(٣) قالوا: إنها حد، وأنه ثمانون، وهو مذهب الحنفية والمالكية والمقدم عند الحنابلة. وبهذا قال مالك والثوري وأبوحنيفة ومن تبعهم. ينظر: بداية المهتدي، (٢/ ١١١)، وقوانين الأحكام الفقهية، (ص٣٩١)، والمغني، (١/ ١٤٩).

(٤) الأدلة الرضية لمتن الدرر البهية في المسائل الفقهية، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الندى، بيروت، ط١، ١٤١٣ه، (١/ ٣٠٠).

فهذا هو الرأي الراجح عند عامة أهل العلم.

ب) **حلول اللعنة**: من الوعيد الوارد في حق شارب الخمر وكل من كان له بها علاقة حلول اللعنة، وحقيقة اللعنة الطرد من رحمة الله، قال أنس ﷺ: «**لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة، عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، ومشتريها، والمشتراة له**»[٢].

ج) **سلب الإيمان**: قد نفى النبي ﷺ الإيمان عن شارب الخمر حين يشربها فقال: «**ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن**»[٣].

وقال عثمان ﷺ: "فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإِيمان وإدمان الخمر إلَّا ليوشك أن يُخرج أحدهما صاحبه"[٤].

---

(١) الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، (٢/ ٦١٥).

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب: البيوع، باب: النهي أن يتخذ الخمر خلا، (٣/ ٥٨٩)، برقم (١٢٩٥)، وابن ماجة في "سننه"، كتاب: الأشربة، باب: لعنت الخمر على عشرة أوجه، برقم (٣٣٨١)، والإمام أحمد في "مسنده"، (٨/ ٤٠٥) برقم (٤٧٨٧)، رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين- حديث إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، (٥/ ٣٣٧)، برقم (٢١٩٤)، وهو حديث حسن، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في "الإرواء"، (٥/ ٣٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المظالم، باب: النهي بغير إذن صاحبه، (٣/ ١٤٦)، برقم (٢٤٧٥)، ومسلم واللفظ له، كتاب: الإيمان، باب: نقصان الإيمان بالمعاصي، (١/ ٧٦)، برقم (٥٧).

(٤) الأثر: أخرجه النسائي في "سننه"، كتاب: الأشربة برقم (٥٦٦٦)، وقال الشيخ الألباني: صحيح موقوف، (٨/ ٣١٥).

د) عدم قبول الصلاة أربعين يوما: ففي حديث عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يشرب الخمر رجل من أمتي فيقبل الله منه صلاة أربعين يوما**»(١).

هـ) الخسف والمسخ في الدنيا: إذا جاهر الناس بذلك وأعلنوا به ظهرت العقوبات الربانية كالخسف، والمسخ؛ هذا فضلا عن الأمراض الفتاكة، فقد قال ﷺ: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف اللهَّ بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير**»(٢).

٢- وجوب العقوبة في الآخرة لمن مات مصرا على شربها:

أ- السقي من نهر الخبال: لقد ورد في حق من تكرر منه شرب الخمر مرارا أنه يسقى من نهر الخبال في جهنم، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب لم يتب الله عليه، وسقاه من نهر الخبال**»(٣).

وهذه عقوبة خاصة يتوعد بها من لم يتب من شرب الخمر حتى مات.

---

(١) أخرجه النسائي في "سننه"، كتاب: الأشربة، باب: ذكر الرواية المبينة عن صلوات شارب الخمر، (٨/ ٣١٤)، رقم (٥٦٦٤)، وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. ينظر: السلسلة الصحيحة للألباني، (٢/ ٣٢٦)، برقم (٧٠٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب: الفتن، باب: العقوبات، (٢/ ١٣٣٣)، برقم (٤٠٢٠)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الأشربة، باب: ما جاء في شارب الخمر، برقم (١٨٦٣)، وهو حديث حسن يشهد له الذي بعده، ولذلك قال الترمذي: هذا حديث حسن.

ب- **الحرمان من الجنة**: فمن الوعيد الوارد في الخمر الحرمان من دخول الجنة (ابتداء)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى**»(١).

ج- **الحرمان من خمر الجنة**: ومن عقوبات الآخرة أن من لم يتب منها يحرم من خمر الجنة، وهي خمر لا آفة فيها يجازي بها الله -عز وجل- عباده الذي أطاعوه فتركوا خمر الدنيا وصبروا عليها؛ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة**»(٢).

❁ ❁ ❁ ❁

(١) أخرجه النسائي في "سننه"، كتاب: الزكاة، باب: المنان بما أعطى، (٥/ ٨٠)، برقم (٢٥٦٢)، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

* قوله: "قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا يدخلون الجنة"، هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها، وقالوا أمروها كما جاءت، ومن تأولها فهو على خطر من القول على الله بلا علم. وأحسن ما يقال: إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن الملة فإنه يرجع إلى مشيئة الله، فإن عذبه فقد استوجب العذاب، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته. قاله في «فتح المجيد». وكأن المصنف رحمه الله يميل إلى هذا قاله في "الشرح".

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأشربة، باب: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، (٧/ ١٠٤)، برقم (٥٥٧٥).

المبحث الخامس

الآثار الصحية، والاجتماعية، والاقتصادية،

الناتجة عن تعاطي الخمر والمسكرات

مما لاشك فيه أن بيان أضرار الشيء ومخاطره سببا قويا لأجل تجنبه والبعد عنه، ولذا عمل الهدي النبوي في علاجه لمشكلة الخمر والمسكرات على بيان أضرارها من جميع الجوانب، على مستوى الأفراد والمجتمعات.

ولقد كان يكفي في بيان ضرر الخمر وآثارها السيئة على شاربها وصف الله تعالى لها، بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1].

والرجس: كل ما استقذر من عمل، فهو العمل الذي يكون قوي الدرجة، كامل الرتبة في القبح، ولأن الشيطان نجس خبيث لأنه كافر والكافر نجس لقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[2]؛ "والخبيث لا يدعو إلا إلى الخبيث"[3].

أولا: الأضرار الصحية.

من المعلوم أن السوائل المسكرة تحتوي على نسبة معينة من الكحول ترتفع وتنخفض نسبة لنوع السائل، فكلما ارتفعت نسبة الكحول في الشراب كان تأثيره السيئ على أجهزة جسم الإنسان أكثر ضررا وأشد فتكا، لأن الكحول هو روح الخمر وهو المادة

---

(١) سورة المائدة الآية: ٩٠.

(٢) سورة التوبة الآية: ٢٨.

(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (١٢/ ٤٢٣). بتصرف.

التي تعتمد عليها الخمر في الإسكار وإذهاب العقل، ولذا يسمى في اللغة العربية بالغول لأنه يغتال العقل[1].

ويمكن إجمال أضرار الخمر الصحية من خلال مايلي:

أ) لقد أرشد النبي ﷺ طارق بن سويد[2]، لما سأل النبي عن الخمر فنهى أو كره أن يصنعها فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال له ﷺ: «**إنه ليس بدواء ولكنه داء**»[3].

ففي هذا الحديث أشار النبي ﷺ إلى حقيقة علمية مهمة، وهي أن الخمر ليست بدواء ولكنها داء؛ وهذا ما أثبته العلم الحديث[4].

---

(١) ينظر: الخمر في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، فكري أحمد عكاز، (ص١٤٧).

(٢) هو: طارق بن سويد ويقال سويد بن طارق الحضرمي ويقال الجعفي له صحبة حديثه عند أهل الكوفة روى عن النبي ﷺ في الأشربة، روى حديثه سماك بن حرب واختلف عليه فيه، وقال البخاري في اسمه نظر وقال البغوي الصحيح عندي طارق بن سويد، وكذا قال أبو علي بن السكن، تهذيب التهذيب، ابن حجر، (٣/ ٥٥٢).

(٣) تقدم تخريجه، (ص٤٦٧).

(٤) نشرت صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، مقال تحت عنوان: خلافا لما هو شائع طبيا. الكحول لا تقي من أمراض القلب؛ بقلم الدكتور/ حسن محمد صندقجي، أستعرض فيها الكاتب نتائج بحث قام به مجموعة باحثين كندين وأمريكيين مؤخرا. قالوا إن المراجعة العلمية الدقيقة لمجمل الدراسات الطبية فيما كان شائعا (أن تناول كميات متوسطة من الكحول يقي من أمراض القلب وخصوصا أمراض الشرايين التاجية)، لا تدل على صحة هذه المقولات البتة، وأنه بمراجعة فاحصة ودقيقة لأكثر من ٥٤ دراسة علمية في هذا المجال لا يمكن الاستنتاج منها مطلقا. ينظر: نص المقال: صحيفة الشرق الأوسط اللندنية في عددها العدد (٩٩٩١)، الصادر في الخميس ٠٧ ربيع الأول ١٤٢٧هـ، ٦ ابريل ٢٠٠٦م.

ب) يقرر ابن قيم الجوزية بقولة: "فإنها شديدة المضرة بالدماغ الذي هو مركز العقل عند الأطباء، وكثير من الفقهاء والمتكلمين؛ قال أبقراط في أثناء كلامه في الأمراض الحادة: ضرر الخمرة بالرأس شديد، لأنه يسرع الارتفاع إليه، ويرتفع بارتفاعه الأخلاط التي تعلو في البدن، وهو كذلك يضر بالذهن"[1].

ت) نقصان القدرات العقلية والإصابة بالأمراض العصبية والجنون.

قال الحسن البصري[2]-رحمه الله-: "لو كان العقل يشترى، لتغالي الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده!"[3].

ث) أن "تعاطي الكحول على نحو ضار يسهم بقوة في عبء المرض العالمي، وهو ثالث عوامل الاختطار[4] الرئيسة المتعلقة بالوفيات المبكرة وحالات العجز في العالم؛ وتشير التقديرات إلى أن العالم شهد في عام ٢٠٠٤م، وفاة ٢. ٥ مليون شخص في العالم لأسباب تتعلق بالكحول، بمن في ذلك ٣٢٠٠٠٠ شاب بين سن ١٥ و ٢٩ عاما.

وتسبب تعاطي الكحول على نحو ضار في ٣. ٨ ٪ من كل الوفيات في العالم في عام ٢٠٠٤م، وفي ٤. ٥ ٪ من عبء المرض العالمي، بمقياس سنوات العمر المفقودة المصححة

---

(١) الطب النبوي، (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، دار الهلال، بيروت، لبنان، (ص ١١٥).

(٢) هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. وأوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ، وتوفي سنة: ١١٠هـ. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٢/ ٦٩).

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق: الدكتور/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، (٢/ ٥٠١).

(٤) احتمال الخطر على الحياة؛ أو بمعنى تعريض للخطر.

باحتساب مدد العجز، حتى مع احتساب الآثار الواقية البسيطة، وخصوصاً فيما يتصل بمرض القلب التاجي، التي تترتب على استهلاك الكحول بكميات قليلة من قبل بعض من تبلغ أعمارهم ٤٠ عاماً أو أكثر"[١].

ج) "إن الدراسات الحديثة في الولايات المتحدة وبريطانيا بل ودول أوروبا قد أثبتت أن ما بين ثلث إلى نصف نزلاء المستشفيات العامة يعانون من مشكلات تتعلق بالخمور، وأن ٢٥٪ من حالات التسمم في بريطانيا تحدث بسبب تعاطي الكحول، وأن ٦٠٪ من كبار السن يدخلون المستشفيات بسبب مشكلات تتعلق بالخمور، مثل هبوط القلب أو الكسور أو فقدان الذاكرة، وأن ٩٠٪ من حالات التسمم الكحولي الماء في روسيا لأطفال دون سن ١٠ - ١٥ سنة ممن أدخلوا إلى المستشفيات.

وعن أرقام الوفيات الناتجة عن شرب الخمور فإن الخمور تعد ثاني سبب للوفيات في الولايات المتحدة إذ بلغت (١٢٥٠٠٠) شخص بسبب تعاطي الخمور كل عام"[٢].

ح) "إن الخمر تؤدي إلى زيادة حدوث سرطان المري والإسهال والبواسير والتهابات حادة في البنكرياس، وأن الدراسات التي أجريت على طلبة الطب أثبتت أن تناول (١٨٠) جراحا من الكحول يوميا بسبب دهنية الكبد، وتليفها وهو السبب الثالث للوفاة عند البالغين من الذكور، والرابع للوفاة عن البالغات من الإناث في الولايات

---

(١) الكحوليات، الدكتور/ علاء العلوان، الإستراتيجية العالمية للحد من تعاطي الكحول على نحو ضار، منظمة الصحة العالمية، ٢٠١١م، (ص٥).

(٢) محاضرة الإعجاز العلمي في أحاديث التداوي بالخمر، للدكتور/ محمد علي البار، تغطيه/ سالم لعور، صحيفة أخبار اليوم، تصدر عن مؤسسة الشموع للصحافة والإعلام، الأحد ٢٦ ديسمبر-كانون الأول، ٢٠١٠م.

المتحدة؛ والكحول تؤدي إلى اضطراب الدورة الشهرية والإجهاض بالنسبة للمرأة ويمتد أثرها في تشوهات خلقية للأجنة في رحم المرأة، كصغر حجم العينين والدماغ، والفكين، والتخلف العقلي، والبدني، وأثرها السلبي في إدارة البول وما ينتج عنه من أمراض كالفشل الكلوي والتهاب البروستات وتضخمها"[1].

خ) يتسبب الخمر في التهاب المعدة، والقرحة المعدية أو المعوية، وتزيد خطورتها في أنها تسبب النزيف الداخلي في المعدة أو الأمعاء[2].

د) تتسبب المخدرات في حدوث العصبية الزائدة الحساسية الشديدة والتوتر الانفعالي الدائم والذي ينتج عنه بالضرورة ضعف القدرة على التواؤم والتكيف الاجتماعي.

ثانيا: الأضرار الاجتماعية.

١ - إن تعاطي الخمر والمسكر يؤثر على الحياة الاجتماعية تأثيرا خطيرا لا حد لخطورته، فانشغال المتعاطي بالمسكر، وطريقة الحصول عليه، وإهماله لنفسه، وأهله وعمله، يؤدي ذلك كله إلى اضطرابات شديدة في العلاقات الأسرية، والروابط الاجتماعية، وذلك بما تثيره الخمر من عداوة، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[3].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) ينظر: الأضرار الناجمة عن تعاطي المسكرات والمخدرات، عبد الكريم بن صنيتان العمري، دار المآثر، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م. (ص: ٤٧).

(٣) سورة المائدة الآية: ٩١.

وهذه الآية الكريمة تنطوي على حكمة بالغة وإشارة عظيمة من إشارات القرآن الكريم، إذ ركزت على الأثر الخطير للخمر في أنها عمل قذر من أعمال الشيطان يؤدي إلى وقوع العداوة بين الناس، لأن هذه العداوة[1]، وإن كانت كلمة بسيطة إلا أنها من جوامع الكلم التي تتضمن معاني كثيرة وإرشادات متعددة، والناظر في العديد من المشكلات الاجتماعية والنزاعات الحاصلة بين البشر يجد أنها مجموعة في العداوة ظاهرا أو باطنا.

٢- إن أضرار الخمر الاجتماعية التي لخّصتها مفردة العداوة في القرآن الكريم كما تقدم لا تقف عند مستوى واحد بل لها مستويات متعددة، منها:

" أن الظاهر فيمن يشرب الخمر أنه يشربها مع جماعة ويكون غرضه من ذلك الشرب أن يستأنس برفقائه ويفرح بمحادثتهم ومكالمتهم، فكان غرضه من ذلك الاجتماع تأكيد الألفة والمحبة إلا أن ذلك في الأغلب ينقلب إلى الضد، لأن الخمر يزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب، وتلك المنازعة ربما أدت إلى الضرب والقتل والمشافهة

(١) بالرجوع لمادة العداوة في اللغة نجد أن العين والدال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه، ولذلك نجد من مادته العادي: الذي يعدو على الناس ظلما والعدوان الذي هو مصدره، والعدوى ما يقال إنه يعدي من جرب أو داء، والعادية: شغل من أشغال الدهر يعدوك عن أمرك، أي يشغلك، والعدواء: الأرض اليابسة الصلبة، وإنما سميت بذلك لأن من سكنها تعداها، والعدوة: صلابة من شاطئ الواد، ويقال عدوة، لأنها تعادي النهر مثلا، أي كأنهما اثنان يتعاديان. ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/ ٢٤٩).

بالفحش، وذلك يورث أشد العداوة والبغضاء، فالشيطان يسول أن الاجتماع على الشرب يوجب تأكيد الألفة والمحبة، وبالآخرة انقلب الأمر وحصلت نهاية العداوة والبغضاء"[1].

وقد ذكر الإمام القرطبي[2]: "أن قبيلتين من الأنصار شربوا الخمر وانتشوا، فعبث بعضهم ببعض، فلما صحوا رأى بعضهم في وجه بعض آثار ما فعلوا، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فجعل بعضهم يقول: لو كان أخي بي رحيما ما فعل بي هذا، فحدثت بينهم الضغائن، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[3]"[4].

٣- إن المرء حين يدركه الأسر في مستنقع سموم المسكرات والمخدرات لا يتورع أن يبذل كل غال ونفيس، من أجل الوصول إلى الخمر والحصول عليها، حتى ولو كان ذلك من أضيق المسالك، وأخطر الطرق، فقد يسرق أو يختلس من أجل الوصول إلى هذا الغرض، فللخمر تأثير كبير على صاحبها في تعزيز الميل نحو الجريمة بداخله، "ولو نظرنا

---

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (١٢/ ٤٢٤).

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، القرطبي، من كبار المفسرين ولد بقرطبة ورحل منها إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب (المنيا حاليا)، ومن مصنفاته: "جامع أحكام القرآن"، وتوفي سنة ٦٧١. ينظر: الديباج المذهب، ابن فرحون، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢/ ٣٠٨)، وطبقات المفسرين للسيوطي، (ص٢٤٦)، والأعلام، للزركلي، (٥/ ٣٢٢).

(٣) سورة المائدة الآية: ٩١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (٦/ ٢٩٢).

إلى انتشار الجرائم وتفشيها في المجتمعات، لوجدنا أن تعاطي المسكرات والمخدرات يشكل أحد الأسباب الرئيسة في ظهورها، ذلك أن المدمن عادة مايكون فاشلا في مجتمعه، عاجزا عن القيام بأي عمل ينفعه، كما أنه يصبح خاليا من الشعور بالمسؤلية، لفقده ما يؤهله لذلك من دين أو عقل نتيجة تعاطيه لتلك السموم، ومن كان هذا شأنه فإنه سيقدم على طلب المال، وتحصيله من أي مصدر، وبأي وسيلة، حتى لو استدعى ذلك منه ارتكاب الجرائم بشتى صورها، كذلك فإن تهريب المسكرات والمخدرات، وترويجها، وتعاطيها، كل ذلك يؤدي إلى تحريك النزعات العدوانية والإجرامية لدى كل من يتعامل معها، فالمهرب لا يتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم في الحصول على منفذ لإيصال ما لديه من سموم إلى المكان المقصود، كما أن المروج لا يتوقف عن إنتاج أسوأ الطرق والوسائل، للوصول إلى فريسته.

ولعل تأثيره على الأطفال وحديثي السن كبير جدا لما يقدمه لهم من إغراءات، ولعدم وعيهم الكافي بأضرار المخدرات، وعدم معرفتهم بالشخصية التي ينتحلها ذلك المروج ليوقعهم في وحل التعاطي والإدمان مما قد يضطر أولئك - بعد تناولها والإدمان عليها - إلى ارتكاب جرائم السرقات والسطو للحصول على المال الذي يمكنهم من شرائها والاستمرار على تعاطيها، وفي ذلك زعزعة لأمن واستقرار المجتمع، إضافة إلى إخلال المتعاطي بالأمن العام عند تواجده في الأماكن العامة"[1].

وهذا هو معنى العدوان والاعتداء على حق الغير، الذي يتبعه مفاسد أخرى لعل أهمها تعريض المرء لسمعة عائلته لخطر الفضيحة والنقيصة الاجتماعية.

---

(١) الأضرار الناجمة عن تعاطي المسكرات والمخدرات، عبد الكريم بن صنيتان العمري، (ص٥٣).

٤- العدوان على حق الغير بسبب لعب الخمر بعقل صاحبها، وما تبعثه من شجاعة وجسارة منشؤها التهور وفقدان السيطرة على الشهوة، فيقدم المرء على أفعال يتبرأ منها لو كان صاحيا يدرك ما يفعله ويتنصل من عهدتها لو كان مفيقا يدري ما يأتي به، وليس بالضرورة أن يكون هذا الإنسان وضيعا منحرفا في سلوكه الاجتماعي بل قد يكون شريفا في قومه عفيفا في سلوكه، ومن ذلك ما دار بين حمزة من ناحية وبين علي والنبي ﷺ من ناحية أخرى فعن علي بن أبي طالب ﷺ، أنه قال: «كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة ﷺ بنت النبي ﷺ، واعدت رجلا صواغا في بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر، فأردت أن أبيعه من الصواغين، فنستعين به في وليمة عرسي، فبينا أنا أجمع لشارفي من الأقتاب والغرائر والحبال، وشارفاي مناخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، حتى جمعت ما جمعت، فإذا أنا بشارفي قد أجبت أسنمتها، وبقرت خواصرهما، وأخذ من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأيت المنظر، قلت: من فعل هذا؟ قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب، وهو في هذا البيت، في شرب من الأنصار، عنده قينة وأصحابه، فقالت في غنائها: (**ألا يا حمز للشرف النواء**)، فوثب حمزة إلى السيف، فأجب أسنمتها وبقر خواصرهما، وأخذ من أكبادهما، قال علي: فانطلقت حتى أدخل على النبي ﷺ، وعنده زيد بن حارثة، وعرف النبي ﷺ الذي لقيت، فقال: «**ما لك؟**» قلت: يا رسول الله، ما رأيت كاليوم، عدا حمزة على ناقتي، فأجب أسنمتها، وبقر خواصرهما، وها هو ذا في بيت معه شرب، فدعا النبي ﷺ بردائه فارتدى، ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة، حتى جاء البيت الذي فيه حمزة، فاستأذن عليه، فأذن له، فطفق النبي ﷺ يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة ثمل، محمرة

عيناه، فنظر حمزة إلى النبي ﷺ ثم صعد النظر فنظر إلى ركبته، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه، ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي، فعرف النبي ﷺ أنه ثمل، فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا معه»[1].

إن حمزة هو عم النبي ﷺ ورضيعه، وهو الذي ذب عنه ﷺ وذاد عنه أذى المشركين، وهو الذي أسلم في السنة الثانية من الهجرة -لما أراد الله به من كرامته- حمية للنبي ﷺ بعد ما أهانه أبو جهل وشتمه شتما قبيحا، وهو الذي هاجر في سبيل الله مع المؤمنين إلى المدينة وشهد بدرا وأبلى فيها بلاء حسنا[2].

فحمزة ﷺ مع كل هذا لم تمنعه مآثره ولا فضائله في غمرة سكره أن يعتدي على شارفي علي بين أبي طالب ويطاله، ويسب النبي ﷺ قائلا: (وهل أنتم إلا عبيد لأبي)، وهذا يدل بوضوح على أن ضرر الخمر لا حد له وأنه يلبس الإنسان نفس شيطان لا يقف أذاها عند حد، ويدل أيضا على أن سورة الخمر وغائلة السكر لا تفرق بين وضيع أو شريف بين تقي أو فاسق فتفعل في أحدهما فعلها بالآخر من غير تمييز، ولذلك فإن أحق ما توصف به أنها من عمل الشيطان الذي يريد أن يوقع به العداوة والبغضاء بين الناس.

٥- قد يؤدي إدمان السير في طريق الخمور والمسكرات إلى أن تضعف القوى الجسدية والعقلية للمدمن عليها، فيصبح غير قادر على العمل، فيكون عالة على أسرته

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: الأشربة، باب: تحريم الخمر، وبيان أنها تكون من عصير العنب، ومن التمر والبسر والزبيب، وغيرها مما يسكر، (٣/ ١٥٦٩) برقم (١٩٧٩)، وهذه القصة قبل تحريم الخمر.

(٢) ينظر: أسد الغابة، محمد بن محمد ابن الأثير الجزري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م (١/ ٥٢٨).

ومجتمعه، وقد ينتهي به الحال إلى الإعاقة الكاملة، أو التشوه بعد أن يفقد كل مميزاته الإنسانية من عقل وخلق، ومقوماته الاجتماعية، من عمل مثمر، أو وظيفة نافعة، أو صناعة رابحة، وإن شخصا هذه حاله ينفر منه المجتمع فيأنف منه أصدقاؤه وأصحابه ويتجافى عنه زوجه ويصعب عليه العيش معه، فتكثر النزاعات الأسرية التي قد تقضي على الرابطة الزوجية، وتهوي بأفراد الأسرة إلى مهاوي الضياع والتشرذم، وهذا معنى آخر من معاني العداوة، ويتمثل في الاشتغال عن الالتزامات الشخصية والاجتماعية وإهمال المرء لواجباته ومهامه، وهو أمر شديد الخطورة على علاقات المرء ومكانته الاجتماعية.

٦- هناك عدد من الإحصاءات التي وردت لتبين بالأرقام حجم الأضرار الاجتماعية للخمر والمسكرات، التي تؤكد على سيء الأثر الذي تتركه الخمور في المجتمع الإنساني[1].

(١) هناك حوالي ٥٠٪ من مدمني الخمور هم ممن يعانون من مشكلات الطلاق أو الانفصال؛ وحوالي ٥٠٪ من جرائم العنف تتم تحت تأثير حاله السكر التي يحدثها تناول المشروبات الكحولية، وحوالي ٥٠٪ من المسجونين يعانون من مشكلات تناول المشروبات الكحولية؛ ووجد أن ٦٢٪ من المواطنين الأمريكيين الذين أدينوا في جرائم اعتداء على الآخرين كانوا واقعين تحت تأثير المشروبات الكحولية أثناء ارتكابهم لجرائمهم؛ ووجد أن تناول الخمور في جنوب أفريقيا هو السبب وراء ٧٠٪ من حالات الطلاق والأسر المنهارة؛ ويوجد٥٠ ٪ من مرتكبي الجرائم في ألمانيا، فعلوا جرائمهم، وهم تحت تأثير الخمور؛ والمؤشرات الإحصائية في ألمانيا تشير إلى أن معدل ارتكاب حالات الانتحار يكون ١٢ مرة أكثر في مدمني الخمور مقارنه بمعدلات الانتحار بين المواطنين العاديين. ينظر: أضرار الكحول في أرقام، محمود محمد عبد الرحمن، مجلة أسيوط للدراسات البيئية - العدد الثاني والعشرون يناير، ٢٠٠٢ م، (ص٢٤).

ثالثا: الأضرار الاقتصادية الناجمة عن تناول الخمور والمسكرات.

لا يقتصر الضرر الذي تسببه الخمور والمسكرات على النواحي الصحية والاجتماعية لها، بل يشمل كذلك النواحي الاقتصادية، ولعلها لا تقل أهمية وخطورة عن الناحيتين السابقتين، وذلك لأن اقتصاديات الشعوب مقوم أساسي من مقومات الاجتماع الإنساني، وبدونه ينصرم رباط متين من روابط الاجتماع البشري، وتنفصم عروة من عرى العلاقات الإنسانية، وتحتل مجالات التنمية في العصر الحديث أهمية بالغة لما لها من دور في تلبية احتياجات الأفراد والجماعات، والوقوف في وجه المشكلات الاقتصادية التي تواجه الشعوب وعلى رأسها الفقر والبطالة، وقد تعرضنا لبعض آثارها السيئة فيما مضى- وبينا مدى فداحة الضرر الذي يترتب على تفشي مثل هذه المشكلات.

ولما كانت عملية التنمية تعتمد في الأساس على العنصر البشري وتوظيف قدراته ومهاراته التوظيف الأمثل، كان تناول الخمر معوقا خطيرا من معوقات التنمية إذ هو يذهب بعقل الإنسان فيشل قدرة المرء على التفكير، ويعطل ساعده عن العمل وفي ذلك إهدار للطاقات البشرية أيما إهدار.

ولقد تفطنت جمعية الصحة العالمية الثالثة والستون، في أيار/ مايو ٢٠١٠م، لهذه المخاطر الكبرى واعترفت بالعلاقة الوطيدة بين تعاطي الكحول على نحو ضار وبين التنمية الاجتماعية الاقتصادية، ولذلك قامت باتخاذ إجراءات مستدامة على الأصعدة كافة، وأسست عدة مبادرات إستراتيجية على الصعيدين العالمي والإقليمي، ومن بين تلك المبادرات خطة العمل الخاصة بالإستراتيجية العالمية للحد من تعاطي الخمور على نحو ضار[1].

---

(١) ينظر: الإستراتيجية للحد من تعاطي الخمور على نحو ضار، منظمة الصحة العالمية، (ص٣).

=

إن فشو الخمر في مجتمع ما يسبب أضرارا مالية واقتصادية، على مستوى الفرد أو الجماعة، فعلى مستوى الفرد نجد أن شارب الخمر مبذر لماله مضيع له فيما يضره ولا ينفعه، وقد يسبب له سكره تضييع أموال أخرى يعطيها بلا فائدة أو تسرق منه، وقد يصاب من جراء تناول الخمر بمرض من الأمراض التي سبقت الإشارة إليها، فيحتاج إلى العلاج فينفق أموالا طائلة على علاج ما به من أمراض، وقد يقعد به المرض عن الاكتساب فيصبح مفلسا لا مال له، ويصعب الأمر عليه جدا إن لم يعد يستطيع أن يعمل بيديه جراء إصابته بالمرض.

ولا تقل الأضرار الاقتصادية العامة فداحة عن الأضرار المالية الشخصية، بل هي في الحقيقة أشد فداحة إذ أن الأضرار الاجتماعية مجموع الأضرار الفردية.

"إن مدمني المسكرات والمخدرات يشكلون عائقا كبيرا في طريق التنمية والتقدم الاقتصادي، ويخلفون عبئا ثقيلا على عاتق الأمة بما يضيعون من ثروتها الأهلية، وما يجلبونه لها من المآسي والنكبات، فلقد أثبتت الدراسات التي قام بها الباحثون المتخصصون أن تعاطي وإدمان المخدرات يؤثران على إنتاجية الفرد في العمل، وذلك من خلال ما يطرأ على الفرد من تغييرات نتيجة للتعاطي أو الإدمان، وأن هذا التأثير يشمل كم الإنتاج وكيفه، ولما كان إنتاج المجتمع حصيلة مجموع إنتاج اللأفراد، فإنه يتأثر تأثرا مباشرا باعتلال إنتاج الفرد وهبوطه، فضلا عن ما ينفق من الأموال والجهود في سبيل مكافحة المسكرات والمخدرات، ومنع تهريبها وتداولها وتعاطيها، من حيث تخصيص إدارات خاصة بمكافحة المخدرات والقضاء عليها، وما يتبع ذلك من إنفاق الأموال الطائلة عليها، وتكليف الكثير من الكفاءات للعمل بها، وكان يمكن أن توجه تلك الأموال وأن

منظمة الصحة العالمية Switzerland، 1211 Geneva 27، 20 Avenue Appia

تصرف تلك الجهود إلى أعمال نافعة، ومهام أخرى، تسهم في توفير كثير من الخدمات الأخرى للمجتمع"[1].

وتؤكد لغة الأرقام التي تتحدث بها الإحصائيات على ضخامة الأضرار الاقتصادية التي تصيب المجتمعات البشرية من وراء تناول الخمور والمسكرات[2].

ومما يدخل في عداد الأضرار الاقتصادية التي يجلبها تناول الخمر ما يحدث من إهدار للممتلكات الشخصية والعامة من وراء حوادث تقع بمباشرة السكارى، فمن خلال الدراسات المتعددة تأكد أن تناول المسكرات له دخل كبير جدا في وقوع حوادث التصادم، إذ أن أغلبهم يكون تحت تأثير المسكر ولا يوجد لديه من القوة العقلية ما يحول

---

(١) الأضرار الناجمة عن تعاطي المسكرات والمخدرات، عبد الكريم بن صنيتان العمري، (ص٥٢).

(٢) في عام ١٩٨١م اندلع ٣٩ ألف حريق في مصانع الاتحاد السوفيتي السابق، وذلك بسبب حالات السكر التي يقع فيها عمال الاتحاد السوفيتي نتيجة لتناول المشروبات الكحولية؛ وتشير الدراسات التي أجريت في الاتحاد السوفيتي السابق على أن ٩٨٪ من العمال السوفيت يذهبون إلى أعمالهم وهم سكارى من تناول المشروبات الكحولية، الأمر الذي يؤدى إلى الإهمال في العمل؛ أن تكاليف علاج إدمان الكحول في ألمانيا تصل إلى ٤٠ مليار مارك سنويا؛ أن السود في جنوب أفريقيا ينفقون ١٠٠٠ مليون راندا سنويا، وهو ما يوازى ٩٠ راندا لكل شخص في سن السادسة عشرة أو ما يزيد أو بما يوازى ٢، ٧ مليون راندا في اليوم الواحد، وهذا المبلغ -١٠٠٠ مليون راندا- يكفى لإطعام ٥٠٠٠٠ شخص أسود يموتون سنويا بسبب الجوع والإصابة ببعض الأمراض. ينظر: أضرار الكحول في أرقام، الإستاذ الدكتور/ حمود محمد عبد الرحمن، (مجلة أسيوط للدراسات البيئية - العدد الثاني والعشرون يناير ٢٠٠٢م، (ص٢٦).

بينه وبين التهور بقيادة السيارة، مما يتسبب في خسائر كثيرة تشير إليها عددا من الإحصائيات[1].

ومن هنا، فإنه بهذا الاستطراد للمخاطر والمساوئ والأضرار التي يسببها تعاطي الخمور والمسكرات لم يعد هناك مجال للزعم بأن في تناول الخمر والمسكرات فائدة، ولو كانت فائدة يسيرة، فإن العقل السليم والطبع المستقيم عندما يعرف أن أقل أضرار الخمر هي الإطاحة بعقل الإنسان، الذي به يرتفع عن درك البهيمية، ويرتاد مصاف الإنسانية، عندما يعرف ذلك ينأى بنفسه عن اعتقاد فضيلة أو فائدة واحدة في الخمر فضلا عن اشتهائها والرغبة في مقارفتها.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) أكدت الدراسات على أن ١ من كل ٣ سائقين يموتون في حوادث السيارات بسبب الإفراط في تناول الكحول؛ وتكلف الخمر جنوب أفريقيا ٥٠٠ مليون راندا -هي العملة الرسمية في جنوب أفريقيا وتوازي دولارا أمريكيا واحدا- سنويا بسبب حوادث الطريق والأسر المنهارة والأنفس الضائعة؛ ويوجد حوالي ٢٠٪ من حوادث العمل في ألمانيا كان السبب فيها هو تناول المشروبات الكحولية. ينظر: نفس المرجع، (ص٢٥).

الباب الثالث

منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العنف والإرهاب، ومشكلة العصبيات والقوميات، ومشكلة الإعاقة.

الفصل الأول

منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العنف والإرهاب.

وفيه ستة مباحث:

- **المبحث الأول:** المعنى اللغوي والاصطلاحي للعنف والإرهاب.
- **المبحث الثاني:** أسباب ظهور العنف في المجتمع المسلم.
- **المبحث الثالث:** ترسيخ خلق المراقبة.
- **المبحث الرابع:** نشر القيم الرفيعة في المجتمع.
- **المبحث الخامس:** النهي عن الترويع.
- **المبحث السادس:** تحريم قتل النفس وسفك الدم.

تمهيد:

إن العنف والإرهاب من أقدم المشكلات الاجتماعية منذ بدء تاريخ الإنسانية، وهما ظاهرتان تتعدد فيهما الاتجاهات من حيث الهيكلة والشكل والمرجعيات الأساسية؛ وتعتبر مشكلات العنف والإرهاب من أخطر المشاكل التي تواجه المجتمع، والتي تتناقض في نفس الوقت مع مقصد الشارع من انتشار الخلق وتتابع النسل وحفظ نفوس البشر- سالمة من الفناء والتلف.

لقد جاءت نعمة الأمن مقدمة في دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام لمكة، على غيرها من النعم، وذلك حينما طلب استتباب الأمن أولا، حيث ورد ذلك في موضعين من كتاب الله.

الأول: في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1].

والثاني: في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

وكذلك فإن نبينا محمد ﷺ قدم نعمة الأمن على غيرها من النعم الأخرى حين قال: «**من أصبح منكم آمناً في سِربه، معافىً في جسَده، وعنده قوتُ يومه، فكأنما حِيزَتْ له الدّنيا**»[3].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٢٦.

(٢) سورة إبراهيم الآية: ٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب من أصبح آمناً في سربه، (١/ ١١٢)، برقم (٣٠٠)، والترمذي (٤/ ٥٧٤)، برقم (٢٣٤٦) وقال: هذا حديث حسن غريب؛ وابن ماجه (٢/ ١٣٨٧)، برقم =

والدعوة الإسلامية قد حرصت على أن الأمن هو خاصية للمجتمع المسلم، وأمن الناس يأتي في أولويات أي مجتمع.

والأمن حاجة إنسانية ملحة، ومطلب فطري لا تستقيم الحياة بدونه، ولا يستغني عنه فرد أو مجتمع، فهو مطلب تتفق على أهميته جميع الأفراد والمجتمعات، والأمم والشعوب، في كل زمان ومكان.

وإذا فقد الأمن اضطربت النفوس، وسيطر عليها الخوف والقلق، وتعطلت مصالح الناس، وانقبضوا عن السعي والكسب، وانحصرت هممهم بتأمين أنفسهم ومن تحت أيديهم، ودفع الظلم والعدوان الواقع أو المتوقع عليهم.

وإذا كان الأمن حاجة إنسانية ملحة، لا يستغني عنها فرد أو مجتمع، فإن ذلك يعني بالضرورة وجوب مواجهة ما يخل به من العنف والإرهاب، ومعالجة آثاره، وقطع الأسباب الداعية إليه.

وهذا ما تحقق إيجابا في منظومة المنهج النبوي لحل وعلاج كل أشكال العنف والإرهاب، فهو يهتم بالجوانب التربوية والوقائية التي تمنع وقوع العنف أصلا، كما يهتم بالجوانب الزجرية والعقابية، التي تمحو آثاره، وتمنع من معاودته وتكراره.

وهذا بخلاف ما عليه المناهج البشرية الجاهلية، والقوانين الوضعية التي تهتم بمعالجة العنف بعد وقوعه، أكثر من اهتمامها بمنع حدوثه ابتداء[1].

(٤١٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٤)، برقم (١٠٣٦٢). من حديث عبد الله بن هانئ بن أبي عبلة.

(١) ينظر: أثر العلم الشرعي في مواجهة العنف والعدوان، إعداد: الدكتور/ عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان، (ص٢).

ولم يكن المجتمع الذي عاش فيه رسول الله ﷺ بأحسن حالا من المجتمعات العالمية الآن؛ فمشكلة العنف والإرهاب كانت متجذِّرة فيه بشكل رهيب، وتمارس كأنها حق من الحقوق، فسفك الدماء، والسلب والنهب، ووأد البنات، وإساءة الجوار، واستحلال المحارم.

يقول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما يصف للنجاشي حال المجتمع غير المسلم في قريش قائلا: "أيها الملك، كنا قوما على الشرك؛ نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونُسيء الجوار، يستحل المحارم بعضُنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نُحل شيئا ولا نُحرمه..."[1].

ولذلك واجه المنهج النبوي هذه المشكلة بمجموعة من الحلول: بعضها يقضى على هذه المشكلة من جذورها ويجتث أصولها، وبعضها يعالج أخطارها ومضارها إن وقعت ويحول دون تكرار هذه الآثار والأخطار مرة أخرى، وفيما يلي عرض لمنهج النبي ﷺ لعلاج هذه المشكلات:

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، (١/ ٣٣٥)، والروض الأنف، السهيلي،(٢/ ١١١)، السيرة النبوية، ابن كثير، (٢/ ٢٠).

المبحث الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي للعنف والإرهاب

الحكم عن أي شيء فرع عن تصوره، فقبل الدخول في الحديث عن هذا الفصل المتعلق بمشكلة العنف والإرهاب، ينبغي التعريف بتلك المصطلحات من جهة اللغة والاصطلاح.

أولا: تعريف العنف

أ) تعريف العنف في اللغة:

تعرف المعاجم العربية العنف بضده الرفق، فتجعله في مقابل الرفق الذي هو اللين والسهولة، قال ابن منظور: (العُنف الخُرقُ بالأمر وقلّة الرِّفق به، وهو ضدّ الرّفقِ، عَنُفَ به وعليه يَعنُفُ عُنفًا وعَنَافة وأَعنَفه وعنَّفه تعنيفًا، وهو عَنيفٌ إذا لم يكن رفيقًا في أمره؛ واعتَنَفَ الأمر: أَخذه بعُنف[1].

ويتضح من ذلك أن العنف هو الشدة مع الغير بالقول أو بالفعل.

ب) تعريف العنف في الاصطلاح:

يعرف العنف في الاصطلاح بأنه "حالة انفعالية يصاب الشخص لحظتها بتوتر الأعصاب واهتزاز القيم في نفسه وجمود الفكر، وينتهي بإيقاع الأذى بالغير وإلحاق الضرر بالآخرين، أو القتل، فالقتل منه ما هو مادي وهو التصفية الجسدية، وقتل معنوي وهو السخرية من بعض الناس أو الاستخفاف بهم والحط من قدرهم، وفي هذا إيذاء نفسي-

(١) لسان العرب، (٩/ ٢٥٧)، والصحاح في اللغة، (٤/ ١٤٠٧).

للغير لأن السخرية من الناس أحيانا كقتلهم، وقد يكون تلويحا بالقوة لتخويف الغير بقصد إرغامه على الاستجابة لهذا الطرف الآخر"[1].

وقيل: إن العنف هو اعتداء يستهدف أرواح و أموال وأديان وأعراض الأفراد ونظام المجتمع، ويعتمد على القسوة واستخدام القوة.

وإلى جانب هذا فإنه يتم تعريف العنف في ذات الوقت بأنه تصرفات عدوانية هدامة ترمي إلى تعريض الفرد والمجتمع لآلام جسدية ونفسية وللأذى والتعذيب.

وطبقاً لهذا فإنه يندرج داخل إطار العنف السلوك المنطوي على إلحاق الأضرار المادية بالأشخاص ومختلف الأشياء على نحو مفرط ومفاجئ وخارج السيطرة، وأحياناً بلا غاية.

وقيل: "العنف هو الاستخدام العقلي للقوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والإتلاف للممتلكات"[2] .

من خلال استقراء بعض الكتب والرسائل والمقالات تبين أنه من الصعب تحديد تعريف موحد للعنف، بعيدا عن المعايير الأخلاقية والسياسية فقد نجده يختلف باختلاف التخصصات.

فتجد تعريف العنف لدى علماء النفس والاجتماع يختلف عنه لدى علماء السياسة والقانون وعلم الإجرام؛ لذلك فهو مقرون بالوضعية والظروف المحيطة به[1].

---

(١) التكفير والعنف والإرهاب، منصور الرفاعي عبيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م (ص٨٩).بتصرف.

(٢) العنف والشريعة في مصر دراسة قانونية، الدكتور/ مجدي متولي، دون طبعة، ١٩٩٥م، "الهيئة المصرية العامة للكتاب"، (ص٥٠).

وهناك عددا كبيرا من أنواع العنف، والتي هي فالحقيقة ليست موضوع هذا البحث، لذا فلم يكن بوسع الباحث استقصاء كل التعريفات المتعلقة بظاهرة العنف، فموضوع العنف يحتاج إلى دراسة كاملة ومستقلة، فالذي يعني البحث من هذا الجانب هو العنف بمفهومه العام، [كل سلوك معنوي أو مادي يرافقه قوة وإلحاق الأذى بالأخريين].

---

(١) تشير الموسوعة العلمية (Universals) إلى أن مفهوم العنف يعني: "كل فعل يمارس من طرف فرد أو جماعة ضد فرد أو أفراد آخرين عن طريق التعنيف قولا أو فعلا وهو فعل عنيف يجسد القوة المادية أو المعنوية".

- بينما قاموس راندوم هاوس (random. Hause. Dictionary) إلى أن مفهوم العنف يتضمن ثلاث مفاهيم فرعية هي:(فكرة الشدة، والإيذاء، والقوة المادية).

- هو كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وقد يكون الأذى جسديا أو نفسيا فالسخرية والاستهزاء من الفرد، فرض الآراء بالقوة، إسماع الكلمات البذيئة جميعها أشكال مختلفة لنفس الظاهرة.

- ذكر قاموس (Webster) أن من معاني العنف ممارسة القوة الجسدية بغرض الإضرار بالغير وتعني بمفهوم العنف هنا تعمد الإضرار بالمرأة أو الطفل، وقد يكون شكل هذا الضرر مادي من خلال ممارسة القوة الجسدية بالضرب أو معنوي من خلال تعمد الإهانة المعنوية للمرأة والطفل بالسباب أو التجريح أو الإهانة.

- هو سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر عن طرف قد يكون فرداً أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال وإخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصاديا وسياسياً مما يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى. ينظر: مقال بعنوان: ظاهرة العنف والإرهاب، الدكتور/ عبدالله رمضاني- أكاديمي مغربي، مجلة الوعي الإسلامي، مجله كويتية شهرية شاملة، العدد (٥٦٦)، أغسطس-سبتمبر ٢٠١٢م.

ثانيا: تعريف الإرهاب

أ) تعريف الإرهاب في اللغة.

تذكر المعاجم القديمة لفظة الإرهاب على أنها "مصدر لكلمة أرهب والتي تعني أخاف وأفزع يقال: (أَرْهَبَه ورَهَّبَه واستَرْهَبَه: أَخافَه وفَزَّعه، والإرهاب بالكسر؛ الإزعاج والإخافة، تقول: ويقشعر الإهاب إذا وقع منه الإرهاب، والإرهاب أيضا: قدع الإبل عن الحوض وذيادها، وقد أرهب وهو مجاز، ومن المجاز أيضا قولهم: لم أرهب بك أي لم أسترب"[1].

ولما كانت كلمة الإرهاب كلمة ذات أبعاد دلالية سياسية تتصل بالأحداث والتقلبات السياسية في العصر الحديث، فقد راعت المعاجم الحديثة هذه الدلالات الجديدة عند تعريفها لهذه الكلمة، فتذكر هذه المعاجم، "أن الإرهاب هو مصدر (أرهب) يعني الأخذ بالسف والتهديد، والإرهابي هو من يلجأ إلى العنف لإقامة سلطته، والحكم الإرهابي نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف، تعمد إلية حكومات وجماعات ثورية لتحقيق أهداف سياسية فالإرهاب إذن هوا استخدام العنف -غير القانوني- أو التهديد به لتحقيق أهداف سياسية سواء من الحكومة أو الأفراد أو الجماعات الثورية والمعارضة"[2].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ،(١/ ٤٣٦)، وتاج العروس، (٢/ ٥٤١).

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـ وآخرون (١/ ٣٧٦)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، الدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، (٢/ ٩٤٩)، وموسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٥م، (ص١٥٣).

وفي المعاجم المترجمة، ورد لفظ الإرهاب بما يفيد أنه وسيلة لنشر الذعر والتخويف باستعمال وسائل عنيفة لتحقيق أهداف سياسية[1] مشيرة في ذلك إلى استخدام العنف سواء من جانب الحكومة أو الأفراد، و(terrorize – Terrorizer) أرهب أو روع أو نشر الذعر والإرهاب، يفيد معنى استعمال القوة للتهديد والإخضاع سواء ضد الشيء أو الإنسان وإرهاب بمعنى الرعب أو الهلع، فالإرهاب هو الاستخدام المنظم للعنف والترهيب والتخويف لتحقيق هدف ما، والإرهابي (terrorist) هو الذي يقوم بهذه الأعمال والتصرفات[2].

ويتضح لنا من تم الإشارة أليه أنه جوهر الإرهاب هو الرعب، وأن الإرهاب في العصر الحديث هو استخدام العنف المنظم ضد شيء أو إنسان لتحقيق هدف ما يستتبع الذعر والرهبة في نفوس المواطنين.

ب) تعريف الإرهاب في الاصطلاح:

هو: التخويف، قال الله ﷻ:﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[3]، يعني: "تخيفون به عدو الله وعدوكم"[4].

---

(١) ينظر: المغني الأكبر، حسن سعيد الكرمي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م، (ص١٤٤٨)، وقاموس المنهل، سهيل إدريس، ط١٣، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٤م، (ص ١٠١٥).

(٢) ينظر: الإرهاب باستخدام المتفجرات، عبد الرحمن أبو بكر ياسين، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤١٢ هجري، (ص ١٠٦).

(٣) سورة الأنفال الآية: ٦٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م، (٧/ ٢٦).

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى:﴿تُرْهِبُونَ﴾، أي تخوفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، أي من الكافرين[1].

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير قول الله ﷻ:﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، يعني:"تخيفون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب"[2].

وقال الله ﷻ:﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[3]. أي: يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله.

"والقرآن الكريم لم يستعمل مصطلح (الإرهاب) بهذه الصيغة، وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من المادة اللغوية نفسها، بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفزع[4]، وبعضها الآخر يدل على الرهبنة والتعبد[5]، ومن الملحوظ أن مشتقات

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، (٢/ ٣٣٥).

(٢) تفسير القرطبي، (٨/ ٣٨).

(٣) سورة الحشر الآية: ١٣.

(٤) (يرهبون) الأعراف:١٥٤؛ (فارهبون) البقرة:٤٠، النحل:٥١؛ (ترهبون) الأنفال:٦٠؛ (استرهبوهم) الأعراف: ١١٦؛ (رهبة) الحشر: ١٣؛ (رهبا) الأنبياء: ٩٠ . ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الأندلس، بيروت، د. ت، مادة (رهب)، (ص٣٢٥) .

(٥) (الرهبان) التوبة: ٣٤؛ (رهبانا) المائدة: ٨٢؛ (رهبانهم) التوبة: ٣١؛ (رهبانية) الحديد:٢٧ .

مادة (رهب) لم ترد كثيرا في الحديث النبوي الشريف، ولعل أشهر ما ورد هو لفظ (رهبة) في حديث الدعاء: «رغبة ورهبة إليك»[1]"[2].

والإرهاب هو: أداة أو وسيلة لتحقيق أهداف سياسية، سواء كانت المواجهة داخلية بين السلطة السياسية وجماعات معارضة لها، أو كانت المواجهة خارجية بين الدول.

فالإرهاب هو: نمط من أنماط استخدام القوة في الصراع السياسي، حيث تستهدف العمليات الإرهابية القرار السياسي، وذلك بإرغام دولة أو جماعة سياسية على اتخاذ قرار أو تعديله أو تحريره، مما يؤثر في حرية القرار السياسي لدى الخصوم[3].

والإرهاب هو باختصار: "عبارة عن العمليات المادية أو المعنوية التي تحوي نوعا من القهر للآخرين، بغية تحقيق غاية معينة"[4].

وتعريف الإرهاب بحسب الاتفاقيات العربية لمكافحة الإرهاب الموقعة في القاهرة في ٢٢أبريل سنة ١٩٩٨م، هو: "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، (٩/ ١٧) .

(٢) ينظر: الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج، الإستاذ الدكتور/ حمد الهواري، (ص١٢).

(٣) ينظر: الإرهاب والعنف السياسي، أحمد جلال عز الدين، مركز الحضارة العربية للإعلام، ط١، ١٩٩٨م، (ص ١١).

(٤) الإرهاب بين الفرض والرفض في ميزان الإسلام، عبدالحي الفرماوي، دار البشير، طنطا، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، (ص ١٦).

بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض الموارد الوطنية للخطر"[1].

وأنسب تعريف للعنف أنه: "ممارسة القوة والإكراه بطريقة متعمدة وغير شرعية من قبل فرد أو أكثر من أفراد الأسرة ضد فرد أو أكثر من الأسرة ذاتها، ويكون المجني عليه واقعًا تحت سيطرة الجاني وتأثيره مما يلحق به الهلاك، أو الضرر والأذى"[2].

ونستخلص مما تقدم أن (الإرهاب) يعني التخويف والإفزاع، وأن (الإرهابي) هو الذي يحدث الخوف والفزع عند الآخرين.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) مجلة معلومات دولية، مركز المعلومات القومي - العدد ٥٧، سنة ١٩٩٨م، (ص ٢٩١)، دمشق، المادة الأولى الفقرة الثانية من الاتفاقية .

(٢) العنف الأسري، ملخص لكلمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ المفتي العام بالمملكة العربية السعودية ورئيس مجلس هيئة كبار العلماء.

المبحث الثاني

أسباب ظهور العنف في المجتمع المسلم

إن ظواهر العنف شأنها شأن غيرها من الظواهر لها أسبابها المختلفة التي ترجع إليها، فقد تكون أسباب فكرية أو عوامل نفسية أو أسباب اجتماعية أو اقتصادية، وقد تجتمع كل هذه الأسباب فيكون في هذه الظاهرة من التشابك والتعقيد بقدر ما يجتمع فيها من علل وأسباب، ولا يعني ذلك أن هذه الظواهر بلغت من الصعوبة حدا لا يجدي معه حل، وتقدم معنا أنه لما كان علاج الداء يتطلب تشخيصا سليما لنشوء وتفشي بعض المشكلات، إذ أنه لا يتحقق تشخيصا سليما إلا ببيان السبب أو الأسباب، لذا كان من الضروري البحث في الأسباب والبواعث التي تؤدي إلى ظواهر العنف بشكل مباشر، إذًا فما هي تلك البواعث والأسباب لهذه الظاهرة:

أولا: الأسباب الفكرية.

من أبرز أسباب تزايد جماعات العنف المسلح في المنطقة العربية وخارجها والتي تستند إلى مرجعية إسلامية، هو الانحراف الفكري للقائمين على هذه الجماعات وسوء فهمهم لنصوص القرآن والسنة.

أ) الغلو والتطرف: فالغلو والعنف والذي نشأت بوادره في صدر الإسلام[1] وإلى عصرنا الحاضر هو نتيجة الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه.

---

(١) ظهرت بذور الغلو وبعض صوره، في قضية ذي الخويصرة، الذي اعترض على قسمة رسول ﷺ، وقد عالجها النبي ووأدها في مهدها.

فـ"حين التأمل العميق في ظاهرة العنف نكتشف أن القراءة الدينية أو الفهم الديني، هو عامل من عوامل جنوح هؤلاء المتطرفين الغلاة إلى الأخذ بأسلوب العنف.

لذا فإن من الأسباب الأساسية لبروز ظاهرة العنف في المجال العربي الإسلامي، هو طبيعة الرؤية الدينية التي تنظر إلى الواقع والراهن برؤية تشاؤمية، سوداوية، وترفض التنوع، وتحارب الانفتاح والتقدم، وترى نفسها هي القابضة وحدها على الحق والحقيقة.

ب) الخلل في سلامة المنهج من خلال عدم فهم الكتاب والسنة والاستنباط منهما، وإلا فكم من الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام قد انحرفت عن هدايات كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ودلالاتهما، لأحد سببين أساسيين في تقديري، أولهما معاً:

الأول: عدم استقامة منهج الفهم عند الطائفة أو الجماعة.

الثاني: عدم السلامة من الهوى، أو وجود شيء من الهوى ... على درجات فيما بين تلك الفِرق وأصحابها[1].

ج) الفَهْم الخاطئ للنصوص، فبعض من وقعوا في العمل الإرهابي كان بسبب فهمهم الخاطئ لبعض النصوص الشرعية، وسماعهم لبعض المتعالمين الذين يلمون ببعض الثقافة الشرعية، فأدى الفهم المنحرف لبعض المصطلحات الشرعية، كالجهاد، والتكفير، والشهادة، والولاء والبراء، والسمع والطاعة، إلى الانسياق وراء الحماس الذي أدى بدوره إلى الوقوع في مخاطر عظيمة وجرائم كبيرة.

---

(١) ينظر: مقال بعنوان: الطريقة المنهجية لتحصيل الفقه في الدين، الدكتور/ عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، http://www.saaid.net/mktarat/alalm/٣٣.htm.

د) التوجيه الخاطئ، فحينما يتولى توجيه الناشئة بعض الأشخاص من أصحاب الأفكار المنكوس الذين يتلاعبون بعواطفهم، ويوجهونها التوجيه الخاطئ فيكون ذلك سببًا في تأثرهم بالافكار الهدامة، فيتبعونها دون وعي ولا إدراك.

هـ) افتقاد الاهتمام بالتفكير الناقد والحوار البناء من قبل المربين والمؤسسات التربوية والإعلامية:

إن الاهتمام بالعقول وإثراءها بالمفيد واستثارتها للتفكير والتحقق يتطلب التناول العلمي في النظر إلى الأمور وإعطاء أهمية للحوار الفكري مع الآخر ، ومن عيوب التربية والتعليم في المدارس أسلوب التلقين وحشو مواد الدراسة فيها يماثل ما عليه الحال في وسائل الإعلام بما يجمد الفكر ويسطحه في عديد من الدول العربية الإسلامية على وجه الخصوص أو بأفكار وبرامج تدعم الإرهاب والعنف بطرق مباشرة أو وقتية غير مباشرة[1].

و) "يؤدي عدم معرفة الكثير من الشباب بسنن الله الكونية والجهل بالتاريخ إلى الطيش والتهور وعدم التدرج في علاج الأمور، فالملاحظ على النشء أن أغلبهم يريد من الغير تنفيذ ما يؤمن به في الحال قبل أن يختبر آراءه بعرضها على الغير أو بالحوار مع الآخر، مع أن الله ﷻ ذم العجلة وكان خلقه للسموات والأرض في ستة أيام، إلا أن عدم الإدراك الواعي لحقائق الكون والحياة وسنة الله في الأرض أمور تستدعي العجلة والطيش الذي يقود إلى التهور واستخدام العنف لاسيما إن وجدت أدنى معارضة"[2].

---

(١) ينظر: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف دراسة تحليلية، إعداد، الدكتوره/ أسماء بنت عبد العزيز الحسين، أستاذ الصحة النفسية المساعد بكلية التربية للبنات بالرياض، (ص٦).

(٢) التكفير والعنف والإرهاب، منصور الرفاعي عبيد، (ص١٦٩).

ثالثا: الأسباب النفسية:

وللأسباب النفسية دور كبير في ظهور وتنامي ظواهر العنف، "ويعد الإحباط أحد أسباب الخروج على النظام وعلى العادات والتقاليد هو الإحباط وشعور الشخص بخيبة أمل في نيل حقه أو الحصول على ما يصلحه ويشفي صدره، فكثير من البلدان العربية هَمْشَت دور الجماعات عمومًا ولم تكترث بها بل عذبت وقتلت وشردت ومنعت وصول خيرها للناس مع زعمهم بحرية الرأي والتعبير، ومن هنا تظهر التحزبات السرية وردود الأفعال الغاضبة في صورة الإرهاب والعنف واعتناق الأفكار الهدامة"[1].

"وقد يكتسب الفرد الصفات النفسية من البيئة المحيطة به سواء في محيط الأسرة أو في محيط المجتمع، فكل خلل في ذلك المحيط ينعكس على سلوك وتصرفات ذلك الفرد حتى تصبح جزءًا من تكوينه وتركيبه النفسي، ومن أسباب اللجوء إلى الإرهاب عند بعض الشباب الإخفاق الحياتي، والفشل المعيشي، وقد يكون إخفاقًا في الحياة العلمية أو المسيرة الاجتماعية فيجد الشباب في الانضمام لهذه الجماعات الإرهابية، ما يظن أنه يغطي فيه إخفاقه، ويضيع فيه فشله، ويستعيد به نجاحه"[2].

---

(١) وجهة نظر في مفهوم الإرهاب والموقف منه في الإسلام، الدكتور/عبد الرحمن المطرودي، (ص٣٥). الكتاب: منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

(٢) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، صالح بن غانم السدلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ص١٨).

رابعا: الأسباب التربوية:

وهناك العديد من الأسباب التربوية التي تجعل حياة الشباب تربة مناسبة لإفراخ ظواهر العنف، فالأسرة هي المحضن الأول وهي الحصن الحصين للفرد، فيها يتعلم وفيها يتدرب وفيها يكتسب الأخلاق، فإذا نجحت فاز المجتمع، وإذا فشلت فشل المجتمع.

ومن هذه الأسباب:

١- "تهافت الآباء وراء المادة وانشغالهم بجمع الأموال وترك أولادهم بدون توجيه أو إشباع لاحتياجاتهم النفسية، ومن هنا يميل الأولاد إلى غير الأب والأم لتحقيق هذه الإشباعات، وقد يقعون تحت طائلة متطرفي الفكر الذين يعبثون بعقولهم ويلعبون في أذهانهم، وعند ذلك يحدث التباين في المفاهيم والأخذ بالمتشابه والآراء الضعيفة، فيصبح النشء فريسة سهلة لمن يجندهم لأي عمل لأن من يجندهم يشعرهم بالحنان ويشبع رغبتهم بالمال والجنس وغير ذلك، مما يسيل له لعابهم"[1].

٢- قلة القدوة الناصحة المخلصة التي تعود على الأمم بغرض النفع وإرضاءً لله تبارك وتعالى وحبًا في دينهم وأوطانهم، وغياب القدوة يؤدي للتخبط وعدم وجود المرجعية الصالحة والأسوة الحسنة من عوامل التفكك والانحطاط والتخلف.

٣- غياب التربية الحسنة والموجهة التي توجه الأفراد للأخلاق القيمة الحسنة.

٤- نقص أو انعدام التربية الحقيقية الإيمانية القائمة على مرتكزات ودعائم قوية من نصوص الوحي، واستبصار المصلحة العامة ودرء المفاسد الطارئة، وقلة إدراك عبر التاريخ ودروس الزمان وسنن الحياة في واقع الناس[2].

---

(١) التكفير والعنف والإرهاب، منصور الرفاعي عبيد، (ص١٦٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص٢١).

خامسا: الأسباب الاجتماعية:

هناك من الأسباب الاجتماعية ما يسهم كثيرا في نشوء هذه الظواهر الهدامة:

١- الإهمال الاجتماعي وضعف صلة الناس بعضهم ببعض، والقمع والاستبداد وانسداد أفق الحوار، والتعبير عن الرأي بشكل سلمي، والإقصاءات الفاشية تجاه المعارضين من أهم أسباب ظهور جماعات العنف.

٢- القهر الاجتماعي فهو "من أهم مكونات العنف، ليس للفرد فحسب بل في المجتمع أيضا فمن عدم المساواة الشخصية، والنبذ الاجتماعي، واغتصاب الحقوق، وانعدام العدالة في بعض المواقف الإدارية، والتربوية، والقانونية، كلها عناصر مولدة للعنف والعدوان"[١].

٣- الإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم إلى المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم، والفراغ الديني يعطي الفرصة للجماعات المتطرفة لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتنقونها، كما أن غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة، ومناقشة الجوانب التي تؤدي إلى التطرف في الرأي يرسخ الفكر المتطرف لدى الشباب، ومن جهة أخرى نرى أن الكثير من دعاة العنف والتطرف والتزمت يفتقدون منهجية الحوار، ويرفضون الدخول في محاورة الآخرين حول معتقداتهم وأفكارهم مما يدفعهم إلى العمل السري[٢].

---

(١) العنف في عالم متغير، الإستاذ الدكتور/ زكريا يحيى لال، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م، (١/ ٢٣). بتصرف قليل.

(٢) ينظر: الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج، محمد الهواري، بحث منشور بموقع حملة السكينة (ص١٢).

٤- التغرير بصغار السن من الشباب، والناظر في غالب الأعمال الإرهابية يجد أن من يقومون بها هم من صغار السن ممن لم تنضج عقولهم، أو يشتد عودهم، وهذا يوصل إلى التغرير بهم سريعًا، فيقعون فريسة في أيدي أصحاب الفكر المنحرف، فيؤدي ذلك إلى عواقب وخيمة في رميهم لأنفسهم إلى الهلكة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

سادسا: الأسباب الاقتصادية

إن الاقتصاد من العوامل الرئيسة في خلق الاستقرار النفسي لدى الإنسان فكلما كان دخل الفرد مثلًا مضطربًا كان رضاه واستقراره غير ثابت، بل قد يتحول هذا الاضطراب وعدم الرضا إلى كراهية تقوده إلى نقمة على المجتمع، وهذا الحال من الإحباط يولد شعورًا سلبيًا تجاه المجتمع، ومن آثاره عدم انتمائه لوطنه ونبذ الشعور بالمسئولية الوطنية ولهذا يتكون لديه شعورًا بالانتقام، وقد يستثمر هذا الشعور بعض المغرضين والمثبطين فيزينون له قدرتهم على تحسين وضعه الاقتصادي دون النظر إلى عواقب ذلك وما يترتب عليها من مفاسد وأضرار.

ولذلك يعتبر انتشار البطالة في المجتمع داء وبيلا، وأيما مجتمع تكثر فيه البطالة ويزيد فيه العاطلون، وتنضب فيه فرص العمل، تنفتح فيه أبواب الخطر من امتهان الإرهاب والجريمة والمخدرات والاعتداء والسرقة، فالبطالة من أقوى العوامل المساهمة في نبتة الإرهاب حيث ضيق العيش وصعوبته وغلاء المعيشة وعدم تحسن دخل الفرد أحد العوامل التي تؤثر في إنشاء روح التذمر والسخط التي قد تتحول إلى مواجهة صدامية تحصد في طريقها أمن المجتمع وسلامه[1].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص٢١)، بتصرف.

فإذا كانت هذه هي بعض الأسباب التي نتجت عنها ظاهرة العنف، فلا شك أن معالجة تلك المشكلة لا يكون إلا بمعالجة تلك الأسباب وتمحيصها بدقة؛ ومهما تعددت الأسباب وتوفرت الدوافع فإن العنف جريمة لا مبرر لها تحت أي وطئه أو ظرف من الظروف.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

ترسيخ خلق المراقبة

المراقبة لغة: الأصل اللغوي للكلمة من مادة (رقب) فـ"الراءُ والقافُ والباءُ أصل واحد مطردٌ، يدُلُّ على انتصابٍ لمُرَاعاة شَيْءٍ"(١).

والمراقبة مصدر مأخوذ من الفعل (راقب) يراقب مراقبة، وتدل على الانتصاب لمراعاة الشيء.

والرقيب: الحافظ؛ وراقب الله في أمره: أي خافه(٢).

والمراقبة في الاصطلاح: هي "دوام علم القلب بعلم الله تعالى في السكون والحركة، علمًا لازمًا مقترنا بصفاء اليقين"(٣).

وقيل هي: "دوام علم العبد، وتيقّنه باطلاع الحق تبارك وتعالى على ظاهره وباطنه"(٤).

و"المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه، وهي حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب، أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب وملاحظته إياه.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢/ ٤٢٧).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: رقب، (٥/ ٢٧٩-٢٨٠)، ومقاييس اللغة، مادة: رقب، (٢/ ٤٧).

(٣) الوصايا، الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦ه، ١٩٨٦م، (ص٣١٣).

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم، (٢/ ٦٧).

وأما المعرفة فهي العلم بأن الله مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف"[1].

ولقد اهتم المنهج النبوي بترسيخ خلق المراقبة في علاج سائر الانحرافات السلوكية، وفي صيانة قلب الإنسان ولسانه ويده عن العدوان على الغير، وقد جاء ذلك في كثير من الآيات والأحاديث، التي جاءت لتبين وجوب إلتزام المراقبة وبيان منزلتها ومن ذلك:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[2].

وقال ﷻ:﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨ ﴾[3].

وقال ﷻ: ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠ ﴾[4].

وقال ﷻ: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾[1].

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (ص ٣٠٧).

(٢) سورة آل عمران الآية: ٥.

(٣) سورة التوبة الآية: ٧٨.

(٤) سورة الزخرف الآية: ٨٠.

(١) سورة النساء الآية: ١٠٨.

وقال ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[1].

فالآيات الكريمات تنبه العبد على أن الله يعلم ما في نفسه، ومن باب أولى ما هو خارج عنها مما يتلبس به الإنسان، وأنه يحاسب على ما في النفس من نيات ذميمة وإرادات باطلة تخالف أوامر الله ونواهيه، ولذلك يجب على العبد أن يراقب ما يضمره في نفسه من سوء، وما يعقد العزم عليه من باطل، تأكدا منه بأن الله سيحاسبه على باطله هذا، فإذا استصحب العبد مراقبة الله وخشي عقابه كان حريا به ألا يهتك الحرمات ولا يواجه الناس بالتعنيف والإرهاب.

وقد جاء الاهتمام في الهدي النبوي بترسيخ خلق المراقبة كحل سليم وعلاج ناجع، لمشكلة العنف والإرهاب، على نحو مايلي:

أولا: من جانب التعزيز:

ففي حديث جبريل الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإحسان فقال: «**أَن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَه يراك**».

قال ابن القيم -رحمه الله-: فإن الإحسان إذا باشر القلب منعه من المعاصي، فإن من عبد الله كأنه يراه لم يكن ذلك إلا لاستيلاء ذِكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنه يشاهده، وذلك يحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلاً عن مواقعتها [2].

ثانيا: من جانب التحذير: حذر النبي ﷺ من ارتكاب المحرمات في الخلوات:

عن ثوبان[1] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله -عز وجل- هباءً منثورا**»؛ قال ثوبان: يا

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٣٥.

(٢) الجواب الكافي، ابن القيم، (ص٧٠).

رسول الله صفهم لنا، جلِّهم لنا ألاّ نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»[٢].

ثالثا: من جانب الأمر: الأمر بتقوى الله في الخلوات:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال، قال لي رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»[٣].

فمراده في قوله اتق الله حيثما كنت أي في السر والعلانية حيث يرونه الناس وحيث لا يرونه.

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "فقلوب الجهال تستشعر البعد؛ ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط"[١].

---

(١) هو: ثوبان بن بجدد مولى رسول الله ﷺ، أصابه سباء، فاشتراه رسول الله فأعتقه، وقال له: «إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم، وإن شئت أن تكون منا أهل البيت» ، فثبت على ولاء رسول الله ﷺ، ولم يزل معه سفرا وحضرا إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فخرج إلى الشام فنزل إلى «الرملة» وابتنى بها دارا، وابتنى ب «مصر» دارا، وب «حمص» دارا، وتوفي بها سنة ٥٤هـ. ينظر ترجمته في: أسد الغابة، (١/ ٢٩٦) ، والإصابة، (١/ ٢١٢) ، والاستيعاب، (١/ ٢١٨).

(٢) رواه ابن ماجة، في "سننه" برقم (٤٢٤٥) قال في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٢٨) .

(٣) أخرجه الترمذي في "سننه" كتاب: البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، برقم (١٩٨٧)، وقال الألباني: حسن، (٤/ ٣٥٥). ورواه الإمام أحمد في "مسنده" (٥/ ١٥٣)، برقم (٢١٣٩٢). والحاكم في المستدرك، (١/ ١٢١)، برقم (١٧٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى.

رابعا: من جانب التحفيز: فرتب الأجر العظيم على مراقبة العبد لربه:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله ﷻ في ظله يوم لا ظل إلا ظله، .... ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**»(٢).

"فهذا رجل يخشى الله في سره، ويراقبه في خلوته، وخشية الله في السر- إنما تصدر عن قوة إيمان ومجاهدة للنفس والهوى، فإن الهوى يدعو في الخلوة إلى المعاصي، ولهذا قيل: إن من أعز الأشياء الورع في الخلوة؛ وذكر الله يشمل ذكر عظمته وبطشه وانتقامه وعقابه؛ والبكاء الناشئ عن هذا هو بكاء الخوف، ويشمل ذكر جماله وكماله وبره ولطفه وكرامته لأوليائه بأنواع البر والألطاف، لاسيما برؤيته في الجنة، والبكاء الناشئ عن هذا هو بكاء الشوق"(٣).

وحقا إن المراقبة وترسيخها أصل كل خير، "لأنها تستلزم رؤية الله في كل حال حتى يكون الإنسان مراقبا لله في طاعته بالعمل الصالح، ومراقبا له في معصيته بالترك

---

(١) صيد الخاطر، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (ص٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري، في "صحيحه" كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة باليمين، (٢/ ١٣٨)، برقم (١٤٢٣).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، (٥/ ٢٩).بتصرف.

والتوبة والإقلاع عن العمل الردى، ومراقبا لله في الهم والخواطر بتطهيرها عن رجس الظن وسوء النية"[1].

وفي هذا المقام يحسن ذكر بعض الأسباب الداعية إلى مراقبة الله تعالى:

١ - أن المسلم لابد أن يعي علم الله -تبارك وتعالى-، وأنه ﷻ مطلع على سمعه وفؤاده وبصره، فيخشى الله في كل تصرفاته وحركاته وسلوكه وهواجسه على دوام الأوقات، ويوقن تماما أن الله -تبارك وتعالى- مطلع على ما يخفي وما يعلن، قال الله ﷻ: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[3].

فالنفس البشرية التي توقن بأن الله -تبارك وتعالى- مطلع عليها، عالم بأسرارها، رقيب على أعمالها، تقوم بمراقبة نفسها ذاتيا، وتقارن بين ما تنوى القيام به وما يجب القيام به في ضوء ما شرعه الله ﷻ.

فإذا ما تأكد المسلم واطمأن إلى شرعية ذلك، فبذلك ينضبط أمره تحت حكم هذه الشريعة الكاملة، وتكون حياته ومماته كلها لله رب العالمين، قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

---

(١) ينظر: رسالة المسترشدين، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، تحقيق المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، ط٢، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، (ص١٨١).

(٢) سورة غافر الآية: ١٩.

(٣) سورة العلق الآية: ١٤.

(٤) سورة الأنعام الآية: ١٦٢.

وبذلك تتحقق الرقابة الذاتية التي تمنع الفرد المسلم من الوقوع فيما يغضب الله سبحانه، متحكما في نفسه الأمارة بالسوء، ومسيطرا على هواه، مدركًا قول الله ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[1].

٢- تعظيم لله -تبارك وتعالى- ومعرفة قدرته المطلقة، فمن امتلأ قلبه من عظمة الله -تبارك وتعالى- واستصحب ذلك لم يعص الله إذا خلا.

قال المروزي -رحمه الله-: "إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله، والهيبة له، فغلب على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم، ونظره بعظمته إلى ما في قلبه وجوارحه ... فاستحى الله أن يطلع على قلبه وهو معتقد لشيء مما يكره، أو على جارحة من جوارحه، تتحرك بما يكره، فطهّر قلبه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه"[2].

٣- تذكر علم الله المطلق، وأنه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين، كما أخبر ﷻ عن نفسه فقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[4].

فمن عَلِمَ أن الله ﷻ يراه حيث كان، وأنه مطلع على باطنه وظاهره وسرّه وعلانيته، واستحضر ذلك في خلواته، أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٣٥.

(٢) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق: الدكتور/ عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ، (٢/ ٨٢٦).

(٣) سورة الشعراء الآيات: من ٢١٧ - ٢٢٠.

(٤) سورة آل عمران الآية: ٥.

قيل للجنيد[1] -رحمه الله-: "بم يستعان على غض البصر، قال: بعلمك أن الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه"[2].

وقال حاتم الأصم[3] -رحمه الله-: "تعاهد نفسك في ثلاث، إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك"[4].

٤- اليقين الكامل بأن الله -تبارك وتعالى- يحصي على العبد كل ما يقع منه وسيجازيه عليه يوم القيامة، قال ﷻ:﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ

---

(١) هو: أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، ومولده ومنشؤه ببغداد، وهو من أئمة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة، صحب جماعة من المشايخ، وأشتهر بصحبة خاله سري السقطي، والحارث المحاسبي. ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته وهو ابن عشرين سنة. توفي يوم السبت سنة ٢٩٧ هـ. ينظر: طبقات الصوفية، تأليف: أبو عبد الرحمن السلمي، دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٣م. (ص١٢٩-١٣٥).

(٢) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٧هـ، (ص٤٦).

(٣) هو: أبو عبد الرحمن حاتم الأصم بن عنوان بن يوسف، البلخي الواعظ الزاهد القدوة الرباني، الناطق بالحكمة، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم، كان يقال له: لقمان هذه الأمة، توُفِّي رحمه الله -تعالى- برباط رأس سروند سنة ٢٣٧ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١١/ ٤٨٤)، ووفيات الأعيان، (٢/ ٢٦ – ٢٩).

(٤) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، (١١/ ٤٨٦).

وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾[1].

٥- التعبد لله بأسمائه التي تبين مراقبة الله للعبد من مثل الرقيب والحفيظ والسميع والعليم والبصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت المراقبة.

٦- المواظبة على الطاعات وكثرة الأعمال الصالحة من فرائض ونوافل، لأنها تقربك إلى الله وتقوي إيمانك، مما يبعث فيك الازدياد من طاعته وترك معصيته.

وحقا إن المراقبة وترسيخها أصل كل خير، "لأنها تستلزم رؤية الله في كل حال حتى يكون الإنسان مراقبا لله في طاعته بالعمل الصالح، ومراقبا له في معصيته بالترك والتوبة والإقلاع عن العمل الردي، ومراقبا لله في الهم والخواطر بتطهيرها عن رجس الظن وسوء النية"[2].

وبهذا يكون ترسيخ خلق المراقبة عاملا حاسما من عوامل علاج المشكلات الاجتماعية الناشئة عن الاعتداء على الغير وعلى رأسها مشكلتي العنف والإرهاب.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) سورة الكهف الآية: ٤٩.

(٢) رسالة المسترشدين، أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية -حلب- سوريا، ط٢، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، (ص١٨١).

المبحث الرابع

نشر القيم الرفيعة في المجتمع

يعتمد المنهج النبوي في إصلاحه العام على ترسيخ القيم الخُلُقِيَة النبيلة في النفس الإنسانية حتى يعم خيرها وأثرها المجتمع بأسره فتكون سببا في صلاحه وصيانته عن الانحرافات الخُلُقِيَة والسلوكية، فهو يكرس جهودا ضخمة لتغلغل قيم الدين في أعماق النفس وفي غرس تعاليمه في جوهرها.

والقِيَم في اللغة: جمع قيمة[1].

وأصلها من الفعل (قوم)، يُقال: (قومتُ الشيء) تقويمًا، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك[2].

وهي مأخوذة من الاستقامة، يقال: أقمت الشيء وقومته فقام أي استقام؛ ومنه قول الله ﷻ: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[3]، أي: مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان[4].

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (٤/ ١٦٨).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، سنة ١٣٩٢هـ، (٥/ ٤٣).

(٣) سورة البينة الآية: ٣.

(٤) ضوابط قيم السلوك مع الله عند ابن قيم الجوزية، مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد السادس والثمانون، الإصدار: من ذي القعدة إلى صفر، لسنة ١٤٣٠ هـ.

والقِيَم في الاصطلاح: عُرِفَت بتعريفات عدة[1]، من أبرزها: أنها حكم يصدره الإنسان على شيء ما، مهتديًا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، محددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك[2].

وعُرِفَت أيضًا بأنها: "مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة"[3].

فالقيمة وفق المفهوم الإسلامي: هي محددات سلوكية وخلقية ومعايير وضوابط اجتماعية مستمدة من الشريعة الإسلامية يستطيع الفرد من خلالها التفاعل مع نفسه والآخرين، أو مع الإنسان والكون والحياة في كل زمان ومكان، وهذه المحددات تؤهله لاختيار كل أهدافه وتوجهاته وسلوكياته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة [4].

ومن هنا كان الإصلاح النفسي ومن خلال نشر القيم الرفيعة هو الدعامة الأولى لتغليب الخير في هذه الحياة الاجتماعية، وعلاج المشكلات التي تعرض للمجتمعات البشرية.

---

(١) راجع موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، محمد أحمد سيد وآخرين، دار الوسيلة- جدة، ط١، ١٤١٨هـ، (١/ ٨٠).

(٢) علم النفس الاجتماعي، للدكتور حامد زهران، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧م، (ص١٣٢).

(٣) ينظر: المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، محمد خياط، وقد عزا التعريف لجابر قميحة، (ص٣٣).

(٤) مفهوم القيم الخلقية في الإسلام، الدكتور/ محمد أحمد المبيض، تم النشر قبل ٢٠١٢م. http://rasaelnoor.blogspot.com/2012/05/blog-post_292.html.

وبالنظر إلى ظواهر العنف والإرهاب نجد أنها لا تخرج كثيرا عن القاعدة السابقة فإن لاختلال النفس وعدم رسوخ القيم النبيلة في تربتها أثراً كبيرا في انتشار هذه الظواهر، فالعنف والإرهاب في أبسط معانيها هي القسوة وانعدام الرفق وتجاوز مقتضيات العفو والإحسان، بل هي كل هذه المعاني مترجمة في اتجاهات عملية، ولذلك يعتبر أفضل علاج لهذه الظواهر هو علاج أصلها واجتثاث أصل الداء من مكمنه عن طريق إزالة الخلل النفسي الذي يعوق الفطرة عن اقتفاء طريقها أو يعميها عن السير فيه.

وقد كان المنهج النبوي في علاجه لهذه المشكلات الاجتماعية زاخرا بالعديد من التوجيهات الخلقية النبيلة والقيم الرفيعة التي تفيد في هذا المضمار:

أولا: نشر قيمة العفو والرحمة والتسامح.

١- يعد العفو من التوجيهات الخُلُقِية الرفيعة التي ندب إليها الهدي النبوي في منهجه تجاه المدعويين، إن معنى العفو أن يستحق الإنسان حقا فيسقطه ويبرأ عنه من قصاص أو غرامة[١]، ولقد أوصى الله نبيه بالعفو فقال ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[٢]، وقال للناس أجمعين: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٢٣٧﴾ ﴾[٣].

وفيما روي عن عقبة بن عامر، قال: لقيت رسول الله ﷺ فقال لي: «**يا عقبة بن عامر، صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك**»[٤].

---

(١) ينظر: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، القاسمي، (ص٢١٢).

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٩٩.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٣٧.

(٤) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٢٨/ ٦٥٤)، برقم (١٧٤٥٢). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، وابن عياش: هو إسماعيل، وهو صدوق في روايته عن الشاميين كما هو الحال في روايتنا =

وتظهر فائدة ترسيخ قيمة العفو وثمرته في التصدي لظواهر العنف والإرهاب، في أن العفو من أخلاق المحسنين ذوي القلوب الكبيرة التي لا مكان فيها لنزعات الانتقام ونزغات التشفي.

٢- وثانيها قيمة الرحمة مع المخطئين، وهي من أعظم القيم التي يجب أن ينشأ المجتمع المسلم في ظلِّها؛ لأنها تخلُقُ نوعًا من التعامل الرحيم البعيد كل البُعد عن العنف والإرهاب، فعن أنس بن مالك أنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله إذ جاء أعرابيٌّ فقام يَبُولُ في المسجد، فقال له أصحاب رسول الله: مَهْ مَهْ[1]، قال: قال رسول الله «**لا تزرموه، دعوه**»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر؛ إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن**»، ثم أمر رجلا من القوم فجاءوا بدلو من ماء فشنه عليه[2].

فرسول الله هنا يحلُّ الموقف برفق تامٍّ، إذ منع فيه الصحابة من العنف مع المخطئ، وعَلَّمه درسًا هادئًا رقيقًا دون تخويف ولا ترهيب.

هذه، وباقي رجال الإسناد ثقات. وكذا صححه الألباني. ينظر: السلسلة الصحيحة، للألباني، (٢/ ٤٦٥)، برقم (٨٩١).

(١) مَهْ مَهْ: كلمة للزجر، انظر: النووي: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ١٩٣)، وابن منظور: لسان العرب، مادة: مه مه، (١٣/ ٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه، كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد، (١/ ٦٥)، برقم (٢٢٠)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول..، (١/ ١٦٣)، برقم (٦٨٧)، واللفظ له.

والإنسان الذي يعفو ويتسامح يملك من سعة الخلق ونبل الطبع ما يجعله يتخلى عن استيفاء حقه المشروع من الغير، فكيف يكون حاله وموقفه من الذي لم يؤذه ولم يتعرض له؟، ولذلك فإن نشر قيمة العفو بين الناس ترسخ بينهم التسامح وتجتث جراثيم الحقد التي أصل النوازع العدوانية والانتقامية.

ثانيا: كظم الغيظ والرفق.

ومن الأخلاق النبيلة التي تكف من التوترات الاجتماعية وتخفف من حدة الخلافات البشرية يأتي كظم الغيظ، قال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[1].

فكثير من الصراعات وأعمال العنف والإرهاب يكون منشؤها الغضب، فإزاء موقف أو رأي أو فعل يصدر من شخص ولا يتوافق مع آخر يكون هناك موقف معين إيجابا أو سلبا، ويعنينا في هذه الحالة الموقف السلبي الذي يتلخص في المعارضة، وتكمن خطورة هذه المعارضة في أنها إذا لم تعتصم بالعقل والموضوعية فإن سائر الدوافع تكون دوافع غضبية منسلخة عن العقل والمنطق، وفي هذه الحالة يدفع الطيش والتهور صاحبه إلى ارتكاب العنف مع المخالف قولا أو فعلا وقد يصل الحال إلى حد الإرهاب.

---

(١) سورة آل عمران الآيات: ١٣٣ ، ١٣٤.

وقد وردت توجيهات كثيرة في السنة النبوية لتؤكد على فضيلة كظم الغيظ فمن ذلك ما ورد عن أَبي هريرة ﷺ، أَن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»(١).

فلقد أشار الحديث إلى معنى مهم وفاعل في توجيه السلوك الإنساني، وهو خلاف ما يعتقده كثير من الذين يقدمون على أعمال العنف والإرهاب في سبيل رد الاعتبار أو الانتقام، فهم يعتقدون أنهم بأعمال العنف وقهر الغير يثبتون لمن يوجهون إليه هذه الأعمال أنهم أشداء أقوياء، فيأتي هذا التوجيه النبوي ليصحح هذا الفهم المغلوط، ويقرر أن الإنسان القوي ليس هو الذي يصرع غيره ويغلبه في حلبة المصارعة، بل هو الذي يصرع الدواخل الشيطانية في نفسه ويقهر مظاهر الغضب في ذاته، ليفسح المجال لتفكير هادئ يمكنه من علاج مشكلته علاجا موضوعيا لا عدوان فيه على الغير ولا قهر له، وقد يؤديه تساميه إلى العفو والصفح كما تقدم.

وعن نشر روح الرفق والعدل بين أبنائه، دون تفرقة بينهم بسبب الجنس أو الدين أو العرق؛ يقول الله ﷻ : «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأدب باب: الحذر من الغضب، (٨/ ٢٨) برقم (٦١١٤). ومسلم في "صحيحه"كتاب: البر والصلة والآداب باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب (٤/ ٢٠١٤)، برقم (٢٦٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، برقم (٢٥٩٣)، من حديث عائشة ﵂.

وقد تمثل هذا الجانب من الرفق بشخص النبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّام[1] عليكم، فقالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السَّام واللَّعنة، فقال رسول الله: «**مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»، فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟! قال رسول الله : «**قد قلت: وعليكم**»[2].

ثالثا: نشر قيمة السلم.

يرسخ المنهج النبوي قيمة السلم حفظا لنظام التعايش بين الناس في الأرض، والإسلام نفسه رسالة رحمة للعالمين ولا يتم التواصل والتفاعل الإيجابي مع هذه الرسالة إلا بانتفاء عوامل التوتر والإكراه والعنف والإرهاب، وسائر الظواهر التي تفتن الإنسان وتصرفه عن سماع الخطاب الرباني وسيادة الأمن والوئام، لذلك فقد ألفينا القرآن يرسي قواعد السلام والأمن بين الناس جميعا، ويلزم بالدخول ابتداء في السلم فيقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[3]،[4]، على قول من فسر (السلم) بما يدل على هذا المعنى، فقال قتادة: "السلم، أي: الموادَعَةُ"[5].

---

(١) السامُ: المَوْتُ، انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة سوم (١٢/ ٣١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه"، كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، برقم (٥٦٧٨)، وباب: لم يكن النبي فاحشا ولا متفحِّشا، برقم (٥٦٨٣).

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٠٨.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (١/ ٥٦٥)

(٥) المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني، محماد محمد رفيع مقالة بمجلة إسلامية المعرفة العدد ٦٦/ ٢٠١١ م، (١٣٩).

ويبين المولى تعالى في معرض الامتنان على من اتبع رضوانه أن مكافأته على ذلك هي الاهتداء إلى سبل السلام:﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

والسلام نفسه يتضاد مع العنف والإرهاب فهو وسيلة وغاية في نفس الوقت، وسيلة من حيث أنه يدفع عن المجتمع أخطار العنف والإرهاب عندما يحل في النفوس محل الحقد والغضب والانتقام والتشفي، وهو غاية لأنه الجزاء الحسن الذي وعد الله به من يتبع رضوانه ولا شك أن من رضوان الله الابتعاد عن إيذاء الخلق بالترويع وتعنيفهم وإرهابهم.

وحتى يكون السلم منهجا عاما للحياة البشرية وفقا للمنهج النبوي يأمر نبيه عليه الصلاة والسلام بمسالمة الأعداء إذا جنحوا للسلم وانتهوا عن الاعتداء:﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾[2].

ويقرر النبي ﷺ أن شرط الإسلام هو انتهاج السلم في الحياة الاجتماعية والابتعاد عن العنف والشدة والاعتداء على مقدرات الغير، فيروي فيما جاء عن عبد الله بن عمرو، -رضي الله عنهما- يقول: قال النبي ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[3].

---

(١) سورة المائدة الآية: ١٦.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٦١.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الرقاق باب: الانتهاء عن المعاصي (٨/ ١٠٢) برقم (٦٤٨٤)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: الإيمان باب: بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، (١/ ٦٥)، برقم (٤١).

رابعا: نشر قيمة الوسطية والاعتدال، وعدم الغلوِّ في الدين.

فقد اهتم النبي ﷺ بهذا الجانب لإبعاد الناس عن التشدد والغلو الذي هو باب واسع يقود إلى ارتكاب العنف والإرهاب، فقال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**[1]»[2].

والغلوُّ في الدين أيضا هو باب يقود إلى السعي إلى إلزام المخالفِ رأيه بالقوَّة.

خامسا: النهي عن العنف مع النساء ومع الخدم.

لم يكتف النبي ﷺ بنشر القيم المجتمعيَّة الراقية والرفيعة فقط لحلِّ مشكلة العنف والإرهاب؛ بل يؤكِّد على مجموعة من الأوامر والنواهي تسدُّ باب العنف في المجتمع، وتُشِيع رُوح المودَّة والرحمة، فها هو ينهى أُمَّته عن العنف مع النساء، عن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تضربوا إماء الله**»، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ذئرن[3] النساء على أزواجهن! فرخص في ضربهن؛ فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير، يشكون أزواجهن! فقال النبي ﷺ:«**لقد طاف بآل محمد نساء كثير، يشكون أزواجهن؛ ليس أولئك بخياركم**»[4].

---

(١) الغدوة: سير أوَّل النهار، والروحة: السير بعد الزوال، والدلجة: سير آخر الليل، انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، (١/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري، في "صحيحه" كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، (١/ ١٦) برقم (٣٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أي: نَشزن ونَفرن وتغير خُلقهن واجْتَرأن عليهم. لسان العرب، مادة: ذئر، (٤/ ٣٠١).

(٤) رواه أبو داود في "سننه" كتاب: النكاح، باب: في ضرب النساء، (١/ ٤٩٥)، برقم (٢١٤٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، (١٨٧٩)، وابن ماجه في "سننه": كتاب النكاح، باب ضرب =

ونهى ﷺ كذلك عن العنف مع الخدم؛ فقد روى أبي مسعود الأنصاري قال: كنت أضرب غلاماً لي، فسمعت من خلفي صوتاً: «**اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه**»، فالتفت فإذا هو رسول الله فقلت يا رسول الله: هو حر لوجه الله، فقال: «**أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمسّتك النار**»[1].

وهكذا فإن المنهج النبوي قد عمل على جانبي الوقاية والعلاج لتلك المشكلات الاجتماعية المتمثلة في صفتي العنف والإرهاب؛ فعمل على الجانب الوقائي من خلال ترسيخه لخلق كظم الغيظ، وعدم الغضب مما يخفف كثيرا من حدة الاستثارة الداخلية للإنسان؛ فلا يظهر ذلك على صورة ردود أفعال عنيفة إرهابية.

أما على جانب العلاج فقد جعل المنهج النبوي العفو والدعوة إلى المسالمة والمسامحة حلًا لهذه المشكلة من خلال الإنسان من حالته الانفعالية الثورية؛ فيكف عن عنفه وتخويفه.

وكما تم تقريره من قبل فإننا لا نستطيع أن نذكر كل القيم النبيلة التي جاء بها المنهج النبوي، والتي تعصم المجتمع من آفات العنف والإرهاب بل من سائر الانحرافات الاجتماعية، إذا أحسن نشرها وترسيخها في المجتمع، ولعل فيما ذكرناه إشارة واضحة ودليلا قويا على أثر هذه القيم وفاعليتها في علاج المشكلات المذكورة.

❁ ❁ ❁ ❁

النساء، برقم، (١٩٨٥)، والحاكم في المستدرك، (٢/ ١٨٨)، برقم (٢٧٦٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: الأيمان، باب: صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، (٥/ ٩٢)، برقم (٤٣٩٨).

المبحث الخامس

النهي عن الترويع

من أقوى أساليب المنهج النبوي في اجتثاث وعلاج مشكلات العنف والإرهاب النهي عن الترويع بكل أشكاله حتى ولو على سبيل المزاح والدعابة لما يتضمنه من إيذاء للغير وإغاظة له.

والترويع في اللغة: مصدر من روع أو من راع، قال الجوهري: "رعت فلانا وروعته فارتاع، أي أفزعته ففزع؛ وتروع، أي: تفزع.

وقولهم: لا ترع، أي لا تخف ولا يلحقك خوف"[1].

ومنه قولهم: "أفزعَ رَوْعُهُ أي: ذهب فَزعُه وسكَن"[2].

والترويع في الاصطلاح: لا يخرج عن معناه اللغوي؛ فهو بمعنى التخويف والترهيب.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾[3]، أي: أنه لما ذهب عنه (الروع) وهو ما أوجس من الملائكة (خيفة)[4].

فالترويع هو ما يتضمن تفزيع الغير وإخافته، وقد جاء عالج المنهج النبوي هذه المشكلة عن طريق أسلوب النهي والزجر عن ترويع الغير لمقاصد عظيمة:

---

(١) الصحاح، للجوهري مرجع سبق ذكره، (٣/ ١٢٢٣).

(٢) الصحاح للجوهري (٤/ ٣٥٨)، ومختار الصحاح، الرازي، (١/ ٢٦٧).

(٣) سورة هود الآية: ٧٤.

(٤) تفسير ابن كثير، (٢/ ٥٥٠).

منها: أن الترويع اعتداء على سلم المرء وأمنه النفسي، وتكدير لسلامة عقله وصفاء بصيرته، ولذلك قد يكون الترويع مقدمة لشر كبير إذا ما اغتاظ المروَّع على سبيل المزاح فرد على إغاظة المروِّع بالاعتداء عليه انتقاما لنفسه، فتحدث مشكلة كبيرة.

ومنها: أن الترويع إذا كان على سبيل الجد بهدف السرقة بالإكراه أو غيره ففيه تفش للجريمة في المجتمع، وهنا لا بد من عقاب رادع لهذه الجريمة مثلما هو الحال مع جريمة القتل.

وعلى كل حال فقد وقف المنهج النبوي مع ظاهرة الترويع وقفة جادة، حيث ورد تحريم الترويع بكل أشكاله، جدًا أو هزلًا.

فقد ورد في القرآن الكريم تحريم الترويع الذي يقصد به قطع الطريق والسرقة وسمى صاحبه بالمُحارِب؛ فقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾[1].

وقد تضمن هذا النص ذكر العقوبة لأن تعظيم العقاب الأخروي والزجر عن المعصية لا ينفع المجتمع في حالة وقوع الجريمة، فالتهاون مع الجريمة الاجتماعية وتأجيل عقوبتها إلى يوم الحساب يجعل المجرم يتمادى في جريمته التي لن يعاقب عليها في الدنيا، ويشجع غيره ممن تتشابه نوازعهم مع نوازعه على تقليده، وفي ذلك هدم لسِلْم المجتمع وضياع لمصالح الأمة؛ ولذلك وردت العقوبة الدنيوية مع العقوبة الأخروية، بل قدمت عليها في الآية القرآنية تنبيها على عظم الجريمة وضرورة العقوبة الناجزة، ومن هنا يظهر

(١) سورة المائدة الآية: ٣٣.

سمو التشريع الرباني والمنهج النبوي في معالجة آفات النفس البشرية وأدرانها، ويعلم كيف يستل منها الداء بحكمة ربانية بالغة.

ويأتي المنهج النبوي بعد ذلك ليؤكد على خطورة ترويع الآمنين، وتخويف المطمئنين، ويربط النبي ﷺ بين ذلك وبين الانتساب إلى منهج أهل الإسلام وطريقتهم، فمن ذلك:

- ما جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رمانا بالليل فليس منا**»[1]، أي: من رمى إلى جهتنا بالسهام ليلا فليس منا، لأنه حاربنا ومحاربة أهل الإيمان آية الكفران، أو ليس على منهاجنا لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاتل دونه، لا أن يرعبه، وسبب ورود الحديث أن قوما من المنافقين كانوا يرمون بيوت بعض المؤمنين، إلا أن هذا التهديد قد ورد عاما فهو يشمل كل من فعله من المسلمين بأحد منهم لعداوة واحتقار ومزاح[2].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (١٤/ ٢١)، برقم (٨٢٧٠)، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث حسن، وفي هذا الإسناد ضعف من جهة يحيى بن أبي سليمان، فهو لين الحديث كما قال الحافظ في "التقريب"، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) ينظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم، محمد أشرف بن أمير الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥ هـ، (١٣/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، (٤/ ٢٠٢٠)، برقم (٢٦١٦).

ففي هذا الحديث تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه.

فقوله ﷺ: «وإن كان أخاه لأبيه وأمه» مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد، سواء من يتهم فيه، ومن لا يتهم، وسواء كان هذا هزلا ولعبا، أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال، ولأنه قد يسبقه السلاح كما صرح به في الرواية الأخرى، ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام(١).

فالحاصل أن ترويع المسلم بأي وجه حرام، بدليل قول النبي ﷺ وقد ذكر فيه السبب فقال: «**فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار**»(٢)؛ ومعنى (ينزع في يده) أي يدفع يده ويحقق ضربته(٣).

- عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال ﷺ: «**لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من حفر النار**»(٤).

وقد بيَّن السبب في ذلك النهي، وهو أن إشارته تلك ومزاحه على أخيه بتلك الآلة قد يتحوّل إلى أمر حقيقي، فيحدث القتل أو الجرح وهو لا يقصده.

---

(١) شرح النووي على مسلم، النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، (٨/ ٤٤٨) برقم (٤٧٤١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الفتن باب: قول النبي : «من حمل علينا السلاح فليس منا»، (٩/ ٤٩) برقم (٧٠٧٢)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: البر والصلة والآداب باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، (٤/ ٢٠٢٠)، برقم (٢٦١٧).

(٣) ينظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، تحقيق يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، (٨/ ٤٦).

(٤) شرح النووي على مسلم، النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، (٨/ ٤٤٨)، برقم (٤٧٤١).

▪ كما أمر بأخذ الحيطة والحذر والحرص على البعد عن الأسباب المؤدية إلى إيذاء المسلمين وإلحاق الضرر بهم، فعن أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مر أحدكم في مجلس أو سوق وبيده نبل فليأخذ بنصالها، ثم ليأخذ بنصالها، ثم ليأخذ بنصالها؛ أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء**»[1]؛ وهذا تأكيد منه على الاحتياط في هذا الأمر، والحفاظ على نفس المؤمن، والابتعاد عن إيذائه بأي شيء.

▪ وعن عبد الله بن السائب بن يزيد، عن أبيه، عن جده، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا، ولا جادا**» وقال سليمان: «لعبا ولا جدا» ومن أخذ عصا أخيه فليردها "[2].

ووجه النهي عن الأخذ جدًا ظاهر لأنه سرقة، وأما النهي عن الأخذ لعبا فلأنه لا فائدة فيه بل قد يكون سببا لإدخال الغيظ والأذى على صاحب المتاع وهو لا يجوز[3].

قال الخطابي: "معناه أن يأخذه على وجه الهزل وسبيل المزح ثم يحبسه عنه ولا يرده فيصير ذلك جدًا"[4].

---

(١) أخرجه البخاري في الفتح، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا، (١٣/ ٢٥)، برقم (٦٦٦٤)؛ ومسلم في البر والصلة والآداب باب أمر من مر بسلاح في مسجد أوسوق ...، (٤/ ٢٠١٩)، برقم (٢٦١٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ: من حمل علينا السلاح فليس منا، (١٣/ ٢٩)، برقم (٧٠٧٢)، ومسلم، في كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح، (٤/ ٢٠٢٠)، برقم (٢٦١٧).

(٣) ينظر: عون المعبود، مرجع سبق ذكره، (١٣/ ٢٣٦).

(٤) معالم السنن، الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ، ١٩٣٢م، (٤/ ١٣٦).

▪ وعن أبي بكرة[1] ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى على قوم يتعاطون سيفا مسلولا فقال: «**لعن الله من فعل هذا، أوَليس قد نهيت عن هذا؟!**»، ثم قال: «**إذا سلَّ أحدكم سيفه فنظر إليه فأراد أن يناوله أخاه فليغمده، ثم يناوله إياه**»[2].

وفي حديث جابر بن عبدالله ﷺ قال: نَهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولا[3]. وهذا كله من باب الاحتياط حتى لا يؤدي ذلك إلى إصابة أحد بعضو من أعضائه وجرحه وإلحاق الضرر به.

---

(١) هو: أبو بكرة نفيع بن الحارث، وقيل: ابن مسروح بن كلدة، وقيل: بل كان عبدا للحارث بن كلدة الثقفي فاستلحقه وغلبت عليه كنيته، وأمه سمية أمة للحارث بن كلدة، ويقال: إن أبا بكرة تدلى يوم الطائف ببكرة وأسلم، فكناه النبي ﷺ بأبي بكرة، فأعتقه فهو من مواليه، ونزل البصرة ومات بها سنة ٤٩هـ، وقيل سنة ٥١هـ. ينظر: الإصابة، (٦/ ٤٦٧-٥١١)، وطبقات بن سعد، (٧/ ١٥)، والاستيعاب (١٥٣٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسند"، (٥/ ٤١)، برقم (٢٠٤٤٥)، والطبراني كما في مجمع الزوائد، (٧/ ٢٩٠)، قال الهيثمي: فيه مبارك بن فضالة، وهو ثقة، ولكنه مدلس، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح: والحاكم (٤/ ٣٢٣)، برقم (٧٧٨٦)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح، (١٣/ ٢٥)، وسنده جيد، وللحديث أطراف أخرى منها: (لعن الله من فعل هذا).

(٣) رواه أبو داود في "سننه" كتاب: الجهاد، باب: في النهي أن يتعاطى السيف مسلولا، برقم (٢٥٨٨)، والترمذي في كتاب: الفتن، باب: ما جاء في النهي عن تعاطي السيف مسلولا، برقم (٢١٦٤)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو كما قال، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

فهذه تعاليم الإسلام ومنهج نبيه ﷺ في الحفاظ على الأمن والاستقرار وطمأنينة الناس، والتحذير والنهي عن ترويع الناس أو إرهابهم، حتى ولو كان ذلك على سبيل المزاح.

ومن يعلم أن المنهج النبوي يربي نفوس مدعويه على البعد عن أقل القليل في أمر إرهاب الآخرين، وهو مجرد الترويع، حتى لو كان ذلك على سبيل الهزل لا الجد، مما يدل على مواجهة المنهج النبوي لهذا السلوك الخطير بكل أشكاله وصوره، وقطعه واستئصاله من دابره.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث السادس

تحريم قتل النفس وسفك الدم

يتفق الجميع أن من أكثر ما يُخلِّفَهُ الإرهاب والعنف من أثر أليم، وجرمٌ عظيم، هو قتل الأبرياء والمطمئنين دون تمييز بين طفل أو امرأة أو رجل، أو مسلم أو غير مسلم، فالجميع في نظره أعداء.

فمن أعظم المظالم التي ابتلي بها الجنس البشري هو القتل بغير حق، ولذلك أجمع أهل الملل قاطبة على أنه أكبر الكبائر، وأنكر المنكرات، وذلك لأنه نزول إلى حكم الشهوة الغضبية في النفس البشرية، ولو لجأ إليه جميع البشر ـ في تصفية الخلافات الواقعة بينهم، وبين بعضهم لقُضي على الجنس البشري بالفناء، ولذلك اعتبرت الشرائع ذلك الأمر أعظم وجوه الفساد فيما بين الناس.

وإذا كان تهذيب الأخلاق ونشر القيم الرفيعة يسهم في إخراج بعض الناس من دوائر الإرهاب والعنف، فإن بعض الناس قد لا تنفع معهم الوسائل التهذيبية، حتى يتم ردعهم بقوة عما يمارسونه فضلا عن حق المجتمع الذي وقع عليه الضرر من جراء ما يقع عليه من خسائر في الأرواح، ولذلك كان لابد من تحريم الاعتداء على الغير تحريما مشفوعا بتقرير العقوبات التي سوف تلاحق من يلجأ للاعتداء على الغير بدون وجه حق.

لذا جاء العلاج الرباني بتحرم الاعتداء على الأنفس بغير حق، واعتبر هذا الفعل من أعظم المفاسد على ظهر الأرض، ومن أكبر الكبائر وأنكر المنكرات بعد الكفر بالله.

فأولا: تحريم اعتداء الإنسان على نفسه.

ليست النفس البشرية ملكًا لأحد، فالإنسان لا يملك نفسه، وإنما هي ملك لخالقها وموجدها ﷻ وهي أمانة عند صاحبها، سيسأل عنها يوم القيامة، أحفظها وقام بحقها، أم ضيعها وظلمها، ولم يقم بما يجب لها؟ فلا يجوز للإنسان أن يقتل نفسه، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا

نَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۚ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

"فنهى الإنسان عن قتل نفسه، سواء كان ذلك بتعمد قتلها مباشرة، أو بفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك، ثم توعّد من يقتل نفسه أو نفس غيره بغير حق بأن يصليه نار جهنم وساءت مصيرًا"[3].

قال القرطبي: "أجمع أهل التأويل على أن المراد بهذه الآية النهي أن يقتل بعض الناس بعضًا، ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصدٍ منه للقتل: في الحرص على الدنيا وطلب المال، بأن يحمل نفسه على الغرر المؤدّي إلى التلف .. أو في حال ضجر أو غضب، فهذا كله يتناوله النهي"[4].

وجاءت الهدي النبوي مبينا جرم الإرهابي الذي يقتل نفسه، أو يتسبب في قتلها، ومنذرًا بالوعيد الشديد، والعذاب الأليم لمن قتل نفسه.

فعن جندب بن عبد الله ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**كان فيمن كان قبلكم رجل به جُرح، فجزع، فأخذ سكينًا، فحزّ بها يده، فما رقأ الدمُ حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرّمت عليه الجنة**»[5].

---

(١) سورة النساء الآية: ٢٩.

(٢) سورة النساء الآية: ٣٠.

(٣) تفسير السعدي، (١/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٥/ ١٥٦- ١٥٧)، وينظر نحوه في فتح القدير، (١/ ٤٥٧).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: باب ما ذكر عن بني إسرائيل. (٤/ ٢٠٨)، برقم (٣٤٦٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجّأُ[1] بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًا، فقتل نفسه، فهو يتحساه[2] في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردّى من جبل[3] فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»[4]،[5].

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول: "وجأته بالسكين: إذا ضربته بها، وهو يتوجأ بها، أي: يضرب بها نفسه"، (١٠/ ٢١٧).

(٢) يتحساه: أي يشربه في تمهل ويتجرعه.

والسم: بضم السين وفتحها وكسرها، ثلاث لغات، والفتح أفصحهن، ينظر: شرح النووي على مسلم، (٢/ ١٢١)، وفتح الباري، (١٠/ ٢٤٨).

(٣) التردي: الوقوع من الموضع العالي، وقوله: (من تردى من جبل فقتل نفسه) أي: أسقط نفسه منه متعمدًا ذلك، وإلا فمجرد قوله (تردى) لا يدل على التعمد. ينظر: جامع الأصول، (١٠/ ٢١٧)، وفتح الباري، (١٠/ ٢٤٨).

(٤) أخرجه مسلم، في "صحيحه" كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، (١/ ١٠٣)، برقم (١٠٩).

(٥) وأما قوله ﷺ: «في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»، فقد أجاب عنه العلماء بأجوبة، منها: أنه محمول على من فعل ذلك مستحلًا له بلا تأويل، مع علمه بتحريمه، فإنه يصير باستحلاله لما حرمه الله كافرًا، والكافر مخلد في النار بلا ريب. ومنها: أنه ورد مورد الزجر والتغليظ، وحقيقته غير مرادة. ومنها: أنه يستحق هذا الجزاء لشناعة جرمه، وهذا جزاؤه لو أراد الله أن يجازيه بما يكافئ جرمه، ولكنه تكرم على عباده الموحدين، فأخبر أنهم يخرجون من النار بتوحيدهم، وأنه لا يُخلِّد في النار من مات موحدًا. وقد رجّح ابن حجر هذا الجواب الأخير، فقال: وأولى ما حمل عليه هذا الحديث ونحوه من أحاديث الوعيد، أن المعنى المذكور جزاء من فعل ذلك، إلا أن يتجاوز الله تعالى عنه. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (٢/ ١٢٥)، والمغني، (١١/ ٤٤٤)، والمبدع، (٨/ ٢٤٠)، وفتح الباري، (٣/ ٢٢٧)، وكذلك، =

فهنا رتب المنهج النبوي على أولئك القتلة، سواء كان قتلهم لأنفسهم بحجة القربة والمثوبة، التي يزعمونها، أو قتلهم للأبرياء والآمنين؛ فإن الله -جل وعلا- هو الذي وهب الحياة، وليس لأحد غيره الحق في أن يتصرف فيها إلا بإذنه، وضمن الحدود التي رسمها.

ثانيا: تحريم اعتداء الإنسان على غيره.

إذا كان اعتداء الإنسان على نفسه بتلك المثابة من التحريم والتغليظ في العقوبة، فإن اعتداءه على غيره أشد تحريمًا، وأعظم إثمًا، وأغلظ عقوبة، وأسوأ عاقبة.

وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، تحذر من ذلك تحذيرًا شديدًا، وتبين سوء عاقبته، وعظم عقوبة فاعله.

وقد تأكد ذلك بآيات منها قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[1].

(١٠/ ٢٤٨). وبوب النووي على ما روى مسلم عن جابر قال: لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه، فاجتووا المدينة فمرض، فجزع، فأخذ مشقص له فقطع بها براجمه فشخبت يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئتُه حسنة، ورآه مغطيًا يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه فقال: مالي أراك مغطيًا يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت. فقصها الطفيل على رسول الله فقال رسول الله (اللهم ولِيَديه فاغفر). بابا سماه: (باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر)، ثم قال في شرح الحديث: فيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة: أن من قتل نفسه، أو ارتكب معصية غيرها، ومات من غير توبة، فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار، بل هو في حكم المشيئة .. وهذا الحديث شرح للأحاديث التي قبله الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس وغيره من أصحاب الكبائر في النار. ينظر: شرح النووي على أخرجه مسلم، (٢/ ١٣١- ١٣٢).

(١) سورة الإسراء الآية: ٣١.

وفي قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴿٩٢﴾ ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[1].

توضيح للعقاب الشديد الذي ينتظر الذي يقوم بالاعتداء على النفس بدون وجه حق، وأنه دخول جهنم مصحوبا بغضب الله ولعنته على من يفعل ذلك.

وفي قوله ﷻ: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[2]، تقرير لخطر جريمة القتل في المجتمع وأنها بمثابة انتهاك للبشرية جميعها، فالذي يعتدي على نفس واحدة يعتدي على البشرية جميعها، فالاعتداء على النفس ليس منظورا فيه على أنه هدم حياة إنسان واحد فقط، وإنما ينظر فيه أيضا على أنه هدم لسلم المجتمع وأمنه وفتح الباب أمام تصفية الخلافات البشرية تصفية عنيفة، تعتمد على إنهاء حياة المخالف وفي ذلك تهديم للمجتمع ومناقضة لمقصد الله تعالى في بقاء النوع البشري.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في المنهج النبوي التي تؤكد على ما ورد في القرآن الكريم لعلاج مشكلة قتل الأنفس بغير حق، وذلك لما من شأنه نشر الأمن والأمان بين الناس، وصيانة لسفك الدماء وقتل الأنفس؛ فمن ذلك:

---

(١) سورة النساء الآيات: ٩٢ ، ٩٣.

(٢) سورة المائدة الآية: ٣٢.

ما رواه أنس ﷺ، قال: سئل النبي ﷺ عن الكبائر، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور**»(١).

فهذا الحديث يدرج جريمة القتل ضمن الكبائر التي يستحق عليها المرء الدخول في النار.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة**»(٢).

وهذا الحديث يحدد الحالات التي يحل فيها قتل النفس وهي حالة القصاص من القاتل، وحالة زنا المحصن، وحالة المرتد، وأما غير ذلك فلا يحل القتل كما بين صدر الحديث.

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الشهادات باب: ما قيل في شهادة الزور، (٣/ ١٧١) برقم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى: {أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون} [المائدة: ٤٥]، (٣/ ١٧١) برقم (٢٦٥٣). ومسلم، في "صحيحه" كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: ما يباح به دم المسلم، (٣/ ١٣٠٢) برقم، (١٦٧٦).

قال ابن العربي[٢]:"الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره"[٣]، وعلى هذا يفهم من الحديث أن القاتل بغير حق الذي يصيب دما حراما يضيق عليه دينه، وفي الحديث إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمدا بما يتوعد به الكافر[٤].

وقال ﷺ «**كلّ ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يقتل المؤمن متعمدًا، أو الرجل يموت كافرًا**»[٥].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣]، (٩/ ٢) برقم، (٦٨٦٢).

(٢) هو: أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور قاض، من حفاظ الحديث ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، له: (عارضة الأحوذي في شرح الترمذي) و(أحكام القرآن)، وتوفي: ٤٥٣ هـ. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٤/ ٢٩٦)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (٢٠/ ١٩٧).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١٢/ ١٨٨).

(٤) نفس المرجع.

(٥) رواه أبو داود في "سننه" من طريق أبي الدرداء، برقم (٤٢٧٠) ، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٤)، من طريق معاوية بن أبي سفيان، وقد صححه السيوطي في "الجامع الصغير" (٢/ ٢٨٠)، وقال الأرناؤوط عن حديث معاوية: وهو حديث حسن، وقال عن حديث أبي الدرداء: إسناده صحيح، جامع الأصول بتحقيق الأرناؤوط، (١٠/ ٢٠٦، ٢٠٨).

ففي هذا الحديث تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وذلك لعظم أمرها وشدة خطرها[٢] .

قال ابن حجر: "في الحديث عظم أمر الدم، فإن البداية إنما تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك"[٣].

ومع ما تقدم من هذه علاج لمشكلة قتل النفس، تمثلت في النهي والزجر والتحريم، والعقوبة في الدار الآخرة، إلا أن ذلك قد لا يمنع بعض الذين قست قلوبهم وخرجت عن رياض الرحمة إلى خرائب القسوة والهمجية وارتكبت هذه الجريمة النكراء.

ولذلك تعمد الشريعة الإسلامية إلى القصاص من هذا القاتل في الدنيا أداء لحق ولي المقتول وحفظا لنظام التعايش بين الناس، فإن بقاء القاتل دون قود منه يعني تكراره لهذه الجريمة، ويعني أيضا تشجيع غيره ممن يتصف بنفس طباعه على هذه الفعلة الشنيعة، مادام القاتل يفلت بجريمته دون أدنى عقاب.

وقد تقرر القصاص بالقرآن في أكثر من موضع فقال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴿١٧٨﴾ ﴾[٤].

وقال ﷻ:﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[٥].

---

(١) أخرجه مسلم، ك في "صحيحه" تاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب المجازاة بالدماء فى الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، (٥/ ١٧)، برقم، (٤٤٧٥).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (١١/ ١٦٧).

(٣) فتح الباري، (١١/ ٣٩٧).

(٤) سورة البقرة الآية: ١٧٨.

(٥) سورة البقرة الآية: ١٧٩.

وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

وقد بينت السنة النبوية القصاص في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ الذي جاء فيه لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: وذكر منها (النفس بالنفس) يعني القصاص من القاتل.

ثالثا: تحريم الاعتداء على غير المسلمين.

إن من تأمل النصوص السابقة وجد أن أكثرها جاءت عامة مطلقة، تشمل جميع المعصومين من المؤمنين والكافرين، وما نُص فيها على المؤمن، فإنما هو لعظم حقه وحرمته، ولا تدل بحال على إباحة قتل الكافر المعصوم بغير حق، ويؤكد تحريم قتل الكفار غير المحاربين من الذميين والمعاهدين والمستأمنين، عدد من الأحاديث النبوية والتي منها:

١- عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عامًا**»[2].

٢- عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**من قتل معاهدًا في غير كنهه**[3] **حرم الله عليه الجنة**»[1].

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الجزية، باب: إثم من قتل معاهدا بغير جرم، (٤/ ١٢٠)، برقم (٣١٦٦).

(٣) كنه الأمر: حقيقته، وقيل: وقته وقدره. وقيل: غايته، يعنى من قتله في غير وقته أو غاية أمره الذي يجوز فيه قتله. تفسير القرطبي، (٧/ ١٣٤).

قال العلامة الشوكاني: "المعاهد: هو الرجل من أهل دار الحرب يدخل إلى دار الإسلام بأمان، فيحرم على المسلمين قتله بلا خلاف بين أهل الإسلام حتى يرجع إلى مأمنه، ويدل على ذلك أيضًا قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾[٢].

وقوله: لم يرح رائحة الجنة، بفتح الأول من يرح، وأصله راح الشيء أي وجد ريحه، ولم يرحه أي: لم يجد ريحه، ورائحة الجنة: نسيمها الطيب، وهذا كناية عن عدم دخول من قتل معاهدًا الجنة، لأنه إذا لم يشم نسيمها وهو يوجد من مسيرة أربعين عامًا لم يدخلها.

قوله: فقد أخفر ذمة الله بالخاء والفاء والراء أي: نقض عهده وغدر، والحديثان اشتملا على تشديد الوعيد على قاتل المعاهد، لدلالتهما على تخليده في النار وعدم خروجه منها، وتحريم الجنة عليه، مع أنه قد وقع الخلاف بين أهل العلم في قاتل المسلم هل يخلد فيها أم يخرج عنها؟" [٣].

وقد أجمع العلماء قاطبة على تحريم الغدر، ووردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تنهى عن الغدر، وتتوعد فاعله بالخزي والعذاب الأليم [٤].

---

(١) رواه أبو داود في "سننه" كتاب: الجهاد باب: في الوفاء للمعاهد، (٣/ ١٩١)، برقم (٢٧٦٠). وصححه الألباني في سنن أبي داود، (٢٣٩٨)، ورواه الإمام أحمد في "سننه" (٥/ ٣٦-٣٨)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع، (٦٤٥٦)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) سورة التوبة الآية: ٦.

(٣) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (٧/ ١٨ - ١٩).

(٤) ينظر: التمهيد، لابن عبد البر، (٢٤/ ٢٣٣-٢٣٤).

وبهذا يكون المنهج النبوي متمشيا مع التوجيهات الربانية قد وضع علاجا شاملا لمشكلات الاعتداء على النفس البشرية بدون وجه حق، من خلال الزجر الشديد عن هذه الجريمة، ثم بتقرير العقاب الرادع عليها إذا وقعت في المجتمع.

الفصل الثاني

منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العصبيات والقوميات

وفيه خمسة مباحث:

- **المبحث الأول**: المعنى اللغوي والاصطلاحي للعصبيات.
- **المبحث الثاني**: تأصل العصبيات والقوميات في المجتمعات الجاهلية قبل الإسلام.
- **المبحث الثالث**: دعوة الإسلام إلى نبذ العصبيات والقوميات الجاهلية.
- **المبحث الرابع**: العلاج لما وقع في المجتمع الإسلامي من ظهور بعض العصبيات والقوميات.
- **المبحث الخامس**: الآثار السيئة المترتبة على عودة العصبيات والقوميات في بعض المجتمعات الإسلامية.

تمهيد:

تعتبر مشكلة العصبيات والقوميات من أخطر المشاكل التي تواجه المجتمعات البشرية، وذلك أن "العصبية أو التعصب هو المحاماة والمدافعة عن الباطل، أو استعمال الأساليب غير المشروعة في الدفاع، وسبب النهي عن الفخر والعصبية ظاهر، فهما خلقان ذميمان يخرجان الإنسان من دائرة العقل والاتزان إلى دوائر الغرائز المنفلتة، ولذا فإن الإنسان قد يتصرف بلا عقل ولا تعقّل فتنعدم معايير الحق والعدل حينئذ، وهما خلقان يجران إلى الكذب والتدليس، فضلاً عن المبالغة والتهويل أو التهوين، وآثارهما بالغة الخطورة، فقد يترتب عليهما السباب والتلاعن، والتباغض والتهاجر، بل الحراب والقتال"[1].

وقد حدث ذلك بالفعل في عهد النبي ﷺ بسبب مفاخرة بين المهاجرين والأنصار كادت تسبب بينهما حربا، لولا أن النبي عليه الصلاة والسلام نزع فتيلها بالحال، فقد كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري، ياللأنصار، قال المهاجري ياللمهاجرين؛ فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ما بالُ دعوى جاهلية؟**»، قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: «**دعوها فإنها خبيثة**»[2].

---

(١) مقال : للدكتور. عبدالله بن إبراهيم الطريقي، الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض: رابط الموضوع: http: //www. alukah. net/web/triqi/0/31576/#ixzz3Xy55C14D

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: التفسير، باب: قوله {يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}. ، (٦/ ١٩١)، برقم (٤٩٠٧)، ومسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: نصر الأخ ظالما أو مظلوما، (٨/ ١٩)، برقم، (٦٧٤٨).

أما انتساب الإنسان لقومه أو لوطنه أو لقبلته، أو ارتباطه بهم، فلا يمنعه الإسلام لأن هذا الرباط أمر فطري، ولذلك كان الأنبياء عليهم السلام ينادون قومهم بقولهم: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ﴾[1]، ﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ﴾[2]، وقد ذكره الله في مواضع عديدة ولم يعبه.

بل إن الإسلام يشجع هذا المسلك ويحبذه إذا كان على أساس التواصل وصلة الرحم، فجاء في الحديث: «**تعلَّموا من أنسابكم ما تَصِلُون به أرحامَكم**»[3].

وأخبر الله تعالى أن إنقسام الناس إلى شعوب وقبائل هو أمر منه لحكمة بينها الله - عز وجل- في كتابه حيث قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[4]؛ فالمنهج الإسلامي يستوعب كل القوميات ويحتويها.

ومع ذلك فإن الإسلام ينكر القومية التي هي قرين العصبية، والتي تدعو الفرد والجماعة إلى الإنشقاق عن الآخرين واحتقارهم ومعاداتهم لا لشيء ولكن لأنهم من قوم آخرين، تلك القومية التي سادت جزيرة العرب قبل الإسلام والتي سادت العالم الحديث وأثارت نظريات الجنس المتميز والشعب المختار والتفرقة العنصرية.

---

(١) سورة هود الآية: ٣٠.

(٢) سورة الزمر الآية: ٣٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٢/ ٣٧٤)، برقم، (٨٨٥٥)، والترمذي، (٤/ ٣٥١)، برقم، (١٩٧٩) وقال: حديث غريب، والحاكم، (٤/ ١٧٨)، وصححه، والطبراني في"الأوسط" (٨٣٠٨) وفي"الكبير" (١٨/ ٩٨)، عن أبى هريرة ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم (٢٩٦٥).

(٤) سورة الحجرات الآية: ١٣.

فأعداء الإسلام إذا أرادوا أن يدمروا بلداً فإنهم يرون من العصبيات القبلية طريقاً للوصول إلى تفتيت المجتمع وتدميره.

ولذلك عُنِيَ المنهج النبوي بعلاج هذه المشكلة، والتصدي لها من خلال الدعوة إلى نبذ العصبيات والقوميات.

وليس غرض الباحث هنا التعرض لتفاصيل خطورة وأسباب وآثار العصبيات والقوميات، حيث أن هذا المسلك طويل جدًا، ويحتاج إلى دراسة ووقت وجهد، بل تحتاج لمؤلفات خاص لها، حيث أن هذه الدراسة إنما وجهت لبيان منهج النبي ﷺ في معالجته المشكلات الاجتماعية وهذه القضية من المشكلات الاجتماعية.

وبذلك فالتعرض لها سيكون بصفة عامة وتلخيص أهم النقاط في لهذه المشكلة بقصد الإيجاز والسلاسة لنفع القارئ فيها قدر المستطاع.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي للعصبيات، والقوميات

قبل الشروع في الحديث عن مشكلة العصبيات والقوميات ينبغي التعريف بمعنى العصبية لغة واصطلاحًا، وذلك على النحو الآتي:

أولا: تعريف العصبية في اللغة والاصطلاح:

فالعصبية في اللغة هي: "المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره أو تلزمه لغرض"(١).

وهي مأخوذة من العصبة، والعصبة: الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم: أي يحيطون به ويشتد بهم؛ والتعصب: من العصبية.

وتطلق العصبية ويراد بها أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتألب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين(٢).

و(العصبيَّة)، و(التعصُّب): "المحاماة والمُدافَعَة عمَّن يلزمك أمرُه أو تلزمه، لغَرَضٍ"(٣).

واعصوصبوا: "استجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر، قيل: تعصبوا؛ واعصوصبوا: استجمعوا وصاروا عصابة وعصائب"(٤).

---

(١) النهاية، لابن الأثير، (٣/ ٢٤٦)، المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، (٦٠٤/ ٢).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (٣/ ٢٤٥)، مادة: (ع ص ب).

(٣) النهاية، لابن الأثير (٣/ ٢٤٦)، المعجم الوسيط، (٦٠٤/ ٢).

(٤) تهذيب اللغة، للأزهري، (٣/ ١٥٧)، ولسان العرب، (١/ ٦٠٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/ ٢٤٥)، وتاج العروس، (٣/ ٣٨٢). والمعجم الوسيط، (٢/ ٦٠٤).

وعلى هذا فالعصبية في اللغة هي المحاماة والمدافعة لمن يرتبط بهم المرء بعلاقة ما كقرابة، وغيرها، ونصرتهم على مناوئيهم ظالمين أو مظلومين.

وأما العصبية في الاصطلاح:

تنوعت آراء العلماء والباحثين في بيان معنى العصبية قديما وحديثا، ولكل طائفة منهم معاني قد تختلف نوعا ما أو قد تتفق لآخر، وسنعرض لبعضها ثم نستخرج السمات العامة لهذه الظاهرة من خلال هذه التعريفات:

- يعرفها بعض الباحثين العصبية بأنها: دعوة الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أم مظلومين، ومنها الممدوحة والمذمومة فالممدوحة التي تحث على الحق ونصرة المظلومين والمذمومة كما في حديث رسول الله ﷺ (أن تعين قومك على الظلم)، وهذا المعنى هو ما ذهب إليه ابن خلدون[1].
- ومن تعريفاتها: الميل ومحاباة فريق أو حزب بدون مراعاة لمصلحة المجموع، ولأسباب اجتماعية يحب الإنسان أسرته ويختص عشيرته بعونه ومساعدته وكثيرا ما يكون هذا الحب أو تلك المساعدة ضد مصالح الآخرين[2].

---

(١) ينظر: العصبية القبلية في صدر الإسلام، محمد عبد القادر خريسات، مؤسسة حمادة، للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٥ م، (ص٢١).

(٢) ينظر: العصبية عند العرب في الجاهلية حتى زوال دولة بني أمية من المشرق، علي مظهر، مطبعة مصر القاهرة، ١٣٢٤ هـ (ص٧٠٦)، وابن خلدون هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي، ولد بتونس عام (٧٣٢ ه) وهو الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزي بزي القضاة محتفظا بزي بلاده، وعزل، =

وهذا التعريف يحصر العصبية في الأسرة والعشيرة، ويلاحظ أنه يتفق تماما مع تعريف المعاجم اللغوية للعصبية، وهذا الشكل هو ما أدركه أهل اللغة من حال العصبية في العصور القديمة.

- ومن تعريفاتها، أنها النعرة على الجنس ومرجعها رابطة النسب والاجتماع في منبت واحد، وتوسع فيها أهل العرف حتى أطلقوها على قيام الملتحمين بصلة الدين لمناصرة بعضهم بعضا[1]؛ وبهذا تدخل العصبية الدينية في مفهوم العصبية حتى تكون أحد الروابط التي يتم من خلالها التحزب والتألب ضد الغير.
- وتعرف أيضا بأنها اتجاه نفسي جامد مشحون انفعاليا أو عقديا وحكم مسبق مع أنه في الأغلب الأعم ضد جماعة أو شيء أو موضوع، ولا يقوم على سند منطقي أو معرفة كافية أو حقيقة علمية بل استند إلى أساطير وخرافات، وهو موقف معادي ضد الجماعات الخارجية وخاصة عندما لا يكون هناك تفاعل مباشر بين الجماعات التي ينتمي إليها الفرد[2].

وأعيد، اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) أوله (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ومن كتبه (شرح البردة) وكتاب: في (الحساب) ورسالة في (المنطق) وتوفي فجأة في القاهرة سنة (٨٠٨ هـ). ينظر: ترجمته في الضوء اللامع شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت (٤/ ١٥٤)، والأعلام للزركلي، مرجع سبق ذكره، (٣/ ٣٣٠).

(١) ينظر: أضواء على التعصب، أديب إسحاق، دار أمواج، بيروت، ١٩٩٣م، (ص٧٦).

(٢) ينظر: علم النفس الاجتماعي، حامد عبد السلام زهران، علم الكتب القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧م، (ص١٧٦).

• ومن تعريفاتها، أنها تشكيل رأي ما دون أخذ وقت كاف أو عناية للحكم عليها بإنصاف، وهذا الرأي قد يكون إيجابيا أو سلبيا ويعني الرأي السلبي تجاه أفراد ينتمون إلي مجموعة اجتماعية معينة(١).

وبهذا التعريف يكون الاعتزاز بالرأي ركيزة من الركائز التي يتم فيها التعصب ضد الغير على أن هذا التعصب كما هو باد من التعريف إنما هو تعصب للنفس وغضبة للذات.

وعلى هذا فالسمات العامة التي يمكن أن تستخلص حول ظاهرة العصبية هي:

- أنها تصدر من فرد ضد جماعة أو العكس أو قد تصدر من جماعة ضد أخرى وهكذا.

- أن العصبية يغلب عليها الظلم والقهر وعدم العدل والمساواة.

- أن مفهوم العصبية والذي كان يعرف بأنه التفاف الشخص حول قرابته أو نسبه قد توسع مع التطور الذي حصل للبشرية، فلم يعد مرتبطا بالعشيرة والقبلية بل توسع ليشمل الجوانب الأخرى بالطبقية الاجتماعية والجنس والعرق والدينية بل والرأي الشخصي وغير ذلك(٢).

---

(١) ينظر: التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي، علي أسعد وطفة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ٢٠٠٢ م، (ص٢٨).

(٢) ينظر: دور التربية الإسلامية في مواجهة العصبية في زمن العولمة الاجتماعية، عايض بن محمد بن عايض آل جحراف، جامعة أم القرى كلية التربية، ٢٠١٢م، (ص١٨).

ثانيا: تعريف القوميات في اللغة والاصطلاح:

فالقومية في اللغة هي: مصدر صناعي، مقيس على ما تواضع عليه العرب المعاصرون على اشتقاقه من لفظة (قوم) بإضافة ياء النسب وتاء التأنيث؛ هذا في اللغة، وهي ترجمة للاصطلاح الغربي (Nationalism)[1].

وأما في الاصطلاح هي: ظاهرة يشعر فيها أبناء الأصل العرقي الواحد "القوم" واللغة الواحدة بالولاء الواحد المشترك، وإن تعددت أرضهم وتفرقت أوطانهم واختلفت أديانهم .. والقومية في النهاية معنية بالسعي إلى توحيد الوطن، بحيث يكون لأبناء القومية الواحدة وطن شامل يجتمعون فيه، لكن الولاء يبقى للقومية أصلاً، ولو لم تتحقق وحدة الأرض[2].

ويعرفها الأديب والكاتب المصري د. محمد محمد حسنين بقوله: القومية تعبر عن ظاهرة برزت في المجتمعات الغربية في القرن التاسع عشر، تصوّر وعياً جديداً يمجد جماعة محدودة من الناس، يضمها إطار جغرافي ثابت، ويجمعها تراث مشترك، وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة[3].

---

(١) ينظر: الإسلام والحضارة الغربية، الدكتور/ محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، (ص١٩٥، ٢٢٤).

(٢) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، (ص ٥٥٤).

(٣) ينظر: الإسلام والحضارة الغربية، الدكتور/ محمد حسين، (ص١٩٥).

و"القومية العربية ليست رابطة دم ولا عرق، بل هي جماعة متخيلة بأدوات اللغة ووسائل الاتصال الحديثة تسعى إلى أن تصبح أمة ذات سيادة"[1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) أن تكون عربياً في أيامنا، الدكتور/ عزمي بشارة، ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. ٢٠٠٩م، (ص١٣٠).

المبحث الثاني

تأصل العصبيات والقوميات[1] في المجتمعات الجاهلية قبل الإسلام

لم يكن العرب في الجاهلية أمة واحدة، ولا شعبًا واحدًا، بل كانوا قبائل وعصائب متفرقة، تحكمها أعراف قبلية متنوعة، وقد كانت العصبية القبلية هي أساس النظام الاجتماعي الجاهلي، الذي شعاره: **"انصر أخاك ظالما أو مظلوما"**[2]، الداعي إلى نصرة المنتسب إلى القبيلة دون اعتبارٍ لكونه مُحِقًّا أو غير محق.

وذلك يقتضي أن تنصر القبيلةُ أيَّ فردٍ منها على من سواه، ظالماً كان أو مظلوماً، من دون أن يسألوا عن الحق إلى أيِّ جانب هو، ولذلك أثنى قريط بن أنيف العنبري على بني مازن لاجتماعهم عند الحفيظة، فقال:

لا يسألون أخاهم حين يندبُهم *** في النَّائبات على ما قال برهانا[3].

فقد تأصلت (العصبية) في نفوس العرب بعامة، والأعراب منهم بخاصة؛ باعتبارها آنذاك ضرورة من الضرورات اللازمة بالنسبة إلى الحياة في الجاهلية؛ لأنها الحائل الذي يحول بين الفرد وبين الاعتداء عليه، والرادع الذي يمنع الصعاليك، والخلعاء،

---

(١) القومية هي: مبدأ سياسي اجتماعي يفضل معه صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه مما يتعلق بغيرها، أو هو: عقيدة تصور وعيا جديدا يمجد فيه الإنسان جماعة محدودة من الناس يضمها إطار جغرافي ثابت، ويجمعها تراث مشترك وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة. ينظر: الإسلام والحضارة، للدكتور/ محمد محمد حسين، (ص ٢٠١).

(٢) فتح الباري، لإبن حجر، نقلا عن المفضل الضبي أن أول من قالها جندب بن عنبر في الجاهلية.

(٣) شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، تحقيق، فريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (ص ٩٧).

والمستهترين بالسنن من التطاول على حقوق الناس، إذ لا حكومة قوية رادعة ولا هيئة حاكمة في استطاعتها الهيمنة على البوادي وعلى الأعراب المتنقلين، بل هنالك قبائل متناحرة وإمارات متنافرة، إذا ارتكب إنسان جريمة في أرضها، وفر إلى أرض أخرى، نجا بنفسه وأمن على حياته هناك، ولكنه كان يخشى من شيء واحد، لم يكن لأحد فيه عليه سلطان، وهو «العصبية» وسنة «الأخذ بالثأر»، وهي العصبية في ثوبها العملي، كان يخشى من سلطان الأخذ بالثأر، حيث يتعقبه أهل الثأر، فلا يتركون الجاني يهنأ بالحياة ولو بعد مضي عشرات من السنين، حتى يُقتل أو يقتل أقرب الناس إليه، وبذلك صارت العصبية ضرورة من ضرورات الحياة، بالنسبة لسكان جزيرة العرب؛ لحمايتهم وصيانتهم من عبث العابثين[1].

وبخاصة "أنّ مجتمع القبيلة في العصر الجاهلي بعلاقاته ونظمه وعاداته وأعرافه، هو المجتمع الذي يولد فيه العربي، ثم ينشأ متشرِّباً نظمه وعاداته وأعرافه التي تبنى على دعامة أساسية هي النسب، وحينما يفتح الفرد عينيه على ما حوله يجد أنّ كل امرئ في قبيلته يتغنّى بانتمائه، ويعتدّ بأرومته[2]، بدءاً من والده وإخوته، وانتهاءً إلى رهطه وعشيرته، فجنسيته جنسية القبيلة المنحدر منها، و«هويته» التي يحملها دائماً، في حله وترحاله، اسم

(١) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مرجع سابق، (٧/ ٣٩٧).

(٢) الأرومة: أصل كل شجرة، وأصل الحسب: أرومة، وكذلك أصل كل شيء ومجتمعه. ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (١/ ٤٩-٥٠)، مادة: أرم.

قبيلته، ذلك الاسم الذي يميزه بين أفراد القبائل الأخرى، والذي يعصمه أن يتيه بينهم"[1].

ولقد كانت العصبية ضرورية للقبائل؛ لأنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها إلا إذا كانت ذات عصبية ونسب، وبذلك تشتد شوكتها، ويخشى جانبها، كما أنه لا يمكن وقوع العدوان على أحد مع وجود العصبية.

وقد ألمح ابن خلدون إلى هذا الأمر في قوله: "ولا يصدقُ دفاعهم وذيادُهم إلّا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتدّ شوكتهم، ويُخشى جانبهم، إذ نُعْرَةُ كلِّ أحد على نسبه وعصبيته أهمّ، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنُّعْرَة على ذوي أرحامهم وقرباهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر، وتعظم رهبةُ العدوِّ لهم"[2].

قوة العصبية وسيطرتها على نفوس مجتمع الجاهلية.

١ - ذكر الزهري[3]: أن أبا جهل وجماعة معه وفيهم الأخنس بن شريق[1]، وأبو سفيان[2]، استمعوا قراءة الرسول ﷺ في الليل، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم، ما

---

(١) مقال بعنوان: الشاعر والقبيلة، الدكتور/ عبدالغني زيتوني، الخفجي مجلة شهرية، العدد ١٢، ذوالقعدة ١٤١٣هـ - يونيو ١٩٩٣م، (ص٢٠).

(٢) مقدمة ابن خلدون، طبعة، دار الشعب، القاهرة، (ص١١٦).

(٣) هو: ابن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، العلم، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام. وتوفي: ١٢١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٥/ ٣٢٦).

رأيك فيما سمعت من محمد؟، فقال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا، أو تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذا؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه[٣].

٢- وفي حادثة قتل أبي جهل في معركة بدر، وما صدر عنه من ألفاظ أثناء وفاته دليل على تأصل العصبية المنتنة في قلوب كبراء قريش؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «من ينظر ما فعل أبو جهل»، فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد فأخذ بلحيته فقال: أنت أبا جهل؟، قال: وهل فوق رجل قتله قومه، أو قال قتلتموه؟[٤]، (فلو غير أكّار[٥] قتلني؟!).

فأشار أبو جهل إلى ابني عفراء اللذين قتلاه وهما من الأنصار، وهم أصحاب زرع ونخيل، ومعناه: لو كان الذي قتلني غير أكّار لكان أحب إلي وأعظم لشأني، ولم يكن علي

---

(١) هو: الأخنس بن شريق، بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى ابن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زهرة، ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، شهد حنينا، ومات في أول خلافة عمر. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، (١/ ١٩٢)، و السيرة النبوية، لابن هشام، (١/ ٣١٥).

(٢) هو: أبو سفيان بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول اللهَّ وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما حليمة السعدية. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (٧/ ١٥١).

(٣) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (١/ ٣١٥).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المغازي، باب: قتل أبي جهل، (٥/ ٩٥)، برقم (٣٩٦٣).

(٥) الأكار: الزراع والفلاح، وهو عند العرب ناقص.

نقص في ذلك[1]؛ ويتضح من ذلك مدى قوة العصبية المتأصلة في قلب أبي جهل، عصبية حتى عند الموت.

٣- كان من العار عندهم ألا ينصر القريب قريبه، ولو خالفه في المعتقد، ومن هنا وقف أبو طالب من ابن أخيه - عليه أفضل الصلاة والسلام - هذا الموقف المشرف، فقد كان لزاما على العربي أن يقوم بنصرة الأخ وابن العم أخطأوا أم أصابوا، عدلوا أم ظلموا، بمعنى أن الرجل كان يلحقه العار، إذا قعد عن نصرة أخيه أو ابن عمه[2].

العصبية والمسؤوليات في المجتمع الجاهلي.

ولقد كانت للعصبية في الجاهلية صلة كبيرة بالمسئولية وبالعقوبات، فعلى درجة العصبية تقع المسئولية، فأقرب الناس إلى الجاني، يكون أول من يتناوله الأخذ بالثأر، ثم الأبعد فالأبعد، ومن هنا كان الطالبون للثأر يبدؤون بالجاني أولًا، فإن فاتهم أخذوا أقرب الناس رحمًا به، فإن فاتهم أخذوا الذي يليه أو من هو في درجته وهكذا، فجرثومة العصبية، هي الدم المشترك بين الأطراف، وأقرب دم إلى إنسان هو دم أسرته، وعلى رأسها الأبوان والإخوة والأخوات ثم الأبعد فالأبعد، حتى تصل إلى العصبية للقبيلة[3]؛ وقد تجلّت في كثير من نواحي حياتهم، ومن أهم مظاهرها:

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، (٦/ ٢٥٨).

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، للدكتور/ حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، ط١٤، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، (١/ ٦٥).

(٣) نفس المرجع.

أ) **التعصب الديني**: فعبادة الأصنام والأوثان مع أنها واضحة البطلان إلا أن العرب كانوا متمسكين بها تمسكا شديدا لرسوخها في نفوسهم منذ زمن طويل، فلا يطيقون سماع من يعيبها، أو يطعن فيها، بل لا يقبلون إرشاد ناصح يخاطبهم بالحسنى ويناقشهم بالعقل والبرهان، فإذا قيل لهم كيف تعبدون الحجارة التي لا تنفع ولا تضر، ولا تبصر ولا تسمع، ولا تعلم من يعبدها، ومن لا يعبدها، ثارت ثائرتهم وقالوا: هذا ما وجدنا عليه آباءنا؛ من عصبية دينية شديدة.

وقد ذم الله تعالى هذا النوع من التعصب في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[1]. فهؤلاء متعصبين ومستكبرين إذا قيل لهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، قالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾، دون أن يقيموا برهانا على صحة هذا الإتباع.

إن قوة سيطرة روح العصبية القبلية على نفوس المجتمع جعلها هي المعبود المطاع، وتتجلى تلك الصورة من خلال الشعر الجاهلي.

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنني غير مهتد
وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد[2]

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٠.

(٢) هذه الأبيات من شعر دريد بن الصمة الجشمي يرثي عبد الله أخاه قتله بنو عبس، وغزية قبيلة من هوازن وهي رهط الشاعر وهو اسم أحد أجداده غزية بن جشم. ينظر: ديوان دريد بن الصمة الجشمي، (ص٤٧).

فغيه ورشده مرتبطان بعشيرته غزية، فإن ضلت ضل معها وأمعن في ضلاله، وإن اهتدت اهتدى معها وأمعن في هداه.

ب) الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب: "لقد كان التفاخر والتعاظم بين أهل الجاهلية سمة اجتماعية سائدة؛ إذ كانت المفاخرة بمآثر الآباء والأجداد، وبالسيادة والريادة، أمرًا شائعًا، حتى إنهم ينطلقون أحيانًا إلى المقابر، فكانوا يشيرون إلى القبر بعد القبر، ويقولون: فيكم مثل فلان، ومثل فلان؟!"[1].

كان العربي إذن شديد الحرص على النسب شديد الاعتزاز به، فقد كان ذلك الدم أو النسب أقوى صلة تربطه بقومه، وتشدّ أواصر العصبية معهم، فلا غرابة بعد ذلك أن يطمح إلى أن يجعل نسبه في الذروة من الشرف والرفعة، وأن يجعل الأجداد والآباء -الذين ينتمي إليهم- في مقام السادة العظماء.

ونجد صدى ذلك في قول الشاعر[2]:

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ مَشْهُورَةٍ حَشَدٍ لَهُمْ مَجْدٌ أَشَمُّ تَلِيدُ
أَلْفَوْا أَبَاهُمْ سَيِّدًا وَأَعَانَهُمْ كَرَمٌ وَأَعْمَامٌ لَهُمْ وَجُدُودُ
إِذْ كُلُّ حَيٍّ نَابِتٌ بِأَرُومَةٍ نَبْتَ العِضَاهِ فَمَاجِدٌ وَكَسِيدُ[1]

(١) ينظر: الإسلام والعروبة، مجدي رياض، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ١٩٨٩م، (ص٩٨).

(٢) هو: ابن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، شاعر جاهلي، لقبه: معود الحكماء. ينظر: نزهة الألباب في الألقاب، لابن حجر، (٢/ ١٨٧).

فالشاعر يؤكِّد انتماءه إلى قومه، الـذين يشـكلون عُصْـبة قويـة ملتحمـة الأطـراف، تشمخ متطاولة بأمجادها نحو السماء، قد رعاها الآباء، والأعمام، والجدود، حتـى جعلوهـا كشجرة وارفة الظلال تنضح عبيرًا فوّاحًا من المجد والسيادة[٢].

التناصر والتآزر.

وتدفع العصبية للحِلْـف قبائـل الحِلْـف عـلى التنـاصر والتـآزر والتكتـل والوفـاء بالعهد، وإلا لم تكن للمتحالفين فائدة ما من الحلف، وعلى أفراد الحلف أن ينصر بعضـهم بعضًا، وعلى قبائل الحلف أن يتآزروا في دفع الديات أيضًا، وبالمطالبة بديات من يُقتـل مـن قبائل الحلف، إذا عجز أهل القتيل أو قبيلة القاتل عن الأخذ بحقه[٣].

وكذلك على أفراد الحلف الأخذ بالثأر، وقد كان حرص العربي بالغا عـلى الأخـذ بثأر من يشترك معه في الحلف، وكان يهون عليه أمر الحياة، ويستهين بالموت من أجل ثـأره، فإذا وجب الثأر دفاعًا عن الحرمات وحفظًا للكرامة، فإن المَنِيّة عند العربي خير مـن إعطـاء الدَّنِيّة، فالأخذ بالثأر إذًا هو معنًى من المعاني التي تعبر عن روح العصـبية، وهـذا الخلـق – على ما فيه من شر – يتصل بكرامة العربي التي تدفعه إلى أن يقـتص بنفسـه مـن المعتـدين[٤]،

(١) المفضليات المفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمـد محمـد شـاكر و عبـد السـلام محمـد هـارون، دار المعارف، القاهرة، (ص ٣٥٥).

(٢) ينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، للدكتور/ خالد الجريسي، (ص٣٥).

(٣) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور/ جواد علي، (٧/ ٣٩٤).

(٤) ينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، الدكتور/ خالد الجريسي، (ص٣٨).

خاصة إذا كان القتيل سيد قبيلة حيث وجب على القبيلة الأخذ بثأر سيدها، وهيهات أن تسكت عن قتله، وعلى كل فرد من أفراد تلك القبيلة واجب الأخذ بثأره ممن قتله[1].

تَحمُّل التبعة وإجابة الصارخ.

وتلزم العصبية أبناء القبيلة بوجوب تحمل التبعة والقيام بواجبها وتلبية ندائها وإجابة الصارخ بالعصبية، ليس له أن يسأل عن السبب، ولا أن يعتذر عن تلبية النداء، وإنما عليه أن يعمل بقول الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم *** في النائبات على ما قال برهانا[2]

فقانون العصبية يفرض على القبيلة تحمل التبعة، إذ جعلها تبعة جماعية، فإذا جنى رجل جناية قتل، تكون قبيلته مسئولة عن جنايته، وعليها تقع تبعة قتل القاتل إذا تعذر الأخذ بالثأر منه أو تعذر تسليم القبيلة له، كما يقع على القبيلة دفع الدية إذا عجز القاتل أو آلُهُ عن دفعها، وذلك لتوزيعها على المتمكنين من أفرادها، أو بقيام ساداتها أو سيدها بدفعها كاملة أو بدفع ما تبقى منها، ومن هنا خضعت فردية الأعرابي المتطرفة لقانون الجماعة[3].

وهكذا كانت العصبية القبلية متأصلة في المجتمع الجاهلي مسيطرة على حياة الفرد، توجب عليه الالتزام بقضايا قبيلته؛ والأمر الخطير في ذلك هو أن هذا الالتزام كان في الشر كما كان في الخير على درجة واحدة.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (٧/ ٣٩٤).

(٢) البيت لقريط بن أنيف، أورده أبو تمام في "ديوان الحماسة". ينظر: ديوان الحماسة، لأبي تمام بن أوس الطائي، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتاب: العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، (ص٩٧).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (٧/ ٣٩٥).

وبعد هذا السرد لأبرز مظاهر تأصل العصبيات والقوميات في نفوس المجتمعات الجاهلية قبل الإسلام، والتي تبين من خلالها خطورة هذه المشكلة، ووضوح مفاسدها، ومضارها على حياة المجتمع أفراد وجماعات، فمن هنا اهتم المنهج النبوي في علاج وحل هذه المشكلة، ووضع حدا للقضاء على كل ما يدعو إليها، فقال في حجة الوداع، وأمام مَلأً عظيمًا من الناس: «**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**»(١).

وقال ﷺ: «**الناس بنو آدم وآدم من تراب**»(٢).

وعالج هذه المشكلة من خلال بيان دعوة الإسلام إلى نبذ العصبيات والقوميات الجاهلية، وإحلال الروابط الأخوية، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، والكرامة الحقيقية، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، والتي تتفق مع فطرة الإنسانية وطبيعته الأصلية، ومن خلال

---

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٥/ ٤١١)، برقم (٢٢٣٩١)، ورجاله رجال الصحيح؛ والطبراني في المعجم الأوسط برقم، (٤٩٠٥)؛ والبيهقي في الشعب برقم، (٤٩٢١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم، (٢٧٠٠)، من حديث أبي نضرة عن رجل من أصحاب رسول الله سمع خطبة رسول الله ﷺ.

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب: الأدب، باب: في التفاخر بالأحساب، (٤/ ٣٣١)، برقم، (٥١١٦)، ورواه أيضا بنحوه وأخصر منه الإمام أحمد في "مسنده"، (٢/ ٥٢٤)، والترمذي في المناقب باب: في فضل الشام واليمن، برقم (٢٩٥٠ - ٢٩٥١)، وقال الألباني: حديث حسن، كما في "صحيح الجامع"، برقم (١٧٨٣).

الاعتصام بحبل الله وعدم الفرقة؛ ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾؛ كما سيعرضه الباحث بإذن الله تعالى في المباحث التالية.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

دعوة الإسلام[1] إلى نبذ العصبيات والقوميات الجاهلية

لم يتعامل الإسلام مع العصبية على أنها آفة يجب القضاء عليها في كل الأحوال، بل تعامل معها على أنّها مظهر نفسي وإجتماعي، إذا تهيأت له الأسباب كانت له آثاره الطيبة في حياة الفرد والجماعة، ومن ثمّ تحول مفهومها في الإسلام إلى تنافس مثمر شريف يحرص عليه كل مسلم وفاءً لدينه وعقيدته، لشعوره بأنّه لم يعد فرداً في قبيلة وإنما صار عضواً في أمة قال الله تعالى فيها: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾[2].

وفي إطار هذا المعنى تخلصت العصبية من كل مفهوم بغيض، بل تحولت من طاقة مدمرة إلى طاقة فعالة مثمرة .. حدث هذا تدريجيّاً بطبيعة الحال، وفي أثناء ذلك كان الإسلام يأخذ بيد الناس أخذاً رفيقاً من هياج العصبية الجاهلية للنسب أو القبيلة، إلى الانتماء المطلق لعقيدة التوحيد، ومن ثمّ كانت عصبية الإنسان لعقيدته مقدمة على عصبيته

---

(١) من خلال بيان النبي ﷺ، فهو المفسرة للقرآن، والمبين لأحكامه وتوجيهاته بيانا عمليا تكفل به ﷺ في المجتمع المسلم الذي عايشه؛ فلا غرو من قول الباحث "دعوة الإسلام"، فالإسلام إنماء جاء وانتشر عن طريق محمد ﷺ، قولا وعملا وإقرارا؛ فمنهج النبي هو صورة التوجيهات الربانية قولا وعملا، وليس العكس.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٩٢.

لنسبه وعشيرته، بل كانت عقيدة المسلم موجهة لحركة حياته كلها سلماً وحرباً فنسبه وعشيرته في خدمة العقيدة[1].

فحول العصبية الجاهلية إلى عصبية إسلامية، بأن يتعصب المسلم لأهل عصبيته، ولدينه، فيدافع عنه ويقاتل في سبيله وفي سبيل رفع الظلم عمن وقع عليه بمساعدة من بيدهم الأمور على إحقاق الحق وإظهار حق المظلوم لديهم، وحرم العصبية الجاهلية المعروفة، وقد اتخذ الإسلام في نبذه للعصبية القبيلة عدة صور وأساليب نحاول أن نبينها على النحو التالي:

أولا: ذم العصبية والتشنيع بها.

أ) من ذلك وصف القرآن الكريم لها بالجاهلية قوله ﷻ:﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، "فإن إضافة الحمية إلى الجاهلية اقتضى ذمها فما كان من أخلاقهم وأفعالهم، فهو كذلك"[3].

فالحمية والعصبية من صفات أهل الجاهلية التي يجب أن يهجرها المسلم صحيح الإسلام، وينبذها ويخلعها كلية، وما لم يفعل المسلم ذلك ففيه شبه من أخلاق الجاهلية؛

(١) ينظر: القرآن وقضايا العصر، الأستاذ الدكتور محمود عباس الأستاذ بجامعة الأزهر.

(٢) سورة الفتح الآية: ٢٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، (١/ ٢٣٥).

وهذا ما وضحه قول النبي الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه لما عير رجلا بأمه: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»[1]، فإنه ذم لكل روحٍ جاهلية؛ وأخلاقٍ سيئة، تنافي هدي الإسلام.

فالمفاخرة واستنقاص الناس يتنافى مع التواضع؛ إذ قال النبي ﷺ: «**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد**»[2].

وقال ﷺ: «**أربع من أمتي من أمر الجاهلية: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، ...** »[3].

وهذا الحديث يدل على ذم افتخارهم بمفاخر الآباء، وطعنهم في أنساب الناس وإدخال العيب فيها؛ تحقيرا لآباء الناس، وتفضيلا لآبائهم على آباء غيرهم.

وألغى الإسلام الطعن بالأنساب، والتفاخر والتعاظم بأحساب الآباء والأجداد، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ﴾[4].

وجاء بالأعلام بعدم فائدة العصبيات كقوله ﷻ: ﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ ٣ ﴾[5].

---

(١) تقدم تخريجه، (ص٣٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: الجنة وصفة نعيمه باب: الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار (٨/ ١٦٠)، برقم، (٢٨٦٥). عن عياض بن حمار رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الجنائز، باب: التشديد فى النياحة، (٣/ ٤٥)، برقم (٢٢٠٣). عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٤) سورة الحجرات الآية: ١١.

(٥) سورة الممتحنة الآية: ٣.

وبين أنه لا تفاضُل فيه إلا باعتبار التقوى التي تنطرِح معها كل نزعة عنصرية عصبية أو قومية، قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

ولقد حث المنهج النبوي على هذا المعنى بوضوح وجلاء، عندما قال النبي ﷺ كلماته: «**يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى أبلغت**»[2].

وبهذا الحديث أراد النبي ﷺ من خلال منهجه الرباني أن يرسخ في قلوب أصحابه ﷺ منهجا متكاملا يمنع به التفاضل المبني على اللون أو الجنس أو العرق، ويجعل التقوى هي المعيار الحقيقي للحكم على الناس.

ثانيا: التحذير من سوء عاقبة الداعي إلى العصبية.

بين النبي ﷺ سوء عاقبة الداعي بدعوى العصبية، وتبرأ منه، فمن ذلك ما جاء عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**»[3].

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٣٨/ ٤٧٤)، برقم (٢٣٤٨٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وكذا صححه الشيخ الألباني. ينظر: السلسلة الصحيحة، للألباني، (١/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (٣/ ١٤٧٦) برقم (١٨٤٨).

فهذا الحديث فيه وعيد شديد لمن يقاتل (تحت راية عُمِّية) وهي: "الأمر الأعمى لا يستبين وجهه .. كتقاتل القوم للعصبية"[1]، فيغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، بأنه إن مات على ذلك فإنه لم يقتل قتلة الإسلام التي هي الجهاد في سبيل الله لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله تعالى، ولكنه قتل قتلة الجاهلية من حيث كان يقاتل بغير بصيرة وعلم تعصبا، كقتال الجاهلية، ولا يعرف المحق من المبطل، وإنما يغضب لعصبية لا لنصرة الدين[2].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن**»[3].

والعُبِّيَّةُ هي: الكبر والنخوة، يريد بهذا القول ما كان عليه أَهلُ الجاهلية من التفاخر بالأَنساب والتباهي، أما الجعلان: فهي مفرد جُعل، وهو حيوان معروف كالخنفساء[4].

---

(١) شرح النووي على مسلم، (١٢/ ٢٣٨).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري (٦/ ٢٣٩٥).

(٣) رواه أبو داود في "سننه"، كتاب الأدب، باب: في التفاخر بالأحساب، (٤/ ٣٣١)، برقم (٥١١٦) ورواه أيضا بنحوه وأخصر منه الإمام أحمد في "مسنده"، (٢/ ٥٢٤)، والترمذي في المناقب باب: في فضل الشام واليمن، برقم (٢٩٥٠ - ٢٩٥١)، وقال الألباني: حديث حسن، كما في "صحيح الجامع" برقم (١٧٨٣).

(٤) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، (٧/ ٣٠٧٣).

ففي هذا الحديث شبّه النبي ﷺ المفتخرين بآبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجُعَل، وشبه آباءهم المفتخر بهم بالعذرة، وشبه أسلوب الافتخار بالدهدهة بالأنف، والمعنى أن أحد الأمرين واقع البتة، إما الانتهاء عن الافتخار أو كونهم أذل عند الله تعالى من الجعل الموصوف[1].

والغرض من الحديث والتشبيه الواقع فيه "إعلام الناس أن الكبر والفخر بالنسب من العصبية المقيتة التي حرمها الإسلام وأن مرجعهم إلى أبيهم آدم عليه السلام ومن كمال بلاغته ﷺ أن شبه المتعصب بآبائه ونسبه بأنه أقل من ذلك الحيوان الصغير الذي يدفع فضلات الإنسان والحيوان ويعيش معها"[2].

ثالثا: تشديد النهي عن الفخر في الأحساب.

فلقد شدد النبي ﷺ في محاربة هذا الداء، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان**»[3].

وأخبر ﷺ أن الفخر في النسب لا يقدم شيئا، فقال: «**من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[1].

---

(١) نفس المرجع.

(٢) دور التربية الإسلامية في مواجهة العصبية، عايض آل جحراف، (ص٧٠).

(٣) رواه أبو داود، في "سننه" كتاب: الأدب، باب: في التفاخر بالأحساب، برقم، (٢١١٦)، والترمذي في المناقب، باب: في فضل الشام واليمن، برقم (٢٩٥٠-٢٩٥١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٧٨٣).

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٤/ ٢٠٧٤)، برقم، (٢٦٩٩).

فالنسب لا يقدم شيئًا لابن نبيّ الله نوح عليه السلام؛ إذ فارق أباه في العقيدة، فقال الله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[1].

إن النسب الرفيع لم يفد شيئًا لأبي جهل ولا لأبي لهب، ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾[2]، بينما نصرة الدين والإسلام ورفع لوائه هي التي رفعت سلمان الفارسي، وبلالاً الحبشي، وصهيبًا الرومي ﷺ، فهم لا يملكون نسبًا ذائعًا ولا صيتًا قبليًا؛ إذ سمع النبي خشخشة بلال في الجنة، وفي الأثر: «**ربح البيع صهيب**»[3].

رابعا: الدعوة إلى الاجتماع وعدم الافتراق.

وهذه خطوة عملية لنبذ العصبية، وذلك من خلال الدعوة إلى الاجتماع والتآلف والتآخي على المبادئ الإسلامية السامية، التي هي أضداد للعصبية ومقتضياتها، التي هي الفرقة والتعادي والتنافر، وقد وردت آيات عديدة لتؤكد على هذا المقصد وتحث المسلمين على الوحدة المبنية على الأخوة الإسلامية لا على العصبية لرابطة الدم أو القرابة أو الجنس أو القبيلة:

---

(١) سورة هود الآية: ٤٦.

(٢) سورة المسد الآيات: من ١-٣.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، (٣/ ٢٢٨)، ورواه الحاكم في المستدرك، (٣/ ٣٩٨)، وقال عقبه: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، أسباب: النزول للواحدي، (ص ٣٩).

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[1].

ففي هذه الآية دعوة صريحة للاعتصام بحبل الله الذي هو دين الله تعالى أو كتابه[2]؛ فقد أمر الله بأن يكون اعتصام الناس حول دينه وكتابه لا حول العصبية والقومية، ثم أكد سبحانه وتعالى أمره بالاعتصام بالنهي عن التفرق، وذكّر المؤمنين بنعمته عليهم بالإسلام الذي كان سببا في التأليف بين قلوبهم وإشاعة روح المؤاخاة بينهم، وتغيير حالهم من التشتت والتشرذم والتعادي المهلك، إلى التآخي والتآزر والسلام الدائم، فقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[3].

وهكذا كانت الدعوة الربانية والمنهج النبوي لنبذ العصبيات من خلال التشنيع بأمر العصبية والتحزب للقوميات والروابط المختلفة ضد الحق والعدل، ومن خلال التحذير من سوء عاقبتها، وأيضا من خلال حث المسلمين على الاجتماع على هدي كتابه وتعاليم دينه ودعوتهم إلى التعارف والمحبة والتعاون المشترك.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي، (٢/ ٣١).

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

المبحث الرابع

العلاج لما وقع في المجتمع الإسلامي من ظهور بعض العصبيات والقوميات

من المؤكد أنه ليس من السهل واليسير استيعاب المنهج النبوي لعقلية وتفكير العقول المتشربة لقضية العصبية والقومية، في المجتمعات الحديثة العهد في الجاهلية -بيت العصبيات والقوميات- وتطويعها وترغيبها في المفاهيم الإسلامية، المحاربة لكل أشكال العصبيات.

ولما كانت ترسبات العصبية الجاهلية تنتاب بعض الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبي ﷺ مع ما كان لهم من المكانة والمنزلة الرفيعة، حيث أثنى الله سبحانه على الصحابة عامة، وعلى السابقين من المهاجرين والأنصار خاصة بقوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

وفضلهم رسول الله ﷺ على القرون اللاحقة في قوله ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** ... »[2].

ومع هذه المكانة السامية قد يصدر منهم تعصب بسبب غير شرعي، يفضي إلى التحزب المؤدي إلى الشقاق والغضب ولربما التقاتل، فإذا تمكنت العصبية والحزبية من

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (٣/ ٢٢٤)، برقم (٢٦٥٢).

أقوام فهي كفيلة بهز صفوفهم، وزرع الفرقة والشقاق والقتال بينهم، مهما سمت مرتبتهم، وعلت مكانتهم.

ولكن النبي ﷺ عالج المشكلة بحزم وشدة، فمن الأمثلة التي ظهرت فيها بعض العصبيات وعالجها النبي ﷺ مايلي:

أولا: ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاه، فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري، ياللأنصار، قال المهاجري ياللمهاجرين؛ فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ما بالُ دعوى جاهلية؟**»، قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: «**دعوها فإنها خبيثة**»[1].

فقول هذا الأنصاري: (**يا للأنصار**)، وقول المهاجري: (**يا للمهاجرين**)، هو النداء بالقومية العصبية بعينه، وقول النبي ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**»، يقتضي وجوب ترك النداء بها، وحسبك بالنتن موجبا للتباعد لدلالته على الخبث البالغ.

فدل هذا الحديث الصحيح على أن في النداء برابطة القومية مخالفة لما أمر به النبي ﷺ وأن فاعله يتعاطى المنتن، فإذا صح بذلك أن الدعوة للقومية من دعوى الجاهلية، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المناقب، باب: ما ينهى من دعوة الجاهلية، (٤/ ٢٢٣) برقم (٣٥١٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الجنائز، باب: ليس منا من ضرب الخدود، (٢/ ١٠٤) برقم (١٢٩٧).

ثانيا: أنه مر شأس بن قيس يهودي، وكان شيخا كبير السن عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد![1] لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار! ، فأمر فتى شابا من يهود وكان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار؛ وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج؛ ففعل، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب، أوس بن قيظي، أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجبار بن صخر، أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة![2]، وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح! موعدكم الظاهرة، والظاهرة: الحرة، فخرجوا إليها، وتحاوز

(١) الملأ: الرؤساء وأشراف القوم ووجوههم ومقدموهم، الذين يرجع إلى قولهم ورأيهم؛ وبنو قيلة: هم الأنصار من الأوس والخزرج، وقيلة: اسم أم لهم قديمة، هي قيلة بنت كاهل بن عذرة، سموا بها. ينظر: فتح الباري، (٧/ ٢٨٧)، ولسان العرب، (١١/ ٥٧٢)، وتفسير الطبري، (٦/ ٥٥).

(٢) ردها جذعة: أي جديدة كما بدأت. والجذع والجذعة: الصغير السن من الأنعام، أول ما يستطاع ركوبه. يعني أعدناها شابة فتية.

الناس[1] فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: «**يا معشر المسلمين: الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً !**»[2].

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس وما صنع[3].

قال النووي -رحمه الله-: وأما تسميته ﷺ ذلك دعوى الجاهلية فهو كراهة منه لذلك، فإنه مما كانت عليه الجاهلية من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها، وكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبيات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضايا

---

(١) تحاوز الناس، أي تنحى ناحية وانضم إلى جماعته، والذي يلي هذه الكلمة هو تفسيرها قوله: "فانضمت الأوس .. ".

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره سورة آل عمران: ٩٩، وجامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (٦/ ٥٦). والدر المنثور في التفسير بالماثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، (٣/ ٦٩٩).

(٣) ينظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي، (٣/ ٥٨٠-٥٨٢).

بالأحكام الشرعية فإذا اعتدى إنسان على آخر حكم القاضي بينهما وألزمه مقتضى عدوانه كما تقرر من قواعد الإسلام[1].

ثالثا: عن أبي بن كعب[2] رضي الله عنه قال: انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، فمن أنت لا أم لك؛ فقال رسول الله ﷺ: «**انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى تسعة، فمن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام: أن هذين المنتسبين، أما أنت أيها المنتمي إلى تسعة من النار فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة**»[3].

لقد عالج رسول ﷺ هذا الموقف بأن وعظ هذا المفاخر بآبائه لينزجر عن هذا التفاخر المقيت، ويبين أن القضية الأساسية التي يجب تحقيقها وتثبيتها في قلوب المؤمنين هي تعميق رابطة الأخوة بينهم، وجعلها أوثق العرى وآكد الصلات، ولا يكون الحفاظ على تلك الأخوة إلا بالنهي عن كل ما يضعف بنيانها الإيماني، وذلك من خلال قطع

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (١٦/ ١٣٧).

(٢) هو: أبي بن كعب ابن قيس، ويكنى أبا المنذر شهد العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعا، وكان يكتب في الجاهلية قبل الإسلام وكانت الكتابة في العرب قليلة، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول الله، ﷺ، وأمر الله – تبارك وتعالى– رسوله أن يقرأ على أبي القرآن، وقال ﷺ: أقرأ أمتي أبي، مات سنة عشرين أو تسع عشرة. ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (٣/ ٤٩٨)، والإصابة، (١/ ١٨١).

(٣) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٥/ ١٢٨)، برقم (٢١٢١٦)، وعلق شعيب الأرنؤوط على الحديث بقوله: رجاله ثقات رجال الشيخين غير يزيد بن زياد بن أبي الجعد فقد روى له البخاري في "خلق أفعال العباد"، والنسائي وابن ماجه وهو صدوق وقد تفرد به بهذا الإسناد فرواه من حديث أبي مرفوعا. قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " (٣/ ٢٦٥).

التفاخر بالأنساب والتعصب للقبيلة، لما يسببانه من إشعال للعداوات، وتفريق للجماعات، وإثارة للنعرات والخصومات.

رابعا: تشاجر أبو ذر وبلال ﷺ، فقال أبو ذر لبلال يا ابن السوداء، فشكاه إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «**أعيرته بأمه؟**»؛ فقال أبو ذر: من سب الرجال سبوا أباه وأمه، قال النبي ﷺ: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم؛ فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم[1].

لقد عالج النبي ﷺ خطأ أبي ذر حين عيَّر بلال بسواد أمه، بالتوبيخ والتأنيب، وذلك في قوله لأبي ذر: «**إنَّك امرؤ فيك جاهلية**»، وبين له أن ذلك من أفعال الجاهلية التي يجب على المسلم التخلص منها، إذ لا تتناسب مع ما جاء به الإسلام من مبادئ سامية تقوم على العدل والمساواة والإحسان.

وهكذا فقد ربى النبي ﷺ أصحابه على التآخي والتسامح، وحرص ﷺ على معالجة العصبيات الجاهلية، واستطاع بذلك المنهج النبوي أن يضع الحل المناسب لهذه المشكلة منذ مهدها الأول قبل أن تتغلل هذه المشكلة في المجتمع الإسلامي كله؛ فتعمل على تشتته وتشرذمه وتفرقه، فتصبح هذه المشكلات معول هدم في ساعد الأمة الإسلامية، تودي إلى تنازعها وفشلها.

وبذلك يتبين علاج المنهج النبوي لما قد يعتري النفس الإنسانية من عصبيات وقوميات دلت على ترسب بعض بقايا النزعة الجاهلية في نفوس أصحابها، مما يصطدم

---

(١) تقدم تخريجه، (ص٣٢٣).

اصطدامًا مباشرًا مع مبدأ الأخوة الإيمانية الذي عمل المنهج النبوي على إرسائه، وليرفع لواءً ضخمًا واحدًا، يتسابق أليه الجميع ليقفوا تحته ظله.

المبحث الخامس

الآثار السيئة المترتبة على عودة العصبيات والقوميات في بعض المجتمعات الإسلامية

للعصبيات والقوميات خطر عظيم، وضرر كبير، قد ابتليت بـه الأمـة الإسـلامية، وسوّدت صفحات تاريخ البشرية، ونتج بسببها العديد من المشاكل في طريق هداية النـاس إلى الحقّ، وتحوّلت طاقات وإمكانيات البشر الكبـيرة إلى سـيل مـن الـويلات والنكبـات، وسُفكت بسببها الكثير من الـدماء، وأدت إلى تفريـق الأمـة وتمزيقهـا، وسـيطرة الأعـداء عليها، وعلى مقدراتها.

ولما كانت العصبية ظاهرة مرضية، وكانت لصيقة الصلة ومباشرة التأثير على الفـرد ذاته باعتباره حامل جرثومة هذا الداء الخبيث، ولما كان ضرر هذا المرض لا يقف عند حـد صاحبه، بل يتجاوز إلى غيره إما بالإضرار أو بالعدوى، كـان لهـا تـأثيرا كبـيرا عـلى الفـرد والمجتمع على الوجه المذكور، وفيما يلي عرض لأهم آثار العصبية على الفرد والمجتمع:

أولا: آثار العصبية على الفرد.

هناك بعض الآثار لمشكلة العصبية التي ترى على بعض الأفراد عند إصـابتهم بهـذا الداء الاجتماعي الخطير، هذه الآثار منها ما يلي:

أ) الجمود والتقليد الأعمى[1]: من أبرز آثار العصبية على الفرد أنها تسبب مشكلة الجمود والتقليد الأعمى الذي يصيب المتعصب، وقد وردت آيات عديدةٌ تذمُّ التقليدَ

---

(١) قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- "قال أبو عبدالله بن خويز منداد البصري المالكي: التقليد معناه في الشرع: الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة، والإتباع؛ ماثبت عليه حجة، =

الأعمى والتعصُّب الجاهل، منها قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[1].

ولقد واجه النبي مثالا للتقليد الأعمى، وذلك أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله ﷺ: لأبي طالب: «**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله[2]؛ ونهى ﷺ عن التقليد الأعمى بقوله: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم**»، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال: «**فمن**»[3].

وقال في موضع آخر من كتابه؛ كل من اتبعت قوله -من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك- فأنت مقلده، والتقليد في دين الله غير صحيح؛ وكل من أوجب عليك الدليل إتباع قوله فأنت متبعه. والإتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع".

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، (٢/ ١١٩)، برقم (١٣٦٠)؛ ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: أول الإيمان قول لا إله إلا الله، (١/ ٤٠)، برقم (١٤١).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، (٤/ ٢٠٦)، برقم (٣٤٥٦)، ومسلم، كتاب: العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى، (٨/ ٥٧)، برقم (٦٩٥٢). عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

وقد يظهر هذا الأمر بجلاء في تقليد التلامذة لأساتذتهم وطلبة العلم لشيوخهم، فهؤلاء يقلدون أساتذتهم في كل أمر دون مراعاة وجه الصواب والخطأ، وتقديم أقوالهم على أقوال الآئمة المتقدمين.

وقد يصل التعصب بهؤلاء طورا بعيدا جدا فيردون أقوال الصحابة والتابعين إذا تعارضت مع أقوال أساتذتهم، وفي ذلك يقول المؤرخ أبو شامة: "إن الشافعية الأولين كانوا يتعصبون لأقوال أئمتهم لكن يأخذون من قول المزني وقول غيره، وقد يردون أقوال بعض الصحابة وبعض التابعين، ثم جاء المتأخرون فردوا كلام المزني وغيره وتعلقوا بكلام الغزالي وأمثاله"[1] وبكل تأكيد زهدوا في أقوال الصحابة التي هي أقرب للحق لقربهم من رسول الله ﷺ وتشربهم الملكة التشريعية منه.

ب) التنابز بالألقاب: قد تتحول العصبية إلى سخرية وتنابز بالألقاب بين الأفراد فيصف الفرد الآخرين بألفاظ قبيحة، مثل يا أسو، أو يا عبد، أو يسميه بغير اسمه، أو أصله، أو ينتقص من قبيلته، أو عرقه، أو شعبه، أو وطنه، أو المنطقة التي ينتمي إليها، فهو يرى أن عرقه، أو لونه، أو قبيلته، أو وطنه، أو المنطقة، أفضل من المكان الذي ينتمي إليه الآخرون[2].

---

(١) ينظر: التعصب الذميم وآثاره، ربيع المدخلي، نشر مجالس الهدى، الجزائر، الطبعة الأولي، ٢٠٠٣م، ١٤٢٤هـ، (ص٣٠). بتصرف.

(٢) ينظر: دور التربية الإسلامية في مواجهة العصبية، عايض آل جحرف، (ص٤٩). بتصرف.

وقد نهى الله تعالى عن ذلك، بقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1].

ج) **الحسد**: ومن آثار العصبية إثارة الحسد في نفس صاحبها، وقد ذكر لنا القرآن الكريم مثالا قويا على ذلك، حين امتنع إبليس من السجود لآدم، عصبية لمادته التي هي النار وأن الله تعالى خلقه منها وخلق آدم عليه السلام من الطين، وتحول ذلك إلى حسد في نفسه فامتنع عن طاعة الله، ورفض السجود لآدم، قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

أضف إلى ذلك الحسد المنتشر بين الطبقات الفقيرة، والتي ترى أنها مظلومة، عندما تقارن نفسها مع الطبقات الاجتماعية العرقية الأخرى الغنية.

د) **الأنانية والقسوة**: تؤدي العنصرية والعصبية إلى إصابة صاحبها بالأنانية وحب الذات والانغلاق عليها في مواجهة الآخرين، فبالاستناد إلى أفضلية عنصره على العناصر الأخرى، وكونه يتميز عن غيره بالعديد من المزايا، والتوجهات يعتقد بأنه أحق من غيره بالكثير من الأمور، والفرص، والمزايا، وأن هذا الغير لا يستحق شيئا مما يستحقه هو، ويؤكد بعض الدارسين لسلوكيات المتعصب بأن المتعصبين أكثر ميلا للغلظة، والقسوة،

(١) سورة الحجرات الآية: ١١.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٢.

ويظهر ذلك من خلال أساليب الحديث التي يتخذونها مع غيرهم ومن خلال طرائق تناولهم للأمور وتعاملهم مع الناس[1].

ثانيا: آثار العصبية على المجتمع.

أما على المستوى المجتمعي والأممي، فتتجلى آثار العصبية من خلال بعض المظاهر المجتمعية المقيتة، من هذه المظاهر ما يلي:

أ) شيوع الحروب:

من أخطر الآثار والأضرار التي تخلفها العصبيات والقبليات على المجتمع هي إثارة الحروب، وإشعال فتيلها في المجتمع، وتعتبر الحروب من أكثر الظواهر السلبية خطورة على المجتمع سواء الغالب فيها والمغلوب، لأن أحدا من المتحاربين لا يسلم من خسائر في الأرواح، أو الأموال بوجه من الوجوه.

ومن الأمثلة التي كادت أن تجر الصحابة ﷺ إلى حرب طاحنة، بسبب مفاخرة بين المهاجرين والأنصار، لولا أن وأدها النبي ﷺ في مهدها، ما مر معنا في المبحث الرابع من هذا الفصل، وذلك أن رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري، ياللأنصار، قال المهاجري ياللمهاجرين؛ فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ما بالُ دعوى جاهلية؟**»، قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: «**دعوها فإنها خبيثة**»[2].

---

(١) ينظر: أنا والآخر سيكولوجية العلاقات المتبادلة، عبد المنعم شحاتة، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م، (ص١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: التفسير، باب: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المنافقون: ٨، (٦/ ١٩١)، برقم =

وتعد ظاهرة الثأر[1] قريبة الشبه من ظاهرة الحرب، لما يترتب على كل منهما من خسارة كبرى في الأنفس وما ينجم عنهما من توتر الحياة ودمار السلام النفسي والاجتماعي، وظاهرة الأخذ بالثأر ظاهرة شائعة عند الجماعات التي تتمسك بعصبيتها وتعتبر ذلك أحد متطلبات الوفاء للأهل والعشيرة قديما وحديثا.

فالثأر هو أشد أخطار العصبية القبلية لأنه لا يهدف إلى إقامة العدل في المجتمع ومجازاة الفاعل بمثل ما فعل، لكنه يهدف للتعويض عن الخسارة التي أصيبت بها القبيلة بفقد أحد رجالها فهو يتجه إلى إضعاف القبيلة التي وقع منها الاعتداء، ومن هنا يقال عن

(٤٩٠٧)، ومسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: نصر الأخ ظالما أو مظلوما، (٨/ ١٩)، برقم، (٦٧٤٨).

(١) أن الثأر لا يبالي ولي الدم في الانتقام من الجاني أو أسرته أو قبيلته، وبذلك يتعرض الأبرياء للقتل دون ذنب جنوه؛ في حين أن القصاص يقتصر فيه على الجاني فلا يؤخذ غيره بجريرته، فالقصاص يردع القاتل عن القتل لأنه إذا علم أنه يقتص منه كف عن القتل بينما الثأر يؤدي إلى الفتن والعداوات. لقد وضع الله سبحانه وتعالى في جرائم الحدود والقصاص عقوبات، ولم يترك للناس تقديرها؛ نظرا لأهميتها؛ وساوى بين الناس جميعا، فليس هناك فرق بين الناس ومراتبهم وأقدارهم، فهي متساوية، فلا فرق بين وضيع أو شريف ولا غني أو فقير لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ ﴾ البقرة: ١٧٨ . وجميع الشرائع السماوية نصت على عقوبة القتل، فليس هناك مجال لكي نتخلص من هذا الجزاء كونه سيجسم تداعيات الفتن لقوله تعالى:﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾ البقرة: ١٧٩ .

الثأر (إن الدم لا يغسل إلا بالدم) تعبيرا عن هذه العقيدة التي لا تزال راسخة في أذهان أبناء القبائل حتى اليوم لمطابقتها مع مزاجهم القبلي[1].

ب) شيوع الفرقة والاختلاف بين البشر:

وقد سلكت العصبية في إشاعة الاختلاف بين البشر مسالك متعددة: فقد تأخذ إطارًا سياسيًا يؤدي إلى تقسيم الشعب الواحد إلى عدة دول، فيكون الشعب أو القومية أو العرق الواحد مقسما إلى عدة دول ساهم في إضعاف دورها الإقليمي والدولي، وقد حدث مثل هذا الانقسام في الدولة الإسلامية قديما، فانقسمت الأندلس بين عدة طوائف متعصبة: دولة بني جهور في قرطبة، وبني عباد في مملكة إشبيلية، وبني الأفطس في مملكة بطليوس، وبني ذي النون في طليطلة، مما أدى إلى إضعاف قواها بل دخولها في عدة حروب أذهبت ريحها في مواجهة القوى النصرانية التي كانت تتربص بالإسلام الدوائر.

ويصف الدكتور محمد زكريا عنان هذه الفترة من تاريخ الأندلس بقوله: "وإنه لمنظر مروِّع مؤسٍ معاً، ذلك الذي تقدمه إلينا الأندلس في تلك الفترة العصيبة من تاريخها، منظر القواعد والمدن الأندلسية، التي كانت من قبل تلتئم في عقد منتظم واسطته مدينة قرطبة العظيمة، وتسطع في ظل حكومة الخلافة القوية، وتلتف حول عرش الخلفاء المؤثل، وهي تغدو حبات متفرقة منفردة حائرة، تقوم في كل منها حكومة محلية هزيلة، على رأسها متغلب من أهل العصبية أو الرياسة، يسيطر على أقدارها لحساب نفسه، ثم هي بعد ذلك كله تخوض غمار سلسلة لا نهاية لها من الفتن والحروب الأهلية الصغيرة، وتنسى في خلال

(١) ينظر: دور التربية الإسلامية في مواجهة العصبية، عايض آل جحرف، (ص٥٣).

هذه الفترة الخطيرة المؤسية من حياتها أو تتناسى، قضية الأندلس الكبرى، قضية الحياة والموت، أو بعبارة أخرى قضية الصراع ضد العدو الخالد - أعني إسبانيا النصرانية"[1].

وقد لا تأخذ هذا الإطار ولكنها تضر بأمن المجتمع وتثير القلاقل بداخله بما ينذر بقيام طوائف على أساس ديني أو اجتماعي، مثل الذي حدث في طرابلس الشام من انقسام بين أتباع المذاهب المختلفة في حادثة شديدة الدلالة على خطورة العصبية على المجتمع، فقد ذهب بعض علماء الشافعية إلى المفتي سائلا إياه أن يقسم المساجد بين الشافعية وبين الحنفية لأن أحد فقهاء الحنفية يعد الشافعية من أهل الذمة، فهذه الحادثة تدل على خطورة العصبية على اتزان المجتمع ووحدته الاجتماعية والدينية في آن واحد[2].

وبلا شك أن التشتت والتفرق ينتج عنه طمع الأمم في أمة الإسلام؛ لأنها أصبحت أمة ضعيفة الجسد مترهلة البنيان ليست جسدا قويا، ولا بنيانا مرصوصا، ومن ثم فالدائرة تدور عليها؛ لأن السنن الإلهية الجارية لا تحابي أحدا؛ فالأمة القوية التي تأخذ بأسباب القوة والنصر، والوحدة، ينصرها الله ولو كانت فاجرة، والأمة الضعيفة التي تهمل أسباب القوة والنصر يخذلها الله ولو كانت مسلمة.

ج) عدم تكافؤ الفرص:

ومن آثار العصبية للأهل والأقارب عدم تكافؤ الفرص في المجتمع الواحد أمام المتساويين في الكفاءات، بل أحيانا ما يحصل على الفرصة منعدم الكفاءة بسبب وساطة

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (٢/ ١١).

(٢) ينظر: مقدمة محمد رشيد رضا على كتاب: المغني لابن قدامة، دار الكتاب: العربي للنشر والتوزيع (١/ ١٣).

قريبه، أو ذي عصبته، فتذهب الوظائف الإدارية والفرص التعليمية للأقارب والمعارف دون غيرهم ممن يستحقونها أو يستحقون مثلها، فيكون في ذلك ما فيه من ضرر بمشاعر الآخرين وتأثير على أوضاعهم الاجتماعية فضلا عن خيانة الله ورسوله.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: "فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما أو ولاء عتاقة أو صداقة أو مرافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس: كالعربية والفارسية والتركية والرومية؛ ..، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهي عنه في قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾[2]، ثم قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾[3]، فإن الرجل لحبه لولده أو لعتيقه قد يؤثره في بعض الولايات أو يعطيه ما لا يستحقه؛ فيكون قد خان أمانته"[4].

فهذه هي الآثار السيئة التي تتركها العصبية على الفرد والمجتمع، وهي في مجملها تتسبب في حياة لا سلم فيها، لا على المستوى الفردي، ولا على المستوى الاجتماعي، ويعني

---

(١) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين، له: وتصانيفه كثيرة جدا "السياسة الشرعية"، و"الجمع بين النقل والعقل"، و"الفرقان بين أولياء الشيطان"، و"الصارم المسلول على شاتم الرسول"، و"مجموع الفتاوى"، توفي: ٧٢٨ هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، (١/ ١٤٤).

(٢) سورة الأنفال الآية: ٢٧.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٢٨.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٨/ ٢٤٨).

ذلك ضرورة محاربة هذه الظاهرة واستغلال سائر الوسائل المتاحة من إعلام وصحافة ومنابر دعوية للإطاحة بها وصدِّ خطرها.

الفصل الثالث

منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة الإعاقة

وفيه خمسة مباحث:

- **المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للإعاقة.**
- **المبحث الثاني: التعامل مع المعاقين.**
- **المبحث الثالث: دمج المعاق في المجتمع الإسلامي.**
- **المبحث الرابع: الوقاية من الإعاقة.**
- **المبحث الخامس: مقارنة بين المناهج الحديثة ومنهج النبي ﷺ في التعامل مع المعاقين.**

تمهيد

لقد اهتم المنهج النبوي بأمر المعاقين باعتبار قضية الإعاقة من أهم القضايا التي تواجه مجتمعا من المجتمعات، لما يترتب عليها من آثار اجتماعية نفسية خطيرة، ولذلك فإن المنهج النبوي يعمل على تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين الأفراد، لا فرق في ذلك بين غني وفقير، سوي أو معاق، فالكل سواسية، والكل يستطيع أن يشارك بحسب ما تسمح به قدراته وإمكاناته واستعداداته.

ومن هذا المنطلق وقف المنهج النبوي من الإعاقة مواقف سديدة، منها ما يقوم على الوقاية والتحرز بالابتعاد عن الاقتراب منها بزمن طويل، ومنها أنه اكسبهم الكثير من الحقوق التي تساويهم بغيرهم من أبناء المجتمع، ومنها الحرص على ترسيخ مبادئ قيِّمة في التعامل مع المعاق من أهمها دمج المعاق بالمجتمع دمجًا كاملا.

وبذلك يضمن إلتئام شمل المجتمع ودفعه بجميع طوائفه نحو الأمام، وفي هذا حفاظ على حق المعاق في الحياة الهانئة الكريمة، مما أبعد عن المعوقين شبح الخجل، وظلال المسكنة.

بل إن المنهج النبوي لم يقصر نداءه الإنساني على المعوقين فقط، بل امتد النطاق فشمل المرضى عامة، واستطاع المريض -أياً كان مرضه- أن يستظل براية الإسلام التي تحمل في طياتها الرأفة والرحمة والخير، وأن يتنسم عبير الحياة، في عزة وكرامة.

كما أن المنهج النبوي لم يقصر هذا النداء على مناسبة خاصة بالمعوقين لأن القواعد التي أرساها الإسلام سارية المفعول منذ أن جاء بها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وسوف يناقش الباحث فيما سيأتي من مباحث كيف كان منهج النبي ﷺ سببا في علاج مشكلة الإعاقة؟:

المبحث الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي للإعاقة

قبل الشروع في الحديث عن مشكلة الإعاقة، ينبغي التعريف بمعناها من جهة اللغة ومن جهة الاصطلاح، حتى يتسنى للباحث وضع الضوابط والحدود اللازمة وتحديد من يدخل تحت هذه المشكلة ومن لا يدخل من أفراد المجتمع.

أولا: تعريف الإعاقة في اللغة.

الإعاقة مصدر كلمة أعاق التي تأتي لتدل عن الحبس عن الشيء والمنع من الأمر الذي يهم به الإنسان؛ قال الأزهري: "قال الليث: تقول: عاق يعوق عوقا، ومنه التعويق والاعتياق، وذلك إذا أردت أمرا فصرفك عنه صارف، ... والتعويق تريث الناس عن الخير؛ ورجل عوقة: ذو تعويق للناس عن الخير"[1].

وقال ابن فارس: "يقال: عاقني عنه عائق، وعوائق الدهر: الشواغل من أحداثه، والمعوق: المثبط، ورجل عُوَقٌ وعُوَقَةٌ يعوق الناس عن الخير، وعاقني الأمر واعتاقني"[2].

فالإعاقة في اللغة هي مطلق المنع والحبس عن الشيء، وقد يكون ذلك بسبب الحوادث اللاإرادية وقد يكون بسبب تعويق أحد من الناس.

---

(١) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١، (٣/ ١٨).

(٢) مجمل اللغة أحمد بن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، (ص: ٦٣٧)، وينظر: الصحاح، (٤/ ١٥٣٤).

ثانيا: الإعاقة في الاصطلاح.

لا يخرج معنى الإعاقة في الاصطلاح عن معناها في اللغة، والذي هو الأمر المانع عن مزاولة الشيء، إلا أن المعنى في اللغة كان مطلقا بلا قيد معين، أما المعنى في الاصطلاح فهو مقيد بالقصور والعجز.

فقيل: "هي كل ضرر يمس فردًا معينا وينتج عنه اعتلال أو عجز يحدُّ من تأدية دوره الطبيعي بحسب عوامل السن والعوامل الاجتماعية والثقافية"(١).

وعُرِّفت بأنها "اضطراب نمائي ينجم عن خلل في الدماغ ويظهر على شكل عجز حركي تصاحبه غالباً اضطرابات حسية أو انفعالية"(٢).

وقد عَرَّفت (منظمة الصحة العالمية) الإعاقة الجسمية على أنها: "حالة من القصور أو الخلل في القدرات الجسدية ترجع إلى عوامل وراثية أو بيئية تعيق الفرد المعاق عن تعلم بعض الأنشطة التي يقوم بها الفرد السليم"(٣).

وعَرَّف بعضهم المُعاق بأنّه: "الشخص الذي استقر به عائق أو أكثر، يوهن من قدرتِه ويجعُله في أمس الحاجة إلى عون خارجي"(٤) .

---

(١) نفس المصدر، (ص٣٠). نقلا عن ماهر أبو المعاطي، (٢٣/ ٢٠٠٤).

(٢) المصدر السابق، (ص٣٠). نقلا عن البواليز، (٣٩/ ٢٠٠٠).

(٣) بحث بعنوان: الاتصال الجماهيري حول ظاهرة الإعاقة بين الأطفال، الدكتور/ هادي نعمان الهيتي، منشور بالمجلة المذكورة سابقا، عدد (٥)، فبراير ٢٠٠٢ م، (ص٣٦).

(٤) نفس المصدر، (ص٢٣).

أو هو: "مَن فقد قدرته على مزاولة عمله، أو القيام بعمل آخر نتيجة لقصور بدني أو جسمي أو عقلي، سواء كان هذا القصور بسبب إصابته في حادث أو مرض أو عجز ولادي"[1].

وقيل: هي الإصابة بواحدة أو أكثر من الإعاقات الآتية: الإعاقة البصرية، الإعاقة السمعية، الإعاقة العقلية، الإعاقة الجسمية والحركية، صعوبات التعلم، اضطرابات النطق والكلام، الاضطرابات السلوكية والانفعالية، التوحد، الإعاقات المزدوجة والمتعددة، وغيرها من الإعاقات التي تتطلب رعاية خاصة[2].

والمعوق: كل شخص مصاب بقصور كلي أو جزئي بشكل مستقر في قدراته الجسمية أو الحسية أو العقلية أو التواصلية أو التعليمية أو النفسية إلى المدى الذي يقلل من إمكانية تلبية متطلباته العادية في ظروف أمثاله من غير المعوقين[3].

ويتضح من استقراء التعريفات السابقة أن معنى الإعاقة يشير إلي ما يلي:

١. أن معاناة الإعاقة نتيجة عوامل بيئية أو وراثية.

٢. الإعاقة هي عدم القدرة علي تلبية المتطلبات اليومية بالشكل الطبيعي.

٣. هي قصور وتعطل جزء أو أكثر من جسم الإنسان.

---

(١) الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل، للدكتور/ محمد عبد المنعم نور، مكتبة القاهرة الحديثة ط١، ١٩٨٤م، (ص ١٥٧).

(٢) ينظر: نظام رعاية المعوقين بالمملكة، الذي صدر بموجب المرسوم، رقم (م/ ٣٧)، وتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٤٢١هـ، القاضي بالموافقة على قرار مجلس الوزراء، رقم (٤٢٤)، وتاريخ ٢٥/ ٩/ ١٤٢١هـ، الخاص بإقرار النظام تتويجا لكافة الجهود الرائدة في مجال رعاية المعوقين وتأهيلهم، (المادة الأولى).

(٣) نظام رعاية المعوقين بالمملكة، رقم (م/ ٣٧)، (المادة الأولى)، مرجع سابق.

٤. هي عدم قدرة العضو المصاب على القيام بالوظائف الطبيعية.

٥. هو عجز حركي يصاحبه عجز حسي وانفعالي.

المبحث الثاني

التعامل مع المعاقين

لم يكن المنهج النبوي ليتجاهل هذه الفئة المحرومة من كثير من النعم التي يَنعَمُ بها غيرهم من البشر الأصحاء الأسوياء، ولم تكن الشريعة الإسلامية لتنظر إليهم نظرة ازدراء أو احتقار لكونهم لا يساهمون بنصيب في الجهاد والإنتاج، بل كان المنهج النبوي لا يرى أن فقدان عضو من الإنسان هو بالضرورة فقدان للوظيفة الاجتماعية بالكامل، بل إنه ينظر إلى أي إنسان معوَّقًا كان أو غير معوَّق، ليس من خلال فقدان عضو أو قدرة، بل من خلال نظرة شمولية متكاملة، تضع في الاعتبار الأول تأدية المرء لوظائفه ومسئولياته ضمن التصور الإسلامي الكلي لعلاقة الفرد بخالقه وبالكون والحياة والمجتمع.

لذا فقد قرر المنهج النبوي من خلال تعامله مع المعاقين منحهم الرعاية الكاملة، والتعامل معهم بصفة خاصة مراعيًا في ذلك ظروف هذه الفئة من الناس، وتظهر هذه المعاملة من خلال مايلي:

أولا: التخفيف حسب الأعذار والحالات:

أكَّدَ المنهج النبوي، وبيَّن أن الإعاقة تخفف عن المريض التكليف، وبيان ذلك ما ورد عن عمران بن حصين ﷺ قال كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «**صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»[1].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، باب: إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب، (٢/ ٦٠)، برقم، (١١١٧).

والتخفيف هنا لا ينضبط بعدد أو أمثلة محدودة، فلكل حالة حكمها، وما يناسبها، وضابطُها تَعَلُّق التكليف بالقدرة على الامتثال؛ وعند العجز يسقط من الأمر ما لا يمكن المكلف من أدائه، ويبقى في ذمته ما يقدر عليه وفق التوجيه الرباني: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾﴾[1].

فهذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدَر على بعض المأمور، وعجز عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدِر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه[2]، وقد فسر الرسول ﷺ هذا المبدأ القرآني بقوله: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[3].

ومن أمثال ذلك الكفيف والمجنون، فالأول مكلف بجُلِّ التكاليف الشرعية باستثناء بعض الواجبات والفرائض من أمثال الجهاد؛ وأما الثاني فقد رفع عنه الشارع كل التكاليف، فعن علي ابن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل**»[4].

---

(١) سورة التغابن الآية: ١٦.

(٢) تفسير السعدي، (١/ ٨٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الاعتصام بالكتاب: والسنة، باب: الاقتداء بسنن النبي ﷺ، (٩/ ١١٧)، برقم (٧٢٨٨).

(٤) أخرجه أبو داود، في "سننه" كتاب: الحدود، باب: في المجنون يسرق ...، (٤٣٩٨)، والنسائي كتاب: الطلاق، باب: من لا يقع طلاقه ...، (٦/ ١٥٦)؛ والترمذي في :سننه"، كتاب: الحدود، باب: ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، (١٤٢٣) عن علي ﷺ، وصححه ابن خزيمة، برقم (١٠٠٣) وابن حبان في "صحيحه" برقم (١٤٣)، وكذا صححه الألباني.

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه: «**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله**»(١).

فقد رفع الله عنهم فريضة الجهاد ولم يكلفهم بحمل سلاح أو الخروج في سبيل الله، (إلا إن كان تطوعا) فقد ذهب عمرو بن الجموح ﷺ وكان رجلًا أعرج وله أبناء، وفى يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا: له إن الله ﷻ قد عذرك! فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فو الله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة فقال رسول الله: «**أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك**»، ثم قال لبنيه: «**ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة**»، فخرج مع الجيش فقتل يوم أحد(٢).

إذًا فالمنهج النبوي قد راعى المعاق عند تكليفه، ولم يحمّلْه ما لا يطيق، أو ما لا يتناسب مع قدراته وطاقته، مما يؤكد أنه وضعه في عين الاعتبار للقيام بالتشريعات، وهذا يجعل المعاق في موقف قوي له اعتباره، حيث رسم الإسلام له حقوقه الخاصة واعتبرها، كما وضع له حقوق الأسوياء الأصحاء تمامًا.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴿٩٥﴾﴾ النساء: ٩٥، (٤/ ٣٠)، برقم (٢٨٣٢)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، (٣/ ١٥٠٨)، برقم (١٨٩٨).

(٢) ينظر: مسند الإمام احمد، (٥/ ٢٩٩)، والسيرة النبوية لابن هشام، (٣/ ١٠١)، قال الألباني: وهذا سند حسن إن كان الأشياخ من الصحابة، وإلا فهو مرسل، وبعضه من المسند، وسنده صحيح، ينظر: فقه السيرة، محمد الغزالي، تحقيق: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، دمشق، ط٧، ١٩٩٨م، (ص٢٦٠).

ثانيا: تشريعه الأولوية لهم في الرعاية وقضاء احتياجاتهم:

إذا كان المنهج النبوي قد قرر الرعاية الكاملة لذوي الاحتياجات الخاصة، والعمل على قضاء حوائجهم، فقد قرر أيضًا أولوية هذه الفئة في التمتع بكافة هذه الحقوق، ومن ذلك تقديم قضاء حوائجهم على قضاء حوائج غيرهم من الأصحاء ونظائرهم من الأسوياء[1].

عن عائشة ﵂ قالت: «أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى»، فقالت: «أتي إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول: أرشدني»، قالت: «وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر»، ويقول: «**أترى ما أقول بأسا**» فيقول: «لا» ففي هذا أنزلت عبس وتولى»[2].

فهذه الحادثة تبيِّن إعراض النبي ﷺ عن الصحابي عبد الله بن أم مكتوم وقد جاءه يسأله عن أمرٍ من أمور الشرع، وكان النبي ﷺ يجلس إلى رجالٍ من الوجهاء وعلِّية القوم، يستميلهم إلى الإسلام، فأنزل الله سبحانه آيات بينات تعاتب النبي الرحيم ﷺ عتاباً شديدًا؛ فقال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ ﴾[3].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص١٨).

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٢/ ٥٥٨)، برقم (٣٨٩٦)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة".

(٣) سورة عبس الآيات: من ١-١٢.

ومن بعد هذه الحادثة كان النبي ﷺ يقابل هذا الرجل الأعمى، فيهش له ويبش، ويبسط له الفراش، ويكرمه وإذا رآه قال: «**مرحبا بمن عاتبني فيه ربي**» ويقول: «**هل لك من حاجة**»[1].

وفي هذه الحادثة دلالة شرعية على تقديم حاجات ذوي الاحتياجات الخاصة على حاجات من سواهم، فقد كانت علة معاتبة الله ﷻ لنبيه ﷺ أنه انشغل بدعوة الوجهاء عن قضاء حاجة هذا الكفيف، وكان الأولى أن تُقضى حاجته، وتقدم على حاجات من سواه من الناس[2].

ويأتي المنهج النبوي ليؤكد هذا المغزى العظيم من خلال التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وحرصه على قضاء حاجاتهم؛ فعن أنس ﷺ أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: «**يا أم فلان انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك**» **فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها**»[3].

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره، (٤/ ٤٤٦)، والقرطبي في تفسيره من رواية سفيان الثوري، (١٩/ ٢٠٣)؛ ورواه الثعلبي في تفسيره (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، (١٠/ ١٣١). وينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٢). وينظر: الواحدي في أسباب: النزول، (ص٥١٧). وقال ابن حجر في "الكافي الشاف"، (ص١٨١): "ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه دون قوله: (صناديد قريش) ودون سياق نسب ابن أم مكتوم، وكذا أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة. قال: ذكر لنا .."، فذكره. وينظر: الروايات في الصحيح المسند من أسباب: النزول للوادعي، (ص١٦٩).

(٢) ينظر: رعاية الرسول للضعفاء، محمد مسعد ياقوت، (ص١٩).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الفضائل، باب: قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به، (٤/ ١٨١٢)، برقم (٢٣٢٦).

ثالثا: تحريم السخرية منهم:

لقد كان ذوو الاحتياجات الخاصة في المجتمعات الأوربية في العصور الأولى مادة للسخرية، والتسلية والفكاهة، وكان المعاق يجد نفسه بين نارين، نار الإقصاء والإبعاد، ونار السخرية والشماتة، ومن ثم كان هذا المجتمع - في وجدان أصحاب الإعاقات - دار غربة واضطهاد وفرقة، لا موطن عز وراحة ومحضن أمن والتئام شمل، فجاء الشرع الإسلامي السمح ليحرّم السخرية من الناس عامة، ومن أصحاب البلوى خاصة، مؤكدا تحريم هذه الخصلة الذميمة؛ فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾[1]؛ أي: "بكل كلام وقول وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيرا من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحلٍ بكل خلق ذميم"[2].

وتأكيدًا لما جاء في القرآن الكريم من النهي عن السخرية يأتي البيان في المنهج النبوي ليشدد النهي عن احتقار الناس وعن جعلهم مادة للسخرية، فيحذر النبي ﷺ أشد التحذير من تضليل الكفيف عن طريقه، أو إيذائه، عبسًا وسخرية، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ قال: «**ملعون من كمّه أعمى عن طريق**»[3].

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١١.

(٢) تفسير السعدي، (ص٨٠١).

(٣) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٣/ ٣٦٨)، برقم (٣/ ٣٦٨)، وصححه الألباني، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الطبراني، برقم(١١٥٤٦)، والحاكم، (٤/ ٣٥٦)، والبيهقي في "السنن"، (٨/ ٢٣١)، وفي "الشعب"، برقم (٥٣٧٣).

وفي رواية «**لعن الله من كمه أعمى عن السبيل**»[1].

ففي هذا الحديث وعيد شديد لمن ضلل أعمى أو دله على غير مقصده[2]، ويبدو أن العلة في ذلك ليس مجرد الإضلال، لأن الإضلال معصية لا ترقى لدرجة استحقاق اللعن، ولكن الإضلال في حالة الأعمى لما كان يعني السخرية به والتلهي بعاهته ناسبه هذا الوعيد الشديد، ولذلك يصح أن يقال قياسا على هذه الحالة إن أي تندر أو تله بكل ذي عاهة أو إعاقة قد يناسبه مثل هذا الوعيد الشديد، إذ لا فرق بين إعاقة وإعاقة في ذلك ما دام الجميع قد وقع تحت طائلة السخرية والتندر واللعب.

رابعا: عفوه ﷺ عن سفهائهم وجهلائهم:

ومن المبادئ التي أرساها المنهج النبوي في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة ما عهد من عفوه ﷺ عن جاهلهم، وحلمه على سفيههم، ويخطئ كثير من الناس حين يعنفون ذوي الاحتياجات الخاصة عند صدور الخطأ عنهم، ظنا منهم أن ما يصلح للأسوياء يصلح للمعاقين، فيفسد الحال بذلك أكثر مما لو ترك الأمر بدون تعنيف ولا زجر، فإن نفسية المعاق تختلف كثيرا عن نفسية الصحيح، ولذلك كان من المهم أن يترفق بهم عند التقويم ومعالجة الخطأ الواقع منهم، بل في مطلق الأحوال عند التعامل معهم، لما قد تزدحم به مشاعرهم من الإحساس بالنقص الذي تتركه فيهم آثار الإعاقة، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، (١/ ٣٠٧)، برقم (٨٩٢)، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٢) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، (٢/ ٣٧٨).

الإحساس قد يمكن تسكينه وتفتير صحوه بالمعاملة الرقيقة المهذبة التي قد تتجاوز هذا التفتير وذلك التسكين، لتقدم دعما سخيا لمشاعرهم وتنمي الأمل في وجدانهم وتعوض بالمعاني والمشاعر النبيلة والأساليب المهذبة ما فقدوه من قدرات بدنية أو مؤهلات نفسية، وقد كان هذا دأب النبي ﷺ في التعامل مع المعاق.

ومن النماذج التي تبيِّن مدى رفق النبي ﷺ بالمعاق المخطئ والعفو عنه حتى لو كان يستحق العقوبة، ما رواه ابن هشام، وابن كثير في السيرة النبوية من بعض وقائع غزوة أحد عندما همَّ النبي ﷺ بسلوك طريق غير طريق الكفار، فنفذ في حرة بني حارثة وبين أموالهم، حتى سلك في مال لمربع بن قيظي، وكان رجلا منافقا ضرير البصر، فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، قام يحثي في وجوههم التراب، ويقول: إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي؛ وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك؛ فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر**»[1].

فلم ينتهز رسول الله ﷺ ضعف هذا الضرير، ويأمر بقتله أو حتى بأذيته، رغم أن الجيش الإسلامي في طريقه لقتال، والوضع متأزم، والأعصاب متوترة، ومع ذلك لما وقف هذا الضرير المنافق في طريق الجيش، وقال ما قال، وفعل ما فعل، أبى رسول الله إلا العفو عنه، والصفح له، فليس من شيم المقاتلين المسلمين الاعتداء على أصحاب العاهات أو

(١) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، (٢/ ٦٥)، السيرة النبوية، ابن كثير، (٢/ ٣٤٧). لم يقف الباحث على تخريجه.

النيل من أصحاب الإعاقات، بل كانت سنته معهم الرفق بهم، والاتعاظ بحالهم، وسؤال الله أن يشفيهم ويعافينا مما ابتلاهم[1].

خامسا: مواساة النبي ﷺ لهم:

لم يغفل المنهج النبوي عن أن المعاق إنسان مبتلى بإعاقته، وأنه في قصور قدراته عن قدرات غيره من الأسوياء يجد معاناة على المستوي المادي والنفسي، ولما كانت الشريعة الإسلامية تعطي كل مبتلى من الجزاء والمغفرة على قدر ما يقاسيه من ألم وما يلقاه من معاناة، فقد اهتم المنهج النبوي بمواساة هؤلاء المحرومين وتبشيرهم بعظيم الأجر الذي أعدَّه الله تعالى لأمثالهم، وقد تضافرت النصوص الكثيرة التي أكدت هذا المعنى عنه ﷺ، منها:

ما وري عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما الجنة**» يريد: عينيه[2].

وعن العرباض بن سارية ﷺ عن النبي ﷺ عن ربه -جل وعلا- قال: «**إذا سلبت من عبدي كريمتيه[3] وهو بهما ضنين[4] لم أرض له ثوابا دون الجنة إذا حمدني عليهما**»[5].

---

(١) ينظر: رعاية الرسول للضعفاء، محمد مسعد ياقوت، (ص١٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: المرضى، باب: فضل من ذهب بصره، (٧/ ١١٦)، برقم (٥٦٥٣).

(٣) أي: عينيه.

(٤) أي: حريص عليهما لما يحدث له من الانتفاع العظيم بهما ، والحزن الشديد بفقدهما.

(٥) أخرجه ابن حبان في "صحيحه"، (٧/ ١٩٤)، برقم (٢٩٣١)، وحسنه الشيخ الأرناؤوط كما في الحاشية. وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" برقم (٤٣٠٥).

ففي هذه الأحاديث دلالة على صبر المعاق على إعاقته جزاؤه الجنة، فإذا ما كان محسنا عاملا مطيعا لله تعالى فهو في منزلة أعلى من منزلة غيره من الأصحاء، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في هذا الحديث: "وإذا كان ثواب من وقع له ذلك الجنة فالذي له أعمال صالحة أخرى يزاد في رفع الدرجات"[1].

ولم يقف عطاء المنهج النبوي في المواساة والتكريم عند هذا الحد، بل جعل الإسلام كل ألم يصاب به الإنسان في عضو من أعضائه، أو خلجة من مشاعره سببا في الغفران وتكفير الذنوب، فكل ألم أو وجع يصاب به المسلم يكتب له به درجه ويمحى عنه به خطيئة؛ فعن أبي سعيد، وأبي هريرة ﷺ أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «**ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى الهم يهمه، إلا كفر به من سيئاته**»[2].

ولما كانت الإعاقة تصيب صاحبها بالهم كانت من الأسباب التي ينال بها صاحبها مغفرة الله ويكفر بها ذنوبه.

سادسا: تكريم النبي ﷺ لذوي الإعاقة:

نهوضا بمشاعرهم ورفعا لأقدارهم حتى لا يشعروا في وقت من الأوقات أنهم زوائد لا قيمة لها أو فضل لا حاجة إليه:

ومن ذلك حرص النبي ﷺ على تكريم عمرو بن الجموح ﷺ أمام قومه ورفع قدره بينهم وكان رجلًا أعرج، فعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا بني سلمة من سيدكم**»؟ قالوا: جد بن قيس، ولكنَّا نُبَخِّلُهُ، قال: «**وأي داء أدوى من البُخْلِ؟ بل سيدكم الأبيض**

---

(١) فتح الباري لابن حجر، (١٠/ ١١٦).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، (٤/ ١٩٩٢)، برقم (٢٥٧٣).

الجعد عمرو بن الجموح»[1]؛ وعن أبي قتادة[2] ﷺ قال: "أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي بـ رجلي هذه صحيحة في الجنة؟، وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فقتلوه يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر عليه رسول الله ﷺ فقال: «**كأني أنظر إليك تمشي بـ رجلك هذه صحيحة في الجنة**»؛ فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد"[3].

ومن مظاهر تكريمه ﷺ للمعاق حرصه على زيارته وتطييب خاطره، وبث الثقة في نفوسهم وإدخال الفرح على قلبه فتجده ذات مرة يذهب إلى أحد الصحابة خصيصًا، ليصلي ركعات في بيته تلبية لرغبته وتطييبا لخاطره، كما كان من مواساته لعتبان بن مالك، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرا من الأنصار، ففي الصحيحين، "أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، (٧/ ٣١٧)، والحاكم في "مستدركه" (٣/ ٢٤٢)، برقم (٤٩٦٥). وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني. ينظر: صحيح الجامع الصغير، للألباني، (٢/ ١١٩٥).

(٢) هو: أبوقتادة فارس رسول الله، صحابي جليل اسمه الحارثُ بن ربعي الأنصاري على الصحيح، وقيل: اسمه النعمان. وقيل: عمرو وهو ممن غلبت عليه كنيته، شهد أحداً وما بعدها، توفي بالكوفة سنة (٥٤)، وهو ابن سبعين سنة. ينظر: مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٢/ ٥٢). الإصابة في تمييز الصحابة، (١/ ٦٦٧). وسير أعلام النبلاء، (٤/ ٧٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٥/ ٢٩٩) برقم (٢٢٦٠٦)، وتعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل حميد بن زياد.

الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «**سأفعل إن شاء الله**» قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: «**أين تحب أن أصلي من بيتك**» قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا فصفنا فصلى ركعتين ثم سلم"[1].

وهكذا فإن المنهج النبوي قد عمل على تكريم المعاق تكريمًا بالغًا، وهذا ما اتضح من خلال فعله ﷺ تجاه عتبان بن مالك رضي الله عنه عندما وعده ﷺ في الحال بالمجيء، ثم لبى ﷺ ووفى ما وعد به على كثرة مشاغله وأعبائه تجاه أمته، وإنما فعل ﷺ ذلك إشارة منه وتعليمًا لأمته وتأكيدًا على عظم حق المعاق في أمة الإسلام.

ومن هنا يمكن القول بأن المنهج النبوي قد تعامل مع المعاقين بقدرٍ لا مزيد عليه من التكريم والتشريف، جريًا على قاعدة شمولية الشريعة الإسلامية لكل أحوال الإنسان، في الدنيا أو في الآخرة.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري، في "صحيحه" كتاب: الصلاة، باب: المساجد في البيوت، (١/ ٩٢) برقم، (٤٢٥)، ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، (١/ ٤٥٥)، برقم،(٣٣).

المبحث الثالث

دمج المعاق في المجتمع الإسلامي

كان المجتمع الجاهلي في القديم -سواء في الجزيرة العربية أو أوربا الرومانية أو أسيا الفارسية- يقاطع ذوي الاحتياجات الخاصة، ويعزلهم ويمنعهم من ممارسة حياتهم الطبيعية، كحقهم في الزواج، والاختلاط بالناس وزيارتهم، والأكل والشرب معهم، فقد كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبيّ ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعرج، ولا أعمى، ولا مريض، وكان الناس يظنون بهم التقذّر، ويستشعرون نحوهم التقزّز، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[1]؛ أي: ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والأعمى والأعرج، فهؤلاء بشر مثلكم، لهم كافة الحقوق مثلكم، فلا تقاطعوهم ولا تعزلوهم ولا تهجروهم، فأكرمكم عند الله أتقاكم، فإن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[2].

---

(١) سورة النور الآية: ٦١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، (١٩/ ٢١٩).

لقد حرص المنهج النبوي على دمج المعاقين في المجتمع ورفع العزلة والمقاطعة عنهم، مما يواسيهم ويساندهم نفسياً، ويخفف عنهم، وينقذهم من خطر الأمراض النفسية التي تصيب المعاقين، جراء عزلتهم أو فصلهم عن الحياة الاجتماعية، وعمل بكل السبل على دمج هذه الفئات في الحياة الاجتماعية دمجا قويا، ليصعب فصلهم عن هذه الحياة، فلا يكونون عرضة للأمراض النفسية التي تفرزها العزلة والإحساس بالاغتراب، واتخذ في ذلك إجراءات متعددة، منها:

أ) إثبات حقهم في الزواج.

خلافًا لما فعلته الأمم الجاهلية جاء المنهج النبوي فأقر لذوي العاهات الحق في الزواج ما داموا قادرين، وجعل لهم حقوقًا، وعليهم واجبات، ولم يستغل المسلمون ضعف ذوي الإعاقة، فلم يأكلوا لهم حقًا، ولم يمنعوا عنهم مالاً، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**أيما رجل تزوج امرأة وبها جنون، أو جذام، أو برص، فمسها، فلها صداقها كاملا، وذلك لزوجها غرم على وليها**»[1].

ب) إثبات حقهم في المشاركة الاجتماعية.

لقد حثت الشريعة الإسلامية على العمل من جميع البشر، ولم تفرق في ذلك بين معاق، وغير معاق، فعمارة الأرض يشترك فيها جميع البشر كل حسب طاقته، وقدراته،

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في الصداق والحباء، برقم(١٩٢١)، ورواه الشافعي في الأم، (٥/ ٧٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه، (٤/ ١٧٥)؛ وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه بشرح السنة، (٩/ ١١٢)، : "رجاله ثقات".

واستعداده؛ فقال ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾[1].

وقد أكد النبي ﷺ على هذا المبدأ الشريف باستعماله لذوي الاحتياجات الخاصة ليكون ذلك بيانًا عمليًا لعمومية مبدأ العمل في الشريعة الإسلامية، ويكون إقرارًا على أن المعاق فرد اجتماعي مهما قعدت به عاهته، وقد كان للمنهج النبوي العديد من المواقف التي تؤكد في ذلك، منها:

١- ما وري عن أنس بن مالك ﷺ «أن رسول الله ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين يصلي بهم وهو أعمى»[2]؛ فلم يحرمه رسول الله ﷺ من شرف الاشتراك كعضو فاعل في المجتمع الإسلامي، بل ولَّاه أعظم منصب فيها، فاستخلفه على المدينة ليقوم بمهام حاكمها المطاع لحين عودته ﷺ.

٢- جعل عبد الله ابن أم مكتوم أحد المؤذنين في المدينة، فعن ابن عمر ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم**»؛ قال: وكان أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت[3].

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٩٤.

(٢) أخرجه أبي داود في "سننه"، كتاب: الصلاة باب: إمامة الأعمى، (١/ ٢٣٢)، برقم (٥٩٥)؛ وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح، ومسند الإمام أحمد، (٢٠/ ٣٠٧)، برقم (١٣٠٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الأذان، باب: أذان الأعمى إذا كان له من يخبره، (١/ ١٦٠)، برقم (٦١٧). ومسلم في "صحيحه"، كتاب: الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، (٢/ ٧٦٨) برقم (١٠٩٢).

وعنه ﷺ أيضا قال: «كان لرسول الله ﷺ مؤذنان بلال، وابن أم مكتوم الأعمى»[1].

وقالت عائشة ﷺ: «كان ابن أم مكتوم مؤذنا لرسول الله ﷺ وهو أعمى»[2].

٣- كان ابن أم مكتوم من أوائل من علم الناس القرآن في المدينة، فعن أبي إسحاق أنه سمع البراء يقول: أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئان الناس القرآن[3].

٤- عن أنس بن مالك ﷺ: "أن عبد الله ابن أم مكتوم يوم القادسية كانت معه راية سوداء، عليه درع له"[4].

وفي جانب اهتمام المنهج النبوي بأصحاب الأعذار ودمجهم في المجتمع دمجًا كاملًا، وتوظيف تلك العناصر بمكانها المناسب، وباعتبار أن مشكلة اليتم يدخل أفرادها ضمن الاهتمام الخاص في المنهج النبوي، فلقد حرص النبي ﷺ على دمج هذه الفئة من المجتمع والدفاع عنها، ومثال ذلك تولية النبي ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة ﷺ الفتى اليتيم، إمرة الجيش وبعثه للجهاد في نفس المكان الذي قُتل فيه أبيه، وذلك قبل موته ﷺ بأيام في أوائل العام الحادي عشر من الهجرة، بالرغم من يتمه وحداثة سنه.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، باب: استحباب: اتخاذ مؤذنين للمسجد الواحد، (١/ ٢٨٧)، برقم (١٠٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، باب: جواز أذان الأعمى إذا كان معه بصير، (١/ ٥٧٤)، برقم (٣٨١).

(٣) الطبقات الكبرى، لأبن سعد، (١/ ٢١٢)، وفي مصنف عبد الرزاق، (٧/ ٣٤٤)، برقم (٣٦٦١١).

(٤) الطبقات الكبرى، لأبن سعد، (٤/ ٢١٢).

بل ويدافع النبي ﷺ عن إمارة أسامة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بعث رسول الله ﷺ بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد فطُعن في إمارته فقال: «**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إن كان لخليقا للإمرة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده**»[1]؛ فلم يتعامل معه النبي ﷺ التعامل الذي يجعله منزويا باكيا محزونا على فراق أبيه ويشعر أنه فقد كل مقوم من مقومات الحياة، بل دمجه في المجتمع الإسلامي لكي يكون عضوًا فعالًا ومؤثرًا فيه.

ج) مراعاة حقهم على المجتمع.

إن الشريعة الإسلامية إذ تراعي المشاركة الاجتماعية في المجتمع عن طريق العمل فإنها لا تهدف بذلك إلى استغلال هذه الفئة استغلالا ماديا، فالكسب في الشريعة الإسلامية والتنمية غير مجردين من الدواعي الإيمانية، ولذلك كانت الشريعة حريصة كل الحرص على ألا تشق على هذه الفئة، ولهذا عالجت الشريعة الإسلامية جانب الإنفاق على المعوقين، بأن جعلت لهم موردًا اقتصاديًا مستمرًا دون انقطاع، فأقرت لهم حقا في الزكاة وعدتهم من مصارفها السبع، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾[2].

ولما كان المعاق في أغلب الأحوال لا يحترف حرفة معينة؛ فقد دخل بطبيعة الحال في مفهوم الفقراء والمساكين، وبنفس هذا الاستدلال يكون للمعاقين نصيب في غنيمة

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، (٥/ ٢٩)، برقم (٣٧٣٠).

(٢) سورة التوبة الآية: ٦٠.

المسلمين، عندما تكون لهم الشوكة والغلبة على الأعداء؛ فقال ﷻ: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٤١﴾ ﴾[1]،[2].

د) ثمرات الدمج الاجتماعي للمعاق:

لاشك بأن دمج المعاقين في شرائح المجتمع ينتج عنه العديد من الفوائد التي تعود بالنفع على المعاق والمجتمع الذي يعيش فيه، ومن أبرز تلك الثمرات مايلي:

- القدرة على الاندماج في الجماعة والتقبل الاجتماعي للمعاق.
- تغيير النظرة السلبية لدى أفراد المجتمع نحو المعاقين، فهو ينبه كل أفراد المجتمع إلى حق المعوّق في إشعاره بأنه إنسان له حق العيش كغيره، وعلى المجتمع أن ينظر له على أنه فرد من أفراده، وأن الإصابة أو الإعاقة ليست مبررا لعزل المعاق عن العاديين، وكأنه غريب غير مرغوب فيه.
- تحقيق قدر من التوافق والتفاعل الاجتماعي للمعاق، فيلاقى الترحيب والتقبل من الآخرين، فإن ذلك يعطي المعاق الشعور بالثقة في النفس، ويشعره بقيمته في الحياة ويتقبل إعاقته، ويدرك قدراته وإمكاناته العملية، ويشعر بانتمائه إلى أفراد المجتمع الذي يعيش فيه.
- تجنب العزلة الاجتماعية، وتحقيق قدر من المشاركة الاجتماعية، في شتى شئون الحياة، الدينية والدنيوية.

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٤١.

(٢) ينظر: الرعاية التربوية للمعوقين في الإسلام، زياد علي الجرجاوي، بدون بيانات، (ص٢١).

- اكتساب مهارات اجتماعية ومعيشية طيبة[1].

وبذلك يتبن أن الشريعة الإسلامية في التعامل مع المعاق -متمثلة بصورة عملية في منهج النبي ﷺ- على خلاف غيرها من الشرائع والفلسفات قد دمجت المعاق في المجتمع دمجا كاملا، بحيث يصعب سلخه وتمييزه عن غيره من أفراد المجتمع الإسلامي.

ومقارنة بأساليب الدمج في الوقت الحاضر، تقول الأستاذة/ مريم صالح عبدالله الأشقر، معدة كتاب: (دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع):

"تتعدد الأشكال وأساليب رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة وفقا لنوعية الفلسفات والسياسات التي توجه هذه الرعاية، ومن بين الأساليب التي حظيت بانتشار واسع في الكثير من دول العالم -أسلوب الدمج- ويقصد به تقديم مختلف الخدمات لذوي الاحتياجات الخاصة في الظروف البيئية العادية التي يحصل فيها أقرانهم العاديين على نفس الخدمات، والعمل بقدر الإمكان على عدم عزلهم في أماكن منفصلة أو عن المجتمع المحيط بهم"[2].

ومن هذا المنطلق الإسلامي ركز ولاة الأمر -حفظهم الله- في هذا البلد المعطاء على إعطاء المعاقين كافة حقوقهم، حيث صدرت الموافقة السامية في عام ١٤٠٦هـ بتيسير الخدمات اللازمة لهم وتخفيض أجور النقل جواً وبحراً وبراً بواقع (٥٠) ٪ لهم ولمرافقيهم.

---

(١) يراجع كتاب: دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع، إعداد مريم صالح عبدالله الأشقر، قطر، المركز الثقافي الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة، ط١، ٢٠٠٣م، (ص٢٩)،بتصرف.

(٢) نفس المرجع، (ص٣٥).

وصدرت الموافقة السامية على النظام الوطني للمعاقين بموجب المرسوم الملكي بالرقم (م/ ٣٧) والتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٤٢١هـ القاضي بالموافقة على قرار مجلس الوزراء بالرقم (٢٢٤) والتاريخ ١٤/ ٩/ ١٤٢١هـ، الخاص بإقرار النظام تتويجًا لكافة الجهود الرائدة في مجال رعاية المعوقين وتأهيلهم، والذي يقضي- بتعيين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ولي العهد (آنذاك) رئيسًا للمجلس الأعلى لشؤون المعوقين.

والأمر المذكور آنفًا قد صدر تفعيلاً للمجلس الأعلى لشؤون المعاقين الذي نصَّت المادة الثامنة من النظام على إنشائه، ليكون مظلة عملية تنضوي تحتها جميع القطاعات الحكومية والأهلية التي تُعنى بالمعاقين.

إن النظام الذي يرعى حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة في المملكة يبدو زاهيًا في نصوصه، مثاليًا في جانبه النظري، ولكن المشكلة دائمًا تكمن في التطبيق، فالمجتمع يحتاج إلى أكثر من قانون أو نظام، إنه يحتاج إلى ضمير يقظ، وروح عارفة، ونفس منفتحة البصيرة، لتعرف أن ما حدث لهذه الفئة أمر يختص جملة وتفصيلاً بقضاء الله وقدره في عباده وفق مشيئة لا يردها أحد، وينبغي ألا يعترض عليها معترض، إن كان راسخ الإيمان، سليم الاعتقاد واليقين، فهؤلاء المصابون لا ينتظرون من الآخرين شفقةً أو عطفًا، بل إن المشفق عليهم يوجه إليهم بهذه الشفقة إهانة بليغة.

فليست إعاقتهم موجبة لهذا النوع من الأحاسيس والمشاعر السالبة، وإنما تحتاج إلى عكس ذلك، إنها تحتاج إلى اكتشاف ما في هذه الفئة من مواهب وتنميتها حتى يكون الفرد من هذه الفئة عنصرًا فاعلاً في المجتمع، منتجًا غير خامل أو منتظر لرحمة وعطف الناس... وعلى هذا أقول إن دورنا مع هذه الفئة الغالية على قلوبنا ينحصر في أمرين:

- أن يتم تفعيل الأنظمة الضامنة لحقوقهم والضامنة لهم حياة كريمة تتوافق مع جميع الحالات.

- أن يتم التعامل معهم كما يتم التعامل مع أي إنسان من حيث الجدية والموضوعية بعيدًا عن العاطفة الجارحة لهم، بل إن الواجب علينا أكثر في أن نساعدهم على التكيف مع المجتمع وإلا صرنا نحن العاجزين عن تقبلهم وفهمهم والاستفادة من طاقاتهم الكامنة واللامحدودة[1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) ينظر: مقال بعنوان: ذوو الاحتياجات الخاصة .. النظام والواقع، للباحث الاجتماعي/ سليمان المعمر، جريدة الجزيرة، العدد، (١٥٥٠١)، الأحد ١٧ جمادي الأول ١٤٣٦هـ. بتصرف.

المبحث الرابع

الوقاية من الإعاقة

ليس من الجيد أن يكون التركيز فقط على العلاج للمعاقين، أو أن يكون التعامل مع المعاق هو الشاغل الوحيد للمعنيين بقضايا الإعاقة، لأن الاعتناء بهذه الأمور تخص حالات الإعاقة الفعلية الموجود في المجتمع، فلو فرض أن المجتمع سلم من الإعاقة تماما لكان الأمر يقتضي تكريس الاهتمام بقضية الوقاية من الإعاقة، ولكن وقوع الإصابة بالإعاقة جعل الاهتمام بهذه الظواهر المرضية منقسما إلى شطرين:

الأول: وجه عنايته لعلاج ما أمكن علاجه من هذه الأمراض، ومحاولة تأهيل المعاق عن طريق دمجه في المجتمع.

والثاني: وهو الأهم وقد يمم ناحية الوقاية من هذه الأمراض تعطيلا لنسلها وإيقافا لإفرازاتها.

والوقاية في اللغة: مصدر الفعل (وقى)، يُقال: وقاه الله وقيا ووقاية وواقية صانه.

ويقال: (وقيت الشّيء) أقيه: إذا صنته عن الأذى.

وفي التّنزيل العزيز ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[1]؛ أي: من دافع[2].

والوقاية اصطلاحا: هي "حفظ الشّيء عمّا يؤذيه ويضرّه، والتوقّي: جعل الشّيء وقاية ممّا يخاف"[1].

---

(١) سورة الرعد الآية: ٣٤.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٦/ ١٣١)، والصحاح، للجوهري، (٦/ ٢٥٢٨)، لسان العرب، لابن منظور،(١٥/ ٤٠١) مادة: (وق ى).

ومن القواعد الفقهية المقررة عند العلماء: "الدّفع أقوى من الرّفع"[٢] أي: "أنّ منع الشيء قبل وقوعه أقوى في التأثير من رفعه بعد وقوعه، ولذلك تأتي هذه القاعدة بعبارة أخرى لتشرح هذا المغزى فيقال: الدفع أسهل من الرفع"[٣].

فهذه القاعدة تفيد وجوب دفع الضرر قبل وقوعه بكل الوسائل والإمكانيات المتاحة، فهي من باب -الوقاية خير من العلاج-، ومن قبيل سد ذرائع الفساد وأبوابه من جميع أنواعه.

الوقاية من الإعاقات من أبرز المفاهيم الأساسية لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة التي لم يغفل عنها المنهج النبوي، بل وكان الرأي فيها صريحا لتجنيب المجتمع الإسلامي الضعف الناتج عنها، لأن السمة الغالبة على هذا المجتمع هي القوة، حيث قال الله ﷻ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٤].

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، (ص٣٣٩)، والمفردات، (ص٥٣٠).

(٢) المنثور في القواعد الفقهية، بدر الدين بن بهادر الزركشي، وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، (٢/ ١٥٥).

(٣) الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، (١/ ١٢٧).

(٤) سورة النساء الآية: ٩٥.

والإعاقة تحدث بمسببات كثيرة نذكر ثلاثة منها: فهي إما وراثية، وإما صحية، وإما جنائية، وقد أرشد المنهج النبوي إلى الوقاية منها، ووضع لكل نوع من تلك المسببات طرقا للوقاية منها قبل حدوثها[1]:

أولا: الوقاية من أسباب الإعاقة الوراثية:

ينبه المنهج النبوي أفراد المجتمع إلى أن الوراثة لها دورها البارز في إنجاب أفراد معوقين، ويعمل على سد المنافذ أمام الخطر قبل وقوعه، فيأخذ بجملة من الوسائل والتدابير التي تقي الفرد المسلم من الإصابة بهذا الخطر، لذا فإن اختيار الزوجة والزوج السليم -يساهم بإذن الله تعالى- في التقليل من إصابة المواليد بالعاهات المستديمة والأمراض المزمنة والتشوهات؛ وقد ورد في المنهج النبوي بهذا الخصوص بعضًا من الاحترازات الوقائية؛ فمنها مايلي:

١- اختيار الزوج للزوجة الصالحة والسليمة من أعراض وآثار الوراثة المرضية والعاهات، والحض على انتقاء المرأة ذات الأصل الجيد، والبعد عي ذوي السلالات الضعيفة، أو المعروفة بأمراض مزمنة تنتقل هذه الأمراض عن طريق الجينات (الكروموزومات) أو ما يعرف بالصبغات الوراثية، فإن الولد يرث من والدية وأجداده

(١) ينظر: الوقاية من الإعاقة من المنظور الإسلامي، الدكتور/ أسامة بن حسن محمد معاجيني، الأستاذ المشارك ورئيس قسم التربية الخاصة بكلية المعلمين في محافظة جدة، ورقة مقدمة ضمن ندوة بعنوان (تطوير الأداء في مجال الوقاية من الإعاقة) بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات بالرياض، من ٣ – ٥ محرم ١٤٢٦هـ، الجلسة الثالثة، بعنوان: (جوانب الوقاية من الإعاقة). يتصرف قليل.

الصفات الوراثية، لذلك أمر النبي ﷺ بالنظر إلى المخطوبة؛ فقال لرجلٍ تزوَّج امرأة من الأنصار: «**هل نظرت إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئًا**»[1].

ومما يؤيد العوامل والصفات الوراثية في التأثير على النسل، ما صح عن أبي هريرة ﷺ حين قال أن رجل من بني فزاره جاء إلى الرسول ﷺ وقال: يا رسول الله، ولد لي غلام أسود، فقال ﷺ: «**هل لك من إبل؟**»، قال: نعم، قال: «**ما ألوانها؟**»، قال: حمر، قال: «**هل فيها من أورق؟**»، قال: نعم، قال: «**فأنى ذلك؟**»؛ قال: لعله نزعه عرق، قال: «**فلعل ابنك هذا نزعه**»[2]، فلم يترك له المجال في الانتفاء من نسب الطفل.

فهذه الأحاديث تبين مدى تعمق المنهج النبوي في مفهوم الصفات الوراثية المتنحية التي قد تكون غير ظاهرة في أي من الوالدين، ولكنها تظهر في الوليد لأن الأبوين يحملان هذه الصفة دون أن تظهر عليهما.

٢- لم تقتصر هذه العوامل على ما يتعلق منها بالأمراض الجسمية فحسب، بل تشمل كذلك الأمراض الأخلاقية والنفسية؛ وكما ورد مرفوعا عن رسول الله ﷺ: «**تخيروا لنطفكم[3] وانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: النكاح باب: ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها، (٩/ ١٨٧)، برقم (٣٥٥١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الطلاق، باب: إذا عرض بنفي الولد، (٧/ ٦٨)، برقم (٥٣٠٥).

(٣) أي: اطلبوا لها ما هو خير المناكح وأزكاها وأبعدها من الخبث والفجور. حاشية السندي على ابن ماجه، (٤/ ٢١٥).

٣- لم يقتصر جانب اهتمام المنهج النبوي في الوقاية على النواحي الوراثية، بل شمل التحذير من مغبة أسباب الإعاقة لمرحلة ما بعد الولادة، حيث اهتمت الشريعة الإسلامية بالعناية الصحية للأولاد، من فترة كونهم أجنة في بطون أمهاتهم، ويتجلى هذا الاهتمام من خلال الحث على العناية بالحامل، باعتبار صحة الجنين مرتبطة بصحة أمه، ولهذا أخبر الله سبحانه أن فترة الحمل فترة شاقة متعبة، قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾[٢]، وقال ﷻ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٣].

ففي فترة الحمل تتولد فيه روح جديدة، وينفصل منه جسد جديد، ولذلك فإن أي خطأ تتعرض له الحامل قد يحمل آثار المستقبلية الخطيرة على ولدها.

وبذلك يتبين سبق الشريعة الإسلامية للعلماء والباحثين الحاليين في مجال رعاية المعوقين في وضع التوجيهات الوقائية من الإعاقة حيث قدم المنهج النبوي حلولا جذرية لدرء أسباب الإعاقة من الحدوث، وبالأخص ما يتعلق منها بالجانب الوراثي.

وفي الحديث النبوي السالف الذكر: «**تخيروا لنطفكم**» فيه ما يشير إلى توضيح ما للوراثة من دور مباشر في تشكيل الأجنة.

---

(١) رواه ابن ماجه في "سننه" كتاب: النكاح باب: الأكفاء، (١/ ٦٣٣)، برقم (١٩٦٨)، والدار قطني في "سننه"، كتاب: النكاح باب: المهر، (٣/ ٢٩٩)، برقم (١٩٨)، من حديث عائشة مرفوعا، وصححة الألباني كما في السلسة الصحيحة، (٣/ ٥٦)، برقم (١٠٦٧).

(٢) سورة لقمان الآية: ١٤.

(٣) سورة الأحقاف الآية: ١٥.

قال السيوطي:[1] (تخيروا لنطفكم)، أي: "تخيروا من النساء ذوات الدين والصلاح وذوات النسب الشريف، لئلا تكون المرأة من أولاد الزنا فإن هذه الرذيلة تتعدى إلى أولادها"[2].

وقد جاء في رواية ابن عساكر في تاريخه معللا "بأن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن"[3].

فينبغي حينئذ على المرء أن يقي سلالته من هذه الأمراض، بأن يختار زوجة من قوم أصحاء أسوياء، وكذلك ينبغي اختيارها صالحة ذات شرف ليست صاحبة فاحشة، فإن ذلك يحمي بإذن الله من كثير من الأمراض والعاهات.

وهذا "وتقترح بعض البحوث العلمية علاوة على ذلك في مجال الحد من الوراثة غير السوية، أن يوجه النصح والإرشاد إلى الحد من الإنجاب في الأسر التي من بين أفرادها مصابون بأمراض وراثية، مع ضرورة إجراء الفحوص الطبية قبل الزواج للتأكد من خلو أحد الزوجين من أحد الأمراض الوراثية الخطيرة لا سيما مرض الثاليسيميا"[4].

---

(١) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، توفي: ٩١١ هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، (٣/ ٣٠١).

(٢) شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي وغيره، (ص١٤١).

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر، (٥٢/ ٣٦٢).

(٤) ينظر: قضية الإعاقة ورعاية المعاقين، مرجع سبق ذكره، (ص٢٤٢).

ثانيا: الوقاية من أسباب الإعاقة الصحية:

١- أجمع الأطباء على أن الخمر سبب كبير في حدوث الإعاقة، حيث يتسبب في حدوث الجنون، وتخلف العقل، والإعاقات العصبية، والهزل، والضعف الجنسي، والصرع[١]، والخمر تقدم تفصيل القول في نظرة الشريعة إليه وكيف أنها أشارت إلى ما يحمل في طياته من أضرار، فقال ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴿٢١٩﴾ ﴾[٢].

٢- تحريم الزنى لأن الفوضى الأخلاقية والجنسية تنتج ذرية سيئة، ينتقل من خلالها الأمراض المعدية الخطيرة، ومن ذلك الزهري الذي يسبب الشلل والعمى والتشوهات الجسمية وسرطان اللسان، قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٣]. ولذلك حرم الاختلاط والتبرج والسفور، والأسباب الداعية إليه.

ولقد اهتم المنهج النبوي بصحة الإنسان عامة كجانب وقائي للتعرض للأمراض التي تؤدي إلى إعاقته، واعتبر الإنسان مسئولًا عن سلامة جسمه، وبيَّن أهمية سلامة الجسم وقوته وبنائه، لذا أوجب المحافظة عليه، فقال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير**»[٤].

---

(١) ينظر: الخمر في الفقه الإسلامي، فكري أحمد عكاز، مرجع سبق ذكره، (ص١٤٧) وما بعدها.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢١٩.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٣٢.

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، (٤/ ٢٠٥٢)، برقم (٢٦٦٣).

وهذا يعني أن النبي ﷺ يوجه المسلمين إلى العناية بأجسامهم، والعمل على تقويتها، لتخلو من الأمراض والأوجاع؛ ليبقى المسلم قويا خاليا من الإعاقة.

وأوجب لجسد الإنسان حقه على ذاته فقال ﷺ: «**إن لجسدك عليك حقا**»[1].

إذن فمن أهم العوامل الوقائية التي تحصن المرء ضد الإصابة بالإعاقة، المحافظة على الصحة البدنية، وفلسفة الشريعة الإسلامية في الحفظ تكون من خلال طريقين:

الأول: المحافظة بتوفير ما يضمن سلامتها من جانب الوجود.

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم[2].

ثالثا: الوقاية من أسباب الإعاقة الجنائية:

لقد أكد المنهج النبوي إلى وجوب اتخاذ الحذر والسلامة من الحوادث التي تسبب الإعاقة للإنسان، مثل الحوادث والإصابات والاعتداءات، فقال ﷺ: «**إذا مَّر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها بكفه أن يصيب أحدا من المسلمين منها بشيء**»[3]، فهذا الحديث دليل واضح على ضرورة أخذ الحيطة والحذر عند القرب من

---

(١) طرف من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: التهجد، باب: ما يكره من ترك قيام الليل، (١/ ٣٨٧)، برقم (١١٠٢)، ومسلم في "صحيحه"، كتاب: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر، (٢/ ٨١٢)، برقم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-.

(٢) ينظر: الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، (٢/ ١٨).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الفتن باب: قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»، (٩/ ٦٢)، برقم (٧٠٧٥) . ومسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: أمر من مر بسلاح في =

أو التحرك في بيئات تشتمل على مصادر خطرة، وهذا التوجيه النبوي لم يأتي من فراغ، بل كان توجيها صريحا من الخالق -جل وعلا- حين قال ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1].

ولاشك أن إصابات الحوادث بأنواعها من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الإعاقة، والمنهج النبوي قد وضع القواعد الأساسية للوقاية من الحوادث في المجتمع، ورتب على الجنائية منها الجزاء والعقوبة على كل من كان سببا في حدوثها؛ قال ﷻ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

وحرم النبي ﷺ تشويه الأجسام بعد الانتصار في المعارك تجنبا لحدوث الإعاقة، والتحذير من اتباع أساليب التنكيل وأنواع التعذيب عند الاقتدار على الأعداء.

فعن عبد الله بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن النُهبى، والمُثْلَة[3]»[4].

مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها، (٤/ ٢٠١٩)، برقم (٢٦١٥).

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٥.

(٢) سورة المائدة الآية: ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: المظالم، باب: النهبى بغير إذن صاحبه ، (٣/ ١٠٧) برقم (٢٤٧٤).

(٤) المثلة: بضم الميم وسكون الثاء، وهي العقوبة بقطع الأعضاء كجدع الأنف والأذن وفقىء العين وغيره.

وهى عادات كانت تفعلها العرب في الجاهلية والشعوب الأخرى، حيث كانوا يتهددون إذا انتصروا أن يقصوا الأنوف، ويقطعوا الأذنين، ويفقؤوا العيون، ويقطعوا الأطراف، وكل ذلك يمقته الإسلام.

والمنهج النبوي لا يكتفي بأن لا يكون المسلم مصدر ضرر للآخرين، بل يطالبه بأن يتخذ موقفا في إزالة الأسباب التي قد ينتج عنها الضرر أو مسببات متوقعة للإعاقة حتى لو كانت بسيطة، قال رسول الله ﷺ : «**ويميط الأذى عن الطريق صدقة**»(١).

إن وقاية النفس من الأذى قد ورد في المنهج النبوي ما يدل عليها، فمن ذلك قول النبي ﷺ: «**لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون**»(٢).

وما أكثر أنواع الأذى التي نعتبرها في تصورنا بسيطة، ولكنها تؤدي بالإعاقة للإنسان السليم، لذا لم يهمل ديننا الحنيف أي صغيرة أو كبيرة يحتمل أن تؤذي أو تسبب إعاقة للإنسان إلا ونهانا من اقترافها رحمة منه بنا.

❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الاستئذان، باب: لا تترك النار في البيت عند النوم، (٨/ ٨٠)، برقم (٦٢٩٣)، ومسلم، كتاب: الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، (٦/ ١٠٧)، برقم (٥٣٧٦).

(٢) ينظر: الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل، محمد عبدالمنعم نور الدين، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٥م، (١٥٧-١٥٩). والحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الاستئذان، باب: لاتُترك النار في البيت عند النوم، (٨/ ٦٥)، برقم (٦٢٩٣)، ومسلم في "صحيحه"، كتاب: الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء، (٣/ ١٥٩٤)، برقم (٢٠١٢).

المبحث الخامس

مقارنة بين المناهج الحديثة ومنهج النبي ﷺ في التعامل مع المعاقين

في هذا المبحث يحاول الباحث إلقاء الضوء على الفروق الجوهرية بين المناهج الحديثة ومنهج النبي ﷺ في التعامل مع المعاقين، وذلك لأجل إيضاح عِظم المنهج النبوي وأسبقيته وشموليته عن غيره من المناهج الوضعية.

فالمتأمل في تاريخ الغرب مع ذوي الاحتياجات الخاصة، فإن المتتبع لأحوال المعاقين عبر العصور في التاريخ القديم يجد أن هذه الفئة من البشر قد شهدت إهمالاً واضطهادًا صارخًا، فلقد كانت هذه المجتمعات -حكامًا وشعوبًا- تقضي بإهمال أصحاب الإعاقات وقد تمثل هذا الاضطهاد والإهمال والظلم فيما يلي:

أولا- في الدولة الرومانية التي تميزت بالصبغة الحربية عملت على التخلص من المعاقين، حيث وصف القانون الروماني الأصم بالعته والبلاهة وكان الفراعنة يتخلصون من الأطفال المعاقين ولكنهم مع مرور الزمن اصطبغت قوانينهم بالروح الإنسانية فنجحوا في استخدام بعض العقاقير الطبية التي تستخدم في علاج بعض حالات ضعف السمع.

ثانيا- كان الفيلسوف أرسطو يرى أن أصحاب الإعاقة السمعية لا يمكن تعليمهم، وكذلك أفلاطون يرى إخراج المعاقين من مدينته الفاضلة، لأنهم لا يؤدون المطلوب منهم لنجاح هذه المدينة، وكان القانون الإنجليزي القديم يحرِّم بعض فئات المعاقين من الحقوق والواجبات التي لهم.

ثالثا- في مجتمعات أوروبا القديمة، كروما وإسبرطيا قد شهدت إهمالا واضطهادا صارخًا لهذه الفئة من البشر، فلقد كانت هذه المجتمعات - حكامًا وشعوبًا - تقضي بإهمال أصحاب الإعاقات، وإعدام الأطفال المعاقين.

رابعا- كانت حالة المعوَّقين خلال القرون الوسطى حتى القرن الخامس عشر- الميلادي سيئة جدا؛ فلقد كان التعامل مع المعوقين كان فظا يتضمن اعتقال المعوق وتشويه جسده، كما يتضمن أحيانا الحرق أو الإغراق أو الشنق[1].

خامسا- تعتبر العصور الوسطى بأوروبا بما صحبها من مظاهر الجمود الفكري، وطمس الأفكار المعارضة لاتجاهات رجال الكنيسة عصر- نكبة حقيقية للمعوقين، إذ عملت محاكم التفتيش على اضطهادهم وإيذائهم بدعوى تقمّص الشياطين لأجسادهم، وبذلك فقد أصبحوا صنائع للشيطان.

كما عمدت إلى اتهام بعضهم بممارسة السحر، مما جعلهم عُرضةً لأبشع صنوف التعذيب الذي كان يُفضي إلى الموت بإحدى الوسائل المتعددة والمعروفة في ذلك العصر.

سادسا- لقد سعت بعض الأنظمة الغربية في القرن العشرين (كالنازية الألمانية مثلا) إلى التضييق على المعوقين ومعاملتهم على أساس أنهم عناصر غير مرغوب في وجودها عن طريق القتل (إباحة الإجهاض، أو الإجبار عليه)، أو العزل أو التعقيم لمنعهم من الإنجاب على اعتبار أنهم من العناصر التي لا تستحق الحياة.

في الوقت الذي تخبط فيه العالم بين نظريات نادت بإعدام المتخلفين عقليا وأخرى نادت باستعمالهم في أعمال السخرة اهتدى الشرق والغرب أخيرا إلى (فكرة) الرعاية المتكاملة لذوي الاحتياجات الخاصة، وتخليصه من الظلم مع الاهتمام بالضعفاء أو المعاقين والبحث عن وسائل رعايتهم، وكان التقدم في وسائل تعليم الطفل المعاق حسيا بداية لاتجاه يدعو إلى إمكان الاستفادة من طاقات المعاقين ... وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى

---

(١) ينظر: الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل، محمد عبدالمنعم نور الدين، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٥م، (ص١٥٧-١٥٩).

كانت الأعداد الهائلة من المعاقين الذين تخلفوا عن الحروب دافعًا قويًا لرعايتهم والبحث عن وسائل جديدة لهذه الرعاية، فبدأ التأهيل مصحوبًا بصيحة اقتصادية تدعو للاستفادة من طاقة المعاقين المهنية في الإنتاج، فأنشئت أول معاهد التأهيل المهني بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٠م، واستمرت هذه الدعوة في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ثم كان إعلان حقوق الإنسان الذي صدر من الأمم المتحدة نقطة تحول مهمة في اتجاهات المجتمعات، فحلت النظرة الاجتماعية الإنسانية محل النظرة الاقتصادية، وأصبحت الدعوة لرعاية المعاقين وتأهيلهم اجتماعيًا بهدف أن يعود هؤلاء المعاقون أفرادا مندمجين في مجتمعاتهم، يتمتعون بالكرامة والسعادة وحقوق المواطنة كغيرهم من بني وطنهم سواءً بسواء، وكان من نتيجة ذلك أن تضافرت جهود المفكرين والعلماء في سبيل توفير برامج التأهيل التي تساعد المعاق على استرداد أقصى ما يمكن من إمكاناته في الحياة، وذلك نتيجة ما يتبقى لديه من قدرات بما يمكنه من المشاركة في السيرة مع الأسوياء من بني وطنه[1].

وقد تنبهت أخيرا الجمعية العامة للأمم المتحدة في التاسع من ديسمبر عام ١٩٧٥م لحقوق المعوقين، فأصدرت قرارا برقم (٣٠/ ٣٤٤٧)، وآخر برقم (٥٨/ ١٩٣١)، الذي اتخذه المجلس الاقتصادي والاجتماعي في السادس من مايو ١٩٧٥م الخاص بالحد من الإعاقة وإعادة تأهيل المعوقين، ويؤكد أن الإعلان الخاص بالتقدم الاجتماعي والتنموي قد نادى بضرورة حماية المعوقين جسديا وعقليا، وضرورة رعايتهم وإعادة تأهيلهم، لتطوير قدراتهم بمختلف الوسائل والطرق، وتشجيعهم بقدر الإمكان للعودة إلى الحياة العادية، وقد عقد خبراء التربية مؤتمرا دوليا في مقر اليونسكو بباريس خلال الفترة من ١٥-٢٠ أكتوبر عام ١٩٧٩م، حيث وضعوا استراتيجية تربوية شاملة لرعاية المعوقين،

(١) ينظر: قضية الإعاقة ورعاية المعاقين، مرجع سبق ذكره، (ص٢٢٠).

واعتبر عام ١٩٨١م عاما دوليا للمعوقين وقد تضمنت هذه الاستراتيجية المبادئ التربوية التالي:

- وضع سياسة تعليمية لتعليم المعوقين.
- ضرورة الكشف المبكر عن المعوقين.
- التدخل في علاج أسباب الإعاقة وتقييمها.
- تدريب العاملين في حقل المعوقين.
- نشر الوعي التربوي في المجتمع لرعاية وتربية المعوقين[1].

وبعد هذه العرض للتخبط الصارخ في القديم بين نظريات نادت بإعدام المعاقين والمتخلفين عقليًا وأخرى نادت باستخدامهم للتسلية والسخرية وذكر جهود الفلسفات الغربية الحديثة العهد في مجال التعامل مع المعاقين يظهر لنا بالمقارنة مع ما سبق من بيان منهج النبي ﷺ عدة أمور:

أولا: سبق المنهج النبوي في تقرير الرعاية التامة للمعوقين، بدءا من الوقاية من هذه الأمراض ومرورا بالحرص على معالجة ما يقع في المجتمع من أمراض تشل حركة الفرد وتؤثر على نشاطه، ثم الحرص التام على تقرير آدمية المعاق ومواساته ودمجه في المجتمع دمجا تاما، ثم في كفالة حياة كريمة له من خلال تقرير حقوقه الاجتماعية كاملة موفورة، وتقرير مسئولية المجتمع وواجباته تجاه ذوي الاحتياجات الخاصة.

وقد أخذ المسلمون في شتي العصور يسيرون على هدي المنهج النبوي في رعاية المعاقين رعاية شاملة وعلى الاهتمام التام بهم:

---

(١) ينظر: الرعاية التربوية للمعوقين في الإسلام، زياد علي الجرجاوي، بدون بيانات، (ص٦).

فعمل الخليفة عمر بن عبد العزيز على إحصاء عدد المعوقين في الدولة الإسلامية، ووضع الإمام أبو حنيفة تشريعاً يقضي بأن بيت مال المسلمين مسئول عن النفقة على المعوقين.

وبنا الخليفة الوليد بن عبد الملك أول مستشفى للمجذومين عام ٨٨هـ وأعطى كل مقعد خادماً وكل أعمى قائداً.

ولما ولى الوليد إسحاق بن قبيصة الخزاعي ديوان الزمنى بدمشق قال: لأدعن الزِّمن أحب إلى أهله من الصحيح، وكان يؤتى بالزمِّن حتى يوضع في يده الصدقة.

والأمويون عامة أنشئوا مستشفيات للمجانين والبلهاء فأنشأ الخليفة المأمون مأوى للعميان والنساء العاجزات في بغداد والمدن الكبيرة، وقام السلطان قلاوون ببناء بيمارستان لرعاية المعوقين، بل وكتب كثير من علماء المسلمين عن المعاقين مما يدل على اهتمامهم بهم مثل : الرازي الذي صنف (درجات فقدان السمع) وشرح ابن سينا أسباب حدوث الصمم، مما يدل على تأصل الرعاية التامة للمعوقين في الحضارة الإسلامية[1].

ثانيا: إن المنهج النبوي حين لجأ إلى الاستعانة بذوي الاحتياجات الخاصة في بعض الأعمال لم يكن هدفه اقتصاديا في المقام الأول كما كان هدف بعض الأفكار الغربية، وإلا لما قرر لهم حقوقا ثابتة في بيت المال، ولكن هدف المنهج النبوي كان تطييب خاطر صاحب الإعاقة، ومواساته، ورفع قدره نفسيا، والعمل على دمجه في المجتمع من خلال أكثر الأمور تلبسًا بالمجتمع وهي العمل.

---

(١) ينظر: قضية الإعاقة ورعاية المعاقين، مرجع سبق ذكره، (ص٢٢٠)؛ ومقال بعنوان: كيف تعامل الإسلام مع المعاقين، محمد الذبياني، موقع صيد الفوائد: http://www.saaid.net/Minute/195.htm

فليس في المنهج النبوي قيمة اقتصادية بمعزل عن القيم الإيمانية، فالتوحيد والإحسان هما المحوران الأساسيان اللذان يدور حولهما كل مقومات الحياة.

ثالثا: إن الإسلام يحيي ما وصلت إليه الفلسفات والمناهج الحديثة في شأن الرعاية التامة بالمعاقين، ولا يغض من قدرها، ولا يبخس حقها في التقدير، فهو الدين الذي يعطي كل شيء حقه، ويحترم كل ما يعود على الإنسان بنفع وفائدة، مصداقا لقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[1].

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن المنهج النبوي جاء ليصحح المسار الخاطئ للبشرية كلها، ويوضح لها الطريق الذي ينبغي أن تتبعه.

وفي هذا قطع المنهج النبوي مسافة طويلة في رعاية المعاقين تقدم بها على جميع الأمم السابقة والمعاصرة، حيث استطاع النبي ﷺ أن يزرع القيم الطيبة في النفوس، وأن يقتلع كل ما هو فاسد وقبيح.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) سورة الإسراء الآية: ٧٠.

الباب الرابع

الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية

الفصل الأول

الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للداعية والمدعو، وفي الوسائل والأساليب

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للداعية.
- **المبحث الثاني:** الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للمدعو.
- **المبحث الثالث:** الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية في الوسائل والأساليب.

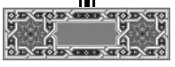

تمهيد:

إن المقصد الأسمى للإسلام هو إصلاح الفرد والمجتمع، وقد اتَّضَحَ ذلك من دعوة النبي ﷺ لتبليغ الرسالة الإسلامية، وما اشتملت عليه من التزكية والتربية والتعليم والإصلاح، ولقد آتت هذه الرسالة ثمارها بفضل الله تعالى، وأصبحت تلك الدعوة منهل عذبٍ يُنهلُ من جوانبه طرق الوقاية وطرق العلاج، في شتى مساعي الحياة الاجتماعية.

فالمنهج النبوي يحفل بالمواعظ والعبر والدروس التي توقظ الهمم، وترسم المنهج السليم، وتضع الأساس الصحيح أمام الأمة الإسلامية أفرادًا ومجتمعات، علماءً ودعاة.

ومن المعلوم أن حياة المجتمعات الإسلامية المعاصرة لا تخلو من مشكلات تنتظر التشخيص وبيان سبل الوقاية والعلاج، فكان من الضروري لأفراد ومجتمعات هذه الأمة الإسلامية، أن تراعي هذا المنهج العظيم، وتطبقه على واقعها الحياتي والمعاشي.

ومن هذا المنطلق سوف يبيِّن الباحث الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للداعية والمدعو، وفي الوسائل والأساليب.

وكذلك الدروس الدعوية المستفادة للمجتمعات الإسلامية، وللأقليات والجاليات الإسلامية؛ حتى يمكن تطبيق ذلك من خلال نقل تلك التوجيهات النبوية إلى واقع عملي تحياه الأمة الإسلامية في حياتها وتعيش به.

المبحث الأول

الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للداعية

قبل البدء في الحديث عن الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للداعية، استحسن أن يقدم الباحث بين يدي هذا الأمر بعض المحاور المهمة التي تتعلق بمكانة الداعية في الإسلام، وكذلك نظرة المجتمع إلى الداعية، من خلال ما يلي:

أولا: مكانة الداعية في الإسلام:

لقد اصطفى الله الرسل من بين البشر، وجعلهم الصفوة المختارة من قِبَله تعالى لتبليغ دعوته ورسالته إلى الناس أجمعين، فرفع درجاتهم إلى المراتب العليا، ولكونهم من البشر فطبيعتهم هي طبيعة البشر- من حيث العوارض الطارئة عليها كالحياة والموت والصحة والاعتلال، وقد قال الله ﷻ -مقررًا لهذه الحقيقة-: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]، وترتب على ذلك أن يكون لكل نبي أصحاب وحواريون يتلقون عنه رسالة السماء أولًا، وليكونوا مبلغين لها لتلك الأمم التي بعثهم الله إليها ثانيًا، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[2]، وما رُوي: "يحمل هذا العلم من

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٣٤.

(٢) رواه أبو داود في "سننه" كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم، (٤/ ٥٧،٥٨)، برقم (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٥/ ٤٨)، برقم (٢٦٨٢)؛ وابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء، (١/ ٨١)، برقم (٢٢٣) جميعهم من طريق قيس بن =

كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[1]، وهم الأتقياء الصدوقون الحفاظ الأثبات.

وعلى هذا النحو تتضح المهمة الملقاة على عاتق الداعية إلى الله بحدودها وأبعادها المختلفة ومشاقها المتعددة، فهم الوارثون للعلم من قِبَل أنبياء الله، وهم المبلغون لدعوة ربهم من بعدهم، وعلى قدر صبرهم ومثابرتهم يكون الأجر والثواب؛ فالجزاء من جنس العمل. ولما كان الأمر كذلك كان لزامًا على المجتمع الإسلامي أن يقدرهم قدرهم، وأن ينزلهم منزلتهم، وهذا مدار الحديث في المحور الآتي.

ثانيا: منزلة الداعية في المجتمع المسلم:

لما كان الداعية إلى الله هو الوارث لهذا العلم، وهو المبلغ لدعوة الإسلام، وهو المتحمل لمشاق وتبعات هذا البلاغ؛ كان ينبغي على المجتمع أن يجعل له المكانة اللائقة، وأن يقدره قدره، ، وهذا أمر مطلوب.

كثير عن أبي الدرداء. قال الترمذي على أثره: "ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل ... وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء وهذا أصح من حديث محمود بن خداش"، وصححه الألباني في الجامع الصغير، (٥/ ٣٠٢).

(١) وقد ورد هذا الحديث من طرق متعددة: منها: رواية إبراهيم بن عبدالرحمن العذري مرسلا، جاء من طرق لا تخلو من كلام مع إرساله، ومن حديث إسامة بن زيد ﷺ، بسند لايصح، ومن حديث عبدالله بن مسعود، بسند ضعيف؛ وكذا من حديث علي بن أبي طالب، وأبي أمامة الباهلي، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وغيرهم، بأسانيد ضعاف لا تصح. قال العراقي في التقييد والإيضاح: "وكلها ضعيفة لا يثبت منها شيء، وليس فيها شيء يقوي المرسل المذكور".

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "ولهذا يجب على أهل العلم ما لا يجب على غيرهم، في العبادات، في الأخلاق، في المعاملات؛ لأن الناس يقتدون بهم، يقتدون بهم تماماً، حتى إن بعض الناس يجلس إلى العالم وهو يصلي - مثلاً - ويحصي عليه حركاته، وسكناته، ولما كبر ابن عمر رضي الله عنهما صار لا يجلس للصلاة مفترشاً، فقال له أحد أبنائه: (يا أبت كيف هذا الجلوس؟ فقال: إن رجليّ لا تقلاني)، فانظر إلى نظرة الناس إلى العالم، يحصون عليه حتى فعله، حتى تركه، لذلك يجب على طلبة العلم أن يكونوا مثالاً طيباً حسناً في كل شيء، حتى يكونوا قدوةً صالحة، وحتى يحترمهم الناس" أ هـ[1].

ولأن في الغالب أن ينظر المجتمع المسلم الى أفعال الدعاة على أنها هي الشرع، لذلك وجب على الداعية أن يكون متبعا للحق، وينبغي أن يكون أكثر اعتناء باتباع السنة، وعدم مخالفتها.

أما عن الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ لحل المشكلات الاجتماعية بالنسبة للداعية، وهو قطب رحى هذه الدراسة، فإن هذه الدروس المستفادة كثيرة جدا ولا تحصى، فمن الصعوبة الإحاطة بها كلها، ولكن الباحث سوف يشير إلى أبرز هذه الدروس التي قد يستفيدها الداعية في منهجه الدعوي والإصلاحي:

الدرس الأول: إن النبي ﷺ القدوة للداعية في الاهتمام بقضايا الفرد والأسرة والمجتمع والأمة كلها، قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2].

---

(١) اللقاء الشهري لفضيلة الشيخ/ محمد الصالح العثيمين -رحمه الله-، مقدمة اللقاء برقم (٤٩) .

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٢١.

لذلك فمنهجه هو المنهج القويم، والصراط المستقيم، الذي إن لجأ إليه الدعاة في لعلاج قضايا المجتمعات ومشكلاتهم الاجتماعية، كان علاجًا ناجعًا، وحلًا مؤكدا.

الدرس الثاني: تأكيد المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة للعلم ودوره في علاج مشكلات المجتمعات الإنسانية منذ بداية تنزل الوحي على النبي ﷺ بقوله ﷻ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾[1]، وقوله ﷻ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۝١٩ ﴾[2]، كما امتن الله على نبيه ﷺ بأن أفاض عليه من علمه؛ فقال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ ۝١١٣ ﴾[3].

ولقد زكى الله تعالى أهل العلم فقال ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩ ﴾[4].

كما جعل النبي ﷺ التعليم لعشرة من المسلمين فداءً لمن كان من أسرى المشركين ولا يستطيع أن يفدي نفسه بالمال[5]؛ وفي الحديث: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع**»[6].

---

(١) سورة العلق الآية: ١.

(٢) سورة محمد الآية: ١٩.

(٣) سورة النساء الآية: ١١٣.

(٤) سورة الزمر الآية: ٩.

(٥) وكان ذلك عقب الفراغ من غزوة بدر الكبرى.

(٦) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في "سننه"، (٤/ ٢٣٩)، رقم، (١٨١١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٦٢٩٧).

وقد أشار النبي ﷺ إلى فضل العلماء بقوله: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**».

ولقد تضافرت وتواترت أدلة الكتاب والسنة في التنبيه على هذه المعاني من فضل العلم والعلماء، وفضل البلاغ الأمين من قبل الله -عز وجل-، وفضل حفظه وصيانته من التحريف والتبديل.

فالتزود بالعلم الشرعي واجب على الداعية، وأن لا يصدر في أفعاله واجتهاداته إلا وهو مطمئن إلى الدليل الصحيح من القرآن والسنة وأقوال الراسخين من أهل العلم، وكما دلت إدله الكتاب والسنة على فضل العلم، كذلك ركز كثير من سلف هذه الأمة على فضله، فهذا هو الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله- يقول:

لا يستقل العقل دون هداية ... بالوحي تأصيلا ولا تفصيلا
كالطرف دون النور ليس ... حتى يراه بكرة وأصيلا
فإذا النبوة لم ينلك ضياؤها ... فالعقل لا يهديك قط سبيلا
نور النبوة مثل نور الشمس ... للعين البصيرة فاتخذه دليلا
طرق الهدى مسدودة إلا على ... من أم هذا الوحيَ والتنزيلا
فإذا عدلت عن الطريق تعمدا ... فاعلم بأنك ما أردت وصولا
يا طالبا درك الهدى بالعقل ... دون النقل لن تلق لذاك دليلا[1]

(١) أبيات من: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ، (٣/ ٩٧٩).

وفي هذا المقام لا بد من التأكيد كذلك على ضرورة اقتران العلم بالعمل فقد قيل: "العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل"[1]؛ فعلى الداعية أن يطبق عمليا ما تعلمه.

الدرس الثالث: وضوح أثر التشريع المحكم بالمنهجية الربانية في حل المشكلات الاجتماعية، فقد امتثل النبي ﷺ أمر ربه بحسن التوكل عليه، وقد بُعِثَ في زمنٍ تراكمت فيه مشكلات عظيمة، وتأصلت فيه عبر السنين أمراض وعلل تُعجِز الناظر إليها عن علاجها، ويقعده هول مظاهرها واستفحال آثارها؛ لكنه ﷺ بحسن توكله على ربه حق التوكل، واستعانته به أوثق الاستعانة، مكَّنه ربه، وأعانه، ووفقه إلى إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ظلمات القبور إلى رحاب الدثور والأجور، بل من الموت إلى الحياة، وفي هذا الصدد يقول الحق، تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[2].

لذا فالداعية مأمور في كل شئونه الخاصة والعامة بأن بمنهج الله -عزوجل- ولا ينفك قلبه ولا حاله عنه، وأن يحذر الركون إلى نفسه أو الثقة بالأسباب، حتى يتحقق له التوفيق في كل شيء خاصة في حل المشكلات وإصلاحها.

الدرس الرابع: منح الداعية قدرًا كبير من الثقافة والمعارف العلاجية للمشكلات الاجتماعية، سواء ما كان منها متعلقًا بالعقيدة، أو الأحكام، أو الأخلاق، وبتطبيق تلك المعارف والأحكام يمكن للداعية أن يخرج المجتمع من أزماته ومشكلاته.

---

(١) ينسب هذا القول إلى سفيان الثوري، الموافقات، (١/ ٧٦).

(٢) سورة الأنفال الآية: ٢٤.

الدرس الخامس: المبادرة والإيجابية في حل المشكلات: فيجب على الداعية أن يتحلى بسرعة البديهة، وسرعة التحرك والإيجابية إلى حل المشكلات في بدايتها وقبل استفحال أمرها، حتى يسهل عليه التوفيق بين الأطراف المتنازعة.

ولقد وجدنا ذلك في مبادرة النبي ﷺ وسرعته في حل الخلاف الذي دب بين المهاجرين والأنصار قبل استفحال المشكلة؛ فقد أخرج الإمام مسلم في (صحيحه) أنه ذات ليلة سمع الناس جلبة في المدينة فخرجوا يستطلعون الأمر فوجدوا رسول الله ﷺ راجعا من موقع الجلبة وقد بادر إلى استجلاء الأمر وطمأن أهل المدينة[1].

ونجد ذلك أيضا واضحا عندما عالج النبي ﷺ مشكلة نشبت بين المهاجرين والأنصار في غزوة بني المصطلق، وقد أوردت القصة كاملة في مطلب أسلوب المبادرة، من الفصل الثالث للباب الأول[2]؛ فقد بادر ﷺ إلى السير المستمر بالناس حتى أتعبهم المسير، فما إن لمست أجسادهم الأرض حتى خلدوا إلى النوم، وذلك اتقاء لقيل وقال حول هذا الأمر فوأدَ ﷺ الفتنة في مهدها.

لذلك كان لزامًا على الداعية أن يتحلى بسرعة البديهة، وأن يمتلك زمام المبادرة إلى حل مختلف المشكلات في مهدها ما أمكنه ذلك.

الدرس السادس: إن صحة الفهم والعمل من أسس علاج المشكلات والقضايا الاجتماعية، كما ظهر ذلك بوضوح في المنهج النبوي، فلم يقتصر منهج النبي ﷺ على الحث على العلم فقط، بل قرَّر أنه لا علم بلا عمل مقرونٍ بصحة فهم، وصحة الفهم والعمل من

---

(١) ينظر: ما رواه مسلم في "صحيحه"، كتاب: صفة النار، باب: صفات أهل الجنة وأهل النار، (٨/ ١٥٨)، برقم (٧٣٠٩)، حديث سبق ذكره.

(٢) ينظر: أسلوب المبادرة من هذا البحث.

أبرز قواعد منهج السلف على مر العصور في التلقي والاستدلال، ومن أهم الأصول العلمية لفهم النصوص الشرعية ودراستها، يقول الله تعالى -مشيِّدًا بالعلماء الذين يُعملون عقولهم، ويبذلون وسعهم لاستنباط مراد الله تعالى من كتابه الكريم وسنة سيد المرسلين:﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1]، كما يقول عز وجل ممْتنًا على سليمان:﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ ﴿٧٩﴾﴾[2]، فقد فهم الله تعالى نبيه سليمان الحكم دون أبيه داود عليهما السلام.

وقد أتى الدين مصححا للفهم، وضابطًا لاعتقاد الناس، ورادًا إلى الميثاق الأول والفطرة الصحيحة التي فطرهم الله عليها، وفي ذلك الصدد يقول الله تعالى لنبيه:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[3]، تلك الفطرة السليمة التي نبه عليها رسول الله ﷺ من خلال الحديث القدسي عن رب العزة -تبارك وتعالى-: «**خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**»[4].

---

(١) سورة النساء الآية: ٨٣.

(٢) سورة الأنبياء الآيات: ٧٨ ، ٧٩.

(٣) سورة الروم الآية: ٣٠.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، (٤/ ١٨٩)، برقم (٣٥٦٠)،. ومسلم في "صحيحه"، كتاب: فضائل النبي ﷺ، باب: اختياره ﷺ للأيسر وتركه الانتقام لنفسه، (٧/ ٨٠)، برقم (٦١١٥).

وعلى أساس العلم الشرعي والفهم السليم يقوم العمل الصالح، وهو ثمرتهما؛ فتكتمل للداعية ثلاث دعائم وأصول من أصول المنهج النبوي لحل المشكلات هي: العلم والفهم والعمل الصالح.

الدرس السابع: مراعاة أهمية التوازن: فإذا كان الداعية قد تذرَّع بالعلم الشرعي، وتوكَّل على الله تعالى حق توكله، ولا ينفك يُعمل عقله للفهم السليم، ثم أتبع ذلك بالجد والاجتهاد في العمل لمرضاة الله تعالى واحتسابًا للأجر، فإنه مع ذلك لا بد له من الموازنة بين لوازم الآخرة، ومتطلبات الدنيا؛ فالمواءمة بين هذا وذاك من خصائص الدين الإسلامي، فلا رهبانية في الإسلام، وقد عاب الله تعالى على من قبلنا بإلزامهم أنفسهم ما لا يطيقون من العبادة، فقال ﷻ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ ﴿٢٧﴾﴾[1]، وقد أشار القرآن الكريم إلى التوازن في حياة العبد في سياق قصة قارون، فقال تعالى حكاية عن قول قوم قارون له: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴿٧٧﴾﴾[2]، وكان هذا هو منهج النبي ﷺ في حياته كلها، فما خُيِّرَ ﷺ بين أمرين إلا اختار أوسطهما؛ فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين، إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما، كان أبعد الناس منه»[3]، وكان حريصا على مراعاة أمر الآخرة وأمر الدنيا معا.

---

(١) سورة الحديد الآية: ٢٧.

(٢) سورة القصص الآية: ٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، (٤/ ٢٣٠)، برقم (٣٢٩٦).

ولقد أرسل الله نبيه ﷺ رحمة للعالمين، ليضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في قوله: «**ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**»[1]؛ فليراع الداعية هذا الأصل القويم من غير إفراط ولا تفريط.

الدرس الثامن: إدراك أهمية العدل في حل المشكلات؛ فالله ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾[2].

ويشمل الحكم بينهم في الدماء، والأموال، والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو.

وقد كان هذا هو ديدن النبي ﷺ الذي قال: «**والله لو أن فاطمة بنت محمدا سرقت لقطعت يدها**»[3]، بل كان ﷺ عدلا حتى مع أعدائه، لا يحيد عن الحق والعدل، فقد كان منهجه ﷺ في حل المشكلات المختلفة مراعيًا حقوق الطرفين، ومن ذلك تداركه للخلاف

---

(١) في صحيح مسلم، وهو عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي قال: وكان من كتاب رسول الله ﷺ، قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله، ما تقول؟ قال: قلت :نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله: "وما ذاك؟" قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة" قالها ثلاث مرات.

(٢) سورة النساء الآية: ٥٨.

(٣) تقدم تخريجه (ص١٧٤).

الذي دبَّ بين المهاجرين والأنصار، وكاد أن يتحول إلى حرب طاحنة، فسارع النبي ﷺ إلى رأب الصدع مذكرا بفضائل الأنصار وفضائل المهاجرين دون فرق.

فالواجب على الداعية مراعاة القسط والعدل بين الناس ولا يميل في حل المشكلات إلى طرف على حساب الآخر.

الدرس التاسع: التلطف والرفق: وهما خلقان عظيمان حث عليهما الإسلام ورغَّبَ فيهما لما لهما من الأثر البالغ في حل المشكلات وفض النزاعات، فالداعية يتحلى بالرفق والحلم والأناة مع التواضع ولين الجانب، فإذا عرض له من الناس من يسيء إليه باللسان فعليه أن يرفق به ويضبط سلوكه بدون اندفاع، أسوة بسيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه.

الدرس العاشر: العمل بروح الفريق الواحد والتعاون وتقسيم العمل، فحل المشكلات قد يحتاج إلى عدد من الثقات ممن يحتاج الداعية إليهم فيلزم تقسيم العمل ولا يستنكف الداعية، أو يستكبر عن الاستعانة بإخوانه في حل المشكلات، فقد رأينا النبي ﷺ يجمع الحطب بكل تواضع، ويحفر بيديه مع صحابته في الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب، وقد طوقتها من جميع الجهات وكانت مشكلة عامة وطامة، ويستعين بأصحابه لحل مشكلة أهل قباء، بقوله: «**أذهبوا بناء نصلح**»[1].

الدرس الحادي عشر: عدم الجزع وإظهار الإحباط إذا تصدى لحل مشكلة معضلة، فهذا ما فعله النبي ﷺ في غزوة الأحزاب حيث تحلى برباطة الجأش وبث روح الأمل في نفوس المسلمين، مع ما أحاط بهم من مشكلات، وأعداء، وضعف عتاد، وطول حصار من المنافقين والكفار.

---

(١) تقدم تخريجه، (ص٥٧).

الدرس الثاني عشر: إن من المهام الملقاة على عاتق الداعية في حل المشكلات الاجتماعية المعاصرة من منظور المنهج النبوي، يتلخص في المحاور الآتية:

أ- ضرورة حل المشكلات الزوجية والتفكك الأسري.

ب- ضرورة مواجهة مشكلتي الفقر والبطالة.

ج- ضرورة مواجهة مشكلتي العنف والإرهاب.

د- ضرورة مواجهة مشكلة المسكرات والمخدرات.

هـ -ضرورة مواجهة مشكلة العصبيات والقوميات.

و- ضرورة دعم واقع المعاقين وتغيير نظرة المجتمع السلبية نحوهم.

أ- ضرورة حل المشكلات الزوجية والتفكك الأسري:

لا بد للداعية حتى ينجح في حل المشكلات الزوجية وما يعرض والوقاية من الآثار المترتبة على التفكك الأسري أن يتمثل منهج النبي ﷺ بأصوله ومقوماته المذكورة آنفا، من حيث صحة الفهم، والاهتمام بالعلم، والتلطف في الإصلاح بين الزوج وزوجه، ومعرفة الظروف الثقافية، والأعراف السائدة في المجتمع، والمستجدات الفكرية، بحيث يمكنه بحسن التوكل على الله حل تلك المشكلات الأسرية، وما أكثرها في أيامنا هذه، فيتوافر لديه قصد الإصلاح وإرادته والسعي إليه يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[1]؛ حيث ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية توضح ضرورة توافر قصد الإصلاح وإرادته للحكمين، ولكل من يتصدر للإصلاح، بينما ذهب البعض

(١) سورة النساء الآية: ٣٥.

إلى أن المراد بقوله ﷻ: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾؛ هما الزوج وزوجته.

يقول القرطبي: "يعني الحكمين، في قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما؛ أي: أن يُردْ الحكمان إصلاحا يوفق الله بين الزوجين.

وقيل: المراد الزوجان، أي إن يرد الزوجان إصلاحا وصدقا فيما أخبرا به الحكمين"(١)؛ وتبعا لكلا الرأيين يقع على عاتق الداعية تهيئة أنفس المتخاصمين (الزوجين)، وحثهما على الحرص على الإصلاح حتى يتحقق بإذن الله وتنجو الأسرة من التفكك والانهيار.

ب- ضرورة مواجهة مشكلتي الفقر والبطالة:

كانت الغاية التي سعى إليها النبي ﷺ والثمرة التي حثَّ عليها في علاجه لمشكلة الفقر والبطالة هي تحرير العبد من رق السؤال وافتقاره إلى عبد مثله، فحرص على أن يكون افتقار العبد كله، ورجاؤه وطمعه وذله لله وحده الذي خلقه، وهو الذي يؤويه ويطعمه ويسقيه، وله الفضل كله عليه، فكان ﷺ حريصا على تنفير الناس من السؤال والمسألة، ويبدو ذلك واضحا في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدا، فيعطيه أو يمنعه**»(٢).

وعن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال: «**أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها**»، قال، ثم قال: « **يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا**

---

(١) تفسير القرطبي، (٥/ ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المساقاة، باب: بيع الحطب والكلأ، (٣/ ٥٧) برقم (٢٠٧٤).

لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا»[1].

فمنهج النبي ﷺ في أصوله ومقوماته يستأصل أسباب المشكلة بلطف وحكمة وإلمام بأعراف الناس وبيئتهم الاجتماعية، وأيضا إمكاناتهم الجسدية، فلا يعالج الآثار المترتبة على المشكلة وإنما يبحث عن الأسباب والجذور التي تغذي المشكلة فيجتثها برحمة الرسول، وشفقة الأب الرحيم، وبراهين العقل السليم، ودواء الطبيب الحريص على نجاة المريض وشفائه.

ج- ضرورة مواجهة مشكلتي العنف والإرهاب:

وهي مشكلة استشرعت في مجتمعاتنا المعاصرة وتتسع دائرتها يوما بعد يوم، ولا شك أن استرشاد الداعية والمصلحين بأصول منهج النبي ﷺ ومقوماته تدلنا على وجوب اتباع الدعاة والمصلحين وأولي الأمر منهج التوازن والمواءمة بين النصح والإرشاد والتلطف لمن أصابته شبهات ربما ترجع أسبابها إلى الجهل، أو سوء الفهم وبين الأخذ بيد من حديد على المصرين على التدمير والإفساد في الأرض مما تثبت عليهم أحكام حد الحرابة، من الذين يحادون المجتمع وينابذونه العداء وثبت ارتكابهم لأعمال العنف، والتخريب بإصرار، وقصد وسعي.

د- ضرورة مواجهة مشكلة المسكرات والمخدرات:

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة، (٣/ ٩٧)، برقم (٢٤٥١).

يمكن للداعية القيام بدور عظيم في علاج مشكلة المسكرات والمخدرات وذلك عن طريق العلم الشرعي، والعلم الدنيوي الذي ينشره بين الشباب، بالمساهمة في تصحيح مفاهيمهم، وتحسين أفكارهم، وحسن توجيههم، واستغلال أوقاتهم، وإنفاق أموالهم في طرق الخير على نحو يرضي ربهم، وكلما تربى النشء في صغرهم على قواعد البر والتقوى واليقين، ندر أن يحيدوا عن الحق ويتبعوا سُبُل المضلين المروجين لهذه الوسائل الشيطانية، التي تُذهب العقل وتُضعِف القوى، وتقتل الأوقات ويحيا متناولها وكأنه ميت لا نفع فيه ولا رجاء في خير منه.

هـ- ضرورة مواجهة مشكلة العصبيات والقوميات:

إن الأصل العظيم والمقوم المتين من أصول ومقومات منهج النبي ﷺ في علاج مختَلف المشكلات هو العلم الصحيح المأخوذ من مصادره المعلومة قرآنًا وسنة صحيحة منقحة من زيغ الكذب على رسول الله وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم.

و- ضرورة دعم واقع المعاقين وتغيير لنظرة المجتمع السلبية نحوهم:

ففي ظل أصول منهج النبي ﷺ في علاج هذه المشكلة الاجتماعية يسترشد الداعية بما يلي:

١- المعاق إنسان له الحق في الحياة الكريمة والمعاملة الحسنة، يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

ويقول النبي ﷺ: «**لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أسود**

(١) سورة الحجرات الآية: ١٣.

على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»[1].

٢- تتوافر للمعاق طاقات يجب استغلالها في الوجوه المناسبة.

٣- توعية الناس بذم السخرية من أحوال الإعاقة وتنفيرهم من الساخرين، وبيان قبح سلوك المستكبرين وعاقبتهم الذميمة، ودلائل ذلك كثيرة في القرآن والسنة والسير.

٤- بيان الحد الفاصل بين توقير المعاق واحترامه – خاصة من الراشدين – وإشعاره بالشفقة النابعة من نقصه، وعجزه، فالحذر من إشعاره بهما أمر لازم.

وبناء على ما تقدم، فإن الدعاة في أمس الحاجة إلى الاسترشاد بهدي النبي ﷺ ومنهجه في طريقهم الدعوي، فلا يمكن لعقل من العقول البشرية أو فَهم من الأفهام السير بعيدًا عن هذا السراج المنير والصراط المستقيم، فإذا ما اتبع الدعاة إلى الله هذا المنهج كان له الريادة والسبق والتوفيق بإذن الله تعالى القائل في محكم الآيات: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[2].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٣٨/ ٤٧٤)، برقم (٢٣٤٨٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وكذا صححه الشيخ الألباني. ينظر: السلسلة الصحيحة، للألباني، (١/ ٢٩٨).

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٦٩.

المبحث الثاني

الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للمدعو

يتميز المنهج النبوي بمراعاة أحوال المدعويين بشكل تام وشامل، وهذا ما لا يتوفر لغيره من المناهج، مهما كان تقدمها في العلوم والمعارف، فيراعي هذا المنهج في المدعويين الجوانب الوجدانية، والعقلية، والنفسية، كما يراعي الأعراف والظروف الاجتماعية المحيطة بهم.

فالتعرف على مجتمع المدعوِّين في عاداته، وتقاليده، وأعرافه، وثقافاته، ومستوياته، وواقعه الاجتماعي والاقتصادي، جزء من وظيفة الداعية، لكي يبني على ذلك سعيه وخطته في علاج مشكلات المجتمع.

ولكي يستطيع الداعية سلوك المنهج النبوي في حل المشكلات الاجتماعية تجاه المدعوِّين ينبغي له أن يكون ملما بما يخص فئات وأصناف المدعوِّين، وهذه الأمور سبقَ التركيز عليها في المنهج النبوي لحل المشكلات الاجتماعية، وهي كما يأتي:

الدرس الأول: أهمية البصيرة بأصناف المدعوِّين: فالمنهج النبوي الدعوي يراعي أفهام واستيعاب وقدرات ومستويات الناس، فيعطي كل واحد ما تستسيغه نفسه، ويألفه قلبه، ويلبي حاجاته.

فينبغي للداعية الناجع أن يلاحظ ما تقتضيه أحوال الأشخاص، ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا بد له أن يراعي حال من يدعوهم حتى تكون الدعوة

بحكمة، وعلم، وبصيرة؛ لقول الله ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1].

قال ابن القيم -رحمه الله- في هذه الآية: ذكر الله تعالى مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو: فإنه إما أن يكون طالباً للحق محباً له، مؤثرًا له على غيره إذا عرفه؛ فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلًا بضد الحق لكن لو عرفه آثره واتَّبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجدال إن أمكن[2].

ويؤكد النبي ﷺ هذا المعنى تأكيدا بينا واضحا بقوله وبفعله، ففي بعْثه لمعاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن، علَّمه كيف يدعو القوم هنالك، بعد أن أعلمه بحالهم وجنسهم وثقافتهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك فأعْلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**»[3].

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥.

(٢) ينظر: فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، دار المؤيد، جده، ط٨، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (ص٨٧).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، (٢/ ١٢٨)، برقم (١٤٩٦).

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "ما أنت بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"(١).

وقال علي ابن أبي طالب ﷺ: "حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله؟!"(٢).

فإذا امتلك الداعية هذا النوع من البصيرة تجاه المدعوِّين، فهذا يعني أنه قادر على التكيُّف والانسجام، والتعامل بوضوح مع الحقائق، ولديه الاستطاعة على ترتيب الأولويات، في مخاطبة المجتمع والأفراد.

الدرس الثاني: الرفق بالمدعوِّين والشفقة عليهم: فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، وشر الرعاء الحطمة، فمن فِقْه الداعية وحكمته أن يشفق على الناس، ويرحمهم وخاصة أهل دعوته، فلقد كان النبي ﷺ رحمة لكل الخلق، وعلى الداعية أن يصفح عن جفائهم، وغلظتهم، ويتحمل أذاهم، وأن يتلطف في الإجابة ولو كانت معلومة بيِّنة واضحةً، وأن يهتم بالسائل.

الدرس الثالث: مراعاة المطالب الفطرية للمدعو، منها ما يلي:

منها: لما رأى رسول الله ﷺ ما بأبي ذر ﷺ من ضعْف، نصحهُ أن لا يقترب من الإمارة، وقال: «**يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة** ... »(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة كتابه، باب: النهى عن الحديث بكل ما سمع، (١/ ١١)، برقم (١٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لايفهموا، (١/ ٣٧)، برقم (١٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الإمارة باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة، (٣/ ١٤٥٧)، برقم(١٨٢٥).

ومنها: لما رأى رسول الله ﷺ من أبي بكر القوة الإيمانية، والعدل بين الناس، والقدرة القيادية، مهَّد له بالخلافة، وقدَّمه لها، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»(١).

ومنها: لما رأى رسول الله ﷺ الزحام على تقبيل الحجر قال لعمر: «**يا عمر، إنك رجل قوي، لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله، فهلل وكبر**»(٢).

ومنها: مراعاة طبيعة الإنسان التي تهوى الجمال، فليس من الممكن أن يقف الإسلام حائلا بين طبيعة الإنسان واختياره جانب الجمال في الزوجة ما لم يتعارض مع الدين، وقد حذَّر الإسلام من الافتتان بالظواهر مع فساد البواطن في أكثر من مناسبة، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٣).

الدرس الرابع: الوقوف على كيفية تعامل النبي ﷺ مع المنافقين، والمشكلات التي أحدثوها؛ وقد استخدم النبي ﷺ عدة ممارسات عملية في تعامله معهم، منها: عدالة عامة؛

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أبي بكر، (٧/ ١١٠)، برقم (٦٢٥٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (١/ ٣٢١)، برقم (١٩٠)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط، وصححه الألباني في مناسك الحج، (ص٢١).

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢١.

ورحمة، ورفق، ومقابلة الإساءة بالعفو، أو الإحسان؛ فكان يعاملهم على ظواهرهم دونما بحث عما تُكِنُّه سرائرهم، وتنطوي عليه دخائل نفوسهم.

ويشهد لذلك حوادثُ كثيرة، ومن أجلاها مواقفه العظيمة مع رأس المنافقين عبدالله بن أُبيٍّ بن سلول الذي آذى النبي ﷺ أيما أذية؛ حيث آذاه في بيته -كما في قصة الإفك- فهو الذي تولى كبْرَه، وأشاع خبر السوء عن عائشة رضي الله عنها؛ فهم يكيدون للمسلمين ويزرعون الفتنة بينهم.

الدرس الخامس: الوقوف على كيفية اعتناء النبي ﷺ بالظروف المحيطة بالمدعوِّين، فكان ﷺ يراعي الظرفين الزماني والمكاني:

فمن حيث الظرف الزماني: كان حال بعض المؤمنين في مبتدإ الأمر يغلب عليه الاستضعاف وعدم الرسوخ؛ ويعكس ذلك ما رُوِي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم** -قال ابن الزبير- **بكفر، لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس وباب يخرجون منه**»، ففعله ابن الزبير[1].

ومن حيث الظرف المكاني: ميز النبي ﷺ بين المجتمع المكي والمجتمع المدني من حيث الخطاب الديني، والدعوي؛ ففي قصة حاطب بن أبي بلتعة الصحابي الذي حاول إرسال خطاب إلى قريش يعلمهم بمسير رسول الله إليهم، وكان رسول ﷺ يتكتم خبر مسيره عن قريش حتى يفاجأهم به، إلا أن الله تعالى أطلعه على ما فعله حاطب، وهذه القصة تم ذكرها كاملة في مبحث التمييز والتمحيص.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: العلم، باب: من ترك بعض الاختيار، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه، (١/ ٣٧)، برقم (١٢٦).

فالتمحيص والتمييز يستلزمان الإلمام والإحاطة قدر المستطاع بالأطراف المختلفة المتشابكة العلاقات مع الداعية؛ فعليه أن يُلمَّ بالقدر من المعرفة بالأطراف الذين يتواجد بينهم، وتعرض له المشكلات المختلفة بينهم، حتى إذا تصدى لحل مشكلة ما تكون لديه المعطيات الأولية التي ينطلق على أساسها في طريق الحل، ورأب الصدع، وتقريب وجهات النظر وصولا إلى إزالة أسباب المشكلة واستئصالًا للداء من جذوره.

الدرس السادس: معرفة الظروف الثقافية، والنفسية، والفطرية المؤثرة في حل المشكلات الاجتماعية؛ فلا شك أن منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية قد راعى اختلاف الظروف الثقافية والنفسية والفطرية التي يتمايز بها الناس، فيجدر بالداعية أن يضع في اعتباره وخلال شروعه في حل المشكلات الاجتماعية، الجوانب النفسية التي تتسم بها شخصيات أصحاب المشكلة؛ وذلك لأن مراعاة العوامل النفسية والفطرية التي تمتاز بها النفس البشرية لها أثر عظيم في تهيئة النفوس والأخذ بها في سهولة إلى طريق الإصلاح وسبيل التوفيق.

فمن أبرز المواقف العملية التطبيقية التي تدلل على رعاية النبي ﷺ للجوانب النفسية للمدعو تلك القصة التي تروى عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: « إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه، فقال ﷺ: «**ادنه**»، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك؟**»، قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أفتحبه لأختك؟**»، قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبه لعمتك؟**»، قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أفتحبه لخالتك؟**»، قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه

وقال: «**اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه**»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

ففي هذا الموقف تتجلى حكمة النبي ﷺ في منهجه القويم في مراعاة البواطن النفسية وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وتقويم ما اعوجَّ من الميول النفسية والطبائع البشرية التي ابتُليتْ بحب الشهوات، واختبرت بالميل إلى الملذات، مع إتاحة قدر من الحلال لحفظ النفس من التلف والبوار، وذلك تمحيصًا وابتلاءً مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[2].

وقد راعي ﷺ هذه الجوانب مع أسيرات المشركين فيكرِم كريماتهن، ويرعى ذوات الحسب خاصة من بني قومه وبطون القبائل العربية، وهذا ما يلاحظ في هذه القصة، حيث وقف النبي ﷺ عقب بعض الغزوات ليستعرض الأسرى فوقفت امرأة أسيرة وقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي منَّ اللهُ عليك، وخل عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإن أبي كان سيد قومي، يفك العاني، ويعفو عن الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ويحمل الكل (الضعيف)، ويعين على نوائب الدهر، وما آتاه أحد بحاجة فردّه خائبا، أنا بنت حاتم الطائي، فقال النبي ﷺ: «يا جارية، هذه صفات المؤمنين حقا»، ثم قال: «خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق»[3].

---

(١) تقدم تخريجه، (ص١٣٤).

(٢) سورة المائدة الآية: ٩٤.

(٣) هذه القصة رواها البيهقي في شعب الإيمان، كتاب: دلائل النبوة، (١٠/ ٣٧٣)، برقم (٧٦٤٩).

الدرس السابع: مراعاة الأعراف السائدة في المدعوِّين؛ فكل مجتمع من المجتمعات تأصلت فيه عادات، وتعارف أهله على قواعد ثابتات راسخات، شجع الإسلام على رعايتها، وحمايتها، طالما أنها لا تحث على منكر، ولا تنهى عن معروف، فأقرَّ الإسلام ما صح من هذه الأعراف، إذ يقول الله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[1].

وقال ابن مسعود ﷺ: "ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن"[2].

فللأعراف والعادات أثرٌ كبيرٌ في نفوس المدعوِّين، فهي قضايا مسلَّمة يصعب انتزاعها منهم؛ إذا كانت لا تتعارض مع نصوص الكتاب والسنة، والتي تستند إلى قبول عام عند المدعوِّين، وتحقق منافع لهم ومصالح، ففي حديث عائشة بيان لمراعاة عادات وأعراف الناس عند دعوتهم للفعل أو الترك، حيث تقول: «إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا»[3].

ولا يكاد يخلو مجتمع بشري من قواعد اجتماعية، ونظم جماعية يتعارفون عليها ويتفقون على عدم مخالفتها، وقد اهتم النبي ﷺ في حله للمشكلات الاجتماعية بالأصول الاجتماعية التي تسود مجتمع ما، وتحكم أفراده سواء في ذلك المجتمع المدني بعد الهجرة أو المجتمع المكي بعد فتح مكة، أو غيرهما من أرض الجزيرة، فلكل بيئة اجتماعية خصوصية

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٩٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (١١/ ٣٧٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، (٣/ ٧٨ - ٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، (٦/ ٢٢٨)، برقم (٤٩٩٣).

تميز أصحابها، ومن ذلك الباب نذكر قول النبي ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم**»؛ وذلك أن أهل قريظة نزلوا على حكم سعد، فأرسل النبي ﷺ إليه فجاء، فقال: «**قوموا إلى سيدكم- أو قال: خيركم**» فقعد عند النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**هؤلاء نزلوا على حكمك**»، قال: فإني أحكم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، فقال: «**لقد حكمت بما حكم به الملك**».

قال المهلب[1]: فيه أمر السلطان والحاكم بإكرام السيد من المسلمين، وجواز إكرام أهل الفضل في مجلس السلطان الأكبر، والقيام فيه لغيره من أصحابه، وإلزام الناس كافة للقيام إلى سيدهم[2].

ولذلك يتوجب الاطلاع على أعراف الناس ومعرفة عاداتهم وثقافاتهم السائدة في مجتمعاتهم قدر المستطاع، دعما للدعوة وتعضيدا لها.

الدرس الثامن: مراعاة الجوانب الاجتماعية؛ فلكل مجتمع سمات تحدد معالمه وترسم شخصيته من حيث العلم والجهل، والغنى والفقر، ونسبة الشباب إلى كبار السن، وكذلك نسبة عدد العاملين إلى نسبة البطالة، وغيرها من سمات تميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات، فيلزم الداعية مراعاة هذه الجوانب والعوامل عند حل المشكلات الاجتماعية المختلفة، وقد كان النبي ﷺ يراعي ذلك فقد جاءت الرواية أنه ﷺ قال يوم فتح

---

(١) هو: المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي، المريي، مصنف (شرح صحيح البخاري) وكان أحد الأئمة الفصحاء، الموصوفين بالذكاء توفي: في شوال سنة خمس وثلاثين وأربع مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٧/ ٥٧٩).

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (٩/ ٤٣).

مكة، قال: «**ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن**»؛ وكان أبو سفيان قبل إسلامه من ذوي الحظوة لدى قومه، ومن كبرائهم المقدمين[1].

وكان ﷺ يتعاهد الكبراء بالدعوة رجاء أن يسلموا فيسلم معهم أقوامهم، ووجه ﷺ كتبه إلى الملوك، والأمراء المعاصرين له، والمجاورين.

وكان ﷺ غالبًا يَمُنُّ على الأسرى ويكرم كريمهم.

قال ابن القيم: كان يَمُنُّ على بعضهم، ويقتل بعضهم، ويفادي بعضهم بالمال، وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة، ففادى أسارى بدر بمال، وهبط عليه في صلح الحديبية ثمانون متسلحون يريدون غِرَّته (أي: غفلته)، فأسرهم ثم منَّ عليهم؛ وأسر ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة، فربطه بسارية المسجد، ثم أطلقه فأسلم[2].

ومن رعايته ﷺ للجوانب الاجتماعية قبوله الشاة من المرأة اليهودية[1].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه عن ابن عباس قال: لما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قال العباس: قلت: والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش، فجلست على بغلة رسول الله ﷺ فقلت: لعلي أجد ذا حاجة يأتي أهل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه فإني لأسير إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء فقلت: يا أبا حنظله، فعرف صوتي فقال أبو الفضل: قلت: نعم. قال مالك فداك أبي وأمي؟ قلت: هذا رسول اللهﷺ والناس، قال: فما الحيلة؟ قال فركب خلفي ورجع صاحبه فلما أصبح غدوت به على رسول الله ﷺ فأسلم قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا. قال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن. سنن أبي داود، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: ما جاء في خبر مكة.

(٢) ينظر: زاد المعاد، لابن القيم، (٣/ ٩٩).

(١) وفي السيرة النبوية لابن هشام قال: " .. فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: =

ومراعاة هذه الجوانب من شأنها تيسير مهمة الداعية تجاه المدعو في حل المشكلات الاجتماعية المختلفة.

الدرس التاسع: مراعاة الجوانب البيئة للحياة الاجتماعية: ؛ فالبيئات الحياتية تتعدد وتختلف من مجتمع لآخر، حيث يوجد المجتمع الصحراوي بمظاهره البيئية المميزة، والمجتمع المدني أو الحضري، ولا شك أن العوامل البيئية بمظاهرها المختلفة المحيطة بالإنسان المسلم كانت محل اعتبار وموضع اهتمام النبي ﷺ، لما لها من تأثير واضح على عبادات المسلم وشعائره الدينية وحياته الاجتماعية، بما تكتنفه من مشكلات يستوجب حلها الإلمام بهذه الظروف البيئية والعوامل الطبيعية، ومن مظاهر تلك الرعاية النبوية:

١- الأمر بالإبراد بالصلاة في الصيف(١)؛ ففيه مراعاة لأحوال الجو البيئية.

الذراع فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟، قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى، السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، (٢/ ٣٣٧).

(١) عن أبي هريرة ونافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر أنهما حدثاه عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم".

قوله: (باب: الإبراد بالظهر في شدة الحر)، قدم المصنف باب: الإبراد على باب: وقت الظهر؛ لأن لفظ الإبراد يستلزم أن يكون بعد الزوال لا قبله، إذ وقت الإبراد هو ما إذا انحطت قوة الوهج من حر

=

٢- الحث على التبكير بالصلاة في يوم الغيم[١]؛ ففيه الخوف من فوات صلاة العصر.

٣- إباحة الإفطار في السفر؛ ففيه دفعا لمشقة الظماء والجوع.

٤- قصر الصلاة في السفر؛ ففيه مراعاة لحال الترحال.

٥- إباحة أكل ميتة البحر (الأسماك الميتة)[٢].

٦- الرخصة بالصلاة في الرحال إذا أمطرت مطرًا شديدًا[١].

الظهيرة، فكأنه أشار إلى أول وقت الظهر، أو أشار إلى حديث جابر بن سمرة قال: "كان بلال يؤذن الظهر إذا دحضت الشمس"، أي: مالت. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، برقم (٥٣٣)، ورقم (٥٣٤).

(١) أخرج البخاري في "صحيحه" عن أبي قلابة أن أبا المليح حدثه قال: كنا مع بريدة في يوم ذي غيم فقال بكروا بالصلاة فإن النبي ﷺ قال: "من ترك صلاة العصر حبط عمله"، باب: التبكير بالصلاة في يوم غيم، (١/ ١٥٤)، برقم، (٥٩٤).

(٢) أخرج أبو داود بإسناده عن أبي هريرة قال: كنا عند رسول الله ﷺ يوما فجاءه صياد، فقال: يا رسول الله، إنا ننطلق في البحر، نريد الصيد فيحمل معه أحدنا الإداوة، وهو يرجو أن يأخذ الصيد قريبا، فربما وجده كذلك، وربما لم يجد الصيد حتى يبلغ من البحر مكانا لم يظن أن يبلغه، فلعله يحتلم أو يتوضأ، فإن اغتسل أو توضأ بهذا الماء، فلعل أحدنا يهلكه العطش، فهل ترى في ماء البحر أن نغتسل به أو نتوضأ به إذا خفنا ذلك؟ فزعم أن رسول الله ﷺ قال: "اغتسلوا منه وتوضئوا به، فإنه الطهور ماؤه الحل ميتته".

(١) روي عن عبد الله بن عمر أنه أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح ثم قال: ألا صلوا في الرحال، ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يأمر المؤذن إذا كانت ليلة ذات برد ومطر يقول: ألا صلوا في الرحال. أخرجه البخاري في كتاب: الأذان باب: الرخصة في المطر والعلة أن يصلي في الراحلة، (١/ ١٥٢) برقم (٦٦٦)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الصلاة في الرحال في المطر، (٦/ ١٧٠) برقم (٦٩٧).

وهكذا .. ويستفاد من ذلك للداعية أن يراعي حال بيئة الدعوة؛ فعلى سبيل المثال، يكثر من حثِّ الناس على الصدقات وإخراج الزكوات في المجتمعات التي يغلب عليها مشكلة الفقر؛ وفي المجتمعات ذات الصبغة التجارية يجب تذكيرهم بمساوئ الإحتكار[1] والنهي عنه؛ والمجتمعات ذات الصبغة الوظيفية يجب التركيز بشدة على النهي عن تلقي الرشاوى وتبصير الناس بالأجر العظيم لقضاء حوائج الناس وتفريج الكروب، فبذلك تكون دعوته مراعية لمقتضى حال البيئة التي يدعو فيها.

وهكذا كلما راعى الداعية الظروف البيئية المختلفة للمدعو كان طريق الإصلاح قصيرًا، والتوفيق والنجاح حليفه.

وجدير بالذكر أن يحرص الداعية على توعية المدعو بعدة أمور للشروع في حل المشكلات الاجتماعية المختلفة فيوجهه إلى حسن القصد، والإخلاص في سعيه إلى علاج المشكلات، وأن يذكره بالتوكل على الله، والاستعانة به، راجيًا منه السداد والرشاد، ويقوم

---

(١) جاء في صحيح مسلم بشرح النووي: كان سعيد بن المسيب يحدث أن عمرا قال: قال رسول الله : «من احتكر فهو خاطئ»، وفي رواية: «لا يحتكر إلا خاطئ»، قال أهل اللغة: الخاطئ - بالهمز - هو العاصي الآثم، قال الإمام النووي: وهذا الحديث صريح في تحريم الاحتكار، قال أصحابنا: الاحتكار المحرم هو الاحتكار في الأقوات خاصة، وهو أن يشتري الطعام في وقت الغلاء للتجارة، ولا يبيعه في الحال، بل يدخره ليغلو ثمنه، فأما إذا جاء من قريته، أو اشتراه في وقت الرخص وادخره، أو ابتاعه في وقت الغلاء لحاجته إلى أكله، أو ابتاعه ليبيعه في وقته، فليس باحتكار ولا تحريم فيه، وأما غير الأقوات فلا يحرم الاحتكار فيه بكل حال، هذا تفصيل مذهبنا، قال العلماء: والحكمة في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس، كما أجمع العلماء على أنه لو كان عند إنسان طعام، واضطر الناس إليه ولم يجدوا غيره، أجبر على بيعه دفعا للضرر عن الناس، (ص ٢٢٠).

الداعية كذلك بترغيب المدعو عن طريق تبصيره، وتوعيته بالآيات، والأحاديث المختلفة التي تخص المشكلة المطروحة.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية في الوسائل والأساليب

تناول الباحث فيما مر من هذا الفصل الدروس المستفادة من أصول ومقومات منهج النبي ﷺ للداعية، وناقش كذلك الدروس التي يمكن أن يستفيدها الداعية ويراعيها في جانب المدعو، كل ذلك بغية الوصول من خلال أقصر طريق وأقومه إلى حل ما يعن له من مشكلات اجتماعية تهدد تماسك المجتمع، وسلامته، وتآلفه.

ومن الخصائص الفريدة والسمات العظيمة لمنهج النبي ﷺ أنه يقرن بين نبل الغاية ومشروعية الوسيلة، خلافًا للمبدأ الشهير لدى كثير من الحركات الإصلاحية، والمناهج الإنسانية وهو (**الغاية تبرر الوسيلة**)، إباحة الوسيلة ولو كانت غير مشروعة ما دامت الغاية مشروعة.

وفي هذا المبحث سيتم عرض الدروس المستفادة من وسائل وأساليب النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية، من خلال إلقاء الضوء على تلك الوسائل والأساليب المختلفة التي استخدمها النبي ﷺ في حل المشكلات؛ وذلك على النحو التالي:

أولاً- الدروس المستفادة من وسائل النبي ﷺ في حل المشكلات، وتتمثل في عدة نقاط:

أ- المواجهة المباشرة.

ب - الإشارة.

ج – السماع من المتخاصمين.

د- أخذ رأي من يعينه على حل المشكلة.

هـ- اليسر وعدم التشدد.

و- إدخال السرور على الآخرين.

ز- مراعاة أحوال بعض المخطئين.

ح- وضع العلاج المناسب للمشكلة.

ثانيًا- الدروس المستفادة من أساليب النبي ﷺ في حل المشكلات من خلال النقاط التالية:

أ- أسلوب المبادرة.

ب- أسلوب القدوة الحسنة.

ج- أسلوب الحوار المقنع.

د- أسلوب التفاوض.

هـ- أسلوب التعريض.

و- أسلوب المداعبة.

ز- أسلوب إظهار الغضب وعدم الرضا.

ح- أسلوب التأنيب والتوبيخ.

أولاً- الدروس المستفادة من وسائل النبي ﷺ في حل المشكلات:

أ- المواجهة المباشرة:

لقد ندب الإسلام معتنقيه إلى الشفافية والوضوح، ونبذ الغموض وحذر من السلبية باعتبارها سلوكًا يُقعِد صاحبه عن معالي الأمور، وقد امتاز منهج النبي ﷺ في حل المشكلات عامة والمشكلات الاجتماعية خاصة بالوسطية والاعتدال، فلم تتجاوز المواجهة المباشرة لحل المشكلات إلى فضح الأشخاص، وإيقاعهم في الحرج نتيجة للإفراط في هذه المواجهة المباشرة، بل خالطت هذه المواجهة الرأفة والرحمة، والحرص على حفظ كرامة الفرد والجماعة حال حياته وحتى بعد مماته، وتطبيقًا لذلك وجدنا النبي ﷺ يواجه مشكلة المرأة الغامدية التي اعترفت بارتكابها كبيرة الزنا بالمواجهة المباشرة حيث أقام عليها الحد

بعد إرجائها مرة لتضع حملها، وأخرى لتفطم رضيعها، وأخيرًا أقام ﷺ عليها الحد، وهو مع ذلك يبيِّن لصحابته الكرام عظيم ثوابها، ومكانة توبتها، قائلا لهم: «**لقد تابت توبة لو قُسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم**»(١)، حفظًا لكرامتها وما حصل لها من الأجر العظيم، والفضل الكبير المترتب على صدق إيمانها الباعث لها على الإصرار على التطهر بإقامة الحد الشرعي عليها.

ومن ذلك أيضًا أن النبي ﷺ استعمل رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال: "هذا لكم، وهذا أهدي لي"، فخطب النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**أما بعد فإني استعمل رجالا منكم على أمور مما ولاني الله فيأتي أحدكم فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت لي فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى له أم لا؟، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرا له رغاء أو بقرا له خوار أو شاة تيعر**»، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ثم قال: «**اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت**»(٢).

---

(١) عن عمران بن حصين قال: أتت رسول الله ﷺ امرأة من جهينة فقالت: يا رسول الله إني أصبت حدا فأقمه علي فدعا رسول الله ﷺ وليها فقال: (أحسن إليها حتى تضع ما في بطنها فإذا وضعت فأتني بها) فلما وضعت أتى بها رسول الله ﷺ فأمر بها فشد عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر: يا رسول الله أتصلي عليها وقد زنت؟ فقال رسول الله: «لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله جل وعلا»، صحيح أخرجه ابن حبان في"صحيحه"، برقم (٤٤٤١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: الحدود، باب: رجم الثيب فى الزنا، (٥/ ١٢٠)، برقم (٤٥٢٩)، عن عمران بن حصين ﷺ.

فهنا يقف النبي ﷺ في مواجهةٍ مباشرةٍ لحل هذه المشكلة الاجتماعية المتمثلة في استحلال تلقي الهدايا والرشاوى؛ بسبب المنصب والوظيفة، فكان أمرًا لازمًا مواجهتها، وعلاجها، ووأدها في مهدها بكل صراحة ووضوح.

وتتجلى هذه المواجهة المباشرة ظاهرة صريحة حتى تصل إلى المواجهة الذاتية من النبي ﷺ مع نفسه، -وهو نبي هذه الأمة وخاتم النبيين- فيضرب ﷺ المثل بأبنته فاطمة المقربة إلى قلبه، ليعلم الأمة مبدأ العدل والتجرد والمساواة؛ فيقول ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»(١)؛ وبهذا يعلم النبي ﷺ أمته أنه لا أحد فوق حد الله وشرعه مهما كانت مكانته ومنزلته.

ب- الإشارة:

فقد تقتضي بعض المواقف الاجتماعية البشرية اللجوء إلى هذه الوسيلة اللطيفة، والطريقة المؤثرة في علاج بعض المشكلات الاجتماعية، خاصة في قوم يمتازون بالفراسة والنباهة كما قيل: "وكل لبيب بالإشارة يفهم".

---

(١) عن عروة بن الزبير ﷺ أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ، فقال: «أتكلمني في حد من حدود الله». قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله خطيبا، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة لقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة: فكانت تأتي بعد ذلك، فأرفع حاجتها إلى رسول الله.

وقد تحتم الضرورة اللجوء إلى الإشارة كأسلوب للتواصل حتى في أشد المواقف تأزمًا؛ ففي قصة السيدة مريم -عليها السلام- مع قومها يصور لنا القرآن الكريم تمسكها بطاعتها التي نذرتها للرحمن فقالت: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[1].

ولما وضعت وليدها المعجزة من غير أب وجاءت به قومها ولم تطق عقولهم هذه المعجزة، اتهموها بارتكاب الفاحشة إلا إنها تمسكت بالصيام والإمساك عن الكلام؛ مع أن الأمر يستلزم نطقها وصراخها دفاعًا عن نفسها، غير أنها لجأت إلى الإشارة إلى المولود عيسى عليه السلام: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾[2].

كما أن المرض وضعف قوى البدن قد تلجئ الإنسان إلى استخدام الإشارة تعبيرًا عن الرضا أو الرفض؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " دخل عليّ عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك؟ **فأشار برأسه**، أن نعم، فناولته فاشتد عليه وقلت: ألينه لك؟ **فأشار برأسه**، أن نعم، فليَّنته له، فأمَرَّه ... "[3].

وعليه، تعد الإشارة لونًا من ألوان السلوك الاجتماعي، ذات الطابع الإيجابي إذا ما استعملت كوسيلة للإصلاح، أما إن اتخذت وسيلة لإلحاق الضرر فإنها تكون سلبية

---

(١) سورة مريم الآية: ٢٦.

(٢) سورة مريم الآية: ٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، (٤/ ١٦١٦)، برقم (٤١٨٤).

ومنبوذة ومنهي عنها؛ وقد نبه القرآن الكريم إلى ذم استخدام الإشارة في السخرية من الآخرين في قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾[1].

لذلك صرَّح النبي ﷺ بالنهي عن استخدام الإشارة في إيذاء المسلمين وترويعهم، ففيما رواه أبوهريرة رضي الله عنه يقول، قال النبي ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديده فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»[2].

وقد تقع الطامة الكبرى والبلوى العامة بسبب إشارة بسيطة، وهذا ما كاد يحصل بفعل الصحابي الجليل أبي لبابة عند حصار النبي ﷺ لبني قريظة، وفيه نزل قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3]،[4].

---

(١) سورة القلم الآيات: ١٠ ، ١١.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، (٤/ ٢٠٢٠)، برقم (٢٦١٦).

(٣) سورة الأنفال الآية: ٢٧.

(٤) قيل: نزلت في أبي لبابة في قصة بني قريظة، روي أنه حاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير، على أن يصيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من الشام، فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل لنا أبا لبابة، وكان مناصحا لهم؛ لأن عياله وماله في أيديهم، فبعثه إليهم، فقالوا: ما ترى؟ هل ننزل على حكم سعد؟ فأشار إلى حلقه، أنه الذبح، فقال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله، فنزل وشد نفسه إلى سارية في المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت، أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه، ثم تاب الله فقيل له؛ تيب عليك فحل نفسك، فقال: لا والله أحلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني، فجاء رسول الله ﷺ فحله، فقال: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال: " يجزيك الثلث أن تتصدق به"، البحر المديد، الشاذلي، (٣/ ٢١).

ومن مظاهر استخدام النبي ﷺ للإشارة في بعض المواقف الاجتماعية ما يرويه أبو بريدة قال: "إنه كان مع النبي ﷺ في اثنين وأربعين من أصحابه ﷺ، والنبي ﷺ يصلي إلى المقام وهم خلفه جلوس، فلما قضى صلاته أهوى فيما بينه وبين الكعبة كأنه يريد أن يأخذ شيئا ثم انصرف إلى أصحابه فثاروا، فأشار ﷺ إليهم بيده أن اجلسوا، فجلسوا"[1].

وهكذا فإن النبي ﷺ قد استخدم الإشارة في مواقف عديدة لمخاطبة أصحابه وأمرهم ونهيهم فهي وسيلة من أهم وأسرع وسائل التواصل، وفي كثير من الأحيان تغني عن الكلام، بل قد تكون أفيد منه حيث لا يكون الصوت فعالًا في بعض المقامات دون بعض.

جـ – السماع من المتخاصمين:

إذا وقع الاختلاف ودبَّ الخلاف بين الناس وتدخل أهل الإصلاح والصلاح لتدارك المشكلات وحلها، أو بعرضها على أولي الأمر، فإنه يلزم سماع جميع الأطراف وإتاحة الفرصة لهم على قدم المساواة كبيرهم وصغيرهم، عظيمهم ووضيعهم، غنيهم وفقيرهم؛ باعتبارها إجراءات لازمة ومهمة لاستجلاء الحقيقة واستنطاق الأدلة.

يقول الله ﷻ: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٨٣/ ٧١)، برقم (٢٢٩٧٢)، وفي أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، محمد بن إسحاق الفاكهي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ، (١/ ٤٦٠)، برقم (١٠١١).

فِي ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾[1].

ففي هذه الآيات الكريمة دلالة على وجوب سماع جميع الخصوم والإنصات إلى حجة كل خصم لمعرفة موطن الخلل ومكمنه، حتى يمكن بعد ذلك أداء الحقوق إلى أهلها، والوصول إلى حل المشكلات، وفض المنازعات.

فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: تبعثني إلى قوم ذوي أسنان، وأنا حدث السن، قال: «**إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول**»؛ قال علي فما زلت قاضيا[2].

لهذا، فإن سماع جميع الأطراف في حياد وعدالة هو تأسيس وتمهيد للحكم الحصيف، والقضاء الرصين، وسبيل إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل.

د- أخذ رأي من يعينه على حل المشكلة:

فلقد رغَّب القرآن الكريم في الشورى وحث عليه؛ قال الله ﷻ: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ**﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾[4].

---

(١) سورة ص الآيات: من ٢١-٢٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين، كتاب: الأحكام، باب: استماع بيان الخصمين، (٤/ ٩٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

(٤) سورة الشورى الآية: ٣٨.

وقد مرّ معنا مناقشة الأقوال التي اجتهدت في تفسير أمر الله تعالى لنبيه بالشورى، مع عدم حاجته ﷺ إلى الاستعانة بآراء صحابته؛ حيث أغناه الوحي عن ذلك، وقد ذكرنا قول ابن حجر، والفخر الرازي، ولا غرو إن أعدناهما:

قال ابن حجر: "وقد اختلف في متعلق المشاورة فقيل في كل شيء ليس فيه نص، وقيل في الأمر الدنيوي فقط، وقال الداودي إنما كان يشاورهم في أمر الحرب مما ليس فيه حكم لأن معرفة الحكم إنما تلتمس منه"(١).

وقال الفخر الرازي: "والتحقيق في القول أنه تعالى أمر أولي الأبصار بالاعتبار فقال: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾(٢).

وكان عليه السلام سيد أولي الأبصار، ومدح المستنبطين فقال:﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾(٣).

وكان أكثر الناس عقلا وذكاء، وهذا يدل على أنه كان مأمورا بالاجتهاد إذا لم ينزل عليه الوحي، والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة فلهذا كان مأمورًا بالمشاورة"(٤).

ولقد استجاب النبي ﷺ لربه خير استجابة إذ استشار صحابته في مواضع عديدة، ومواقف عظيمة، اتصلت أحيانًا بمصير الأمة وعاقبتها:

فمنها: أخذه ﷺ بمشورة أبي بكر، وتركه رأي عمر رضي الله عنه في أسارى بدر.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١٣/ ٣٤٠).

(٢) سورة الحشر الآية: ٢.

(٣) سورة النساء الآية: ٨٣.

(٤) تفسير الرازي، مرجع سابق، (٩/ ٤١٠).

وفي غزوة الأحزاب أخذه بمشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق؛ ومواقف أخرى لنا فيها العبرة بعدم الاستئثار بالرأي.

والأسوة الحسنة برسول الله ﷺ الذي كان مؤيدًا بهداية رب العالمين إلى الخير كله، ومع ذلك أمر باستشارة صحابته شحذًا للعقول وحثًّا على الاستنباط وتحمل التَّبِعة.

ومن المناسب اختصار الجهود وتوفير الأوقات واستبعاد سقيم الآراء وضعيفها، والاكتفاء بآراء ذوي العقول النابهة والخبرات النابغة كل في مجاله واختصاصه.

وتطبيقًا لذلك، يلزم الداعية الاهتداء بهدي النبي ﷺ، ومنهجه في الأخذ بوسيلة الشورى في حل المشكلات الاجتماعية المختلفة، والاهتداء بآراء ذوي العلم والفهم فيما لا نص فيه من القرآن أو السنة، غير مستصغر لأحد ولا مستهين برأي، فربما أصاب رأي غير متوقع كبد الحقيقة، وعين الصواب؛ فيهتدي الداعية أو المصلح إلى أيسر سبيل.

هـ- اليسر وعدم التشدد:

فاليسر أحد السبل المباركة الطيبة ذات الآثار الإيجابية لعلاج الكثير من مشكلات شئون الحياة، ومن مرادفات اليسر (الرفق)، والذي بين النبي ﷺ فضائله في قوله ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه، ولا عزل عن شيء إلا شأنه**»[1].

وقد أثنى الله تعالى على حسن خلق النبي الكريم ﷺ ورفقه فقال: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده، (٤٢/ ٤٦٧)، برقم (٢٥٧٠٩)، عن عائشة ﷺ، وقال الألباني في صحيح الترغيب، برقم (٢٦٧٢): حسن صحيح.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

فقد كان رسول الله ﷺ يعيش التيسير، ويتمثل به في سائر أحواله وشؤون حياته، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «**ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه**»(١).

ومر في غير موضع من هذا البحث الإشارة إلى مواقف عديدة من تيسير النبي ﷺ ورفقه بصحابته الكرام، بل وبالناس جميعًا حتى رأينا رفقه ﷺ بالحيوانات والدواب، ويدل على ذلك نهيه ﷺ عن اتخاذ الدواب كراسي(٢).

ويتأكد الرفق في حق الداعية حال تصدِّيه لحل المشكلات الاجتماعية؛ فإنه لا شك عرضة لانفعال أطراف المشكلة وتعصبهم خلال مناقشة ما شجر بينهم، وجبر ما انكسر لديهم، فعندئذ يلزمه ضبط نفسه، والتزام رفقه برفقائه، وحرصه على تأليف جلسائه، أملا في انصرافهم، وقد عاد السرور إلى قلوبهم، وملأ الرضا صدورهم بعد أن تم التوفيق، وزالت أسباب الخلاف، وارتفع من بينهم الخلاف، فقاموا متحابين، وتفرقوا متصالحين، ببركة رفق الداعية والتزامه اليسر والتيسير، فمن الله عليه بالتأييد والتوفيق. والله تعالى بيده القلوب يقلبها كيف يشاء.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، (٤/ ٢٣٠)، برقم (٣٥٦٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٢٩/ ٥٩٠) برقم (١٨٠٥٢)، والطبراني في "الكبير"، (٢٠/ ٤٣١)، والحاكم في المستدرك، (١/ ٤٤٤)، و (٢/ ١٠٠)، والبيهقي في "السنن"، (٥/ ٢٥٥) من طرق عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

و- إدخال السرور على الآخرين:

فقد اتَّخذ النبي ﷺ هذه الوسيلة؛ لما تمثله من إدخال السرور من عنوان لصاحبه، ووسيلة مسبقة تعبر عن المحبة والود المكنون.

وقد حث المنهج النبوي على نشر البهجة، وإدخال السرور على أفراد المجتمع وآحاده، فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»[1].

وقال هند[2] ابن أبي هالة ﷺ: "كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخُلق، ليِّن الجانب، ... "[3].

ومن مظاهر إدخال السرور على الناس: الزيارات الودية الأخوية، فقد كان النبي ﷺ يتعاهد أولاد ابن عمه جعفر بن أبي طالب ﷺ بالزيارة، حيث كانوا يرون فيه ﷺ الشبه

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في صنائع المعروف، (٢/ ١٨٦) برقم (١٩٥٧)، ابن حبان في "صحيحه" (٢/ ٢٢١)، برقم (٤٧٤) قال الشيخ الألباني: صحيح؛ وهو عن أبي ذر قال: قال رسول الله: تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة" رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه وزاد: "وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة".

(٢) هو: هند ابن أبي هالة النباش بن زرارة، ويقال زرارة بن النباش التميمي ربيب النبي ﷺ، أمه خديجة زوج النبي ﷺ، روى عنه الحسن بن علي صفة النبي ﷺ، وشهد بدرا والمشاهد، وشهد مع علي الجمل وصفين والنهروان، وسكن البصرة وتوفي بها. ينظر: تهذيب التهذيب، (١١/ ٧٢)، والإصابة، (٦/ ٥٥٧- ٥٥٨)، والجرح والتعديل، (٤/ ١١٦).

(٣) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، باب: الهاء، (٢٠/ ١٥٥).

التام بأبيهم[1]، فكانوا يسعدون أيما سعادة بقدومه عليهم، وهم دون الحلم معتقدين أنه ﷺ أبوهم جعفر رضي الله عنه، وكان ذلك منه ﷺ بقصد إدخال السرور عليهم، وبث الطمأنينة في قلوبهم الغضة الطرية، واعترافًا بفضل أبيهم وبلائه في الإسلام، ويدل على ذلك ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأسماء بنت عميس[2] رضي الله عنها: «**ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة، قالت: لا ولكن العين تسرع إليهم قال أرقيهم، ..**»[3]؛ يعني أولاد جعفر ابن أبي طالب.

ومن طرق إدخال السرور على المدعويين أن يقوم الداعية بإعلان المحبة لمن أحببه، والبذل والجود، والسعي في قضاء حوائج المدعويين، وإغاثة ملهوفهم، وصلة رحمهم، وفك العاني، وحسن الجوار والمعشر؛ وعلى الجملة سائر وجوه البر والمعروف، ولا شك أن أعظمها منزلة وأحبها إلى الله تعالى الإصلاح بين المتخاصمين وخاصة إذا كانوا ذوي

---

(١) أخرجه الترمذي عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال لجعفر بن أبي طالب: "أشبهت خلقي وخلقي" وفي الحديث قصة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن إسرائيل .. نحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح. قال الشيخ الألباني: صحيح، جامع الترمذي، الحديث رقم (٣٧٦٣).

(٢) هي: أسماء بنت عميس الخثعمية صحابية تكنى بأم الهجرتين، أسلمت قبل دخول النبي دار الأرقم، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب وهي عروس فولدت له في الحبشة عبد الله وعون ومحمد، وعادت إلى يثرب سنة ٧هـ مع زوجها وأبنائها، فلما قتل زوجها بمؤتة سنة ٨ هـ، تزوجها أبو بكر الصديق، ثم لعلي بن أبي طالب، توفيت سنة ٣٨ هـ، وقيل: بعد سنة ٦٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١/ ١٨٤)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٣/ ٣٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب: السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة ، (٤/ ١٧٢٦)، برقم (٢١٩٨).

رحم واحدة، أو بين زوجين متجافيين بينهما ذرية يخاف عليها من كيد الشيطان إذا اتسعت هوة الشقاق، وانتهت إلى الطلاق.

وعندما يهيئ الداعية أطراف النزاع من أصحاب المشكلة بإدخال السرور عليهم ولو على حدة، فإنه بذلك يهيئ أرضية الإصلاح، ويوفر المناخ الباعث على سماحة النفوس واستمكان الرضا وقبول الآخرين، فتصبح المشكلة ماضيًا منسيًّا، ويستحيل الخلاف إلى وفاق وتلاق، واتفاق على البر والإصلاح، فتصبح البيئة النفسية لدى المدعويين تربة خصبة لبذْرِ بذور الود، والإخاء، والتراحم؛ فيستطيع الداعية أن يجعل من هذه الوسيلة علاجًا فعالًا نافعًا ناجعًا لحل المشكلات الاجتماعية.

ز- مراعاة أحوال بعض المخطئين:

من رحمة الإسلام وسبقه وتفرده ما اتسم به المنهج النبوي في حل المشكلات الاجتماعية من مراعاة تلك العوامل النفسية، والظروف الاجتماعية، والخلفية التاريخية وغيرها من ملابسات تحيط بصاحب المشكلة الاجتماعية بصفة خاصة، أو تحيط بكل من ارتكب خطأ بصفة عامة؛ ويتبين ذلك من خلال عدة ضوابط استثنائية اتسم بها منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية، ويمكن التمثيل لهذه الضوابط بما يلي:

- الجهل عموما في ارتكاب الأخطاء وقد مر معنا في هذا السياق العديد من الأمثلة النبوية التي تؤكد مراعاة المنهج النبوي لأحوال المخطئين.

- حداثة العهد بالإسلام، فقد راعى المنهج النبوي هذا الأمر جيدًا في حال المدعويين؛ وقد مر قول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: « **يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك**

لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة»[1].

وقد كان النبي يتألف حديثي العهد بالإسلام ويتعاهدهم بالإنفاق، تأليفًا لقلوبهم، وتثبيتًا لإسلامهم استجابة لأمر الله تعالى في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[2].

فقد جعل الإسلام للمؤلفة قلوبهم مصرفًا شرعيًا يصح فيه إخراج الزكاة، مراعاة لهم، وتوددًا إليهم.

ح- وضع العلاج المناسب للمشكلة:

فالاجتهاد في إيجاد الحلول المختلفة للمشكلات الاجتماعية واختيار الأنسب والأقوم سمة وميزة اتسم بها منهج النبي ﷺ وحرِص عليها ﷺ، حيث اختلفت وسائل حل المشكلات باختلاف طبيعة كل مشكلة، ويمكن الاستهداء بالوقائع العملية على ذلك من سيرة النبي ﷺ، ففي قصة الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ والمسلمين في غزوة تبوك وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، حيث حاولوا الخروج مع الرسول ﷺ، وجهزوا جهازهم، لكن قُدِّرَ لهم القعود، وباستثناء جميع المخلفين دون عذر، أراد الله تعالى التوبة على هؤلاء وتطهيرهم، فنزل

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها، (٤/ ٩٨)، برقم (٣٣٠٨).

(٢) سورة التوبة الآية: ٦٠.

الوحي على النبي ﷺ بحل مشكلتهم، وكان الحل هو أن يهجرهم الرسول ﷺ والمسلمون والمجتمع كله حتى زوجاتهم[1].

ولقد صور القرآن الكريم هذا الحدث في قوله ﷻ: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[2].

ومع أن المجتمع المدني كانت تتواجد فيه طائفة المنافقين الذين مردوا على النفاق، ودرجوا على إيقاع الرسول ﷺ والذين آمنوا معه في مواقف محرجة بانفلاتهم وهروبهم وقت الأزمات الشديدة، ثم يجيئون كل مرة معذِّرين متخذين أيْمانهم جُنَّة فلا يُلقِي لهم الرسول ﷺ بالا، أما هؤلاء الثلاثة فهم من المؤمنين وليسوا البتة منافقين، بل من الصادقين، ولهذا ناسب هذه المشكلة الاجتماعية -التي تعد عسكرية- التي وقعوا فيها أن يكون الحل العقابي هو هجر القائد والمجتمع لهم، وامتد ذلك خمسين يومًا متتابعة.

ثانيًا - الدروس المستفادة من أساليب النبي ﷺ في حل المشكلات، وتتضح هذه الدروس من خلال عرض النقاط التالية:

إن من الحكمة في علاج المشكلة والإصلاح الاقتصار من الأسلوب على ما يكون كافياً في ردع المخطئ، وإصلاح الخطأ، دون الزيادة على ذلك، من التوبيخ والتجريح من مراعاة حال المخطئ وظروفه ودرجة الخطأ.

---

(١) القصة أخرجها البخاري في "صحيحه" مطولة عن كعب بن مالك، في كتاب: المغازي، باب: غزوة تبوك، (٦/ ٣)، برقم (٤٤١٨).

(٢) سورة التوبة الآيات: ١١٨ ، ١١٩.

أ- أسلوب المبادرة:

فللمبادرة أثر عظيم في تحجيم المشكلات الاجتماعية وتجميدها، وتضييق الخناق على أطرافها قبل استفحالها واتساع الخرق على الراقع، خاصة إذا كان التراخي والتأخر عن الشروع في حل المشكلة من شأنه أن يؤدي إلى مزيد من التعقيدات التي ستمثل لاحقًا عقبات في سبيل الوصول إلى حل ناجع، وسريع، وشامل في الوقت نفسه.

ومن هنا يبرز الأثر الإيجابي العظيم للمبادرة في سرعة حل المشكلات وحصر آثارها، وقد مر بيان موقف النبي ﷺ من تلك المشكلة الاجتماعية التي كادت العصبية فيها تعصف بوحدة المجتمع المدني بعنصريه من المؤمنين المهاجرين والأنصار حين أطلت العصبية الجاهلية برأسها في حوار غير موفق بين اثنين من الصحابة؛ فعن جابر بن عبد الله يقول كنا في غزاة قال سفيان يرون: أنها غزوة بني المصطلق فكسع[1] رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار؛ فقال المهاجري: ياللمهاجرين، وقال الأنصاري: ياللأنصار فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: «**ما بال دعوى الجاهلية**»؛ قالوا رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**»؛ فسمع ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فقال أوَ قد فعلوها؟! والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؛ فقال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق؛ فقال النبي ﷺ: «**دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**»[2]؛ فقال له ابنه عبد الله ابن عبد الله: "والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل"[1].

---

(١) الكسع: هو الضرب من الخلف.

(٢) صحيح البخاري في كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقين: ٨]، (٣/ ٣١١) برقم =

ففي هذه الهدي النبوي الشريف بادر النبي ﷺ بتحذير كل من المهاجرين والأنصار من دعاوى الجاهلية، وأخبر بأنها منتنة كريهة لا تليق بهم بعد إسلامهم.

فالواجب على الداعية الاقتداء بمنهج النبي ﷺ، وحسن التأسي به في المبادرة والإيجابية إلى حل المشكلات والسعي إلى تداركها قبل استفحالها وتضخمها حتى وإن لم يدعه إلى ذلك أحدا.

ب- أسلوب القدوة الحسنة:

فقد أخبر الله تعالى عن نبيه ﷺ أنه القدوة والأسوة الحسنة لهذه الأمة، يقول ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2].

ولذلك ما أمر النبي ﷺ أمته بأمر إلا كان أول الممتثلين له والراضين به، وما نهى عن أمر إلا كان ﷺ أشد الأمة انتهاء عنه، واجتنابًا له.

ويسري ذلك على ما كان يقدمه ﷺ من حلول للمشكلات المختلفة، فقد كان ﷺ قدوة وأسوة فيما يقدمه من حلوله للمشكلات الاجتماعية، ففي علاجه مشكلة الفقر والفاقة تبين أنه كان ﷺ ينفق، ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، كما وصفه بذلك أحد الصحابة ﷺ الذين أصابتهم الفاقة، فقد روى الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: "ما سُئل

(٤٩٠٧)، ومسلم في كتاب: البر والصلة، باب: نصر الأخ ظالما أو مظلوما، (٤/ ١٩٩٨) برقم (٢٥٨٤).

(١) أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب: ٦٣، (٥/ ٤١٧)، وصححه الألباني، برقم (٣٣١٥).

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٢١.

رسول الله على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم لا يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها"[1].

وتقول عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير[2].

وفي الملمات والنوازل كان ﷺ المقدام الجسور، السباق إلى مقارعة الأبطال ومجابهة الأهوال، وقد مرت القصة أنه ذات ليلة سمع الناس جلبة في المدينة فخرجوا يستطلعون الأمر فوجدوا رسول الله ﷺ راجعًا من موقع الجلَبة وقد بادر إلى استجلاء الأمر وطمأن أهل المدينة[3].

ففي كل النماذج السابقة كان النبي ﷺ هو القدوة الحسنة الذي يبدأ بنفسه، ليتأسى به من حوله من أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال: لا. وكثرة عطائه ، (٧/ ٧٤)، برقم (٦١٦١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، (٤/ ٤٩)، برقم (٢٩١٦).

(٣) فزع أهل المدينة ليلا فركب النبي ﷺ فرسا لأبي طلحة عريا، فلما رجع قال: لن تراعوا، إني وجدته بحرا.

جـــ- أسلوب الحوار المقنع:

وقد علمنا القرآن الكريم هذا الأسلوب مع غير المسلمين؛ فقال الله تعالى لنبيه ﷺ:﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[1].

وفي موضع آخر يأمر الله تعالى نبيه بمخاطبة أهل الكتاب، فيقول ﷻ:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

وفي المنهج النبوي مواقف كثيرة ومشاهد عديدة أكَّد فيها النبي ﷺ على أهمية الحوار المقنع والمثمر، والإقناع العقلي والحجة المنطقية لحل المشكلات ودرء الملمات.

وقد مرَّت قصة الشاب الذي جاء إلى النبي ﷺ يريد رخصة في الزنا، وسردنا الحوار الهادئ الجميل بين النبي ﷺ وبين الشاب، والخاتمة المنطقية لهذا الحوار النبوي الذي عالج هذه المشكلة في يسر، وهدوء، وحوار بناء.

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا ما جاء في صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي: "كانت لي جاريةٌ ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانيَّة، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاةٍ من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسفُ كما يأسفون، لكني صككتها صكَّةً،

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥١.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٦٤.

فأتيت رسول الله، فعظَّم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها، قال: «ائتني بها»، فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟»، قالت: في السماء، قال: «من أنا؟»، قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»"[1].

ففي هذا الحديث تَنَزَّل النبيُّ مع الجارية وحدثها بما تعقل، وسألها عن أمرين من أعظم الأمور في الدين وهما الإيمان بأن الله في السماء، والشهادة للنبي بالرسالة.

وعليه فالواجب في حق الداعية التحلي بملكة المحاورة واكتساب المهارات التي تجعل من الحوار أسلوبًا فعالاً لحل المشكلات، لذا ينبغي أن يتسم الحوار الهادف بعدت سمات، من أهمها:

- مراعاة أحوال المحاورين (أطراف المشكلة).
- استعمال الألفاظ والعبارات المألوفة لديهم.
- الإقبال على أطراف الحوار المقابلين.
- لين الجانب والحظر من استعراض المهارات وبسط العضلات اللفظية.
- مخاطبة الناس على قدر عقولهم.
- الحرص على عدم تجريح مشاعرهم وثلم أحاسيسهم.

د- أسلوب التفاوض:

وهو طرح عدة حلول للمشكلة الاجتماعية والتباحث حول ما يناسب الأطراف المختلفين الذين تجمعهم المشكلة الاجتماعية.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: المساجد، باب: تحريم الكلام فى الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، (٢/ ٧٠)، برقم (١٢٢٧).

وقد سبق إيراد صلح الحديبية وما اشتمل عليه من مظاهر التفاوض المختلفة، ولا بد من تذكير الداعية بالحرص على صفات المفاوض الناجح والتي يمكن استنباطها من خلال طريقة التفاوض التي أجرى بها النبي ﷺ صلح الحديبية مع مشركي مكة، مع تطويعها لدور الداعية كمفاوض يسعى إلى حل المشكلات المجتمعية المختلفة:

١- التزام الحيادية التامة، وعدم الميل إلى جانب دون الآخر.

٢- التحلي بالصبر وسعة الصدر.

٣- التحلي ببعد النظر وسعة الأفق.

٤- سرعة البديهة وحسن التصرف.

٥- القدرة والمهارة على التحكم في توجيه سير التفاوض.

٦- الأخذ بروح المبادرة والابتكار إذا سدت المنافذ أمام عملية التفاوض.

هـ- أسلوب التعريض:

من الأساليب التي تستلزمها بعض الأحوال والظروف التي تتسم بها بعض المشكلات الاجتماعية كسبيل لحلها أسلوب التعريض، وقد بوب البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب (المعاريض مندوحة عن الكذب)، وصدَّر أحاديث الباب بما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في مسير له فحدا الحادي فقال النبي ﷺ: «**ويحك يا أنجشة، أرفق بالقوارير**»[1].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: الأدب، باب: المعاريض مندوحة عن الكذب، (٨/ ٤٧)، برقم (٦٢٠٩).

وفي القرآن الكريم إشارة إلى ذلك التعريض، ففي قصة إبراهيم عليه السلام حين حطم الأصنام: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

يقول القرطبي: "بين أن من لا يتكلم ولا يعلم ولا يستحق أن يعبد، وكان قوله من المعاريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، أي سلوهم إن نطقوا فإنهم يصدقون، وإن لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل، وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بأنه هو الفاعل وهذا هو الصحيح لأنه عدده على نفسه، فدل أنه خرج مخرج التعريض"[2].

ومن جانب آخر، فإن التعريض بمرتكبي الخطأ دون التشهير بهم وإيذائهم أحفظ لكرامتهم وأصون لها، فهو أقرب الأساليب إلى النفس البشرية التي تكره النصيحة المباشرة، والنقد واللوم.

فكان من هديه ﷺ أنه يُشهِّر بالخطأ ويذمه ولا يشهر بصاحبه، ولذلك لم يكن رسول الله ﷺ يواجه صاحب الخطأ أمام الناس، لأن ذلك يؤدي إلى تحطيم شخصية المخطئ وأذيته وإذلاله، وإنما يشير إلى الخطأ دون صاحبه أمام الملأ فيعرف صاحب الخطأ خطأه ويتعلم ويرتدع الآخرون.

وهكذا يمكن للداعية الإصلاح وحل المشكلات مستعينًا بأسلوب التعريض إذا استلزم الأمر ذلك واجتناب اللجوء إلى الكذب.

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٦٢ ، ٦٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١١/ ٣٠٠).

و- أسلوب المداعبة:

وهو أسلوب يستميل القلوب، ويستروح النفوس، ويهدئ الثائر، ويبث الألفة بين الناس، ويدل على لين الجانب والتواضع، وقد ورد أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام وكان يهدي النبي ﷺ من البادية فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج فقال النبي ﷺ: «**إن زاهرا باديتنا ونحن حاضروه**».

وكان النبي ﷺ يحبه وكان دميما فأتى النبي يوما وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه وجعل النبي ﷺ يقول: «**من يشتري العبد؟**»، فقال: يا رسول الله إذًا والله تجدني كاسدًا فقال النبي ﷺ: «**لكن عند الله لست بكاسد**»[1].

وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**»، قال وكيع: يعني طيرًا كان يلعب به[2].

ويصح للداعية استعمال أسلوب المداعبة مع الأصحاب والأقران، وذوي القربى والأصدقاء والجيران الصالحين والذين تعرض فيهم مشكلة يحسن حلها بهذا الأسلوب النبوي اللطيف.

---

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٣/ ١٦١)، برقم (١٢٦٤٨)، وإسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين، ولم يروه إلا الترمذي في الشمائل، (١٢١)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأدب باب: الانبساط إلى الناس، (٨/ ٣٧)، برقم (٦١٢٩).

فبهذا الأسلوب النبوي الرحيم يتقرب النبي ﷺ إلى قلوب المدعويين ويتودد إليهم فيسهل بعد ذلك توجيه هذه القلوب إلى ما فيه صلاحهم عند وقوع المشكلات، وهكذا يمكن للداعية توظيف هذا الأسلوب في حل المشكلات وفق منهج النبي ﷺ في ذلك.

ز- أسلوب إظهار الغضب وعدم الرضا:

قد يلجأ الداعية إلى استخدام هذا الأسلوب فبعض الناس لا يجدي معهم التفاوض أو الحوار أو التلطف والمداعبة، وإنما يوثِّر فيهم إظهار الغضب والامتعاض، وعدم الرضا لما يتسمون به من غلظة الطبع، وجفاء النفس مع صلاحهم وإيمانهم، وإنما قد يكون ذلك لهم طبعًا وسجية، ولهذا فإن الأسلوب الناجع معهم في حل المشكلات ربما كان إظهار الغضب وعدم الرضا.

بل يجب الغضب عندما تنتهك محارم الله عز وجل، وهذا النوع ثمرة من ثمرات الإيمان، إذ إن الذي لا يغضب في هذا الموقف ضعيف الإيمان.

فلا يُعرف غضب النبي ﷺ إلا أن تنتهك محارم الله -تعالى-، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله تعالى**»[1].

وفي منهج النبي ﷺ مواقف تبين استخدام النبي ﷺ أسلوب إظهار الغضب مع أطراف المشكلة، فمن ذلك ما يروى عن عبد الله بن الزبير أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري: سرح الماء ليمر، فأبى عليه، فاختصما عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**اسق يا زبير ثم أرسل**

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام، (٧/ ٨٠)، برقم (٦١٩٥)

الماء إلى جارك». فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟! فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «**يا زبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر**»[1].

قال، فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[2].

ح- أسلوب التأنيب والتوبيخ:

قد يحتاج الداعية أن يلجأ إلى هذا الأسلوب؛ فق لجأ إليه النبي ﷺ في حل مشكلات كان تأثيرها شديدًا بحيث تعدى أسلوب إظهار الغضب وعدم الرضا إلى التأنيب اللفظي وذلك نتيجة لهول المشكلة، وحجم الآثار المترتبة عليها، مع أن النبي ﷺ لم يستخدم الكلام الجارح حتى عند توبيخه وتأنيبه للآخرين.

ومن ذلك ما يرويه أسامة بن زيد بن حارثة ﷺ قال: "بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال: فصبَّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال الرجل: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ، قال: فقال لي: «**يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟**»، قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذًا، قال:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المساقاة، باب: سكر الأنهار، (٢/ ٨٣٢)، برقم (٢٢٣١).

(٢) سورة النساء الآية: ٦٥.

«**أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله**»، قال: فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"[1].

وللداعية عند التصدي لإصلاح المشكلات الاجتماعية اللجوء إلى أسلوب التأنيب والتوبيخ خاصة إذا كانت المشكلة بالغة يمكن أن يترتب عليها آثارًا سلبية عظيمة، فله حينئذ لكي يتوصل إلى حلها اللجوء إلى هذا الأسلوب، والأمور تقدر بقدرها، فلكل حادثة حديث ولكل مقام مقال، والحكمة في وزن الأمور وتدبرها، والتبصر في المشكلات أمر موصل بإذن الله إلى حل المغلقات وفك المعضلات.

وهكذا فعلى الداعية إلى الله أن يختار لنفسه الأسلوب المناسب كل حسب حاله وزمانه ومكانه وطبيعة مدعويه وطبيعة الموقف الذي يقف فيه الداعية، فهذا هو منهج النبي ﷺ فإنه كان ينوِّع الأسلوب بحسب الظروف المحيطة حتى يمكن أن يصل إلى حل فعال لهذه المشكلة، ويشخص الدواء المناسب لكل داء اجتماعي ألمَّ بالمجتمع المسلم آنذاك.

❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المغازي، باب: غزوة مؤتة من أرض الشام، (٥/ ١٨٣)، برقم (٤٢٦٩)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، (١/ ٩٦-٩٧)، برقم، (٩٦).

الفصل الثاني

الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية، للأقليات الإسلامية والجاليات.

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية.

- **المبحث الثاني:** الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للأقليات الإسلامية والجاليات.

المبحث الأول

الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية

تعريف المجتمع لغة واصطلاحًا:

المجتمع لغة: مشتق من مالفعل "اجتمع ضد تفرق"(١).

والمجتمع: "موضع الاجتماع والجماعة من الناس"(٢).

وأما المجتمع اصطلاحًا: فهو عدد كبير من الأفراد المستقرين، تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة، تصحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها.

وقد عُرِّف المجتمع الإسلامي بأنه: "خلائق مسلمين في أرضهم مستقرون، تجمعهم رابطة الإسلام، وتدار أمورهم في ضوء تشريعات إسلامية وأحكام، ويرعى شؤونهم ولاة أمر منهم وحكام"(٣).

ومن هذا المفهوم للمجتمعات الإسلامية، سيتم استنتاج الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية، بالنسبة للمجتمعات الإسلامية ككل.

فإن المنهج النبوي قد اشتمل على علاج كامل وشافٍ لجميع مشاكل الأمة، وأنه لا سبيل إلى إصلاح شيء من أمور الخلق إصلاحًا تامًا إلا بسلوك منهج النبي ﷺ بهذا الشأن؛

---

(١) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، لبنان، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، (ص١٣٩)، مادة: (ج م ع).

(٢) المعجم الوسيط، (١/ ١٣٦).

(٣) الإسلام وبناء المجتمع، للإستاذ الدكتور/ حسن عبدالغني أبو غده وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، (ص١١).

فقد أقام للأمة المنهج القويم، والنظام السليم في شئون حياتها، وجميع النظم المخالفة لـدين الإسلام لا يستقيم بها دين، ولا دنيا، إلا إذا استُمِدت من تعاليم منهج النبوة.

إن المتتبـع لمـنهج النبـي ﷺ في حـل المشـكلات الاجتماعيـة يجـد أن المجتمعـات الإسلامية لا يمكن أن تستغني عن هذا المنهج في أي حال من الأحوال؛ وذلـك لأن الـدنيا كلها قد جاشت بمشكلات الحياة، والبشر كلهم يتخبطون في دياجير الظلـمات؛ فيهتـدون من وجه واحد ويضلون من وجوه أخرى، وقد يستقيم لهم أمر من بعض وجوهـه، ويقـع الانحراف في بقية أنحائه.

والأمة الإسلامية تعاني في الواقـع المعـاصر مـن مجموعـة مـن المشـكلات التـي لا تقتصر على جانب من الجوانب، بل تشتمل على جوانب عدة، منها ما يلي:

١- الواقع ومشكلاته، ويشتمل على مشـكلة الجهـل بحقيقـة الإسـلام، والفرقـة، واستغلال الأعداء للطائفية، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وتأثير التيارات الدخيلـة على المجتمعات المسلمة.

٢- الحقوق والواجبات، وتشتمل على حقوق القادة والشعوب وواجباتهما، وأهمية التكامل بين الجهود الرسمية والشعبية في مواجهة التحديات.

٣- الحوار في المجتمعـات الإسـلامية، ويشـمل: مفهـوم الحـوار وأثـره في عـلاج المشكلات ووحدة الأمة.

٤- الحلول، وتشمل: عرض الأنموذج الإسلامي في إصلاح المجتمع، ومنهج الإسلام في درء الفتن، وضرورة تكامل جهود العلماء، والمؤسسات الدينية، والتربوية، والثقافية والإعلامية في الإصلاح الشامل[1].

أضف إلى ذلك أن المجتمعات الإسلامية تواجه تحديات متشابكة ومتنوعة تحركها قوى الهيمنة، ومعاداة الإسلام من أعدائه، سواء كانوا أصحاب دين أو غير أصحاب دين بطرق منظمة، وغير منظمة.

ومن أهم الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية على المستوى المجتمعي مايلي:

الدرس الأول:

اهتمام المنهج النبوي في ترسيخ جانب العقيدة: إن كل مشكلة من المشكلات في المجتمعات الإسلامية فإنما سببها ضعف ولاء الناس لعقيدتهم، وتقصيرهم في أمور دينهم؛ فهناك ترابط وثيق بين المشكلات الاجتماعية والمشكلات العقدية، والإسلام يربط بين تلك المشكلات، فالعقيدة تشمل مراقبة الله ﷻ ووحدانيته، والتزام أمره ونهيه، وخوفه في الشهادة والغيب، وتقواه سبحانه في السِّر والعلانية.

والعقيدة بكل مظاهرها، والشريعة بكل أحكامها هما الأساس الأكبر الذي تبنى عليه الأسس الأخرى، إذ لا قيمة لأي أساس لا تكون العقيدة والشريعة متمثلة فيه قائمة عليه، وهذا ما ظهر جليا في منهجه ﷺ الذي رسمه للمسلمين أفرادًا وجماعات.

---

(١) ينظر: مؤتمر العالم الإسلامي، المشكلات والحلول، مكة المكرمة، من: ٢٣/ ٠٧/ ٢٠١١م - ٢٢ شعبان، ١٤٣٢هـ إلى: ٢٥/ ٠٧/ ٢٠١١م - ٢٤ شعبان، ١٤٣٢هـ.

فالاهتمام بجانب العقيدة من الأولويات التي يجب ترسيخها في قلوب المسلمين مهما خالفهم الناس وعارضوهم، فلهم في الأنبياء والمرسلين القدوة الطيبة، وفي نبينا محمد ﷺ الأسوة الحسنة، فمتى ما استجاب الناس لعقيدة التوحيد، سهلت الاستجابة لسائر الأحكام، فأكثر آيات القرآن الكريم دعوة للتوحيد، سواء كانت دعوة مباشرة، كقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]، أو كانت دعوة غير مباشرة عن طريق عرض دعوة الأنبياء -عليهم السلام-، وبيان قصصهم مع أقوامهم، ونحو ذلك، أو في عرض مخلوقات الله عز وجل؛ ليستدل بها العاقل على خالق هذا الكون، فهو المعبود وحده لا سواه.

وكل ذلك جاء في القرآن الكريم لترسيخ مبادئ العقيدة السليمة في نفوس المسلمين والمجتمع الإسلامي بأكمله، فعلى أساس هذه العقيدة تقوم الشريعة، وتنصلح العبادات والمعاملات والأخلاق بين الناس، فتكون ذلك العقيدة درعًا وقائيًا فعالًا يمكن من خلال حل المشكلات الاجتماعية، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

الدرس الثاني:

في المنهج النبوي تحققت صفة الأمن للمجتمع الإسلامي من خلال الاهتمام باستقامة سلوك الفرد، فإن الأصل في الإنسان المسلم أنه "لا يحتاج إلى رقابة القانون وسلطة الدولة لكي يرتدع عن الجرائم، لأن رقابة الإيمان أقوى، والوازع الإيماني في قلب

(١) سورة النحل الآية: ٣٦.

المؤمن حارس يقظ، لا يفارق العبد المؤمن ولا يتخلى عنه"[1]؛ وهذا ما تفتقده كافة المجتمعات الأخرى، مما جعل أمر المحافظة على أمنها عسيراً.

وفي تنفيذ العقوبات موانع لفئة من الناس عن المساس بأمن المجتمع، فإن الإسلام لا يركن في هذا المقام إلى الوازع الفردي والرقابة الجماعية فحسب حيث إن بعض النفوس تميل إلى حب السيطرة والعدوان، والقوي ميال إلى النيل من الضعيف، فقد لا تكفي والحالة هذه صيحات التهذيب والإصلاح، ولا آيات الوعيد بأليم العذاب في الآخرة للمعتدين، قد لا يكفي هذا ولا ذاك، فلابد من رادع مادي وعقاب عاجل، كي تنزجر هذه الفئة، ويعيش المجتمع آمنا[2].

الدرس الثالث:

اهتمام المنهج النبوي بتقوية الروابط الاجتماعية، وتعد العبادات بعامة من أبرز الوسائل التي تعين على تقوية الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع الواحد، فالاجتماع ظاهر في الصلوات كلها، وفي الزكاة تعامل مع ثمانية أصناف من أبناء المجتمع، ويظهر معنى الجماعة جلياً في الصوم حين يمسك أبناء المجتمع الواحد في وقت واحد، ويفطرون في وقت واحد، كذلك الحج مؤتمر جامع للمسلمين يبرز فيه مفهوم الأمة الواحدة.

أولاً: صلاة الجماعة: فقد شدد النبي ﷺ على وجوبها في المساجد، وغضب على أولئك الذين يميلون إلى الانفراد، ولا يستشعرون معنى أن يكون الواحد جزءًا من الجماعة، حين يؤدون الصلاة المكتوبة فرادى في بيوتهم، وقد بلغ الغضب بالنبي ﷺ مبلغه

---

(١) منهج الإسلام في تزكية النفس، للدكتور/ أنس أحمد كرزون، دار نور المكتبات، دار ابن حزم، ط٢، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، (ص ٨١٨).

(٢) ينظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، الدكتور/ علي السالوس وآخرون، (ص ٣٢٥)، بتصرف.

حين همَّ بإحراق بيوتهم عليهم حين قال: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم**»[1].

ثانيا: صلاة الجمعة: فتشريع هذه الصلاة الأسبوعية يفيض بالحكمة، إذ أن الحاجة تدعو أن ينتظم أبناء المجتمع الواحد في لقاء أسبوعي، لا يؤذن بالتخلف عنه إلا لصاحب عذر شرعي، قال ﷺ: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين**»[2].

إن صلاة الجمعة مؤتمر أسبوعي اجتماعي يتحقق من خلاله منافع عدة، يستمع فيه المصلون إلى توجيهات ومواعظ ترشدهم إلى الخير، وتقِّوم سلوكهم، وتعالج مشاكلهم الاجتماعية.

ثالثا: صلاة العيدين: فعن أنس ابن مالك ﷺ، قال: قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال النبي ﷺ: «**قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرًا منهما، يوم الفطر، ويوم الأضحى**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأذان، باب: وجوب صلاة الجماعة، (١/ ١٦٥)، برقم (٦٤٤)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: الصلاة، باب: فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، (٢/ ١٢٣)، برقم (١٥١٣). عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، باب: التغليظ في ترك الجمعة، (٣/ ١٠)، برقم (٢٠٣٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٣/ ١٠٣، ١٧٨، ٢٣٥)؛ وأبو داود في "سننه"، كتاب: الصلاة، باب: صلاة العيدين، (١/ ٣٦٤)، برقم (١١٣٤)؛ والنسائي، كتاب: صلاة العيدين، (٣/ ١٧٩) برقم =

فشرع النبي ﷺ في هذين اليومين صلاة العيدين، لتكون لقاء عامًا للمسلمين جميعا، ومؤتمرًا اجتماعيًا نصف سنوي لأبناء المجتمع الإسلامي كافة؛ وهذا مما يدل على أن النبي ﷺ لا يحب أن تحدث أمته أعيادًا سوى الأعياد الشرعية التي شرعها الله ﷻ.

وقول النبي ﷺ: «**إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا**»(١)، يدلُّ على اختصاص كل قومٍ بعيدهم؛ وهذا مِصداقًا لقوله ﷻ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾ ﴾(٢).

فشريعة المسلمين، وقِبلتهم، وصلاتهم، وصيامهم، وعباداتهم، تختلف تماما عن عبادات غيرهم، فكذلك أعياد المسلمين غير أعيادهم، فلا يُشاركونهم فيها، ولا المسلمين يشاركونهم في أعيادهم.

الدرس الرابع:

اهتمام المنهج النبوي بالعلم النافع، وهو كل علم يحقق مرضاة الله تعالى، ويجلب النفع لعباده، فالمنهج النبوي حرص على هذا العلم حرصا كبيرا، وهيأ له المناخ المناسب، لأنه الوسيلة الفاعلة لتحقيق مقاصد ثلاثة يحرص المجتمع عليها، وهي(٣): توجيه التفكير،

(١٥٥٧)؛ عن أنس بن مالك ﷺ، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سُنن النَّسائي، برقم (١٥٥٦).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: العيدين، باب: سنة العيدين لأهل الإسلام، (٢/ ٢٠)، برقم (٩٥٢).

(٢) سورة المائدة الآية: ٤٨.

(٣) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، المؤسسة الوطنية للكتاب ، تونس، ط٢، ١٩٨٥م، (ص ٩١).

وإصلاح العمل، وإيجاد الوازع النفسي[1]؛ فإذا تحققت هذه المقاصد الثلاثة، كان ذلك سببا مؤكًا لخلو المجتمعات الاسلامية من المشكلات.

الدرس الخامس:

اهتمام المنهج النبوي بتحقيق الوحدة الإسلامية: وهذا يكون بما تحققت به في العهد النبوي من العقيدة الصحيحة والإيمان الصادق، والعمل بكتاب الله تعالى وبسنة نبيه محمد ﷺ، والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه.

فلا يوجد منهج دعا إلى تحقيق الوحدة الإسلامية التي تتجسد في الاتحاد والتضامن والتساند والتآلف والتآزر والتعاون والتكاتف إلا منهج النبي ﷺ، فلقد حذر من التفرق والاختلاف والعداوة والبغضاء والتعصب.

ولقد ورد في المنهج النبوي المطهر أحاديث كثيرة تؤكد ما ورد في القرآن الكريم من الأمر بالوحدة والاجتماع، والنهي عن الاختلاف والفرقة، ومن تلك الأحاديث:

١ - قوله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا؛ فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[2].

---

(١) الوازع النفسي هو: الحارس الداخلي، وأصل الوازع النفسي عند الإنسان الإيمان بوجود خالق عليم رقيب حسيب، والإيمان باليوم الآخر الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، وتعرض فيه أعمالهم إن خيرا فخير وان شرا فشر، وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون، فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، فمتى كانت عقيدة المسلم سليمة معافاة من الشبه كانت أساسا صالحا للوازع النفسي أو الداخلي، وحذرا قويا له.

قال النووي -رحمه الله-: وأما قوله ﷺ «**ولا تفرقوا**»: فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام، واعلم أن الثلاثة المرضية:

إحداها: أن يعبدوه.

الثانية: أن لا يشركوا به شيئا.

الثالثة: أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا[1].

٢- ومنها، قوله ﷺ: «**عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة**»[2].

وقد تكرر منه ﷺ هذا الأمر بلزوم الجماعة في أحاديث أخرى كثيرة.

وبالرغم من تضافر الأدلة الشرعية وتواترها في هذا المعنى فإن من أكبر المصائب التي ابتليت بها الأمة الإسلامية وفتكت في سواعد قواها وأطاحت برايات مجدها الاختلاف والتفرق، وإن من أهم عوامل قوة الأمة هو الاتحاد وتعاون المنظمات الإسلامية مع العلماء في تأصيل منهج سلف الأمة في التعامل مع الاختلاف بين المسلمين، فبذلك

---

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: كتاب: الأقضية، باب: النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهى عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، (٥/ ١٣٠)، برقم (٤٥٧٨).

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم، للنووي، (١٢/ ١١).

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه" كتاب: الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة، (٤/ ٤٠٤، ٤٠٥) برقم (٢١٦٥)، من حديث ابن عمر وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقد روى من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: العلم، (١/ ١٩٧، ١٩٨) برقم (٣٨٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

تنال الأمم مجدها، وتصل إلى مبتغاها، وتعيش حياة آمنة مطمئنة، وبالاتحاد تكون الأمة محفوظة الجانب، مهيبة الحمى، عزيزة السلطان.

الدرس السادس:

في المنهج النبوي السماحة واليسر، وهي ظاهرة في ثنايا الإسلام كله، فالأحكام الشرعية مبنية عليها، فهذا قول الله تعالى ينطق بها: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

ويجمع هذا قول النبي ﷺ: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»[2].

وتظهر السماحة في المجتمع الإسلامي جلية في المواطن التي يظن فيها ظهور ضدها كالانفعال والمشادة والغضب والأنانية، وذلك في حالات البيع والشراء والاختلاط في أماكن المنافع والاحتكاك في الطرق العامة، فإن أبناء المجتمع الإسلامي يمتثلون قول النبي ﷺ: «**رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**»[3].

فالسماحة بمفهومها الواسع صفة مصاحبة لتصرفات أفراد المجتمع الإسلامي، فهم بعيدون عن الانفعالات، حذرون من المشاحنات، معرضون عن التجاوزات، وهذا ما تقتضيه الأخوة في الدين[4].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" تعليقاً، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، (١/ ١٦)، برقم (٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع، (٣/ ٧٥)، برقم (٢٠٧٦).

(٤) ينظر: الإسلام بناء ومجتمع، تأليف: أعضاء هيئة التدريس بقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود، أ. د. حسن عبدالغني أبو غدة، أ. د. زيد عمر عبدالله، أ. د. عبدالله مرحول السوالمة، د. العربي =

الدرس السابع:

أهمية الوعي بالشريعة الإسلامية من خلال قيام علماء الأمة ومثقفيها والمنظمات الإسلامية الرسمية والشعبية بتكثيف البرامج الدعوية والتثقيفية الخاصة بتوعية المجتمعات الإسلامية -لاسيما فئة الشباب- بمقاصد الشريعة الإسلامية، وأهمية تطبيقها في مختلف مجالات الحياة، والأخذ بها في حل المشكلات ومواجهة التحديات التي تواجه المسلمين.

الدرس الثامن:

اهتمام المنهج النبوي بعلاج ما وقع في المجتمع الإسلامي من ظهور بعض العصبيات والقوميات فلقد بددت القوميات والعصبيات القبلية العرب قبل الإسلام، فلم يكن لهم شريعة تجمعهم، ولا نظام يحكمهم، فلما منَّ الله عليهم بالإسلام نالوا به العزة والسيادة والسعادة.

فالإسلام قد وَحدَّ بين المسلمين على اختلاف عناصرهم وأجناسهم وبيئاتهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم، وأقام هذه الوحدة على أسس بينة وقواعد راسخة لا يتسرب إليها الضعف، ولا يتسلل إلى بنيتها التفسخ والانحلال.

ولما رأى أعداء الإسلام أن من أفضل الوسائل التي تبعد المسلمين عن منهجهم وعن دينهم أن ينشى فيهم العصبيات والقوميات، فهذه القومية العربية، وتلك القومية التركية، وثالثة القومية الكردية، ومن ثم الوطنية والإقليمية، عصبيات وإقليميات وقوميات ووطنيات مزقوا فيها شمل الأمة الإسلامية.

محمد الإدريسي، د. عبدالعزيز مختار إبراهيم د. حمدان عبدالله الشمري، مكتبة الرشد، ط٦، ١٤٢٥هـ - ٢٠١٤م، (ص٣٠).

ولما سرى سُمَّ العصبيات الموبوءة التي نقلها بالتعاون والترحيب من قبل المنتسبين للإسلام مخادعين بذلك أقوامهم وموهمين بأنهم يريدون النهوض بأوطانهم وإعلاء شأنهم أصبح الأمر معكوسا، فلم يجنوا من ذلك سوى الضعف والتفكك، والتفرق الذي مهد السبيل أمام أعدائهم للاستيلاء على خيرات بلادهم، وعلى أفكارهم، وفي النهاية أصبح أعداؤهم يتحكمون فيهم، وان أوهموهم بأن الأمر بأيديهم.

الدرس التاسع:

تبيِّن في منهج النبي ﷺ الاهتمام بمعالجة مشكلة الفقر والبطالة المنتشر في عدد من بلدان المسلمين، لما لهما من آثار سلبية على نسيجها الاجتماعي، والسعي إلى تطبيق النظم الاقتصادية المستمدة من الشريعة الإسلامية، واتخاذ الوسائل المناسبة لتحقيق التنمية الشاملة، والتعاون في ذلك.

الدرس العاشر:

تبيِّن في منهج النبي ﷺ استخدام الحوار المقنع، فإن انتهاج المجتمعات الإسلامية للحوار كوسيلة لحل المشكلات الوطنية، وسبيلا في الوصول إلى الحلول الناجعة للتحديات من الوسائل الإسلامية التي استخدمها رسل الله -عليهم السلام- والمصلحون في الدعوة وفي إصلاح أمر الأمم والشعوب، والتذكير بنهج الإسلام في الحوار الذي يحقق التواصل والتفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع ومؤسساته، ويسهم في مواجهة التحديات والخلافات وتقريب وجهات النظر.

الدرس الحادي عشر:

في المنهج النبوي يتضح أهمية أسلوب التفاوض في حل المشكلات، فالله تعالى شرع للمسلمين مفاوضة غيرهم، وعقد الصلح معهم؛ فقد تفاوض النبي ﷺ مباشرة أو من خلال وسيط مع أطراف أخرى، كالمشركين في مكة والمدينة، وكاليهود، بل إن النبي ﷺ بدأ مفاوضات قبل الهجرة، تثبيتا لدين الله ونشر دعوته، ففاوض ستة من عرب يثرب من

الخزرج في موسم الحج، وفي العام الذي تلاه عقد بيعة العقبة الأولى مع اثني عشر- رجلا، منهم عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، ثم عقد بيعة العقبة الثانية مع ثلاثة وسبعين رجلا، اثنان وستون من الخزرج وأحد عشر رجلا من الأوس، وذلك بعد عام من بيعة العقبة الأولى[1].

فبعد أن نصر- الله المسلمين في غزوة بدر الكبرى تمت مفاوضات بين المسلمين والمشركين حول الأسرى، فلقد طلب المسلمون أربعة آلاف درهم عن كل أسير، ومن يحسن القراءة والكتابة ولم يكن معه فداء يعلم عشرة غلمان من المسلمين.

ولقد أنعم الله على نبيه محمدا ﷺ بصلح الحديبية وعلمه مالم يكن يعلم من طرق المفاوضات التي تؤدي إلى النصر المبين بدون المواجهة المباشرة، وذلك عن طريق التفاوض مع المشركين، واتخاذ أسلوب المرونة في المفاوضات، واستصحاب الرؤية المستقبلية، وهذا ما كان منه ﷺ الذي قبل ألَّا يُكتَب (بسم الله الرحمن الرحيم)، وألَّا يذكر أنه رسول الله، بل إنه قبل اقتراح سهيل بن عمرو ممثل المشركين: (على ألا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا)، وكان هذا موضع اعتراض عمر بن الخطاب ﷺ، وكان هذا الصلح على ما يبدو في الظاهر فيه إجحاف بحق المسلمين وانتصار لقريش إلا أنه كان فتحًا للإسلام.

الدرس الثاني عشر:

وجوب العمل بأحكام الشريعة الإسلامية -حكومات وشعوبا- والتمسك بوسطية الإسلام، والحذر من الجفاء عنه والغلو فيه، حفاظاً على تحقق الوصف الإلهي في

(١) السيرة النبوية، أبن كثير، مرجع سبق ذكره، (٢/ ١٧٦).

الأمة المسلمة، بقوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

وقوله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[2].

الدرس الثالث عشر:

اهتمام المنهج النبوي بأهمية المبادئ والقيم الإسلامية للحكم الرشيد، كالشورى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل والمناصحة؛ والتعامل مع المصطلحات والشعارات المتداولة؛ مثل (الديمقراطية ـ الحرية ـ حكم الشعب ـ تداول السلطة ـ المساواة – الدولة المدنية ـ المواطنة) وفق الضوابط الشرعية، حذراً من منزلقات الغموض والإبهام والعموم الذي قد يبدد ما تنشده الشعوب المسلمة من تطلع إلى حكم يقوم على حراسة الدين وسياسة الدنيا، وفق أحكام الشريعة الإسلامية[3].

التحذير من الفتن، والتصدي للمحرضين عليها، والتنديد بإثارتها بين أبناء الوطن الواحد؛ من خلال الشعارات الطائفية التي تستهدف النيل من الأخوّة الإسلامية، وقد أرسى القرآن الكريم مبدأ الإخاء؛ فقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٣.

(٢) سورة النساء الآية: ٦٥.

(٣) ينظر: مؤتمر العالم الإسلامي، المشكلات والحلول، مكة المكرمة، من: ٢٣/ ٠٧/ ٢٠١١م – ٢٢ شعبان، ١٤٣٢هـ إلى: ٢٥/ ٠٧/ ٢٠١١م – ٢٤ شعبان، ١٤٣٢هـ.

(٤) سورة الحجرات الآية: ١٠.

وفي ظل التقارب في عصرنا الحاضر بين دول العالم والثورة المعلوماتية والاتصالية التي أحالت العالم إلى قرية صغيرة يعرف كل من فيها دقائق حياة من يعيشون معه فإنه أصبح من الواجب على المسلمين حل كل ما قد ينشأ من صراع بين الدول والأفراد والمؤسسات بالطرق الودية التي من أهم أشكالها عملية التفاوض، وبخاصة أن اللجوء إلى استخدام القوة لفض المنازعات وحل المشكلات أصبح ينذر بكثير من الويلات لأطراف النزاع، بل يمتد أثره إلى أطراف أخرى لا علاقة لها بهذا النزاع؛ أضف إلى ذلك أن القانون الدولي يحظر استخدام القوة في العلاقات الدولية، حيث تبلور في السنوات الأخيرة ما يعرف بالشرعية الدولية التي تردع مثل هذا الفعل وتجرمه في ضوء مصالح الدول الكبرى.

وبناء على ما سبق، فقد رسم المنهج النبوي للمجتمعات الإسلامية عدة مبادئ يسير عليها المجتمع المسلم يمكن من خلالها التغلب على مشاكله الاجتماعية التي تستجد يومًا بعد يوم؛ لأن هذه المبادئ لها القدرة على التعامل مع تلك المشكلات وإيجاد الحلول الفعالة لها سواء كانت هذه المشكلات على مستوى الأفراد بعضهم مع بعض أو كانت هذه المشكلات بين المجتمعات الإسلامية وغيرها من المجتمعات الأخرى.

❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للأقليات الإسلامية والجاليات

لقد عُرِفَ مصطلح الأقليات لأول مرة في العالم الإسلامي في إطار صراع الدولة العثمانية مع القوى الأوربية للإجهاز عليها فيما أطلق عليه: (المسألة الشرقية)، وذلك باستخدام القوى الأوربية للأقليات التي تعيش داخل الدولة العثمانية[1].

ولقد وفد هذا المصطلح من المفاهيم الغربية التي جاءت إلى واقعنا الثقافي، والاجتماعي منذ الاحتكاك بين حضارتنا الإسلامية والحضارة الغربية في العصر الحديث.

ولهذا فإن فقهاء الإسلام لم يتعرضوا لهذا الاسم حينما تكلموا عن أهل الذمة في عباراتهم الفقهية، مع أن مصطلح أهل الذمة يفيد هذا المعنى.

والسبب في عدم استخدامهم هذا المصطلح أنه في نظرهم يتعارض مع حقوق الإنسان العالمية، لأن الإسلام لا يفرق بين المسلم وغير المسلم في الحقوق والواجبات داخل الدول الإسلامية، بل إنه سوَّى بينهما طبقا للقاعدة الشرعية التي تقول: (لهم مالنا وعليهم ما علينا) فيما عدا ما يتعلق بالعقيدة.

ومن ثم فإن موقف القانون الدولي الحديث تجاه الأقليات وضرورة حمايتها وإعطائها حقوقها قد سبقه الإسلام في تقريرها.

---

(١) ينظر: نحو بناء إسلامي لمصطلح الأقلية، كمال السعيد حبيب، مجلة البيان، العدد ٩٠، يوليو ١٩٩٥م، (ص٩٧).

معنى الأقليات لغة واصطلاحًا:

أولا: المعنى اللغوي:

لقد أشارت كتب المعاجم اللغوية إلى مادة: (قلل) التي اشتقت منها كلمة الأقلية.

يقول ابن منظور[1]: "القِلَّة: خلاف الكثرة، والقُلُّ: خلاف الكُثْر وقلَّلَه وأَقلّه: جعله قليلا؛ وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل** »[2].

وأَقلَّ: افتقر، والإقلالُ: قِلّة الجِدَةِ، وقلَّ مالُه، ورجل مُقِلٌّ، وأَقَلُّ: فقير، يقال: فعل ذلك من بين أثرى، وأقلَّ أي من بين الناس كلهم"[3].

من هذا العرض يلاحظ أن استعمال كلمة (قلل) التي اشتقت منها كلمة أقلية في اللغة العربية لم يقصد به إلا للدلالة على الاستثناء والجزئية، أو التعبير عن دلالة كمية تقابل الأكثر، كقوله جل في علاه: ﴿ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾[4].

---

(١) ابن منظور: هو القاضي جمال الدين أبو الفضل محمد بن القاضي جلال الدين مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري، ولد سنة ٦٣٠ هـ، ومن أشهر كتبه: "لسان العرب"، توفي سنة ٧١١هـ. يراجع: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٧/ ٤٢١)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي، تحقيق: الدكتور/ محمد عبد المعيد خان، ط. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ط٢، ١٩٧٢م، (٦/ ١٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، (٦/ ٢٩٧)، برقم (٣٧٤٥)، ورواه ابن ماجه في التجارات، باب: التغليظ في الربا، (٢٢٧٠)، عن عبد الله بن مسعود مرفوعا إلى النبي ﷺ، وقال الحاكم، (٢/ ٤٣)، برقم (٢٢٦٢): هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، (٧/ ٤٧٨)، مادة: قلل.

(٤) سورة الأعراف الآية: ٨٦.

أي: كنتم أقلةً أذلةً فأعزكم بكثرة العَددِ والعُدَد[1].

أما إذا تأملنا ما جاء في القرآن حول هذا اللفظ فإنه ستتضح لنا آفاق أوسع للفهم حيث نجد أن هذه الكلمة استُخْدِمتْ عدة مرات في مقابلة كلمة (ثلة) لتدل على تعبير كمي في سياق كيفي؛ كما في قوله ﷻ: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

فالقلة هنا لا تعني النقص وإنما تعني التميِّز والإرتقاء.

ثانيا: المعنى الاصطلاحي فهو: "كل جماعة تعيش خارج حدود الدولة التي تنتمي إليها، بحيث يتمتع جميع أفراد الجماعة اليوم بما يسمى الجنسية.

وقيل هي: كل مجموعة بشرية في قطر من الأقطار، تتميز عن أكثرية أهله في الدين، أو المذهب، أو العرق، أو اللغة، أو نحو ذلك من الأساسيات التي تتميز بها المجموعات البشرية بعضها عن بعض"[3].

وقد بدأ ظهور هذا المصطلح في القرن الحالي حيث لم يرد له ذكر في مصادر التاريخ، أو كتب الفقه.

والمقصود بالأقليات المسلمة:

يقصد بالأقلية المسلمة: مجموعة من المسلمين تعيش تحت سلطان دولة غير مسلمة في وسط أغلبية غير مسلمة، أي أنها تعيش في مجتمع لا يكون فيه الإسلام الدين السائد، أو

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم الزمخشري، ط. مكتبة مصر، د. ت. (٢/ ١٧٦).

(٢) سورة الواقعة الآية: ١٣ ، ١٤.

(٣) فقه الأقليات المسلمة، يوسف القرضاوي، مكتبة دار الشروق، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، (ص١٥).

الثقافة الغالبة ومن ثم لا يحظى فيه الإسلام بمؤثرات إيجابية تساعد على ازدهار مثلَه ومبادئه، وقد يعاني المسلمون في حالات كثيرة من جهود ترمي إلى علمنتهم، وإبعادهم عن مثلهم الدينية، وإدماجهم في ثقافة المجتمع الغالبة.

كذلك يمكن تعريف الأقلّيات المسلمة: بأنهم المسلمون الذين يعيشون في البلدان غير العضو بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعددهم حوالي (٤٥٠) مليون مسلم، يتوزعون على قارات العالم الست، أي ما يقرب من ثلث عدد المسلمين[1].

لم يكن هذا المبحث بصدد معرفة أعداد الأقليات والجاليات المسلمة وأماكن تواجدهم في أنحاء العالم، أو بيان نسبتهم في كل دولة، أو معرفة الأسباب التي أدت إلى نشأة تلك الأقليات والجاليات المسلمة، ولم يكن الهدف ذكر الممارسات الغربية غير العادلة تجاه الأقليات والجاليات الإسلامية في بلدان غير المسلمين حيث إن ذلك يحتاج إلى أطروحات لتؤدي بيان ما يمارس تجاه المسلمين من تعسف واضطهاد وتضييق وغيره.

إنما الذي يهم الباحث في هذا الصدد هو استخلاص الدروس التي تستفيد منها تلك الأقليات والجاليات الإسلامية وفق منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية -عنوان موضوع هذه الدراسة-:

إن "أهم ما يحرك الإهتمام بقضية الأقليات المسلمة دافع أساسي ينبني على رباط الأخوة في الدين التي هي من أوثق عرى الإيمان وهو الذي يدفع بقوة لتغيير النظرة الحالية

---

(١) ينظر: دراسة بعنوان: مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، إعداد أحمد عبدالغني محمود عبدالغني، (ص ١٤). (مادة مرشحة للفوز بمسابقة كاتب الألوكة الثانية).

إلى الأقليات من قضية هامشية لا تعيرها غالبية الدول والشعوب الإسلامية كبير إهتمام إلى إحدى القضايا الهامة التي يجب أن توضع ضمن أولويات أجندة المسلمين"[1].

إن مشكلات المسلمين الاجتماعية في كل مكان هي ذات طابع واحد، إلا أنها قد تختلف بعض صورها وأشكالها وبعض عناوينها، ولكن يبقى جوهرها ومضمونها واحدا، ذلك أن العوامل والأسباب والمخططات المرسومة لعالم المسلمين واحدة.

"ولعل من أبرز التحديات والمشكلات التي تواجهها الأقليات والجاليات المسلمة في العالم أجمع فقدانهم التدريجي لهويتهم الإسلامية، وربما كان ذلك بتعرضهم لحملات منظمة تسعى إلى طمس تلك الهوية واستبدالها بما لم يُنزِل به الله تعالى من سلطان"[2].

لقد "أثبتت التجربة أن إهمال الأقليات ومشاكلهم وهمومهم يؤدي لتضخم تلك المشاكل وتحول البعض منهم في حالات خاصة لخط هجوم جديد ضد الإسلام والمسلمين، كما يحاول الغرب في صراعه الحضاري مع المسلمين والإسلام أن يبني جزء من مشروعه التهميشي للحضارة الإسلامية على استغلال بعض مسلمي الأقليات كنقاط ضعف يحاول من خلال التأثير عليهم اختراق بعض الأصول الإسلامية وتغييرها، والترويج لمفاهيم غربية ترتدي عباءة الإسلام وتقدم بأيادي مسلمة"[3] .

---

(١) الأقليات المسلمة رقم مغيب ورابطة مفقودة، محمد عادل، نقلا عن موقع لواء الشريعة، على الرابط التالي: <http: //www.shareah.com/index.php?/records/view/action/view/id/988/>

(٢) مقال بعنوان: الملك فهد ودعم الأقليات المسلمة في العالم، متعب بن صالح العشيوي، جريدة الشرق الأوسط، الأحد ٢٤ شعبان ١٤٢٢هـ ١١ نوفمبر ٢٠٠١م، العدد (٨٣٨٤).

(٣) المرجع السابق.

فالأقلّيات المسلمة بصفة عامة هم جزء من هوية الأمة، والحفاظ عليهم من التغريب والذوبان والدمج القسري هو حفاظ على جزء هام من هوية الأمة الإسلامية وبقدر ما يتاح لهذه الأقلّيات من حرية العقيدة وحرية العبادة، بقدر ما يمكنها المحافظة على تراثها وهويتها الثقافية.

ومعظم مشكلات الأقليات الإسلامية في دول شرق آسيا "تتركز في الفقر، والمرض، والتعليم، إضافة إلى المشكلات السياسية للأقليات المسلمة في جنوب الفيلبين، وفطاني، وميانمار، وكشمير، والصين؛ وحرمانهم من بعض حقوقهم، ومنها المواطنة من الدرجة الأولى"[1].

إلا إذا ألتزمت تلك الأقليات والجاليات بالمنهج الرباني الذي رسمه نبينا محمد ﷺ اعتقادا وتطبيقا.

والاهتمام بالجاليات والأقليات الإسلامية لم يكن حديث عهد، بل اشتملت السيرة النبوية على نماذج من اهتمام النبي ﷺ بهذه الفئات منذ بزوغ شمس الإسلام وإشراقها على العالم؛ ويمكن القول بأن بوادر هذا الاهتمام بدأت في عهد النبي ﷺ نفسه، فقد استعرض البلدان كلها ليرى أي الأماكن تصلح دار أمن يهاجر إليها المؤمنون بدعوته فلا يعارضهم

(١) مقال بعنوان: المؤتمر الإسلامي يسعى إلى تحسين أوضاع الأقليات المسلمة في آسيا وإفريقيا، طلال داعوس، جريدة الرياض، الأربعاء ٤ ربيع الأول ١٤٢٩هـ -١٢مارس ٢٠٠٨م، العدد رقم، (١٤٥٠٦).

أحد أرشدهم إلى:«**إنَّ بأرض الحبشة ملكا لا يُظلمُ عنده أحدٌ، فالْحقوا ببلاده حتى يجعل اللهُ لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتُم فيه**»(١).

وكذلك اتضحت بوادر الاهتمام من خلال الرسل الذين بعثهم رسول الله ﷺ إلى الملوك ورؤساء الدول في عهده، بحيث يعد هؤلاء ودورهم أول احتكاك للإسلام بالعالم الخارجي، كما أنهم يُعْدَّون الطلائع الأولى للأقليات الإسلامية والجاليات.

ومن هذا المنطق، ومن اهتمام النبي ﷺ بحلول مشكلات الأقليات الإسلامية والجاليات، نستنتج العديد من الدروس المستفادة من المنهج النبوي تجاه هذه الأقليات والجاليات، والتي تعيش بين أظهر غير المسلمين في شتى البلدان، فمن أبرز تلك الدروس مايلي:

أولا: ما يخص ملوك ورؤساء الدول الإسلامية تجاه الأقليات الإسلامية والجاليات:

الدرس الأول: أكد المنهج النبوي أن جميع المسلمين جسد واحد، وأمة واحدة، مهما تعددت أجناسهم ولغاتهم، وتباعدت أوطانهم، قال الله ﷻ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٢)؛ وقال سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(٣).

---

(١) رواه البيهقي في "السنن الكبرى" كتاب: السير، باب: الإذن في الهجرة، (٩/ ١٦)، برقم (١٧٧٣٤)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٧/ ٥٧٧)، برقم (٣١٩٠)، وكذلك في السيرة النبوية، لابن هشام، (٢/ ١٦٤)، مرفوعا عن أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) سورة الحجرات الآية: ١٠.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه**»[1]؛ وقال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[2].

فعلى هذا الأساس وجب على ولاة أمور المسلمين التواصل والترابط مع الأقليات وذلك بما يعمق مشاعر الأخوة، ويعزز الانتماء إلى الإسلام، والمحافظة على بقاء هويتهم[3]، وسلامة عقيدتهم؛ من خلال ما يلي:

١ - الاستفادة من تعاملات النبي ﷺ الدبلوماسية مع رؤساء الدول الغير إسلامية والتي يوجد بها أقليات مسلمة أو جاليات، فمن حكمته ﷺ اعتماده لغة المجاملة في مخاطبة بعض الملوك والأمراء.

وقد ظهر ذلك في رسائله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم، وإلى كسرى، وإلى سائر الزعماء والملوك، فلم تحمل رسائله تهديدا ولا توبيخا، بل مدح بعضهم واثنا عليه، ومثاله مدحه للنجاشي ملك الحبشة: «**إن بأرض الحبشة ملكا لا يُظلمُ عنده أحد**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: المظالم، باب: نصر المظلوم، (٣/ ١٦٩)، برقم (٢٤٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: البر والصلة والآدب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٨/ ٢٠)، برقم (٦٧٥١).

(٣) تمثل معركة طمس الهوية ضرباً خطيرًا من ضروب الحرب التي تستهدف المسلمين في كيانهم كأمة ذات رسالة، وفي أمنهم وفي سلامة عقيدتهم، وتتضافر جهود كبيرة من أعداء الإسلام لتحقيق ذلك بشتى الوسائل والأساليب، ومن ذلك المناهج العلمية والإعلام.

(٤) تقدم تخريجه، (ص٢٤١).

٢- إن معاملات النبي ﷺ مع الدول غير المسلمة تؤكِّد عمق تفهُّم رسول الله لطبيعة هذه الدول ودبلوماسيته الرائعة في إنزال الناس منازلهم.

٣- إن المعاملة الحسنة من قبل رؤساء الدول الإسلامية مع نظرائهم رؤساء الدول التي يوجد بها أقليات مسلمة من أهم الأسباب التي تهيئ لتلك الأقليات تعاملا حسنا وجوا متوافقًا مع معتقداتهم وشعائرهم الدينية.

ويدل على ذلك حسن معاملة ملك الحبشة واهتمامه بالأقلية المسلمة حيث أنه حين تنصر عبيد الله بن جحش زوج السيدة أم حبيبة[1] رضي الله عنها "قام النجاشي بمهمة تزويجها للنبي ﷺ ومهرها أربعة آلاف، ثمَّ جهَّزها من عنده وبعث بها إلى رسول الله مع شرحبيل بن حسنة، وجهازها كلُّه من عند النَّجاشيِّ، ولم يرسل إليها رسول الله بشيءٍ"[2]؛ وهو ما يؤكده جواب النجاشي لرسول الله بقوله: "إني قد زوجتك امرأة من قومك وهي على دينك أم حبيبة بنت أبي سفيان وأهديت لك هدية جامعة قميصا وسراويل وعطافا وخفين

(١) هي: أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان الأموية القرشية الكنانية، صحابية من المهاجرين والسابقون الأولون، كانت تحت عبيد الله بن جحش، فولدت له حبيبة فكنيت بها، و هاجرت معه إلى الحبشة، فارتد عبيد الله و تنصر و توفى هناك، و ثبتت أم حبيبة على دينها و هجرتها، خطبها النبي عليه الصلاة والسلام، وابتنى بها بعد رجوعه من خيبر، توفيت سنة ٤٢ أو ٤٤ أو ٥٠ من الهجرة. ينظر: سير أعلام النبلاء، (٣/ ١٩٣)، والبداية والنهاية، (٥/ ٢٩٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٤٥/ ٣٩٨)، برقم (٢٧٤٠٨)، ورواه أبو داود في "سننه" كتاب: النكاح، باب: الصداق، (٢١٠٧)، والنسائي في النكاح، باب: القسط في الأصدقة، (٦/ ١١٩). وصححه الذهبي.

ساذجين[1]، فتوضأ النبي ﷺ ومسح عليهما، قال: سليمان، قلت: للهيثم، ما العطاف؟، قال: الطيلسان"[2].

٤- أنه عندما تشعر تلك الدول وغيرها أن وراء هذه القلة المسلمة دول تتألم لآلامهم، وتهتم بشؤونهم سوف تنصاع لمطالبهم، وترفع يدها عن ظلمهم، ولا سيما أن غالب تلك الدول بحاجة إلى البلاد الإسلامية في الشؤون الاقتصادية وغيرها[3].

٥- إن أول ما ينبغي أن يستغل من خلال تحسين العلاقات، و"من أولى الأولويات للأقليات الإسلامية في الغرب أن يكون لأبناء المسلمين ذكوراً وإناثاً تعليمهم الخاص إلى ما بعد البلوغ، فهذه السن منذ الولادة إلى البلوغ هي السنوات الأساسية من العمر التي تغرس فيها الأخلاق والمبادئ والعقائد، والتي تتشكل فيها نفس الإنسان وروحه،

---

(١) ساذَجين: لم يُخَالِطْ سَوادَهما لونٌ آخَرُ. انظر: تاج العروس، الزبيدي، باب: الجيم فصل السين المهملة مع الجيم، (٦/ ٣٣، ٣٤).

(٢) الأنوار في شمائل النبي المختار، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: الشيخ إبراهيم اليعقوبي، دار المكتبي، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، (١/ ٥٢٦)، برقم (٧٧٥).

(٣) ينظر: مؤتمر: الأقليات الإسلامية ظروفها وآمالها وآلامها، مجلة البحوث العلمية، العدد السادس عشر - الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة، ١٤٠٦هـ، (١٦/ ٣٤٢).

ويوضع الإنسان فيها على بداية درب الحياة، فإما إلى الكفر وإما إلى الإسلام"[1]؛ كما قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[2].

ويدل على اهتمام النبي ﷺ وحرصه على تعليم أبناء المسلمين هو ما صنعه في أسرى بدر حين جعل فداء كل أسير يقرأ ويكتب أن يعلِّم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة، ولا يغيب عن الذهن أن هذا هو باب العلم والتعليم[3].

الدرس الثاني: دور الدول الإسلامية في حماية رعاياها من الأقليات الإسلامية والجاليات حيث أن المسلمين المقيمين في بعض الدول غير الإسلامية الآن قد يقعون فريسة الظلم والاضطهاد، فهنا يأتي دور الدول الإسلامية في حماية رعاياها من الأقليات المسلمة في تلك البلاد والدفاع عنها، والمطالبة بإعطائها حقوقها الشرعية.

ومثال ذلك، ما رواه عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما مرفوعا: أنه بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قُتِلَ، فقال: «**لا نبرح حتى نناجز**[4] **القوم**»، ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، ثم أُتِي رسول الله ﷺ أن الذي قيل من أمر قتل عثمان باطل[5].

---

(١) أولويات العمل الإسلامي في الغرب، عبد الرحمن عبد الخالق، منشور على موقع "كلمات"، على الرابط التالي: http: //www. kl28. com/knol2/index. php?p=view&book=1066

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، (٢/ ١٢٥)، برقم (١٣٨٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: الدعوة إلى الله، جاد الحق علي جاد الحق، (ص١٥٢).

(٤) المناجزة في الحرب: المبارزة.

(٥) ينظر: سيرة ابن هشام، (٣/ ٣٦٤)، وتفسير الطبري، (١١/ ٣٤٨)، وفي "تاريخه" (٢/ ١٢١)، عن ابن إسحاق قال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قتل فذكره، وينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، =

وسبب الحديث أن قريشا اجتمعوا لصد النبي ﷺ عن البيت فبعث إليهم عثمان بن عفان ﷺ يخبرهم أن رسول الله لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته، فاحتبست قريش عثمان، وَادُعِيَ أنه قتل.

فالشاهد من ذلك أن ما فعله النبي ﷺ كان دليلًا واضحًا على اهتمام الدولة الإسلامية حينذاك تجاه رعاياها، فعندما سمع النبي ﷺ أن عثمان ﷺ احتبسته قريش عندها بل بُلِّغ بأنه قد قتل هَمَّ النبي ﷺ بخطوة مقاتلة قريش، وإن كانت لم تحصل المقاتلة لِتبيِّن أن عثمانً لم يقتل.

ولهذا فإن ما فعله النبي ﷺ لم يخرج عن نطاق القانون الدولي حيث إنه ﷺ لم يلجأ إلى القتال، بل كان التدخل منه ﷺ بالطريق الدبلوماسي والمفاوضات من أجل حماية أفراد دولته الإسلامية التي تمثلها المدينة المنورة حينذاك.

الدرس الثالث: الاهتمام ببعث الدعاة المتخصصين لتلك الأقليات الإسلامية أو الجاليات، فلقد أصبحت الحاجة داعية إلى إرسال معلمين ومربين ودعاة لعلاج مشكلات عدم الفهم للدين الصحيح، ويشرحون للناس حقائق الإسلام، ويدعونهم إليه.

فالنبي ﷺ أرسل معاذ بن جبل ﷺ أعلم الصحابة بالحلال والحرام إلى اليمن قاضياً ومفقِّهاً وأميراً، وجعله على أحد أجزائها وهو الأعلى؛ ولما خرج معاذ قاصداً اليمن خرج معه رسول الله ﷺ فأوصاه بوصايا كثيرة، ورسم له منهجاً دعوياً عظيما.

وبعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري ﷺ إلى الجزء الآخر من اليمن وهو الأسفل قاضياً ومفقهاً وأميراً، وكان من أحسن الصحابة صوتاً في تلاوة القرآن، فقد قال

تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، (١٢/ ١٤٨، ١٤٩).

أبو موسى رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ أنا ومعاذ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله إن شرابا يصنع بأرضنا يقال له: "المزر من الشعير"، وشراب يقال له: "البتع من العسل"، فقال النبي ﷺ: «**كل مسكر حرام**»[1]؛ وأوصاهما بقوله: «**يسِّرا ولا تعسرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[2].

وفي اختيار النبي ﷺ لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما لهذه المهمة تاكيدٌ على أهمية حُسْن اختيار الدعاة الذين يمثلون الإسلام ويدعون إليه، فقد اختار النبي ﷺ صحابيين من أفضل صحابته وفقهائهم، وبعثهما ليكونا رسولاه وسفيراه للقيام بمهمة تعليم الناس أمور دينهم وحل مشكلاتهم.

لذا فإن إيجاد مجموعة من الدعاة المتخصصين من أهل العلم تعمل على نشر الوعي بين صفوف هذه الجالية بشكل منهجي عملي لا مجرد قولي، والتركيز على معيار التخصص والإنجاز في الأداء الدعوي مع الجالية وليس على حساب الحزبية، أو الوطنية، أو الذاتية، مع دعم مالي، وإشراف علمي رسمي على مديري هذه المراكز الإسلامية، وقادة الجاليات، مع متابعة وتدقيق، وتوفير تفرغ كريم لكل داعية تتوافر فيه مواصفات الداعية في الغرب.

الدرس الرابع: علاج مشكلة العنف والإرهاب، فمن المشكلات التي تُلقِي بظلالها على واقع الجاليات مشكلة بعض عمليات العنف المنسوبة إلى إسلاميين في المجتمعات الأوروبية، وانعكاساتها السلبية على الجاليات وأبرزها: تزايد النزعة العنصرية

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، (٦/ ٩٩)، برقم (٥٣٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأحكام، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، (٤/ ٧٩) برقم (٣٠٣٨).

ضدهم واتساعها في المجتمع الأوروبي، وصياغة نموذج نمطي ثابت يقرن الإرهاب بالإسلام والمسلمين والعرب، وتشديد قيود ورقابة الشرطة على المقيمين من المسلمين إقامة قانونية، ومضاعفة أنشطة الطرد لمن لا يحمل بطاقة إقامة، أو لم يستكمل أوراقها، ناهيك عن التشدد البالغ في منح تأشيرات الدخول.

ثانيا: ما يخص الأقليات الإسلامية والجاليات:

الدرس الأول: بناء الأساس العقدي، لأنها الرابط الأقوى بين المسلمين، وكما كان هذا البناء قديما من أولويات منهج النبي ﷺ، فكذلك يكون حديثا، ولا يكون ذلك إلا بتربية المسلم على القيم الدينية التي جاءت من عند الله، وطبَّقها رسول الله ﷺ على نفسه، ثم طبَّقها مجتمع المؤمنين تطبيقًا حقيقيا.

"إن الالتزام والقيام بما تأمر به شريعة المجتمع هو الجانب العملي في العقيدة، وهو دليل قوة الاستمساك بالعقيدة، إذ العمل جزء من العقيدة مرتبط بها يعلو بعلوها وينحط بانحطاطها"[1]، فالدين له هيمنة على القلوب وله سلطان على النفوس لا يستطيع أن يبلغه العلم المادي مهما تحقق صدقه، ومهما سخَّر المختبرات، ومهما اخترع من أدوات، ومهما جهَّز من مخترعات، إلا أن الإنسان باطنه لا يخضع إلا لما جاء من عند خالق الأرض والسماوات.

الدرس الثاني: لم يكن المنهج النبوي ليحرص على تميز المسلمين في المضمون فحسب وإنما حتى في المظهر العام للمسلم في نفسه وللمجتمع الإسلامي في عمومه، ومن المفارقات العملية لحياة المسلمين التشبه بالكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، وقد

(١) المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، (ص ٢٠) .

وردت أحاديث يحذر فيها النبي ﷺ من مشابهة اليهود والنصارى والسير في طرقهم، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال، قال النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١).

ومن الأحاديث الواردة في النهي عن التشبه باليهود والنصارى قوله ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»(٢).

إن النبي ﷺ لما حذر من مشابهة اليهود والنصارى إنما هو تحذير عملي واقعي يؤدي إلى تطبيق التميز لعقيدة المسلمين، فالمؤمن يتميز في أي مكان عن أي يهودي، أو نصراني، أو وثني، أو كافر، أو مشرك، فلا يرضى بأن يكونوا مثلهم في أخلاقهم وسلوكهم، وهيئاتهم، فبذلك يتميز المؤمن عن غيره.

ولهذا ذكر ابن تيمية -رحمه الله- "أن المشابهة الشكلية تؤدي إلى المشابهة العقلية"(٣)؛ فالإنسان إذا شارك قوماً في عاداتهم، وأكلهم، ولباسهم، وغير ذلك، فإنه لا محالة تنتهي به الحالة إلى أنواع من المشابهات في أخلاقهم، وسلوكهم، وربما حتى في عقولهم، ولذلك حذر النبي ﷺ من ذلك تحذيرًا تامًا.

الدرس الثالث: الأخذ بمنطق الحوار الهادف، وبأصوله وضوابطه، في جميع الأحوال، تمشيًا مع المنهج النبوي، فحياة الأقليات المسلمة والجاليات ما تزال تحتاج إلى

---

(١) أخرجه أبي داود في "سننه"، كتاب: اللباس، باب: في لباس الشهرة، (٤/ ٣١٤)، برقم، (٤٠٣١)، ورواه الإمام أحمد في المسند، (٧/ ١٤٢)، برقم، (٥١١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٥/ ٢٧٠)، برقم (٦٠٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الأنبياء، باب: نزول عيسى، (٦/ ٤٩٦)، برقم (٣٤٦٢)، ومسلم، في "صحيحه" كتاب: اللباس، (٣/ ١٦٦٣)، برقم، (٢١٠٣).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (ص ٦٩).

فهم أكثر من شعوب ومثقفي غير المسلمين بأن لهؤلاء الأقليات دينهم وهويتهم المختلفة تمامًا عن غيرهم.

فلقد جعل النبي ﷺ الحوار من أبرز الأساليب لحل المشكلات الاجتماعية، فكان يأخذ بالحوار في جميع الأحوال مع كافة الطبقات، وقد أوردن مطلبا كاملا بهذا الأسلوب في الباب الأول من هذا البحث.

الدرس الرابع: القدوة الحسنة في العمل والمعاملة، حيث إن العالم ينظر إلى هذه الأقليات الإسلامية لا بأشكالها ولا بأسمائها ولكنها أقليات أو جماعات تمثل الدين الذي تنتسب أليه، وإن العالم كله ينظر إلى المسلمين لا بأسمائهم ولا بأشخاصهم، وإنما يرى فيهم تعاليم الدين الذي ينتسبون إليه، وما يحدث بين المسلمين من تقاتل وصراع وسباب وشتام وحسد وبغضاء ونحوها، يكونوا بذلك الأعمال المشينة قد أساءوا إلى الدين الذي ينتسبون إليه، بل وينفرون من يرغب الدخول أو حتى التعرف على دين الإسلام.

ولذا طبق النبي ﷺ هذا المبدأ في علاقاته بغير المسلمين سواء أكان في معاهداته، أم في حروبه.

ولنضرب بعض الأمثلة من تسامح النبي ﷺ مع أهل الكتاب، يهودا كانوا أو نصارى، فقد رويَ أن وفد نجران[1] أتوا النبي ﷺ فقالوا: ما تقول في عيسى بن مريم عليه السلام، فقال: «**هو روح الله وكلمته وعبد الله ورسوله**» قالوا له: هل لك أن نلاعنك أنه ليس كذلك، قال: وذاك أحب إليكم، قالوا: نعم؛ قال: فإذا شئتم، فجاء النبي ﷺ؛ فقال رئيسهم: لا تلاعنوا هذا الرجل، فو الله لئن لاعنتموه ليخسفن أحد الفريقين، فجاءوا

(١) نَجْرَان: موضع في مخاليف اليمن من ناحية مكة. ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، (٥/ ٢٦٦).

فقالوا: يا أبا القاسم إنما أراد أن يلاعنك سفهاؤنا وإنا نحب أن تعفينا، قال: «**قد أعفيتكم**»[1].

الدرس الخامس: تعتبر الجاليات الإسلامية من أهم الوسائل في نشر الإسلام وتغيير الفكر الخاطئ عن الإسلام والمسلمين، ولكن دور هذه الجاليات في مجال الدعوة مغيب لذلك لابد من الاهتمام بهذه وتحصينها ضد موجات الإلحاد والفكر المشوه ضدهم وحتى لا تقع فريسة لما يدور حولها من ضغوط وتفعيل دورها الدعوى.

الدرس السادس: حث المنهج النبوي على معاملة أهل الكتاب بحسن الجوار وزيارتهم عند المرض، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: « **أسلم**»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»"[2].

الدرس السابع: علاج مشكلة الزواج المختلط، حيث وضع المنهج النبوي الأسس والاعتبارات الشرعية في كيفية اختيار الزوج لزوجته، وكذلك اختيار الزوجة لزوجها، نظرًا لما ينجم عنه من مشاكل اجتماعية معقدة، حيث يحدث في فترات قدوم الشباب المسلم للعمل أو الدراسة، وللحصول على تسهيلات للعمل أو الإقامة أو التجنس، فضلا عن إشباع الرغبة الجنسية، فيتزوج من المرأة الأوروبية التي لا تتحلى غالبا بالقيم الخلقية

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، عن جابر بن عبد الله ﷺ، الحديث رقم (٤١٥٧)، قال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم، (٢/ ٦٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، (٢/ ١١٨)، برقم (١٣٥٦).

الأساسية التي تؤهلها لرعاية بيتها وزوجها، وأن تكون أمينة على أولاده وتربيتهم، ونتيجة لاختلاف القيم والثقافة التي نهلت كل منهما كثيرا ما تنتهي هذه الزيجات بنزاعات شديدة يذهب ضحيتها الأطفال.

ومن المعلوم أن تحريم زواج المشركات والكافرات مؤكدا بالكتاب والسنة، لما يترتب عليه من أمور شرعية وأخلاقية، وكذلك تأثيره البالغ على الأولاد، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ ﴿٢٢١﴾﴾[1].

وقال النبي ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك**»[2].

فالجمال والمال والحسب أمور مطلوبة، ولكنها ليست على حساب الدين، فإذا خلت المرأة من صفة الدين فلا يجوز نكاحها.

وكذلك مشكلة زواج فتيات مسلمات برجال أوروبيين غير مسلمين لغرض الحصول على العمل أو الإقامة أو التجنّس، فتدخل الفتاة بذلك مرحلة حرجة ومضطربة من حياتها، ولكن بعد أن تكون قد خسرت عفتها وكرامتها، وفارقت أهلها ووطنها، وخالفت أمرا شرعيا بتحريم زواج المسلمة بغير المسلم.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢١.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب: النكاح، باب: الأكفاء في الدين، (٧/ ٧)، برقم (٥٠٩٠)، ومسلم في "صحيحه" كتاب: الرضاع، باب: استحباب: نكاح ذات الدين، (٢/ ١٠٨٦) برقم (١٤٦٦). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والمنهج الرباني حرم على المسلمة أن يتزوجها كافر مهما كانت الظروف والمبررات، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ ﴿٢٢١﴾﴾[1].

وقال ﷻ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[2]؛ وأكبر سبيل هو النكاح.

وقال النبي ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوِّجوه إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض**»[3]؛ فهذه صفات الزوج الذي ارتضاه الإسلام للمرأة المسلمة، فهو مسلم، وملتزم بدينه، وذو خُلُقٍ متين.

يقول بن جرير الطبري: "يعني تعالى ذكره بذلك أن الله حرَّم على المؤمنات أن ينكحن مشركا كائنا من كان المشرك، ومن أي أصناف الشرك كان، قلا تنكحوهن أيها المؤمنون منهم، فإن ذلك حرام عليكم، ولأن تزوجوهن من عبد مؤمن مصدق بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله، خير لكم من أن تزوجوهن من حر مشرك، ولو شرُف نسبه وكرم أصله، وإن أعجبكم حسبه ونسبه"[4].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢١.

(٢) سورة النساء الآية: ١٠٤.

(٣) أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب: النكاح، باب: إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، (١/ ٢٠١)، برقم (١٠٩٧)، وقال: حديث حسن غريب، ورواه ابن ماجه في "سننه" كتاب: النكاح، باب: الأكفاء، (١/ ٦٣٢)، برقم (١٩٦٧). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم، (٨٦٦)، وورد في السلسلة الصحيحة، برقم، (١٠٢٢). من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) تفسير الطبري، (٤/ ٣٧٠).

الدرس الثامن: إذا بدأنا بالاعتراف بحقيقة أن الأقليات جزء من المجتمعات التي تعيش فيها، وأن اختلاف الناس سنة من سنن الله تعالى، وأن التعارف بين الشعوب والقبائل هو توجيه إلهي وليس الصراع، وإذا اعتبرنا أن من حق الناس أن تعبر عن خصوصياتها الثقافية واللغوية بل والعرقية بما لا يتعارض مع أمن المجتمع وقيمه وتقاليده، وفي إطار المرجعية العليا للمجتمع ليس بمعنى التطابق معها ولكن بمعنى عدم ضرب الأسس التي تقوم عليها، فإن ذلك وغيره يحل الكثير من المشكلات في المجتمع الإسلامي المعاصر، فإن هناك بالطبع مشاكل عرقية ودينية ومذهبية، بل وثقافية أيضاً.

لذا فإن السياسية الصحيحة لحل مشاكل الأقليات أو التقليل من آثارها السلبية هي العودة إلى المرجعية الإسلامية وإعلاء قيمة الانتماء الحضاري الإسلامي، وضرورة ممارسة العدل وتحقيق الأنصاف وسياسية التعارف بين الشعوب والقبائل وليس الإقصاء والتهميش لأي عرق أو طائفة[1].

الدرس التاسع: حفاظ المرأة المسلمة على حجابها مهما تعرضت له من إيذاء وإضرار نتيجة إصرارها على لباسها الإسلامي، فعلى المرأة المسلمة الالتزام بالزي الذي يستر جميع جسدها، ويغطي رأسها، وأن تكون في مظهرها، وحركتها وسمتها نموذجا للمسلمة الملتزمة بتعاليم الإسلام وقيمه في العفاف والطهارة، مع أداء العمل المنوط بها بالجدية والإتقان المطلوب، لتضافر النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وإجماع السلف على ضرورة إلتزام المرأة المسلمة بلباس الحشمة والستر.

---

(١) ينظر: الحل الإسلامي لمشكلة الأقليات، للدكتور/ محمد مورو، موقع المسلم على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٧/ ١١/ ١٤٢٩هـ. بتصرف.

وهكذا، فإن المنهج النبوي قد وضع أسسًا شرعية، وضوابط مرعية، للحياة الاجتماعية للأقليات المسلمة والجاليات، فمن خلال التمسك بها وتطبيقها عمليا يحصل التغلب على أكثر المشكلات الاجتماعية التي تواجهها الأقليات والجاليات الإسلامية في شتى أنحاء العالم.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله مستحق الحمد على كل حال، المتصف بصفات الكمال، والشكر له على توفيقه وعونه وتيسيره، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداه، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فبعد أن يسر الله تعالى إكمال هذا البحث، الذي تناول (منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية)، فقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، وذلك على النحو التالي:

أولا: أهم نتائج الدراسة:

يعرض الباحث فيما يلي ملخصًا للنتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتي منها ما يلي:

١) إن منهج النبي ﷺ الدعوي مسدد بالوحي في منطلقاته، وأهدافه، وثوابته، وأصوله، ومرتكزاته؛ فهو شامل ومتكامل، يستقصي جميع قضايا الدعوة علمًا وعملاً، وفكرًا وسلوكًا وعقيدة وشريعة، فهو يسير وفق التوجيهات الربانية، تمشيا مع قول الله ﷻ: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ ﴾[1].

٢) إن النبي ﷺ اتبع في منهجه هدي إخوانه الأنبياء مع أقوامهم، قال الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣ ﴾[2].

فمنهجية إبراهيم عليه السلام الدعوية محور فريد في إقامة الحجة والبرهان، وبناء المناظرات العقدية، ولذلك كان منهج النبي ﷺ في مواجهة التحديات الاجتماعية في تغيير

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٠٦.

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٣.

النفوس وبناء القناعات الإيمانية والتعايش مع تحديات الواقع الاجتماعي ومشاكله وهمومه متمشيا مع التوجيه الرباني في ذلك.

٣) إن النبي ﷺ عمل بمبدأ الشورى: والذي يعد من المبادئ العامة للشريعة الإسلامية التي تراعى فيه مصلحة المجتمع فلم يحددها القرآن الكريم، ولم يضيِّقها المنهج النبوي، ولذلك كان من المنهجيات الإصلاحية في حياة النبي ﷺ مبدأ الشورى تحقيقا لمبدأ الاتباع، ولدور الشورى البارز في حل المشكلات الاجتماعية، ولهذا كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في كل أمر، وفي كل قضية ليس فيها وحي وتشكِّل تحدياً مجتمعياً، وتحقق خدمة للمسلمين.

٤) وضوح الربانية في حياة النبي ﷺ من خلال زرع دوافع الخير في النفس البشرية، وانتزاع دوافع الشر منها، والنهي عن الرذيلة والسعي إلى نشر الفضيلة في حياة الأفراد وبث قيم الخير في نفوس الناس، وهذه الإيجابية من أكبر أسباب القضاء على المشكلات الاجتماعية.

٥) أهمية العلم الشرعي إذ به قوام الدين والدنيا وصلاحهما وبضده يتفشي الجهل والذي يعتبر من أعظم الأسباب لوقوع المشكلات الاجتماعية والفتن وانتشارها، فوجبت العناية بطلب العلم الشرعي من مصادره الأصلية الصحيحة.

٦) إن الحكمة وحسن الإدارة وإدراك الواقع واعتبار المقاصد والمآلات هي ما تأهلنا إلى وضع العلاج المناسب للمشكلة، بل وإلى الخروج من المحنة إلى منحة.

٧) إن المنهج النبوي يتعامل مع المشكلات الاجتماعية على المستويين الوقائي والعلاجي، أما الوقاية فبسد كل الأبواب المؤدية إلى المشكلة، وأما العلاج فقد أوجد من الوسائل والأساليب العلاجية الكفيلة بإنهاء جميع المشكلات، فالمنهج النبوي هو مصدر الوقاية من وقوع المشكلات الاجتماعية، وهو السبيل لحلول جميع مشكلات المجتمعات الإسلامية.

٨) إن الممارسات الخاطئة في التعامل مع المشكلات الاجتماعية تساهم مساهمة بالغة في تعميق المشكلة ومضاعفتها وخلق مشاكل جديدة.

٩) إن المنهج النبوي يهدف لتحقيق السعادة والسلامة للفرد في دنياه وأخراه، مما يؤدى إلى نشر ثقافة سلامة المجتمعات من الوقوع في وحول المشكلات الفردية والاجتماعية، فينبغي ألا يوظَّف هذا المنهج في غير مقاصده من أجل هوىً في النفس أو لتحقيق مكاسب دنيوية.

١٠) إن ضَعْف دور المؤسسات الرسمية والأهلية في توجيه أفراد المجتمعات الإسلامية لسلوك المنهج النبوي الشريف ساهم في تفشي المشكلات الاجتماعية.

١١) إن العلاقة بين المنهج النبوي لحل المشكلات الاجتماعية والدعوة علاقة تلازم وتكامل وترابط لا ينفصلان عن بعضهما، وأنها مرتبطة أيضًا بمشكلات الناس الاجتماعية وأنها أحد مهام الدعوة.

١٢) إن للدعوة عدة سمات وهي مرتبطة ترابطًا كاملا بالناس وبحل مشكلاتهم، ومن أهمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٣) إن المنهج النبوي منهج شامل لكل مناحي الحياة، فهو منهج شامل لصالح الإنسان يرتبط بالواقع، ويعالج مشكلات الحياة الاجتماعية، ويحيط بجميع أبعاد حياة الإنسان باعتباره وحدة يتلاحم فيه الجسد والعقل والروح.

١٤) إن المنهج الدعوي للنبي ﷺ قادرٌ على حل سائر المشكلات الاجتماعية واحتوائها، إذ له القدرة على تناولها ومعالجتها.

١٥) بيَّنت هذه الدراسة أنه لا بديل عن معرفة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية، وأنه الطريق الصحيح لأنجح الحلول الوقائية والعلاجية في معالجة مشكلات المجتمع، وإقامة العدل فيه.

١٦) إن المسلم في حاجة ماسة إلى العلم الذي ينمي الإيمان، ويغرس الفضائل، ويجعله قادرًا بإذن الله على حلول مشاكله، بل هو خيرُ ما يقي المجتمع من الوقوع في المشكلات؛ إذ هو صمام الأمان بإذن الله للنهوض بالأمم والمجتمعات.

١٧) إن المنهج النبوي التطبيقي الذي علَّمه رسولُ الله ﷺ لأصحابه، وسلكه من بعده صحابته الكرام -رضوان الله عليهم أجمعين- يبيِّن لنا أن صِحَّة الفَهم والعمل والبناء عليه من أهمِّ أُسس علاج المشكلات والقضايا الاجتماعية.

١٨) إن التوكل على الله تعالى والاستعانة به لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب.

١٩) إن التوازن يتمثل في المساواة لا التساوي، ولا تقتصر المساواة على المسلمين فقط، بل بيَّن المنهج النبوي أنها تشمل المسلمين وغيرهم، مما يوضح أهمية التوازن والوسطية في حل المشكلات الاجتماعية.

٢٠) إنه بتحقيق مبدأ العدل تنحل المشكلات الاجتماعية، وينبعث الأمل لدى المضطهدين والمظلومين، وبه يرتدع الفاسد ويجازى المسيء ويعاقب المجرم، ويقضى على الفساد.

٢١) إن أسلوب التلطف والرفق في المنهج النبوي لحل المشكلات الاجتماعية هو أحد أساليب معالجة المشكلات الناجحة، ولكنه ليس حلا لكل المشكلات.

٢٢) إن سلامة القصد مستحبة من جانب صلاح النية والإخلاص في الدعوة، ولكنها لا تعفي الإنسان من مسؤولية الضرر بالآخرين.

٢٣) تبيَّن من خلال عرض الأسلوب النبوي في التمحيص والتمييز أنهما يجنبان الإنسان من اتخاذ أي مواقف سريعة بالسلب أو بالإيجاب تأثرا ببعض الأخبار والإشاعات.

٢٤) إن المنهج النبوي الدعوي يراعي أفهام واستيعاب وقدرات ومستويات الناس فيعطي كل واحد ما تستسيغه نفسه، ويألفه قلبه ويلبي حاجاته.

٢٥) إن منهج النبي ﷺ في حل المشكلات لا يغفل مراعاة أعراف الناس السائدة التي تجعل لدعوته جمالًا واستحسانًا ، ولنصيحته قبولًا من غير نكير.

٢٦) إن مواجهة المشكلة مباشرة لها عدة أشكال، وكلها مما عرفناه في كتاب الله تعالى، وسنة النبي ﷺ .

٢٧) إن من وسائل المنهج النبوي في حل المشكلات بين المتخاصمين الجلوس لهم والسماع منهم، وقد تبيَّن فعاليَّة هذه الوسيلة في فض المنازعة وإنها الخصام.

٢٨) أنه ليس من العيب أو من التقليل من النفس أن يستشير الإنسان، وأن يبحث عن من يعينه على حل المشكلات، بل إن رأي الاثنين يكون في غالب الأحيان أفضل من رأي الواحد، ورأي الثلاثة أفضل من رأي الاثنين وهكذا.

٢٩) تبيَّن من خلال عرض الأسلوب النبوي في إدخال السرور على نفوس الأخرين لحل المشكلات الاجتماعية أنه لا يقتصر على طريقة واحدة بذاتها، بل له طرق متعددة، ومجالات متفرقة.

٣٠) إن الجاهل يحتاج إلى تعليم، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان، والغافل يحتاج إلى تذكير، والمصرّ يحتاج إلى وعظ، فلا يسوغ أن يُسوّى بين العالم بالحكم والجاهل به في المعاملة والإنكار، وهذا ما أتضح من المنهج النبوي في معالجة المشكلات الفردية.

٣١) إن المبادرة لحل أي مشكلة في مهدها يحد من خطورتها، وتفشيها، وتفشي آثارها.

٣٢) يعد أسلوب الحوار من أنفع الأساليب لمعالجة المشكلات، حيث يتضمّن الخلق العظيم الذي استخدمه النبي ﷺ في تصحيحه للأخطاء، ومعالجة المشكلات.

٣٣) يعد أسلوب التفاوض من أهم الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ في حل العديد من المشكلات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية التي واجهها ﷺ، وأن الركون إلى السلم أولى من غيره؛ إذ هو أحد أساليب التفاوض.

٣٤) يعد أسلوب التعريض من أساليب علاج المشكلات وله آثار تربوية عدة.

٣٥) يعد أسلوب المداعبة من الأساليب الذي نهجها النبي ﷺ في حل بعض المشكلات، وفيه من الدروس التربوية والتدابير الوقائية ما هو كفيل بصياغة شخصية المسلم صياغة متزنة في كل جانب من جوانب حياته.

٣٦) يعد أسلوب الغضب وعدم الرضا في علاج المشكلات التي تنتهك فيها حرمات الله تعالى، ولكن يظل هو أحد أساليب علاج المشكلات، وإن كان استخدامه قليل وفي حدود.

٣٧) يعد أسلوب التوبيخ والتأنيب له مميزات أنه يضاعف من سرعة علاج المشكلة، لكن مع البعض قد يزيده التوبيخ خطأً على خطأه، ومع هذا يظل التأنيب والتوبيخ أسلوبًا من أساليب علاج المشكلات.

٣٨) من أهم معالم منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الزوجية: الحث على ضرورة حسن اختيار الزوجة، والاهتمام بقضايا الأسرة، ومعرفة أسباب المشاكل الزوجية.

٣٩) من أهم معالم منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة الفقر والبطالة: تشجيع الناس على مزاولة الأعمال وبعض المهن والصناعات، والحث على المزارعة وتشجيع المشاريع الاقتصادية بين المسلمين، وتحريم الربا لما له من مضار على فقراء المجتمع، وتحريم الرشوة، وتحريم الاحتكار.

٤٠) من أهم معالم منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة المسكرات والمخدرات: بناء الأساس العقدي النفسي عند الإنسان، ومعرفة أسباب وعوامل تعاطي الخمر والمسكرات وعلاجها.

٤١) أَكَّدَت معظم الدراسات والبحوث الميدانية والأكاديمية على أن تعاطي المخدرات هو نقطة البداية لكثير من الجرائم، بل إنها تقود ضحيتها بالتأكيد إلى ارتكاب جريمة السرقة والاعتداء على الغير بقصد الحصول على تلك السموم.

٤٢) من أهم معالم منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العنف والإرهاب: ترسيخ خلق المراقبة، ونشر القِيَم الرفيعة في المجتمع، والنهي عن الترويع، وتحريم قتل النفس وسفك الدم.

٤٣) من أهم معالم منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العصبيَّات والقوميَّات: الدعوة إلى نبذ العصبيات والقوميات الجاهلية، والعلاج لما وقع في المجتمع الإسلامي من ظهور بعض العصبيات والقوميات.

٤٤) إن العصبية والقومية لها خطر عظيم وضرر كبير، فالعصبية تبعث على الحمية، والحمية من صفات الجاهلية، ومن آثارها: الشرك والضلال، الدعوة إلى غير الإسلام، ومناصرة غير الحق، وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية، وذهاب الأخوَّة العامة بين المسلمين، وغير ذلك.

٤٥) من أهم معالم منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة الإعاقة: حسن التعامل مع المعاقين، ودمج المعاق في المجتمع الإسلامي، والوقاية من الإعاقة.

ثانيا: أهم التوصيات:

قد خرجت هذه الدراسة بعدة توصيات، من أهمها:

أولا: يوصي الباحث المؤسسات والجهات المعنية بمعالجة المشكلات الاجتماعية ضرورة الرجوع إلى المنهج النبوي الشريف لتفهم الأصل الشرعي للعلاج، والتعرف على سبل تلك الحلول.

ثانيا: يوصي الباحث المؤسسات والجهات المعنية صياغة تشريعات وقوانين تتفق مع المنهج النبوي لحل المشكلات الاجتماعية.

ثالثا: ينبغي على المسلمين عموماً والعلماء خصوصًا ابراز منهج النبي ﷺ ومقاصده السامية العادلة لجميع الناس.

رابعا: يدعو الباحث العلماء المختصين للقيام في إبراز المنهج النبوي في حل المشكلات الإجتماعية على مستوى المؤسسات الاجتماعية الدولية.

خامسا: ينبغي على الدعاة إلى الله والوعاظ أن يحثوا المجتمع المسلم على سلوك المنهج النبوي باعتباره من الضرورات لسلامة أفراد ومجتمعات الأمة الإسلامية من المشكلات الاجتماعية، وعلى ولي الأمر وسلطات الدولة أن يتبعوا المنهج النبوي لمعالجة مشكلاتهم وقضاياهم؛ فهو المنهج الوحيد الذي يؤمن المجتمع المسلم بصلاحيته، وأفضليته على أي منهج آخر؛ لأنه يضمن سلامة المجتمع وبقاءه وتماسكه وتقدمه.

سادسا: يوصي الباحث بمتابعة دراسة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية، والكشف عن كافة جوانبه، واستقراء بقية الوسائل والأساليب التي استعملها النبي ﷺ في معالجة جميع المشكلات الاجتماعية، وذلك من خلال بقية دواوين السنة التي لم تتناولها هذه الدراسة، فالحديث الشريف غزير بهذه العلوم، وعطاؤه لا ينفد، ومَعِينه لا ينضب.

سابعا: يدعو الباحث العلماء المختصين في علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، وعلم الاقتصاد، وعلم الإدارة، أن يستفيدوا من المعالجات النبوية في تطوير بحوثهم، عن طريق دراسة هذه المعالجات النبوية وتحليلها، ثم صياغتها بشكل علمي ممنهج للاستفادة منها في تلك العلوم.

❁❁❁❁

الفهارس العلمية

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة وطرف الآية	الآية	صفحة
سورة البقرة		
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾	٣٤	٨٨
﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٣٥	٨٨
﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾	٣٦	٨٨
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾	٣٧	٨٨
﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾	٨٥	٧٦
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ ﴿١٢٦﴾ ﴾	١٢٦	٤٨٣
﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾	١٣٨	٤٤٨
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	٧٠٢
﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ ﴾	١٤٥	١٠٧
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ ﴾	١٧٠	٥٥٤ـ٥٧٦
﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ ﴿١٧٣﴾ ﴾	١٧٣	٦٩٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ﴾	١٧٨	٥٣٥

اسم السورة وطرف الآية	الآية	صفحة
﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	١٧٩	٥٣٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	١٨٣	١٤٢
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾ ﴾	١٨٥	٢٣٦
﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾	١٩٥	٦٢٠
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٢٠٠	١٤٣
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾	٢٠٢	١٤٣
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾	٢٠٤	٣٣١
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٠٥	٣٣١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾	٢٠٨	٥١٧
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ ﴾	٢١٩	٦١٨-٤٤٠
﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ ﴾	٢٢١	٦٥٠-٧٢١-٧٢٢
﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	٢٣٢	١٩٦
﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ ﴿٢٣٧﴾ ﴾	٢٣٧	٥١٣
﴿ ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴿٢٢٨﴾ ﴾	٢٢٨	١٩٩
﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾	٢٣٥	٥٠٤-٥٠٨
﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى ﴾	٢٧٥	٤٠٣
﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ ﴾	٢٧٦	٣٣٩-٣٩٩-

اسم السورة وطرف الآية	الآية	صفحة
		٤٠٧
سورة آل عمران		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾	٥	٥٠٠ـ٥٠٥
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا ﴾	١٨	١٠٧
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾	١٩	٤٤ـ٧٥
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾	٦٤	٦٧٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٧٧) ﴾	٧٧	٢٢٩
﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾	٨٥	٤٤ـ٧٥
﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾	١٠٣	٥٤ـ٥٦٤ـ٧٠٧
﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١١٠	٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ ﴾	١٣٠	٤٠١
﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾	١٣٣	٥١٢
﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾	١٣٤	٥١٢
﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٠) ﴾	١٤٠	٨٩
﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٤١) ﴾	١٤١	٨٩

اسم السورة وطرف الآية	الآية	صفحة
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ ﴾	١٥٩	٦٠-١٦٣-١٦٤-٢٣١-٦٦٥
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	٤٩
سورة النساء		
﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾	٣	١٥٦
﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا ﴾	١٩	٣١٥-٣١٨-٣٣٥
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾	٢٩	٥٢٦
﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾	٣٠	٥٢٦
﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ﴾	٣٤	٣٥٧
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ ﴾	٣٥	١٩٩-٣٥٧-٣٥٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾	٤٣	٤٣٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾	٥٨	١٥٥-١٥٨-٦٣٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾	٥٩	٨
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	٤٤٧-٦٨٣-٦٩٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴿٧١﴾ ﴾	٧١	١٣٢

اسم السورة وطرف الآية	الآية	صفحة
﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ ﴾	٨١	١٢٨
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا ﴾	٨٢	١٤٠
﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾	٨٣	٦٣٥ـ٦٦٦
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ ﴾	٩٢	٥٢٩
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾	٩٣	٥٢٩
﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾	٩٥	٦١٠
﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾	١٠٤	٧١٩
﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾	١٠٨	٥٠٠
﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾	١١٣	٥٥ـ٦٣١
﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾	١١٤	٥٥
﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ ﴿١٢٨﴾ ﴾	١٢٨	٥٥
﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾	١٦٠	٤٠١
﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾	١٦١	٤٠١
سورة المائدة		

اسم السورة وطرف الآية	الآية	صفحة
﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾	٢	٥٤
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾	٣	٥٩ـ٦٧ـ٧٥ـ ٨٠ـ٢٠٧
﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾	٦	١٤٢ـ٢٣٦
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ﴾	٨	١٥٢
﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾	١٦	٥١٥
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٢٣	١٢٧
﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا ﴾	٣٢	٥٢٩
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٣٣	٥١٩
﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾	٣٥	٢٠٧
﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾	٤٢	١٥٧ـ٤١١
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٤٤	٤١١
﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾	٤٥	٦١٧
﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾	٤٨	٢٥ـ٢٨ـ٦٩٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾	٦٧	٢١١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ ﴾	٩٠	٤٣٩ـ٤٦٣ـ ٤٦٩

اسم السورة وطرف الآية	الآية	صفحة
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾	٩١	٤٣٩ـ٤٦٧
﴿ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾	٩٤	٦٥٠
سورة الأنعام		
﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾	٣٨	٧٩
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾	٩٠	٢٦٧ـ٣٧٣
﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾	١٠٦	١٠٦
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾	١٢٢	٦٢
﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾	١٥١	٤٢٨ـ٦٧٧
﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٦٢	٧٤ـ٥٠٤
سورة الأعراف		
﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾	١٢	١٠٦ـ٥٧٥
﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ ﴾	٢٩	١٥١
﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ ﴾	٥٢	١٠٦
﴿ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ ﴾	٨٦	٧٠٢
﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾	١١٨	١١٨
﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾	١٩٩	١٩٦ـ٥١٠ـ

اسم السورة وطرف الآية	الآية	صفحة
		٦٥١
سورة الأنفال		
﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾	١	٥٥
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾	٢	١٢٩
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾	٢٢	٤٣٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾	٢٤	٦٣٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾	٢٧	٢١٤-٥٨٠-٦٦٣
﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٨	٥٨٠
﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾	٤١	٦٠٥
﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾	٤٦	
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾	٦٠	٢٠٥-٤٨٧
﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	٦١	١٢٧-٥١٥
﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ ﴾	٦٣	٦٣

سورة التوبة		
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٥٣٤
﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾	٢٥	١٣٨
﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٦	١٣٨
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾	٢٨	٤٦٣
﴿ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾	٣٦	
﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	٦٠	٦٠٤-٦٧٢
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾	٨٧	٥٠٠
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾	١٠٠	٥٦٥
﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾	١١٨	٦٧٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	١١٩	٦٧٣
﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ	١٢٨	٩٣

رَّحِيمٌ ﴾		
سورة يونس		
﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ (٧٢) ﴾	٧٢	٣٧٣
﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ ﴾	١٠١	١١١
سورة هود		
﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾	١	١٠٦
﴿ وَيَٰقَوْمِ ﴾	٣٠	٥٣٨
﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ ﴾	٢٩	٣٧٣
﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا (٣٧) ﴾	٣٧	٣٨٦
﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾	٤٦	٥٦٣
﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ ﴾	٥١	٣٧٣
﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾	٦١	٣٨٢
﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾	٧٤	٥١٨
﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾	٧٨	٣٠٠
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾	١١٧	٩٢
سورة يوسف		
﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ ﴾	٣٣	١٧٤
﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾	٣٩	١٧٤

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾	١٠٨	٤٤ـ٥١
سورة الرعد		
﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾	٣٤	٦٠٨
سورة إبراهيم		
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ ﴾	٢٤	١٠٠
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾	٣٥	٤٧٩
سورة الحجر		
﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾	١٩	١٣٩
سورة النحل		
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٣٦	٦٨٨
﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	١٠٧
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾	٤٤	٨٦
﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾	٦٤	٨٦
﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ ﴾	٦٧	٤٣٦
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ ﴾	٧٢	٣٠٩
﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾	٨٠	٣٨٥
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾	٨٩	٧٣ـ٧٤ـ٧٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾	٩٠	١٥١ـ١٥٢ـ١٥٥
﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾	٩٢	٣٩٧

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٢١	١٠٢
﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) ﴾	١٢٣	٧٢٢
﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم ﴾	١٢٥	١٨٤ـ٦٤٤
﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾	١٢٨	١٣١
سورة الإسراء		
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾	١٢	٧٤
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾	٢٩	١٤١
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾	٣١	٤٢٧ـ٥٢٧
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	٦١٤
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ ﴾	٣٣	٥٣٢
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾	٧٠	٦٢٣
﴿ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٢	٤٤٥
﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾	٩٣	٦٤
سورة الكهف		
﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾	١٩	١٦٢
﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	٤٩	٥٠٦
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ ﴾	١١٠	٦٤

سورة مريم		
﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	١٣٢
﴿ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٦	٦٦١
﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴾	٢٩	٦٦١
سورة طه		
﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ﴾	٧	٨٥
﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	١٦٣
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾	٤٤	١٦٣_١٦٦
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾	١١٤	١٠٨
سورة الأنبياء		
﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ ﴾	٣٤	٦٢٧
﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾	٦٢	٦٧٩
﴿ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾	٦٧	٣٠٠
﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ ﴾	٧٣	١٠١
﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ ﴾	٧٨	٦٣٤
﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلّٗا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾	٧٩	١١٨_٦٣٤
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	٩٢	٥٥٦
﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ ﴾	٩٤	٦٠١
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٥٦

سورة المؤمنون		
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ ﴾	٨٠	١١١
سورة النور		
﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴾	٣١	٤٤٧
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾	٦١	٥٩٩
﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	٣٣	٤٢٦
﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ﴾	٥٤	٧٠
سورة الفرقان		
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾	٢	١٠٤
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	٢٠	٣٧٨
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ﴾	٥٤	٣٦٠
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٦	١٧٦
﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾	٥٧	١٧٦
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾	٦٧	١٤٠-١٤٢
سورة الشعراء		
﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾	٢١٨	٥٠٤
﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٢١٩	٥٠٤
سورة النمل		
﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾	٧٩	١٢٧
﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾	٨٨	٤٤٥
سورة القصص		

﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ﴾	٧٧	١٤٣ـ١٤٧ـ ٦٣٥
سورة العنكبوت		
﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ ﴾	١٧	١٩٥
﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾	٦٥	٥٧
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾	٦٩	٦٤٢
سورة الروم		
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴾	٢١	٣٠٦ـ٣٤٥
﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ ﴾	٣٠	٦٣ـ٦٣٤
﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴾	٣٩	٣٩٩
سورة لقمان		
﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾	١٤	٦١٢
سورة السجدة		
﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾	٧	٣٣٠
﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ﴾	٨	٣٣٠
سورة الأحزاب		
﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾	٢١	٢٦٧ـ٢٦٨ـ ٦٣٩ـ٦٧٤
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾	٣٦	٧٧ـ٣٠٦ـ ٤٤٦
﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ ﴾	٦٢	١٠٤
﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا	٧٢	١١٣

جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾		
سورة ص		
﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾	٢١	٦٦٤
﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ ﴾	٢٣	٢٢٦
﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ ﴾	٢٤	٢٢٦
﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾	٢٥	٦٦٤
﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾	٥٨	٣٣
﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾	٨٦	١٧٥
سورة الزمر		
﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾	٣	٧٣
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾	٩	٦٣٠
﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ﴾	٣٩	٥٣٧
سورة فصلت		
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾	٣٣	٨٩
﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ ﴾	٣٤	١٤٩
سورة الشورى		
﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾	١٠	١٢٨ـ٨
﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾	٣٨	٦٦٤
﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴿٥٢﴾ ﴾	٥٢	٥٥
سورة الجاثية		
﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ ﴾	٢٣	١١١
سورة الأحقاف		

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾	١٥	٦١٢
﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۖ﴾	٢٩	٤٣
﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم﴾	٣١	٤٣
﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	٣٥	٩٤
سورة محمد		
﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ۗ﴾	١٩	٦٣٠
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾	٢٣	١١١
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	١١١
سورة الفتح		
﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ﴾	٢٦	٥٥٧
سورة الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟﴾	٦	١٨٠-٢١٣-٢٢٩
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ ﴿٩﴾﴾	٩	٢٣٤
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾	١٠	٥٥-٦٩٨-٧٠٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾	١١	٥٥٨-٥٧٤-٥٩٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ۚ﴾	١٣	٥٣٧-٥٥٩-٦٤١
سورة الواقعة		

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾	١٣	٧٠٢
﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾	٦٣	٣٨٥
﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	٦٤	٣٨٥
سورة الحديد		
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٢٥	٣٨٥
﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ ﴾	٢٧	٦٣٥
سورة المجادلة		
﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾	١١	١٠٨
سورة الحشر		
﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾	٢	٦٦٥
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٥١
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ﴾	١٠	٤
﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	١٣	٤٨٧
سورة الممتحنة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾	١	٢١٤ـ٢٥١
﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٥٥٨
﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴿٤﴾ ﴾	٤	٢٦٧
سورة الجمعة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٣٨٤
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	١٠	١٣٢ـ٣٧٧ـ

		٣٨٤
سورة التغابن		
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	١٣٦
﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾ ﴾	١٦	٥٨٨
سورة الطلاق		
﴿ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾	٢	١٣٣
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ ﴿٣﴾ ﴾	٣	١٣٣ـ١٣٥
سورة الملك		
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾	٢	٤٦
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾	١٥	٣٧٧
سورة القلم		
﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ ﴾	٣	١٧٥
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	٤	٦٠
﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾	١٠	٦٦٢
﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾	٤٦	١٧٥
سورة الحاقة		
﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾	٧	١٤٩
سورة نوح		
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ ﴾	٥	١٧٤
﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ ﴾	٦	١٧٤
﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾	٧	١٧٤

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ﴾	٨	١٧٤
﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾	٩	١٧٤
﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾	١٠	١٧٤
سورة المزمل		
﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾	٢٠	٣٧٧-٣٨٠
سورة القيامة		
﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾	١٦	١٠٩
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	١٠٩
﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾	١٨	١٠٩
﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾	١٩	١٠٩
سورة عبس		
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ ﴾	١	٥٩٠
﴿ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾	٢	٥٩٠
﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٥٩٠
﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ ﴾	٤	٥٩٠
﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ ﴾	٥	٥٩٠
﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٥٩٠
﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ ﴾	٧	٥٩٠
﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ ﴾	٨	٥٩٠
﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٥٩٠
﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾	١٠	٥٩٠

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ ﴾	١١	٥٩٠
﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	٥٩٠
سورة الانشقاق		
﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾	١٤	٢٧١
سورة العلق		
﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾	١	٦٣٠-١٠٣
﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾	١٤	٥٠٣
سورة البينة		
﴿ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴾	٣	٥٠٧
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴿٥﴾ ﴾	٥	١٧٢

فهرس أطراف الأحاديث والآثار

طـرف الحديث أو الأثر	الصفحة
أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم	٢٨٢
اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة	٥٠١
اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال	٤٠٢
أدعوك بدعاية الإسلام	٤٢
ادنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس قال: أتحبه لأمك؟	١٢١-٦٤٨
إذا تقاضى إليك الخصمان، فلا تقض لأحدهما حتى	٢٢٧
إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله	١٣٤
إذا سلبت من عبدي كريمتيه وهو بهما ضنين	٥٩٥
إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة	٨١
إذا مَّر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك	٦١٥
أذهب فالتمس ولو خاتما من حديد	٢٣٩
استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء	٣١٢-٣٤٣
الإسلام دين الفطرة	٦٥
الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور	٥٢٩
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي	٥٦
أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟، قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا	١٥٩

طـرف الحديث أو الأثر	الصفحة
أعقلها وتوكل	١٢٩
أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم، وتسبقون	١٨٢
ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟	٥٢
ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان	٣١
ألم أُخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار	٢٣٦
أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك	٥٨٩
أما بعد فإني استعمل رجالا منكم على أمور مما ولاني الله	٦٥٩
أن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس	٣٧١
إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد	١١٤
إن الله جميل يحب الجمال	٣٢٦
إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية	٥٦٠
إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر	٥٩٥
إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام	٤٤٢
إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا	٢٢٣-٧٠٧
إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع	٦٣٠
إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله	٦٠٣
أَن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَه يراك	٥٠٠
إن خياطا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه	٣٩٤
إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة	٣٨٤

طـرف الحديث أو الأثر	الصفحة
إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله	٣٧٩
إن لجسدك عليك حقا	٢١٥-٦١٥
إن من الحنطة خمرا، ومن الشعير خمرا، ومن التمر خمرا	٤٤١
إن هذا قد تبعنا، فإن شئت أن تأذن له فأذن له	٣٩٦
انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما	٥٦٨
أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له	١٤٦
إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم	١٩٨
إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي	٣٤٠-٣٤٧
إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق	١٥٨
إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على	٥٠
إنه ليس بدواء ولكنه داء	٤٥٧-٤٦٣
إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى	٣٥٢
أيما رجل تزوج امرأة وبها جنون، أو جذام، أو برص	٦٠٠
أين المتألي على الله لا يفعل المعروف؟	٥٣
بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل: أما الرحمن	٢٧٩
بل الدم الدم والهدم الهدم وأنا منكم وأنتم مني	٢٨٣
بهذا أمرتم؟ أو لهذا خُلِقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض	٣٠٢
البيعان بالخيار ما لم يتفرقا - أو قال: حتى يتفرقا - فإن صدقا وبينا بورك	٣٨٦

طـرف الحديث أو الأثر	الصفحة
العجلة من الشيطان	١٨٠
تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام	١٨٧
تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما	٢٠٥
تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة	٣٢٩
تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم	٣٠٩
تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها	٣٢٤-٧١٧
ثم تكون خلافة على منهاج النبوة	٢٥-٣٠
حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله	٢٣-٦٤٥
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم	٥٦٤
خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي	٣١٢-٣٤٣
دعه يا عمر لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه	٢٦٢
الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة	٣٢٣
الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر	٤٠٢
ربح البيع صهيب	٥٦٢
رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى	١٤٧-٦٩٤
رفع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ	٥٨٨
الزارع يتاجر ربه	٣٨٦
الطيرة شرك وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل	١٣٢
عامل النبي ﷺ خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع	٣٩٠

طـرف الحديث أو الأثر	الصفحة
العلماء ورثة الأنبياء	١٠٩-٦٢٧
الحمد لله الذي أنقذه من النار	٧١٦
فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإِيمان وإدمان الخمر	٤٥٩
إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	٥٨٨
فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن	٣٣٨
فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة	٥٢٠
فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر	٣٣٨
فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم	٦٣١
فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر يهدى له أم لا	٤١١-٦٥٩
قال لنا المشركون: قد علمكم نبيكم كل شيء	٨٠
القصد القصد تبلغوا	١٤٥
كان ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسمة من مكثه عندنا	٣٣٦
كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني	٣٣٨
كان رسول ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه	٣٣٥
كخ، كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة	٣٠٣
كل شراب أسكر فهو حرام	٤٤٢
كل مسكر حرام، إن على الله عز وجل عهدا لمن يشرب المسكر	
كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام	٤٤١-٧١٢
كلكم راع ومسئول عن رعيته، والإمام راع ومسئول عن	٣١٠

طـرف الحديث أو الأثر	الصفحة
رعيته	
كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله	٢٦٣
لا بأس طهور إن شاء الله	٢٤٦
لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون	٦١٧
لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه	٢٤٤
لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة	٢٢٧
لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله	٣٨٦
لا تفعل، بع الجميع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبًا	٢٥٦
لا تلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لباد	٤١٧
نهى رسول الله أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها	٣٦١
لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها	٣٤٩
لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به	٧٠
لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه	٤١٨
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده	٩٣
لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا، ولا جادا	٥٢١
لا يحتكر إلا خاطئ	٤١٧
لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	٥٢٩
لا يشرب الخمر رجل من أمتي فيقبل الله منه صلاة أربعين يوما	٤٦٠

طـرف الحديث أو الأثر	الصفحة
ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن	٤٥٩
لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدا	٢١٢
لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد	٢١٣
لعن الله الراشي والمرتشي	٤١٠
لعن الله من فعل هذا، أوَليس قد نهيت عن هذا	٥٢٢
لعن رسول اللهَّ ﷺ في الخمر عشرة، عاصرها	٤٥٩
لعن رسول الله آكل الربا وموكله، وكاتبه وشاهديه	٤٠٣
لما ثقل النبي ﷺ فاشتد وجعه استأذن أزواجه	٣٣٦
لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما	٥٢٩
اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن	٤٢٧-٤٢٨
اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا	٤٣٨
اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك	٣٣٥
لو أنكم توكَّلون على اللهّ حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير	١٣٣
ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي	٥١٢
ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية	٥٦٥
ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف	٤٦٠
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير	٦١٤

طـرف الحديث أو الأثر	الصفحة
ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة	٣٢٥
ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده	٣٧٨
ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه	٢٨٧
ما بال دعوى الجاهلية	٦٧٣
ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم	٣٧٣
ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن	١٩٦
ما ظنك يا أبا بكر باثنين اللهّ ثالثهما	١٣٠
ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا	٣٩٠
ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم	٥٩٦
المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل	٤٥٢
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر	٥١٤
من احتكر فهو خاطئ	٤١٦
من أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق	٣٩١
من أحيا أرضا ميتة فهي له	٣٩١
من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه	٥١٩
من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله ﷻ، لا يتعلمه إلا ليصيب	١٧٣
من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية	٥٥٩
من رمانا بالليل فليس منا	٥١٩

طـرف الحديث أو الأثر	الصفحة
من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة	٤٦١
من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يستطع أن يزرعها	٣٨٩
منعني ربي أن أظلم معاهدا ولا غيره	١٦٧
مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله	٣٤٦
الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية	٣٢٧
نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه	١٨٩
هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع	٢٤٠
هل لك من إبل؟، قال: نعم، قال: ما ألوانها	٦١١
هل نظرت إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئًا	٦١١
هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك	٣٣١
وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم	٢٤٣
وأنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا	٢٢٢
وجعل رزقي تحت ظل رمحي	١٣٠
ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن	٤٥٩
ولكن يا حنظلة ساعة وساعة	٦٣٦
ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائرا بجناحيه في السماء	٧٤-٨٠
ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة	١٠٨
ويميط الأذى عن الطريق صدقة	٦١٧

طـرف الحديث أو الأثر	الصفحة
يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم	٣٠١
يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي	٣٣٧
يا أم فلان انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك	٥٩١
يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليوجز	٢٩٧
يا بني سلمة من سيدكم؟ قالوا: جد بن قيس	٥٩٦
يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم	١٨٥-٦٤٨
يا عقبة بن عامر، صل من قطعك، وأعط من حرمك	٥٠٩
يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي	٢٧٤
يا معـشر الأنصار، مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها	٢١٥
يا معشر المسلمين: الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم	٥٦٧
يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن	٣١١
يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج	٢٢٢

فهرس الأعلام التي ترجم لها البحث

	اسم العلم ولقبه وكنيته وشهرته ووفاته	الصفحة
١	ابن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، وتوفي: ١٢١هـ.	٥٤٧
٢	أبو بكرة نفيع بن الحارث، وقيل: ابن مسروح بن كلدة، وقيل: بل كان عبدا للحارث بن كلدة الثقفي فاستلحقه وغلبت عليه كنيته، ويقال: إن أبا بكرة تدلى يوم الطائف ببكرة وأسلم، فكناه النبي ﷺ بأبي بكرة، فأعتقه فهو من مواليه، ونزل البصرة ومات بها سنة تسع وأربعين.	٥٢٢
٣	أبو سفيان بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول اللهَّ وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما حليمة السعدية.	٥٤٨
٤	أبو قتادة فارس رسول الله، صحابي جليل اسمه الحارثُ بن ربعي الأنصاري على الصحيح، وقيل: اسمه النعمان، وقيل: عمرو وهو ممن غلبت عليه كنيته، شهد أحداً وما بعدها، توفي بالكوفة سنة (٥٤)، وهو ابن سبعين سنة.	٥٩٧
٥	أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، ومولده ومنشؤه ببغداد، وهو من أئمة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة.	٥٠٥
٦	أبو عبدالرحمن حاتم الأصم بن عنوان بن يوسف، البلخي	٥٠٥

	اسم العلم ولقبه وكنيته وشهرته ووفاتـــه	الصفحة
	الواعظ الزاهد القدوة الرباني، الناطق بالحكمة، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم، كان يقال له: لقمان هذه الأمة، تُوُفِّي رحمه الله –تعالى– برباط رأس سروند سَنَة ٢٣٧ هـ.	
٧	أبو أمامة الباهلي والسهمي، صدى بن عجلان بن وهب بن عمرو بن عامر، توفي سنة ٨٦هـ، وكان من شيعة علي يوم صفين، أخرج أحاديثه الأئمة الستة، وهو آخر من بقي من الصحابة بحمص.	٣٢٥
٨	أبي بن كعب ابن قيس، ويكنى أبا المنذر شهد العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعا، وكان يكتب في الجاهلية قبل الإسلام وكانت الكتابة في العرب قليلة، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول الله، ﷺ، وأمر الله – تبارك وتعالى– رسوله أن يقرأ على أبي القرآن، وقال ﷺ: أقرأ أمتي أبي، مات سنة عشرين أو تسع عشرة.	٥٦٨
٩	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، أبو العباس، تقيّ الدِّين ابن تيميَّة، الإمام، وماتَ معتقلًا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ.	٥٧٩
١٠	أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، من أئمة اللغة والأدب، ولد سنة (٣٢٩هـ) من تصانيفه "مقاييس اللغة"، و"المجمل"، و"الصاحبي في علم العربية"، توفي على الأشهر (٣٩٠هـ) .	٣٣

	اسم العلم ولقبه وكنيته وشهرته ووفاتـــه	الصفحة
١١	أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموية القرشية الكنانية، صحابية من المهاجرين والسابقون الأولون، كانت تحت عبيد الله بن جحش، خطبها النبي عليه الصلاة والسلام، وابتنى بها بعد رجوعه من خيبر، توفيت سنة ٤٢ أو ٤٤ أو ٥٠ من الهجرة .	٧٠٨
١٢	الأخنس بن شريق، بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة، حليف بني زهرة أسلم فكان من المؤلفة، شهد حنينا ومات في أول خلافة عمر.	٥٤٨
١٣	الإمام العالم يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن حزام الحازمي محي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي، شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه ولد سنة ٦٣١هـ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ.	١٣١
١٤	الإمام الحافظ محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الغطفاني، ولد سنة ١٩٥هـ، شيخ المحدثين، كان من بحور العلم، طوف البلاد وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنف، روى عنه كثير من أهل العلم ،توفى ٢٨٧هـ	١٣٣
١٥	الإمام محمد الطاهر ابن عاشور التونسي ولد سنة ١٢٩٦هـ، وهو رئيس المفتين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه فهو من كبار العلماء والمصلحين في عصره، وتنوعت آثاره من حيث موضوعاتها، فألف في التفسير، والحديث، والأصول، والأدب،	٢٤٨

	اسم العلم ولقبه وكنيته وشهرته ووفاتـــه	الصفحة
	واللغة، والتاريخ والتراجم، والدراسات الإسلامية، وتـوفي سـنة ١٣٩٤هـ.	
١٦	الأشعث بن قيس بن معد يكـرب الكنـدي، صـحابي، وفـد عـلى النبي ﷺ سنة عشر في سبعين راكباً من كندة وكان من ملوك كنـده، فأسلم.	٢٢٩
١٧	إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، مـات سـنة ثـمان وتسـعين وثلاثمائة.	٢٧
١٨	البراء بن معـرور الخزرجـي الأنصـاري أول مـن بـايع وأول مـن استقبل القبلـة وأول مـن أوصى بثلـث مالـه، وأحـد النقبـاء مـن الأثنى عشر.	٢٨٢
١٩	جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظـور، ومـات في شعبان سنة إحدى عشرة وسبعمائة.	٢٨
٢٠	جابر بن عبدالله الأنصاري ثم السَّلَميّ، صحابي ابن صحابي، أحد الستة الذين شهدوا العقبة الأولى، غزا تسع عشرة غـزوةً، وشـهد صفين مع علي - رضي الله عنهم -، ومات بالمدينة بعـد السـبعين، وهو ابن ٩٤ سنة.	٣٦١
٢١	الحسن بن أبي الحسن يسار البصرـي؛ كـان مـن سـادات التـابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة؛ أبـو سـعيد وتوفي سنة ١١٠هـ.	٤٦٤

	اسم العلم ولقبه وكنيته وشهرته ووفاته	الصفحة
٢٢	الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أديب، وتوفي عام ٥٠٢ هـ.	٣٤
٢٣	العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة، وقيل: العقبتين، بل قيل: كان مع النفر الستة الذين لقوا رسول الله ﷺ، فأسلموا قبل جميع الأنصار، خرج عباس إلى مكة، وأقام مع رسول الله ﷺ حتى هاجر إلى المدينة، فكان أنصاريا مهاجريا، قتل في أحد، ولم يشهد بدرا.	٢٨٣
٢٤	المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود، أبو عبدالله الثقفي صاحب رسول الله، أسلم عام الخندق، وأول مشاهده الحديبية، روى عن النبي ﷺ وروى عنه أبو أمامة الباهلي، والمسور بن مخرمة وقرة المزني وأولاده عروة وحمزة وعقار، كان موصوفا بالدهاء، توفي سنة ٥٠هـ.	١١٤
٢٥	خبيب بن عدي الأنصاري شهد بدرا وأسر يوم الرجيع في السرية التي خرج فيها في سبعة نفر فقتلوا وذلك في سنة ثلاث.	١٣٤
٢٦	ثوبان بن بجدد مولى رسول الله ﷺ، أصابه سباء، فاشتراه رسول الله فأعتقه، وقال له: «إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم، وإن شئت أن تكون منا أهل البيت» ، فثبت على ولاء رسول الله ﷺ، ولم يزل معه سفرا وحضرا إلى أن توفي رسول الله ﷺ.	٥٠١
٢٧	سمرة بن جندب بن هلال الفزاري من علماء الصحابة –رضي الله	٤٠٣

	اسم العلم ولقبه وكنيته وشهرته ووفاتـــه	الصفحة
	عنهم-، وتوفي سنه: ٦٠هـ.	
٢٨	سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل العدوي القرشي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن السابقين الأولين، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد حصار دمشق وفتحها، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، توفي بالعقيق سنة ٥٠ هـ وقيل: ٥١ هـ.	٣٩١
٢٩	شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، توفي رحمه الله بدمشق سنة ٧٥١هـ.	٧٠
٣٠	شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني ثم المصري وتوفي سنة ٨٥٢ هـ.	٣٠
٣١	ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو، صحابي جليل، كان من أشراف العرب.	٣٩
٣٢	طارق بن سويد ويقال سويد بن طارق الحضرمي ويقال الجعفي له صحبة حديثه عند أهل الكوفة.	٤٦٣
٣٣	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، توفي: ٩١١ هـ.	٦١٣
٣٤	عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي، ولد عام ١٣٠٧هـ، توفي والداه وهو صغير فنشأ يتيماً، حفظ القرآن الكريم واشتغل بالعلم، من أشهر مؤلفاته: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان). توفي سنة ١٣٧٦هـ.	٢٠٦

	اسم العلم ولقبه وكنيته وشهرته ووفاته	الصفحة
٣٥	عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي، واسم أبي حدرد سلامة بن عُمير، له صحبة، يكنى أبا محمد، وأول مشاهده الحديبية وخيبر وما بعدها، توفي سنة إحدى وسبعين.	٢٢٠
٣٦	عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمر بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري المدني، صحابي شهير، روى صفة الوضوء وغيره واستشهد بالحرة سنة ٦٣هـ.	٢٧٤
٣٧	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أصله من فارس، ومولده بقرطبة من بلاد الأندلس سنة أربع وثمانين وثلثمائة، كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر ، وتوفي سنة ست وخمسين وأربع مائة.	٢٦٧
٣٨	علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال أبو الحسن الأشعري القرطبي -توفي سنة تسع وأربعين وأربع مائة.	١٨٥
٣٩	عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، من رجال الحديث، وتوفي بالطائف، سنة ١١٨ هـ.	٣٠٢
٤٠	عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي الأندلسي، أبو الفضل، توفي سنة ٥٤٤هـ.	٣٢٥
٤١	كعب بن عجرة الأنصاري المدني، صحابي مشهور، كنيته أبو محمَّد من بني سالم بن عوف، مات سنة ست وخمسين.	٣٧٩
٤٢	مالك بن عتيك الأنصاري الأوسي أبو الهيثم بن التيهان، توفي في	٢٨٢

	اسم العلم ولقبه وكنيته وشهرته ووفاتـــه	الصفحة
	خلافة عمر بن الخطاب.	
٤٣	مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بـن محمـد ابـن عبد الكريم الشيباني الجزري، توفي في سنة (٦٠٦ هـ).	٤٢
٤٤	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصـاري الخزرجـي أبـو عبـد الله، وتوفي ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ، ٦٧١هـ.	٤٦٨
٤٥	محمد بن الحسن بن فرقد، الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي، أبو عبـد الله وتوفي برنبويه قرية من قرى الري في سنة ١٨٩هـ.	٣٧٦
٤٦	محمد بن عمر بن الحسن بـن الحسـين التيمـي البكـري، مولـده في الري عام: ٥٤٤ هـ، كان الرازي عالمًا في التفسـير وعلـم الكـلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها، توفى عـام ١١٥٠ – ١٢١٠م.	٢٨٦
٤٧	محمد بن محمد بن محمد بن عبـد الـرزاق الحسـيني الزبيـدي، أبـو الفيض، الملقب بمرتضى، وتوفي بالطاعون في مصر، ١٢٠٥ هـ.	٣٤
٤٨	محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري الحنفـي أبـو القاسـم، تـوفي رحمه الله بخوارزم سنة (٥٣٨ هـ).	٤١
٤٩	المعرور بن سويد الإمام المعمر أبو أمية الأسدي الكوفي، من ثقات التابعين، بلغ عمره مائة وعشرون سنة.	٣٠١
٥٠	المهلب بن أبي صفرة، كان والي خراسـان مـن جهـة الحجـاج بـن يوسف الثقفي، وأولاده يقال لهم المهالبة، ولـه يـد طـولى في قتـال	٣٩٥

	اسم العلم ولقبه وكنيته وشهرته ووفاتـــه	الصفحة
	الخوارج، توفي سنة ٨٣ هجري.	
٥١	نعيمان ابن عمرو بن رفاعة بن الحارث الأنصاري، شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها، وكان كثير المزاح، يضحك النبي ﷺ من مزاحه، وأخباره مشهورة، وتوفي في خلافة معاوية.	٢٩٢

فهرس الألفاظ والمصطلحات

	اللفظ أو المصطلح	الصفحة
١	الإختطار	٤٦٤
٢	الأرومة	٥٤٦
٣	أزرنا	٢٨٢
٤	استخبتا	٣٥٠
٥	الأكار	٥٤٨
٦	بنو قيلة	٥٦٦
٧	تحاوز الناس	٥٦٧
٨	جنيب	٢٥٦
٩	التردي	٥٢٦
١٠	الحلقة	٢٨٢
١١	الخوافي	٢٣٢
١٢	الدبس	٤٣٧
١٣	ردها جذعة	٥٦٦
١٤	ساذَجين	٧٠٩
١٥	ضغطة	٢٧٩
١٦	ضنين	٥٩٥
١٧	الطرق	١٣٧

	اللفظ أو المصطلح	الصفحة
١٨	الطلاء	٤٣٧
١٩	الطيرة	١٣٧
٢٠	عوان	٣١٢
٢١	العيافة	١٣٧
٢٢	الغدوة	٥١٥
٢٣	القوادم	٢٣٢
٢٤	الكسع	٦٧٣
٢٥	المبرح	٣١٢
٢٦	الـمثلة	٦١٦
٢٧	العرق المكتل	٢٤٠
٢٨	العُبيةُ	٥٦٠
٢٩	الملأ	٥٦٦
٣٠	منسأة	٣٠٩
٣١	المنهاج	٣٠
٣٢	مه مه	٥١٠
٣٣	نجران	٧١٥
٣٤	كنهه	٥٣٢
٣٥	كريمتيه	٥٩٥

	اللفظ أو المصطلح	الصفحة
٣٦	هجمت	٢٣٧
٣٧	الهدم	٢٨٣
٣٨	يتحساه	٥٢٦
٣٩	ذئرن	٥١٥
٤٠	Merril	٣٦
٤١	Universals	٤٨٤
٤٢	Dictionary	٤٨٤
٤٣	Webster	٤٨٤
٤٤	Nationalism	٢٤٢
٤٥	random. Hause	٤٨٤

فهرس المصادر والمراجع

١) الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبطالة في الوطن العربي، أ. بوقرة رابح، وأ. قرين علي، سعيدي يحي، جامعة المسيلة، الجزائر.

٢) أثر العلم في المجتمع، برتراند رسل، ترجمة صباح صديق الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

٣) المعجم الفلسفي، الدكتور/ جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٤) الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، دار الحديث، القاهرة.

٥) أحكام القرآن، للكيا الهراسي، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ.

٦) الأحوال الشخصية، الدكتور/ محمد أبو زهرة، الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٧م.

٧) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.

٨) الأخلاق والسير، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: عادل أبوالمعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٩) إدارة المفاوضات، إعداد: ربحي عبد القادر موسى الجديلي، فلسطين، غزة ٢٠١٠م.

١٠) الدعوة الفردية أهميتها، حالاتها، وعوامل نجاحها، الدكتور/ صالح بن يحيى صواب، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٦م.

١١) الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة، محمد الخضر حسين، تحقيق علي بن حسن الحلبي، دار الراية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، دار بن خزيمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٣) الإرهاب باستخدام المتفجرات، عبد الرحمن أبو بكر ياسين، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤١٢هـ.

١٤) الإرهاب بين الفرض والرفض في ميزان الإسلام، عبدالحي الفرماوي، دار البشير، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٥) الإرهاب والعنف السياسي، أحمد جلال عز الدين، مركز الحضارة العربية للإعلام، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٦) الرسل والرسالات، الدكتور/ عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثامنة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٧) الطب النبوي، (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، دار الهلال، بيروت، لبنان.

١٨) المرجع في تدريس علوم الشريعة، الدكتور/ عبدالرحمن صالح عبدالله، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٩) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٢٠) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله

(المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٢١) أسباب النزول، أبو الحسن النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٢) أسد الغابة، محمد بن محمد ابن الأثير الجزري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٣) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، محمد بن إسحاق الفاكهي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٤) الأسرة في الإسلام، مصطفى عبد الواحد، دار البيان العربي، جده، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.

٢٥) الأسرة والعلاج الأسري، داليا مؤمن، دار السحاب القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٢٦) الأسرة ومشكلاتها، محمود حسن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.

٢٧) أسس في الدعوة ووسائل نشرها، الدكتور/ محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٨) الإسلام أصوله ومبادئه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٩) الإسلام دين الإنسانية، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة.

٣٠) الإسلام كنظام حياة، الدكتور/ محمد البهي، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

٣١) الإسلام كنظام للحياة للدكتور محمد البهي، دار التضامن للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م.

٣٢) الإسلام وتنظيم الأسرة، حسن الكريم، مؤتمر الرباط، ١٩٩٧م، ورقة غير منشورة.

٣٣) الإسلام والاقتصاد، عبد الهادي علي النجار، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣م.

٣٤) الإسلام والعروبة، مجدي رياض، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ١٩٨٩م.

٣٥) الإسلام وبناء المجتمع، أ. د. حسن عبدالغني أبو غده وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٦) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، محمد يوسف موسى، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد (١٩١)، ٢٠١٠ م.

٣٧) الأسلوب النبوي في الدعوة، الشريف حمدان راجح الهجاري، دار الهدى للطباعة، القاهرة.

٣٨) الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٣٩) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٠) أصول التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٤١) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

٤٢) أصول الفقه الإسلامي، الدكتور/ وهبة الزحيلى، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٤٣) الأضرار الناجمة عن تعاطي المسكرات والمخدرات، عبد الكريم بن

صنيتان العمري، دار المآثر، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤٤) أضواء على التعصب، أديب إسحاق، دار أمواج، بيروت، ١٩٩٣م.

٤٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٦) الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٤٧) الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطاع الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٨) الاقتصاد السياسي للبطالة، رمزي زكي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م.

٤٩) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٥٠) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، تحقيق يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٥١) الأمة، المصطلح، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، العدد ٤٨ رجب ١٤١٦هـ، السنة الخامسة عشرة.

٥٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، المكتبة القيمة، القاهرة،

الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

٥٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٤) أن تكون عربياً في أيامنا، الدكتور/ عزمي بشارة، ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. ٢٠٠٩م.

٥٥) أنا والآخر سيكولوجية العلاقات المتبادلة، عبد المنعم شحاتة، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢ م.

٥٦) إنباه الرواة على أنباه النحاة" جمال الدين القفطي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٥٧) الأقليات المسلمة رقم مغيب ورابطة مفقودة، محمد عادل، نقلا عن موقع لواء الشريعة، على الرابط التالي: < http: ///www.shareah.com/index.php?/records/view/action/view/id/988 >

٥٨) الإنسان بين علو الهمة وهبوطها، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود، ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨م.

٥٩) الأنوار في شمائل النبي المختار، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: الشيخ إبراهيم اليعقوبي، دار المكتبي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٦٠) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦١) بحث بعنوان: الاتصال الجماهيري حول ظاهرة الإعاقة بين الأطفال، الدكتور/ هادي نعمان الهيتي، منشور بالمجلة المذكورة سابقا، عدد (٥)، فبراير،

٢٠٠٢م.

٦٢) البحر المحيط في أصول الفقه، ابن بهادر الزركشي، دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٦٣) البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦٤) البخاري في الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٦٥) البداية والنهاية، لابن كثير، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٦) البطالة ودورها في إحداث الجريمة، عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن حسن، مجلة عرين الأمن، العدد (٥)، كلية الملك فهد الأمنية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٧م.

٦٧) بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

٦٨) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٦٩) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة" مجد الدين الفيروزآبادي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٧٠) بيان المعاني، الشيخ العلامة عبد القادر ملاحويش آل غازي الفراتي الديرزوري، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢هـ.

٧١) البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٧٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) مجموعة من المحققين- دار الهداية.

٧٣) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٧٤) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، الطبعة الرابعة عشر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧٥) تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.

٧٦) تاريخ المدينة لابن شبة، المؤلف: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة، ١٣٩٩ هـ.

٧٧) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب: المجيد، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٧٨) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٧٩) تحقيق الإيمان لابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الرابعة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٨٠) التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي، علي أسعد وطفة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ٢٠٠٢م.

٨١) تزكية النفوس، جمع أحمد فريد، المحقق: ماجد بن أبي الليل، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٨٢) تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد ووجوه النصر، عبدالرحمن حسن الميداني، مجلة دعوة الحق، العدد (٦٤)، ١٤٠٧هـ.

٨٣) التعريض في القرآن الكريم، إبراهيم محمد عبد الله الخولي، دار البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٨٤) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٨٥) التعصب الذميم وآثاره، ربيع المدخلي، نشر مجالس الهدى، الجزائر، الطبعة الأولي، ٢٠٠٣م، ١٤٢٤هـ.

٨٦) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٨٧) تفسير الطبري ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٨٨) التفسير الكبير، للإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٨٩) التقرير والتحبير علي تحرير الكمال بن الهمام، ابن أمير الحاج، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٩٠) التكفير والعنف والإرهاب، منصور الرفاعي عبيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.

٩١) تهذيب الأخلاق، أبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ؛ قرأه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن أحمد، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٩٢) تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٩٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٩٤) التوكل على الله وآثاره التربوية في تنمية شخصية المسلم، إعداد: زكي بن رزيق بن عطا الله الحازمي، (رسالة ماجستير) كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.

٩٥) تيسير أصول الفقه د. محمد أنور البدخشانى، طبعة كراتش بباكستان، ١٩٩٠م.

٩٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٩٧) التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٩٨) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م.

٩٩) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م.

١٠٠) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي

السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٠١) جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، مكتبة ومطبعة مصطفى الباب: ي الحلبي، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٣٩٣هـ.

١٠٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٠٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

١٠٤) جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، دار الشروق القاهرة الطبعة الثانية عشرة، ١٩٩٢م.

١٠٥) الجريمة والمجتمع، سامية حسن الساعاتي، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٣م.

١٠٦) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٠٧) الحرمان والتخلف في ديار المسلمين، نبيل الطويل، كتاب: الأمة، العدد (٧)، قطر، الطبعة الأولى، شوال ١٤٠٤هـ.

١٠٨) الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية، مصر، د. ت.

١٠٩) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى الباب: ي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة الأولى،

١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م.

١١٠) حصاد الإرهاب، د ناصر بن مسفر الزهراني، العبيكان للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١١١) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب: والسنة، يحيى بن محمد حسن الزمزمي، دار التربية والتراث بمكة المكرمة، ورمادي للنشر بالدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١١٢) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد عبدالله القاسم، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١١٣) الحياة الاجتماعية في الإسلام، محمد سلامة الغنيمي، بدون بيانات.

١١٤) حياة محمد ورسالته، محمد علي اللاهوري، ترجمه إلى العربية/ منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

١١٥) الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل، للدكتور/ محمد عبد المنعم نور، مكتبة القاهرة الحديثة الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

١١٦) الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل، محمد عبدالمنعم نور الدين، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

١١٧) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١١٨) الخطبة والزواج، دراسة اكاديمية مدعمة بالأدلة الشرعية للدكتور/ بلقاسم شتوان، دار الفجر للطباعة والنشر، الجزائر، د. ت.

١١٩) الخلافات الزوجية أسبابها وعلاجها، أحمد ربيع أحمد يوسف، جامعة قطر، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

١٢٠) خلق المسلم، محمد الغزالي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى،

١٩٨٧م.

١٢١) الدر المنثور في التفسير بالماثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٢٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٩هـ.

١٢٣) دراسة الفكر الإسلامي وقابلية النماء والتطور الكاتب/ طارق فايز العجاوي، في ١٤/ ١١/ ١٤٣٤هـ. http: //islamselect. net/mat/95404

١٢٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، إشراف: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١٢٥) الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، أحمد عمر هاشم، ، مكتبة غريب، الفجالة، القاهرة.

١٢٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، المكتبة العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ.

١٢٧) دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع، إعداد مريم صالح عبدالله الأشقر، قطر، المركز الثقافي الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

١٢٨) دور النظرة الإسلامية للربا في الوقاية من الأزمات الاقتصادية، إحسان سمارة، كلية الشريعة، جامعة جرش – الأردن.

١٢٩) دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٣٠) ديوان أبو الطيب المتنبي، لإبي الطيب المتنبي، دار الفكر اللبناني، الطبعة

الأولى، ٢٠٠٨م.

١٣١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٣٢) ديوان بشار بن برد، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور-الدار التونسية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٦م.

١٣٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.

١٣٤) ديوان مجنون ليلى، قيس بن الملوح، شرح وتحقيق: رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

١٣٥) راجع موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، محمد أحمد سيد وآخرين، دار الوسيلة، جده، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٣٦) رسالة المسترشدين، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، تحقيق المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية -حلب- سوريا، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

١٣٧) الرعاية التربوية للمعوقين في الإسلام، زياد علي الجرجاوي، بدون بيانات.

١٣٨) الروح، ابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٩) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٤٠) تيسير أصول الفقة، الدكتور/ محمد أنور البدخشانى، طبعة كراتش بباكستان، ١٩٩٠م.

١٤١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٤٢) الزواج والمهور، عبد العزيز المسند، دار العمير للثقافة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.

١٤٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

١٤٤) سبيل الدعوة الإسلامية للوقاية من المسكرات والمخدرات، جمعة علي الخولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: (السنة السابعة عشر - العدد الرابع والخمسون) ربيع الثاني - جمادى الأولى - جمادى الآخرة، ١٤٠٢هـ.

١٤٥) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٤٦) سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من تحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٤٧) السيرة النبوية، عماد الدين بن كثير، مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان عام النشر: ١٣٩٥هـ- ١٩٧٦ م.

١٤٨) شذرات الذهب، لابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار النشر، دار الكتب العلمية.

١٤٩) شرح الزرقاني على الموطأ، الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة

الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٥٠) شرح السنة البغوي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

١٥١) شرح المعلقات السبع، الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م.

١٥٢) شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٥٣) شرح تنقيح الفصول، للقرافي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

١٥٤) شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، تحقيق، فريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

١٥٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٣م.

١٥٦) شرح مشكل الآثار، الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ– ١٤٩٤م.

١٥٧) الشمائل الشريفة، السيوطي، تحقيق حسن بن عبيد باحبيشي، الناشر: دار طائر العلم للنشر والتوزيع.

١٥٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٥٩) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت،

الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

١٦٠) صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو، عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٦١) صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٦٢) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٦٣) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٦٤) صيد الخاطر، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، عناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٦٥) الطبقات الكبرى إحسان عباس، محمد بن سعد بن منيع، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

١٦٦) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، دار الكتب العلمية، طبعة ٢٠٠٣م.

١٦٧) طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام العلامة شيخ الإسلام محمد بن أبى بكر بن سعد بن جرير الزرعي ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر،

الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

١٦٨) ظاهرة الفقر في العالم العربي والإسلامي، أسباب: هـا، وآثارهـا، بوشـامة مصطفى محفوظ مراد، جامعة سعد دحلب البليدة.

١٦٩) العدة في أصول الفقه، للقاضي أبي يعلى، الدكتور/ أحمد ابن علي بـن سـير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشـريعة بالريـاض - جامعـة الملـك محمـد بـن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

١٧٠) العصبية القبلية في صدر الإسلام، محمد عبد القـادر خريسـات، مؤسسـة حمادة، للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٥ م.

١٧١) العصبية عند العرب في الجاهلية حتى زوال دولة بني أمية من المشرق، علي مظهر، مطبعة مصر القاهرة، ١٣٢٤ هـ.

١٧٢) علم النفس الاجتماعي، حامد عبد السلام زهران، علم الكتـب القـاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧م.

١٧٣) علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، محمد محمـود محمـد، دار الشـروق، جده، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

١٧٤) العنف في عالم متغير، أ. د. زكريا يحيـى لال، مكتبـة العبيكـان، الريـاض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

١٧٥) العنف والشريعة في مصر دراسة قانونيـة، الـدكتور/ مجـدي متـولي، دون طبعة، ١٩٩٥م "الهيئة المصرية العامة للكتاب".

١٧٦) عون المعبود وحاشية ابن القيم، محمد أشرف بن أمير الصـديقي، العظـيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

١٧٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بـن حجـر أبـو الفضـل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٧٨) فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٧٩) فتح المجيد لشرح كتاب: التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، دار المؤيد، جده، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٨٠) فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، الدكتور/ حمدي عبدالعظيم، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٠ م.

١٨١) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر سورية دمشق، الطبعة الرابعة.

١٨٢) فقه الأقليات المسلمة، يوسف القرضاوي، مكتبة دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٨٣) فقه السيرة، محمد الغزالي، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني دار القلم، دمشق الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٨٤) الفقيه المعذب، ابن تيمية، عبدالرحمن الشرقاوي، العدد (٤٤) من سلسلة كتاب اليوم، الصادر عن مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٨٥) فلسفة التربية الإسلامية، عمر التوني الشيباني، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٨٨م.

١٨٦) الفن الجديد للتفاوض، جيرارد آي نيرنبرج هنر اتش. كاليرو، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٨٧) فنون الحوار والإقناع، لمحمد دياس، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٨٨) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

١٨٩) وفيات الأعيان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

١٩٠) فيض القدير المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

١٩١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء – عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

١٩٢) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٩٣) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

١٩٤) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، لبنان، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٩٥) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفى بن كرامه الله مخدوم، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١٩٦) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ومحمد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة بيروت، لبنان، د. ت.

١٩٧) الفتح المبين في طبقات الأصوليين، لعبد الله مصطفى المراغي، بيروت،

لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

١٩٨) قيم الإسلام الخلقية وآثارها، عبد الله بن محمد العمرو، رسالة ماجستير مخطوطة مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض عام ١٤٠٩هـ.

١٩٩) قيمة العمل في الإسلام ودوره في التنمية المستدامة، مصطفى ياحي، الملتقى الدولي حول: مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة، ديسمبر، ٢٠١٢م.

٢٠٠) الكحوليات، الدكتور/ علاء العلوان، الإستراتيجية العالمية للحد من تعاطي الكحول على نحو ضار، منظمة الصحة العالمية، ٢٠١١م.

٢٠١) الكسب، محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: الدكتور/ سهيل زكار، الناشر عبد الهادي حرصوني، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٢٠٢) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي - مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت.

٢٠٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم الزمخشري، ط. مكتبة مصر، د. ت.

٢٠٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٠٥) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٢٠٦) لغة الجسد، آلان باربار بييز، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٢٠٧) مؤتمر العالم الإسلامي، المشكلات والحلول، مكة المكرمة، من: ٢٣/ ٠٧/ ٢٠١١م - ٢٢ شعبان، ١٤٣٢هـ إلى: ٢٥/ ٠٧/ ٢٠١١م - ٢٤ شعبان، ١٤٣٢هـ.

٢٠٨) المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

٢٠٩) المجتمع الإسلامي في ظل العدالة، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

٢١٠) مجلة البحوث العلمية، العدد الرابع والتسعون، الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة، ١٤٣٢هـ.

٢١١) مجلة معلومات دولية، مركز المعلومات القومي - العدد ٥٧ سنة ١٩٩٨م.

٢١٢) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢١٣) مجمل اللغة أحمد بن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢١٤) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢١٥) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢١٦) المحاسن والأضداد، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٢١٧) محاضرة الإعجاز العلمي في أحاديث التداوي بالخمر، للدكتور/ محمد

علي البار، تغطيه/ سالم لعور، صحيفة أخبار اليوم، تصدر عن مؤسسة الشموع للصحافة والإعلام، الأحد ٢٦ ديسمبر-كانون الأول، ٢٠١٠م.

٢١٨) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢١٩) محمد المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، مكتبة محمد علي صبيح ميدان الأزهر القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٦م.

٢٢٠) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء الكتاب: والسنة، محمد بن إبراهيم التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣م.

٢٢١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب: العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٢٢٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ١٩٩٥م.

٢٢٣) المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير باب: ن الحاج، دار الفكر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٢٤) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٥) المرشد الشخصي للسعادة والنجاح، إبراهيم بن حمد القعيد، وخالد بن عبد العزيز المبارك، دار المعرفة للتنمية البشرية، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٢٢٦) المستصفى، للغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٢٧) المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق: الدكتور/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٢٢٨) المستقبل لهذا الدين، سيد قطب، دار الشروق القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٩٣ م.

٢٢٩) المسكرات والمخدرات، أحمد حاج علي الأزرق، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الرابعة عشر – العدد الرابع والخمسون.

٢٣٠) مشاكل الآباء في تربية الأبناء، الدكتور/ سيوك، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٣١) مشكاة المصابيح، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٢٣٢) المشكلات الاجتماعية: منظور الممارسة في الرعاية والخدمة الاجتماعية، سامية محمد فهمي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.

٢٣٣) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ١٩٨٥م.

٢٣٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو، العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٢٣٥) المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢٣٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن

الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٣٧) معالم السنن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م.

٢٣٨) معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٣٩) معجم ابن المقرئ تحقيق عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٤٠) معجم الأدباء" تحقيق إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٤١) معجم البلدان شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٢٤٢) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٤٣) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٢٤٤) معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٤٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الأندلس، بيروت، د.ت.

٢٤٦) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٢٤٧) المعجم الوسيط، الدكتور/ إبراهيم أنيس وآخرون، دار إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٤٨) المعجم لوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع.

٢٤٩) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٥٠) المغني الأكبر (إنجليزي - عربي)، حسن سعيد الكرمي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

٢٥١) قاموس المنهل (فرنسي – عربي) سهيل إدريس، الطبعة الثالثة عشرة دار الآداب، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٥٢) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي، دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٥٣) مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٥٤) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٥٥) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب

الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

٢٥٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٢٥٧) المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة.

٢٥٨) مفهوم العمل وأحكامه، صادق مهدي السعيد، مؤسسة الثقافة العمالية، بغداد، ١٩٨٣م.

٢٥٩) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٢ م.

٢٦٠) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى سنة: ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٦١) مقدمات النكاح، محمد بن عبد العزيز السديس، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (١٢٨)، السنة ٣٧- ١٤٢٥هـ.

٢٦٢) مقدمة عبد الحكيم راضي لكتاب نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، دار الذخائر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٦٣) مقدمة محمد رشيد رضا على كتاب: المغني لابن قدامة، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٢٦٤) مكانة العرف في الدعوة الإسلامية، رقية بنت نصر الله محمد نياز، منشورات مجلة البحوث الفقهية المعاصرة.

٢٦٥) ملخص كتاب المدخل إلى فن التفاوض، جابر يوسف محمد يوسف، الأكاديمية العربية بالدنمرك، ٢٠١١م.

٢٦٦) المنثور في القواعد الفقهية، بدر الدين بن بهادر الزركشي، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٦٧) منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.

٢٦٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٦٩) منهج الإسلام في تزكية النفس، الدكتور/ أنس أحمد كرزون، دار نور المكتبات، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٧٠) منهج الدعوة في المرحلة النبوية، علي بن جابر الحربي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مدينة نصر، د.ت.

٢٧١) منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال المرحلة المكية، الطيب برغوث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٢٧٢) الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٧٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، شهاب الدين القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د.ت.

٢٧٤) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٧٥) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، المؤلف: ابن رجب الحنبلي، تحقيق: زهير

الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٢٧٦) النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٧٧) نحو بناء إسلامي لمصطلح الأقلية، كمال السعيد حبيب، مجلة البيان، العدد ٩٠، يوليو ١٩٩٥م.

٢٧٨) نصب الراية، الزيلعي، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٧٩) نظام الأسرة في الإسلام، محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

٢٨٠) نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، إسماعيل حسني، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٢٨١) النظام السياسي للدولة الإسلامية، محمد سليم العوا، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦ م.

٢٨٢) نقود العالم متى ظهرت ومتى اختفت، محمد السيد الملط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م.

٢٨٣) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٨٤) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، تحقيق: عصام الدين، الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٨٥) النهاية في غريب الأثر، مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد

الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٨٦) الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٨٧) الوسائل القرآنية في علاج نشوز الزوجين وأقوال الفقهاء فيها، عماد أموري جليل الزاهدي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الثامن العدد (٢) ٢٠١٤م.

٢٨٨) الوصايا، الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٤
شكر وتقدير.....	٢٠
التمهيد.....	٢٣
المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للمنهج، وفيه مطلبان:	٢٥
المطلب الأول: المعنى اللغوي للمنهج.	٢٧
المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للمنهج.	٢٩
المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحي للمشكلات الاجتماعية	٣٢
المطلب الأول: المعني اللغوي للمشكلات.	٣٣
المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للمشكلات.	٣٦
المبحث الثالث: المعنى اللغوي والاصطلاحي للدعوة.	٣٩
المطلب الأول: المعنى اللغوي للدعوة.	٤١
المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للدعوة.	٤٤
الباب الأول علاقة الدعوة بمنهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية وأصوله، ومقوماته، ووسائله، وأساليبه، وفيه ثلاثة فصول	٤٦
الفصل الأول: علاقة الدعوة بمنهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية	٤٧
المبحث الأول: علاقتها بمجالات الدعوة.	٤٩
المبحث الثاني: علاقتها بحياة الناس وضرورة حل مشكلاتهم.	٦٢

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المبحث الثالث: شمولية المنهج النبوي الدعوي لكل مناحي الحياة.	٧٢
المبحث الرابع: الحاجة إلى معرفة منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية. .	٨٥
الفصل الثاني: أصول ومقومات منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية،	٩٨
المبحث الأول: الاهتمام بالعلم.	١٠٣
المبحث الثاني: صحة الفهم والعمل.	١١٨
المبحث الثالث: التوكل على الله ﷻ والاستعانة به وحده ﷻ.	١٢٦
المبحث الرابع: التوازن	١٣٩
المبحث الخامس: العدل	١٥٠
المبحث السادس: التلطف والرفق.	١٦٢
المبحث السابع: سلامة القصد.	١٧١
المبحث الثامن: التمحيص والتمييز.	١٧٩
المبحث التاسع: معرفة الظروف الثقافية والنفسية والفطرية المؤثرة في حل لمشكلات الاجتماعية.	١٨٧
المبحث العاشر: مراعاة الأعراف السائدة في المجتمع.	١٩٢
الفصل الثالث: وسائل وأساليب النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية	٢٠١
المبحث الأول: وسائل النبي ﷺ في التعامل مع المشكلات الاجتماعية	٢٠٤
المطلب الأول: المواجهة المباشرة.	٢٠٩
المطلب الثاني: الإشارة باليد الواحدة، أوباليدين، أوبالأصابع.	٢١٨
المطلب الثالث: السماع من المتخاصمين.	٢٢٥

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المطلب الرابع: الاستعانة بمن يعينه على حل المشكلة.	٢٣١
المطلب الخامس: اليسر وعدم التشدد.	٢٣٦
المطلب السادس: إدخال السرور على الآخرين.	٢٤٢
المطلب السابع: مراعاة أحوال بعض المخطئين.	٢٤٨
المطلب الثامن: وضع العلاج المناسب للمشكلة.	٢٥٤
المبحث الثاني: أساليب النبي ﷺ في التعامل مع المشكلة، وفيه ثمانية مطالب:	٢٥٨
المطلب الأول: أسلوب المبادرة.	٢٦٠
المطلب الثاني: أسلوب القدوة الحسنة.	٢٦٦
المطلب الثالث: أسلوب الحوار المقنع.	٢٧١
المطلب الرابع: أسلوب التفاوض.	٢٧٦
المطلب الخامس: أسلوب التعريض.	٢٨٥
المطلب السادس: أسلوب المداعبة.	٢٩٠
المطلب السابع: أسلوب إظهار الغضب وعدم الرضا.	٢٩٤
المطلب الثامن: أسلوب التأنيب والتوبيخ.	٢٩٩
الباب الثاني: منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الزوجية	٣٠٤
الفصل الأول: منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الزوجية.	٣٠٥
المبحث الأول:. اهتمام الشريعة الإسلامية بقضايا الأسرة	٣٠٨
المبحث الثاني:. أسباب المشاكل الزوجية	٣١٦
المبحث الثالث:. الحث على ضرورة حسن اختيار الزوجة	٣٢٢

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المبحث الرابع: تعامل النبي ﷺ مع زوجاته.	٣٣٤
المبحث الخامس: أساليب النبي ﷺ في معالجة المشكلات الزوجية.	٣٤٢
المبحث السادس: الآثار المترتبة على حدوث المشاكل الزوجية.	٣٥٥
الفصل الثاني: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة الفقر والبطالة.	٣٦٣
المبحث الأول: النبي ﷺ القدوة والمثل الذي يحتذى به في هذا المجال.	٣٧١
المبحث الثاني: نظرة النبي ﷺ للعمل.	٣٧٦
المبحث الثالث: تشجيع الناس على مزاولة الأعمال، وبعض المهن والصناعات.	٣٨٣
المبحث الرابع: الحث على المزارعة	٣٨٨
المبحث الخامس: تحريم الربا لما له من مضار على فقراء المجتمع.	٣٩٧
المبحث السادس: تحريم الرشوة.	٤٠٨
المبحث السابع: تحريم الاحتكار.	٤١٤
المبحث الثامن: الآثار المترتبة على حدوث مشكلة الفقر والبطالة.	٤٢٠
الفصل الثالث: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة المسكرات والمخدرات.	٤٣٢
المبحث الأول: الخمر والمسكرات في القرآن والسنة.	٤٣٥
المبحث الثاني: بناء الأساس العقدي النفسي عند الإنسان.	٤٤٤
المبحث الثالث: أسباب وعوامل تعاطي الخمر والمسكرات.	٤٥٠
المبحث الرابع: موقف الإسلام من الخمر والمسكرات.	٤٥٦
المبحث الخامس: الآثار الصحية، والاجتماعية، والاقتصادية، الناتجة عن تعاطي المسكرات	٤٦٢

الموضـــــــــــوع	الصفحة
الباب الثالث: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العنف والإرهاب، ومشكلة العصبيات والقوميات، ومشكلة الإعاقة.	٤٧٧
الفصل الأول: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العنف والإرهاب	٤٧٨
المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للعنف والإرهاب.	٤٨٢
المبحث الثاني: أسباب ظهور العنف في المجتمع المسلم.	٤٩٠
المبحث الثالث: ترسيخ خلق المراقبة.	٤٩٨
المبحث الرابع: نشر القيم الرفيعة في المجتمع.	٥٠٧
المبحث الخامس: النهي عن الترويع.	٥١٧
المبحث السادس: تحريم قتل النفس وسفك الدم	٥٢٤
الفصل الثاني: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة العصبيات والقوميات	٥٣٥
المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للعصبيات.	٥٣٩
المبحث الثاني: تأصل العصبيات والقوميات في المجتمعات الجاهلية قبل الإسلام.	٥٤٥
المبحث الثالث: دعوة الإسلام إلى نبذ العصبيات والقوميات الجاهلية.	٥٥٦
المبحث الرابع: العلاج لما وقع في المجتمع الإسلامي من العصبيات والقوميات.	٥٦٤
المبحث الخامس: الآثار السيئة المترتبة على عودة العصبيات والقوميات	٥٧١
الفصل الثالث: منهج النبي ﷺ في علاج مشكلة الإعاقة	٥٨١
المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للإعاقة.	٥٨٣
المبحث الثاني: التعامل مع المعاقين.	٥٨٧

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المبحث الثالث: دمج المعاق في المجتمع الإسلامي.	٥٩٩
المبحث الرابع: الوقاية من الإعاقة.	٦٠٨
المبحث الخامس: مقارنة بين المناهج الحديثة ومنهج النبي ﷺ في التعامل مع المعاقين.	٦١٨
الباب الرابع: الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية	٦٢٤
الفصل الأول: الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للداعية والمدعو وفي الوسائل والأساليب	٦٢٥
المبحث الأول: الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات للداعية.	٦٢٧
المبحث الثاني: الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات للمدعو.	٦٤٣
المبحث الثالث: الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية في الوسائل والأساليب.....	٦٥٧
الفصل الثاني: الدروس الدعوية المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية، للأقليات الإسلامية والجاليات.	٦٨٤
المبحث الأول: الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات الاجتماعية للمجتمعات.	٦٨٥
المبحث الثاني: الدروس المستفادة من منهج النبي ﷺ في حل المشكلات	٧٠٠

الموضـــــــــــوع	الصفحة
الاجتماعية للأقليات الإسلامية والجاليات.....	
الخاتمة	٧٢١
أهم نتائج الدراسة.....	٧٢٢
أهم التوصيات.....	٧٢٩
الفهارس العلمية	٧٣١
فهرس الآيات	٧٣٢
فهرس الأحاديث والآثار.....	٧٥٣
فهرس الأعلام التي ترجم لها البحث.....	٧٦٣
فهرس الألفاظ والمصطلحات.....	٧٧٢
فهرس المصادر والمراجع.....	٧٧٥
فهرس الموضوعات.....	٨٠٥